



هل تعلم أن..

الزكوات البيضاء

في الغريين محل عبادة

الإمام المهدي

بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١١



Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development
Department



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No :
Date

الرقم: ٢٥٩٤
التاريخ: ٢٠٢٢/١/١٢

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ٢٠٢١/ ١٢/٢٨ والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٥٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن استحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على استحداث المجلة .
... مع وافر التقدير

أ.م.د. حسين صالح حسن

المدير العام لدائرة البحث والتطوير/ وكالة

٢٠٢٢/١/١٢

نسخة منه الي:

- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الاوليات .
- المصادرة .

مهند ابراهيم
١٠ / كانون الثاني



مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ فِكْرِيَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ تُصَدِّرُ عَنْ دَائِرَةِ الْبُحُوثِ وَالدرَّاسَاتِ فِي دِيْوَانِ الْوَقْفِ الشَّيْبَعِيِّ



السنة الثانية / العدد (٢) - شعبان ١٤٤٣ هـ - آذار ٢٠٢٢ م

السنة الثانية / العدد (٢) - شعبان ١٤٤٣ هـ - آذار ٢٠٢٢ م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق (١١٢٥)

الرقم المعياري الدولي issn/1763- 2789

المشرف العام

علاء القسام

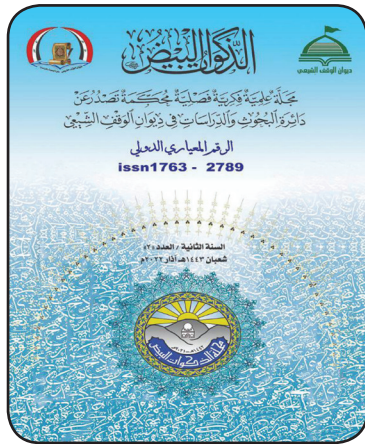
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

الذِّكْرُ الْبَيْضُ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ فِكْرِيَّةٌ فَصَلِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ تَصَدَّرُ عَنْ
دَائِرَةِ الْبُحُوثِ وَالدراسَاتِ فِي دِيَّوَانِ الْوَقْفِ الشَّيْخِيِّ



— غلاف العدد —



الترجمة إلى اللغة الانكليزية

لمياء جبار سلمان

رئيس التحرير

أ.د. فائزها تو الشرع

مدير التحرير

حسين علي محمد الحسن

هيئة التحرير

أ.د. عبد الرضا بهية داود

أ.د. حسن منديل العكيلى

أ.د. نضال حنش الساعدي

أ.م.د. عقيل عباس الريكان

أ.م.د. صفاء عبد الله برهان

م.د. موفق صبرى الساعدي

م.د. فاضل محمد رضا الشرع

م.د. طارق عودة مري

م.د. نوزاد صفر بخش

أ.د. نور الدين أبولحية / الجزائر

أ.د. جمال شلبي / الاردن

أ.د. محمد خاقاني / إيران

أ.د. مها خيربك ناصر / لبنان

التدقيق اللغوي

أ.م.د. أحمد حسين حيال



العنوان الموقعي
مجلة الزكوات البيض
جمهورية العراق
بغداد / باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١
الرقم المعياري الدولي
issn 1763-2789
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق (١١٢٥)
لسنة ٢٠٢١
البريد الإلكتروني
إيميل
hus65in@gmail.com

- ١- أن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.
- ٢- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - أ. عنوان البحث باللغة العربية .
 - ب. اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.
 - ت. بريد الباحث الإلكتروني.
 - ث. ملخصان: أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنكليزية.
 - ج. تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.
- ٣- أن يكون مطبوعاً على الحاسوب بنظام (office Word ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص لييزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُرَوَّد هيئة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانها من البحث، على أن تكون صالحة من الناحية الفنية للطباعة.
- ٤- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4) .
٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصيغة APA
- ٦- أن يلتزم الباحث بدفع أجور النشر المحددة البالغة (٧٥,٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقي، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.
- ٧- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- ٨- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.
 - ب. اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .
- ٩- أن تكون هوامش البحث بالنظام الإلكتروني (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢ .
- ١٠- تكون مسافة الهوامش الجانبية (٢,٥٤) سم، والمسافة بين الأسطر (١) .
- ١١- في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الإلكتروني المتوافر على شبكة الانترنت.
- ١٢- يبلغ الباحث بقرار صلاحية النشر أو عدمها في مدة لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصوله إلى هيئة التحرير.
- ١٣- يلتزم الباحث بإجراء تعديلات المحكمين على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه وموافقة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز (١٥) خمسة عشر يوماً.
- ١٤- لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.
- ١٥- لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.
- ١٦- تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.
- ١٧- يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.
- ١٨- يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.
- ١٩- يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.
- ٢٠- تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.
- ٢١- ترسل البحوث إلى مقر المجلة - دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد - باب المعظم (أو البريد الإلكتروني: hus65in@gmail.com) بعد دفع الأجور في مقر المجلة .
- ٢٢- لا تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشروط من هذه الشروط .

مَجَلَّةُ عِلْمِيَّةُ فِكْرِيَّةُ فَصْلِيَّةُ مُحْكَمَةُ تَصَدُّرُ عَنْ دَائِرَةِ الْبُحُوثِ وَالدراساتِ فِي دِيوانِ الْوَقْفِ الشَّيْبِيِّ

المحتوى.....

رقم الصفحة	عنوان البحث	اسم المؤلف واللقب العلمي
٨	أزواج الرسول الأعظم 'تعدد هن ،مهورهن وولائمهن	أ.د. نعمه دهش فرحان أ.د. خليل حسن الزركاني
٢٢	استراتيجيات الذاكرة وعلاقتها بالتحصيل الدراسي	أ.م. د. بشائر مولود توفيق أ.د. عائدة مخلف مهدي
٣٢	نقد الرواية العربية من منظور الاستشراق -روجر ألن مثالا-	أ.م. د. علي محمد ياسين
٤٤	سبل حماية الحرمات للأفراد في الاسلام	أ. د. أنس عصام اسماعيل
٥٤	مفهوم الغي في القرآن الكريم	أ.م.د. محمد أحمد حسين
٦٦	الآثار الثقافية والاجتماعية للمؤسسات التعليمية في العهد المملوكي	م . د . رشا عيسى فارس
٧٨	تطبيقات الربا في العصر الحديث إصدار السندات وتداولها إ نموذجاً	م.د. أروى نهاد إسماعيل
٨٦	(الشعور بالآخرين وتأصيله في القرآن الكريم)	أ.م.د.فاضل أحمد حسين
٩٨	الحركة العلمية في زمن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي (ت ٤١١هـ / ١٠٢٠م)	أ.م.د. سناء شندي عوان
١٠٨	المباحث الأخلاقية في كتاب مواهب الرحمن (قراءة تحليلية)	م.د.زينة علي كاظم
١٢٦	علم أصول الدين بين الأصالة والتجديد (دراسة استقرائية)	أ.م. عامر ضاحي سلمان
١٣٤	مسألة الصلاة المندورة مسئلة من مخطوطة {نقائس المسائل} للسيد حسن صدر الدين بن حسن هادي الموسوي الكاظمي (١٢٧٢هـ - ١٣٥٤هـ)	م . د . كريمة عبود جبر آيه عزيز معن
١٤٤	الحوارية في القرآن الكريم	م. هدى سليم رسول
١٥٤	التفسير بالمأثور بين تفسيري حسن البيان في تفسير القرآن للبالياساني (ت ١٤١٥هـ) وتقريب القرآن إلى الازدهان للشيرازي (ت ١٤٢٢هـ)	أ.م. د. عقيل عباس ريكان زهراء علي قحطان
١٦٢	سياسة خلفاء بيت العباس تجاه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) (ت ١٨٣هـ - ٧٩٩م)	م.م. سمر قاسم محمد
١٧٤	المقولات التي توصل اليها الصلاحي حول آباء النبي (صلى الله عليه وآله) ونشأته إلى البعثة الشريفة والنقد الموجه اليه	م.د. حسين سامي البدري م.م. مهدي محمد موسى

أزواج الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)
تعدد هن ، مهورهن وولائتمهن

أ.د نعمه دهش فرحان أ.د خليل حسن الزركاني
جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية

matters of religion and the enactment of laws. Against this background, it is not permissible for the statement that the cause of desire is to be put on the research table.

المقدمة:

إن الإسلام أنفذ التكثير إلى أربع بشرط القسط بينهن، وفي هذا الباب كان للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مختصات منعت عنها الأمة. وكان التعدد بالنسبة للنبي وسيلة من وسائل تشريع القوانين.

يهدف البحث الى دراسة: زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإسرار الحكمة في تعددهن والرد على المستشرقين في تعدد زوجات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في مهوور أزواجه، وفي وليمة العرس في زواجه، ويحتوي البحث على أربعة مباحث، كان عنوان المبحث الأول: زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإسرار الحكمة في تعددهن، والمبحث الثاني: الرد على المستشرقين في تعدد زوجات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) المبحث الثالث: سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في مهوور أزواجه، المبحث الرابع: سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في وليمة العرس في زواجه ثم الخاتمة والتوصيات ثم المصادر والمراجع

المبحث الأول: زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإسرار الحكمة في تعددهن:

هذه الخصوصية قد خص بها القرآن الكريم، وورث فيها الكثير من الأحاديث الصحيحة واتفق عليها معظم علماء الحديث.

فمن القرآن الكريم قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكِ وَبَنَاتٍ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا

فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١) قال القرطبي: وقد اختلف الناس في تأويل قوله تعالى: {إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ} فقيل إن المراد بها أن الله تعالى أحل له أن يتزوج كل امرأة

الملخص :

إن الإسلام شرع للمسلمين الزواج بواحدة. وأنفذ التكثير إلى أربع بشرط القسط بينهن وإصلاح جميع المحاذير المتوجهة إلى التعدد، فهذا على مستوى القاعدة ويعم جميع المسلمين، والتعدد على مستوى القاعدة غير التعدد على مستوى القمة وأقصد بها النبوة، لأن النبي توفرت فيه جميع الشروط التي تجعله يسوق الناس إلى صراط الله الحميد، فهو أول شخص يخلص الدين لله ويسلم بما يدعو الآخرين إليه. وعلى هذه الخلفية لا يمكن بحال أن ينطلق التعدد من داعي الشهوة أو يقود إلى داعي الشهوة كما قال بعضهم ويضاف إلى ما ذكرنا أن الرسول مؤيد بالعصمة. مصون من الخطأ والغفلة في تلقي الوحي من الله وحفظه وتبليغه. والله تعالى يصونه من الخطأ في جميع أمور الدين وتشريع القوانين. وعلى هذه الخلفية لا يجوز لمقولة داعي الشهوة أن تطرح على مائدة البحث.

Abstract

That Islam legislated for Muslims double one. And implement the multiplicity into four on the condition that they are equal among them and that all the prohibitions that are directed towards polygamy are corrected.

By that I mean prophecy, because the Prophet fulfilled all the conditions that make him lead people to the praiseworthy path of God, for he is the first person to purify the religion for God and accept what he calls others to. Against this background, it is not possible for polygamy to emanate from the cause of lust or lead to the cause of lust, as some have said, and it is added to what we have mentioned that the Messenger is supported by infallibility. He is protected from error and negligence in receiving revelation from God, preserving it and conveying it. And God Almighty protects him from error in all



يؤتيها مهرها ، قال ابن زيد والضحاك: فعلى هذا تكون الآية مبيحة لكل النساء حاشا ذوات المحارم ، وقيل: إن المراد من الآية أي الكائنات عندك لأنهن اخترنك على الدنيا والآخرة ، قاله الجمهور من العلماء، وهو الظاهر... ثم قال: والقول الأول أصح (٢).

وعلى كلا القولين فالآية تدل على إباحة الزواج بأكثر من أربعة نسوة حكماً خاصاً بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دون غيره لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جمع في عصمته أكثر من أربع نسوة ومات عن تسع. أما في السُّنة النبوية الشريفة فقد جاء عن أنس بن مالك إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يؤمئذ تسع نسوة (٣).

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جمع تحته أكثر من أربعة نسوة وهذا مما أبيع له بإجماع المسلمين.

وفي هذا يقول ابن حجر: وقد اتفق العلماء على أن من خصائصه (صلى الله عليه وآله وسلم) الزيادة على أربع نسوة يجمع بينهن (٤). وإن الحكمة من هذا الزواج هي متعددة:

أولاً: الزواج التعليمي: المقصود بها انتشار التعليم ولاسيما الأمور المتعلقة بالنساء كأحكام الحيض والنفاس والجنابة وما إلى ذلك من الأمور التي كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يستحي التصريح بها للنساء. ويقول ابن حجر عند حديثه عن الحكمة من استنثاره من النساء: ونقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله (٥). أضف إلى ذلك شدة حياته حيث يقول أبو سعيد الخدري كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أشد حياء من العذراء في خدرها (٦).

لذا نجده يلجأ في أسلوبه إلى الكناية، وقد لا يتضح للمرأة مراده ويبرز هنا دور أمهات المؤمنين في توضيح ماستحي رسول الله من التصريح به ومثال ذلك ما روثه عائشة: (إن امرأة سألت

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل قال خذي فرصه (٧). من مسك فتطهري بها قالت كيف أتطهر؟ قال تطهري بها قالت كيف؟ قال سبحان الله تطهري فاجتذبتها إليه فقلت تتبعني بها أثر الدم (٨). في هذا الحديث الشريف إشارة واضحة إلى استحياء الرسول الأعظم حيث لم يوضح للسائلة مكان التي توضع فيه القطنه فتولت عائشة تعليمها. كما أن النساء فطرن على الحياء وقليل منهن من تستطيع أن تتغلب على حيائها فتباشر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

وآله وسلم) بالسؤال عما يقع لها، فعن أم سلمة أنها قالت ((جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت يارسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتملت فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نعم إذا رأت الماء (٩).

فأم سليم تغلبت على حيائها وسألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عما أشكل عليها ولكن كثير من النساء قد يمنعهن الحياء من سؤال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولاشك إن سؤال المرأة للمرأة أخف حرجاً فتتعلم أمهات المؤمنين من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يقمن بالإجابة عن مثل هذه الأسئلة، فكان خير مبلغ في حياته وخير مرجع في الاستفتاء بعد وفاته ولهن الفضل الأكبر في نقل أخباره ولاسيما حياته الزوجية التي لا يمكن للصحابة نقلها، وقد كانوا حريصين على نقل جميع ما يصدر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم لم يطلعوا على حياته الزوجية .

في الحقيقة ان زوجات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) قمن بدور التبليغ عما كان يتصرف به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أثناء الحياة الزوجية

ثانياً: الزواج التشريعي

١. إزالة العادات الجاهلية :

لقد تزوج النبي الأطهر (صلى الله عليه وآله وسلم) بزَيْنَب بنت جحش لضرورة اقتضتها مصلحة التشريع، إذ إنه كان قد تبنى زوجها زيد بن حارثة، إذ عاش في كنفه وتحت رعايته مذ كان صغيراً، وكان العرب يحرمون نكاح زوجة الابن بالتربية معتقدين بأن آثار التبني هي نفس آثار البنوة الحقيقية، فما يحل للابن بالزواج، يحرم على الأب المربي أن ينكح زوجته من بعده، كما أن المربي يرث من المربي ويعامل معاملة الإبن الحقيقي... ولم يكن ثمة مجال لقلع هذا المفهوم الخاطئ إلا بالإقدام على عمل جبار يحو تلك العادة السيئة والتقنين الباطل الذي سنَّته الجاهلية يوم ذاك، فكان لا بد من إقدامه على الزواج من زوجة ابنه بالتبني إذ إنه الوسيلة الفضلى لقلع هذا المفهوم الباطل من أذهانهم، وهكذا كانت المشيئة الإلهية أن يأمر الله تعالى بأن تتزوج زينب من زيد الكارهة له هي وأخوها عبد الله، ثم بعد الزواج المكروه، تطلق منه ويتزوجها النبي لا لرغبة جنسية بل لإزالة العادة الخبيثة التي كانت رائجة في ذاك العصر (١٠).

٢. زيادة في الابتلاء والتكليف

يقول ابن الملقن عند حديثه عن أقوال العلماء في تحبيب

معين يكفلهن ويكفل أطفالهن اليتامى .

خامساً: الزواج التأليفي:

لقد تزوج النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض النسوة تأليفاً وترغيباً للناس في الإسلام فقد روى المؤرخون إن زواج النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بجويرية بنت الحارث بعد أن أعتقها، نشأ عنه ترغيب المسلمين في عتق أسراهم، فقد أعتق المسلمون يوم ذاك مئتين من أسرى قومها تكريماً لها، وأسلم بعد هذه المصاهرة خلقٌ كثيرٌ من قومها... كما أنَّ رملة بنت أبي سفيان التي أسلمت هي وزوجها في مكة بالرغم من عداوة أبيها للإسلام وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة وتوفي فيها ولم يعد لها ملجأ غير أن ترجع إلى أبيها عدو النبي الأكرم، وإذا رجعت وأصرت على الإسلام فلا بد وأن تتعرض لأشد أنواع الأذى والتعذيب من أبيها وأتباعه... وفي بعض المرويات إن زوجها تنصر في الحبشة وتركها غريبة ليس لها معيل، فأرسل النبي الأعظم إلى النجاشي ملك الحبشة طالباً منه أن يزوجه منها لينقذها من الغربة وضياح القرين... ومن الجدير جداً أن يقصد النبي الأطهر (صلى الله عليه وآله وسلم) من زواجه منها التأليف لأبيها أبي سفيان كما تألف غيره بالاتصال بهم بالمصاهرة، فكان زواجه من رملة عطفاً عليها وفي الوقت نفسه تأليفاً لأبيها وقومه.

٦. الزواج التربوي:

ويتم ذلك بإعطاء القدوة الحسنة والمثل الكامل لكل الأزواج والزوجات، ويتضح ذلك من خلال حسن معاشرته (صلى الله عليه وآله وسلم) لأزواجه فقد تزوج أم حبيبه وأبوها في الوقت ذلك عدوه، وصفيه وقد قتل أباهما وغيرهما فلم يطلعن من باطن أحواله على أنه أكمل الخلق لكانت الطباع البشرية، تقتضي ميلهن إلى إيهاتهن وقرابتهن، وكانت كثرة النساء عنده بيان لمعجزته وكماله باطناً كما عرفه الرجال منه ظاهراً (صلى الله عليه وآله وسلم)

المبحث الثاني: الرد على المستشرقين في تعدد زوجات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)

يعتقد المستشرقون في تأييد أفكارهم المزعومة والباطلة بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان رجلاً مكثراً ومفرطاً في الشهوة؛ كون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جمع بين أكثر من زوجة، وتوفي وعنده تسع زوجات، ويدعون بأن هذا لا يكون إلا من رجل كثير الملهذات والنزوات، ويزعمون إنه منشغل كثيراً في حب النساء. وحاشاه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والواقع أن هذه شبهة ليس لها واقع وهي

النساء إليه : إنه زيادة في الابتلاء والتكليف حتى لا يلهو بها حب إليه من النساء عما كلف به من أداء الرسالة ولا يعجز عن تحمل أثقال النبوة فيكون ذلك أكثر لمشاقة وأعظم لأجره (١١).

ويقول القاضي عياض عند حديثه عن فضيلة كثرة الجماع: ثم هي في حق من أقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي لم يشغله كثرتهم عن عبادة ربه (١٢).

٣. نفي ماظنه بعض المشركين من أنه ساحراً. قاله ابن حجر (١٣).

ثالثاً: الزواج السياسي :

وذلك بكسب التأييد إذ جذب إليه كبار القبائل بمصاهرة بل دخولهم في دين الإسلام عن طوعية واختيار، وبذلك تكثر عشيرته من جهة نسائه فيزداد أعوانه على من يحاربه (١٤).

رابعاً: الزواج الإنساني:

إن بعض موارد ذلك الزواج كانت دوافعه إنسانية بحتة، انطلاقاً من مصلحة الإسلام وليس من منطلقات فردية كبقية الناس - وإن كانت مطلقاته كلها تصب في خانة الإسلام والقربة لله تعالى - فقد تزوج من بعضهن الكيبريات في السن، فممنهن من أسلمت وهاجرت ثم توفي أو قتل عنها زوجها ولا سبيل لها إلى الرجوع إلى أهلها المشركين لأنها لا تستطيع أن تقاوم ضغوطهم النفسية والمادية عليها، بالإضافة إلى إمكانية تعرضها للتعذيب الجسدي الوحشي فيما لو أرادت أن تحتفظ بدينها وعقيدتها ولا معيل ولا كفيل لها في المجتمع الجديد كما كان الحال بالنسبة إلى سودة بنت زمعة التي كانت مسنة ويزيد عمرها على الخمسين عاماً، وكذا الحال بالنسبة زينب بنت خزيمة التي ماتت بعد شهور من اقترانها بالنبي الأكرم بالإضافة إلى أن ترمّلها وتأييمها سيطلق الألسن والأهواء في حقها وفي اتهامها، ويجعلها تتعرض لضغوط وحتى إلى إغراءات، ربما لا تناسبها ولا تناسب موقعها ومصيرها في مجتمع غريب عنها... كل هذه العناصر السلبية أدت إلى أن تستعين بالكافل والمعين، وخير كافل وحافظ وولي لها هو النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أو من يريده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعض المؤمنين الخيبرين، ومن هذا القبيل أيضاً كان زواجه بالطاهرة أم سلمة (رضي الله عنها). وخلاصة القول فقد حقق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مبدأ التكافل، وقد اتضح هذا جلياً بزواجه (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأرامل اللاتي لم يبق لهن سند ولا



مجاوية للحقيقة ولا تحتاج إلى كثير استدلال على إثبات بطلانها، إذ إننا لو تأملنا في معرفة هذه الزوجات وحياتهن وسيرتهن وكيف تزوجهن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فإن هذه المعطيات سوف تدحض مزاعم المستشرقين ويبين تهافتها، ويؤكد سمو أخلاق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعظمة شخصيته.

ترى ماذا يفعل الرجل صاحب الشهوة العالية لو كان في حال مثل حال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا شك في أنه سوف يسعى للاقتزان بأجمل النساء العربيات وغير العربيات، ويخادن من يشاء من النساء من هنا أو هناك... فهل قام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك؟ لنرى من تزوج (صلى الله عليه وآله وسلم) من النساء، وملابسات زواجهن، وذلك على النحو الآتي:

زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والظروف التي رافقت زواجهن من الرسول (١٥)

لقد بنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بإحدى عشرة امرأة، ماتت في حياته منهن اثنتان؛ هما: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة، رضي الله عنهما، وتوفي عن تسع؛ هن: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، وسودة بنت زمعة بن قيس، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث بن حزن، وجويرة بنت الحارث بن أبي ضرار، وصفية بنت حيي بن أخطب (١٦) رضي الله عنهن أجمعين

١. خديجة رضي الله عنها

كانت السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها هي أول من تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت ذات سمعة نظيفة، وسيرة حسنة في قومها «قال الزبير بن بكار: ((كانت خديجة تُدعى في الجاهلية الطاهرة))» (١٧).

وقد اختارت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليتزوجها، لما رأت من كرم أخلاقه، ونظافة يده، وطهارة قلبه، وأمانته، حينها طلبت منه أن يخرج إلى الشام متاجراً لها في مالها، وقبل النبي ' الزواج منها، فأخذ عمه حمزة بن عبد المطلب، وقيل أبا طالب، وخطبها إليه من أبيها خويلد بن أسد، وقيل أخيها عمر بن خويلد وكانت خديجة رضي الله عنها قد تزوجت قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من رجلين؛ أحدهما: أبو هالة بن زرارة التميمي، والآخر: عتيق بن عابد بن عمر بن عبد الله

بن مخزوم. كان عمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين تزوجها؛ خمساً وعشرين سنة، وكانت هي أسن منه بخمس عشرة سنة، ولم يتزوج ' غيرها حتى توفيت رضي الله عنها (١٨). فلو كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل شهوة، وصاحب ميول جنسية مفرطة؛ هل كان يستهل حياته الزوجية والعاطفية بالاقتزان بامرأة في سن الأربعين، سبق لها الزواج من غيره مرتين، وأنجبت في كليهما؟ ثم يحبس نفسه عليها قرابة خمس عشرة سنة، إلى أن يتوفاه الله، حيث جاء في بعض الروايات أنها «كان لها حين توفيت خمس وستون سنة» (١٩).

٢- سودة بنت زمعة رضي الله عنها

وأما سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية؛ فقد أسلمت قديماً وبابعت، وكانت عند ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو، وأسلم أيضاً، وهاجرا جميعاً إلى الحبشة في الهجرة الثانية ولما قدما مكة مات زوجها، وقيل مات بالحبشة، فلما حلت خطبها رسول الله ' فتزوجها، ودخل بها في مكة، وهاجر بها إلى المدينة (٢٠).

وهي التي وهبت يومها لعائشة، رعاية لقلب رسول الله ' وكانت قد فركت (رضي الله عنها) (٢١).

فتأمل في زواج مثل هذه المرأة المسنة - رضي الله عنها - وهي أرملة، هل يكون إفراطاً في شهوة، أم يكون رعاية لها، وصيانة لها؟

٣. عائشة

وأما عائشة فقد خطبها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاة خديجة، ولم يتزوج بكرةً غيرها، «وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً، وقيل بعامين، ودخل بها في شوال سنة اثنتين، منصرفه من غزوة بدر وهي ابنة تسع» (٢٢).

٤. حفصة رضي الله عنها

حفصة بنت عمر رضي الله عنهما؛ فقد تُوفي عنها زوجها خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتوفي بالمدينة، وقد عرضها أبوها عمر بن الخطاب على عثمان بن عفان للزواج فاعتذر، ثم على أبي بكر الصديق فصمت، ثم خطبها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢٣).

٥. أم حبيبة رضي الله عنها

أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان؛ فإنها كانت أسلمت مع زوجها عبيد الله بن جحش، وهاجرا معاً إلى الحبشة، لكن زوجها

بن عبد العزى ثم مات، فتزوج بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في وقت فراغه من عُمره القضاء، وبنى بها سنة سبع، في ذي القعدة (٢٨)

١٠. جويرية بنت الحارث

وأما جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية؛ فكان زواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منها سبباً في فكائها، وفكأك أسرى قومها من العتق، حيث أعتقها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتزوجها ليسن بهذا سنة حسنة للمسلمين في عتق من بأيديهم خاصة السبايا، فكان زواجها من رسول الله ' خيراً وبركة على قومها بني المصطلق، الذين كانوا يجمعون لحرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بقيادة الحارث بن أبي ضرار والد جويرية، ولكن الله أظفر رسول الله عليهم، وكان هذا سنة ست من الهجرة (٢٩).

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: لما قسم رسول الله ' سبايا بني المصطلق؛ وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحه لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تستعينه في كتابتها، قالت عائشة: ما هو إلا أن رأيته على باب حجرتي، فكرهتها وعرفت أنه سري فيها ' ما رأيته، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومك، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وقعت في السهم لثابت بن قيس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي، فجئت أستعينك على كتابتي، قال: «فهل لك في خير من ذلك؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضي عنك كتابتك وأتزوجك»، قالت: نعم يا رسول الله. قال: قد فعلت». قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها (٣٠).

وعن الشعبي قال: أعتق رسول الله ' جويرية، واستنكحها وجعل صداقها عتق كل مملوك من بني المصطلق، وكانت من ملك اليمين، فأعتقها وتزوجها (٣١) وهكذا أكرمها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالزواج من غير إكراه، وصانها من

أدركه الشقاء فتنصر، وفارق الإسلام، حتى هلك هناك نصرانياً فأرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في شأنها عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، فخطبها عليه، فزوجه إياها، وأصدقها من رسوا الله ' أربع مئة دينار (٢٤).

فهل كان من المناسب أن يتركها النبي (صلى الله عليه وسلم) تعود إلى أهلها، وكان أبوها يومئذ على الكفر وزعيماً في قومه - فيفتنوها عن دينها، ويكرهوها على الكفر، أو يؤذوها إيذاء لا قبل لها به، أم أن المناسب في تلك الظروف أن يصونها ويتزوجها؟

٦. أم سلمة رضي الله عنها

أما أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية؛ فكانت من المهاجرات الأوليات، وكانت قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند أخيه من الرضاة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي الرجل الصالح (٢٥). ثم توفي عنها زوجها في سنة سبع من الهجرة متأثراً بجرح كان قد أصابه في أحد، وترك لها صبية أيتاماً في حجرها، فلما انقضت عدتها خطبها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاعتذرت عن الموافقة بكبر سنهما، وبأنها ذات صبية، وبأنها شديدة الغيرة، فقال لها عليه الصلاة والسلام: «أنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله عز وجل، وأما العيال فإلى الله ورسوله»، فتزوجها ثم إن في زواجه (صلى الله عليه وآله وسلم) منها إيجاداً لصلة مصاهرة، وفتحاً لسبيل من العلاقة بينه وبين أبي سفيان رئيس قريش وقتذاك، يمكن أن توظف لمصلحة الدعوة الإسلامية (٢٦).

٧. زينب بنت جحش

وأما زينب بنت جحش فكان من أمر زواجها ما فصلنا في الصفحات السابقة، وأنه كان بأمر الله عز وجل وبوحي منه وذلك لحكم تشريعية واجتماعية أرادها الله تعالى، فليرجع إلى ما كُتب هناك

٨. زينب بنت خزيمة

وأما زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلالية - وتدعى أم المساكين لكثرة معروفها؛ فتزوجها رسول الله ' بعد استشهاد زوجها عبد الله بن جحش يوم أحد، ثم إنها لم تمكث معه عليه الصلاة والسلام إلا شهرين أو يزيد، وتوفيت بعد ذلك . (٢٧)

٩ - ميمونة بنت الحارث

وأما ميمونة بنت الحارث الهلالية؛ فقد تزوجها أولاً مسعد بن عمر الثقفي قبيل الإسلام ثم فارقتها، وتزوجها بعد أبو رهم



الابتذال ثم إن أباه جاء يطلبها، فخيرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين البقاء معه والذهاب مع أبيها، ولكنها حفظت الجميل، وآثرت البقاء مع أكرم الناس (صلى الله عليه وآله وسلم)، والفوز بشرف أن تكون من أمهات المؤمنين. عن أبي قلابة قال: أتى والد جويرية، فقال: إن ابنتي لا يُسبى مثلها، فأنا أكرم من ذلك، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «أرأيت لو خيرناها؟» فأتاها أبوها فقال: إن هذا الرجل قد خيرك، فلا تفضحيني، فقالت: فإني قد اخترته، قال: قد والله فضحتني» (٣٢)

١١- صفية رضي الله عنها

وأما صفية بنت حيي بن أخطب؛ فقد كانت من جملة السبايا في غزوة خيبر، سنة سبع من الهجرة، وكانت تزوجت قبله عليه الصلاة والسلام من رجلين، ثم إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أحسن إليها، فأعتقها وتزوجها وأكرم عشيرتها، وجعل عتقها صداقها (٣٣). وفي هذا من الرحمة والمعاملة الإنسانية الراقية ما لا يخفى ونأتي بعد ذلك إلى أحوال المعيشة في بيت النبوة، من حيث رغد العيش وبسطته، أو عدم ذلك.

إن رجلاً في مكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومكانته؛ خزائن الأموال وفضول الثروات تحت يده، ورهن إشارته، يمكن أن يعيش في ترف كبير ونعيم مقيم، يُمتع نفسه، ويغمر نساءه بمتاع الحياة الدنيا وزينتها، فيمتلئ بيته أو تمتلئ قصوره بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من صنوف الطعام، وناعم الفراش، وما لا يحصى من فاخر الثياب، وفاره المركب... إلى آخره.

فهل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هكذا؟

إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعيش في بيته عيشة الكفاف، وعاش معه زوجاته رضوان الله عليهن حياة خشنة قاسية، حتى إنهن لم يُطقن الصبر على تلك المعيشة الجافة، الخالية مما تطفح به بيوت الملوك والرؤساء، بل مما يكون عادة في بيوت العوام والبسطاء، فأعلن - في يوم من الأيام - عن ضيقهن بهذه المعيشة، كما عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان يمر برسول الله 'هلالاً وهلالاً وهلالاً، ما يوقد في بيت من بيوته نار، قلت: يا خالة على أي شيء كنتم تعيشون؟ قالت: على الأسودين: التمر والماء (٣٤)

وعن عروة بن الزبير، عن عائشة أنها قالت: والذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحق ما رأى منخلًا، ولا

أكل خبزاً منخولاً منذ بعثه الله عز وجل إلى أن قبض، قلت: كيف تأكلون الشعير؟ قالت: كنا نقول أف (٣٥).

وهذا الواقع كان يلاحظه من له صلة ببيت النبوة، ولم يكن خافياً على أحد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان يمر بآل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هلالاً ثم هلالاً، لا يوقد شيء في بيوتهم النار، لا لخبز ولا لطبخ، فقالوا: بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة؟ قال: بالأسودين: التمر والماء، وكان لهم جيران من الأنصار - وجزاهم الله خيراً - لهم منائح (٣٦)، يرسون إليهم شيئاً من لبن»

وعن عمر رضي الله عنه - من حديث طويل - قال:.... فدخلتُ على رسول الله '، وهو مضطجع على حصير، فجلست فأدنى عليه إزاره، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله، فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قرظاً (٣٧)

في ناحية الغرفة، وإذا أفيق (٣٨). معلق. قال: فابتدرت عينا، قال: «ما يبكيك يا بن الخطاب؟» قلت: يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذه الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفوته، وهذه خزانتك، فقال: «يا بن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم في الدنيا؟»

قلت: بلى (٣٩)

كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا العيش الخشن، الذي اكتنف بيوته، وأحاط بأزواجه، ولو شاء لتخلص منه، وعاش كما يعيش أبسط الناس نعمة، وأرغداهم عيشاً، ولكنه أثر أن يكون زاهداً في الدنيا، راعياً عنها، مكتفياً بالقليل منها، ليقينه بأن متاعها زائل، وأن الآخرة خير وأبقى.

عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً - وقال ثلاثاً أو نحو هذا - فإذا جُعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعْتُ شكرتك وحمدتك» (٤٠).

كان هذا واقع بيت النبوة من الناحية المادية، فتضجر زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذه المعيشة الخشنة، والحياة الزاهدة أشد ما يكون الزهد، والتي لم يعهدنها قبل زواجهن من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واتحدن في المطالبة بزيادة النفقة، وكانت أزمة عصبية مرت

ببيت النبوة، وزُلزل المسلمون من أجلها زلزالاً شديداً، حتى انقشعت بوحى من الله تعالى، واطمأنت النفوس إلى ما عند الله والدار الآخرة، وإيثار الأجر وكريم الجزاء من الله ذي الجلال والإكرام وهذه القصة مشهورة في كتب التفسير والسنة والسيرة، لا تخفى على المستشرقين الطاعنين الأفّاكين، وهم يعلمون قبل كل أحد أنها تهدم مزاعمهم، وتدحض مفترياتهم، ولذلك يتجاهلون، وتتعمى أبصارهم عنها .

قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا } (٤١).

قال ابن كثير: هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله (صلى الله عليه وسلم) بأن يخبر نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره، ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن رضي الله عنه وأرضاهن: الله والدار الآخرة، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة (٤٢). عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فوجد الناس جلوساً باباه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر، ثم أقبل عمر فاستأذن، فأذن له، فوجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جالساً حوله نساؤه واجماً (٤٣). ساكتاً، قال: لأقولن شيئاً أضحك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقممت إليها فوجأت (٤٤). عنقها، «فضحك رسول الله (صلى الله عليه وسلم)»، وقال: هن حولي يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما ليس عنده، فقلن: والله لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ } حتى بلغ ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال: فبدأ بعائشة، فقال: «يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشري أبويك» قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله

ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تُخبر امرأة من نساءك بالذي قلت، قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً» (٤٥). واختار سائر زوجاته الطاهرات الله ورسوله والدار الآخرة، فكان لهن من الله الكرامة في الدنيا والآخرة، رضي الله عنهن أجمعين.

فهل يمكن أن تكون هذه حياة أو مسلك إنسان منغمس في الشهوات المحرمة، غارق في أحوالها، منهمك في إشباعها؟ ثم إن ما أنجزه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشاده من أعمال ضخام، ومهام جسام يقطع بأن حياتهن إن هي إلا حياة رجل جاد بعيد عن سفاسف الأمور، ومعيب السلوك، ونازل الأخلاق (صلى الله عليه وآله وسلم) بل إن ما قام به 'وأنجزه في سني حياته وعمره ما كان ليحدث إلا على يد إنسان رباني، مؤيد بمدد من الله وتوفيق منه، قوي الصلة بربه، قلبه مطمئن بالإيمان، وحياته مثل أعلى لكل خلق كريم وسلوك قويم، وصورة حية صادقة لما يدعو إليه، ويبلغه من وحي عن ربه الكريم العظيم. صلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله.. وحسبك شهادة ربك لك، في قوله تبارك وتعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} (٤٦)

المبحث الثالث:

سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في مهوور أزواجه

خصص الإسلام للمرأة دور مهم وتعاليم سامية تعنى بتكريم المرأة وحمايتها والحفاظ على شرفها وكرامتها وفي نفس الوقت تحميل الرجل الأعباء المالية كافة باعتباره الطرف القوي وإعفاء المرأة من هذه الأعباء بشكل كامل باعتباره قليلة القوة وضعيفة الاحتمال وقد فرض على الرجل علاوة على ذلك مهراً يتقدم به إلى الفتاة أو المرأة التي ارتضاها شريكة لحياته وتشريفاً لقدرها وتأكيداً لرغبته فيها وحرصه عليها، قال (٤٧) تعالى: {وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}

ذكر الطبرسي في تفسير هذه الآية {وأتوا النساء صدقاتهن نحلة} معناه : وأعطوا النساء مهوورهن عطية من الله ، وذلك أن الله تعالى جعل الاستمتاع مشتركاً بين الزوجين ، ثم أوجب لها بإزاء الاستمتاع مهراً على زوجها فذلك عطية من الله للنساء . وقيل : أراد بنحلة فريضة مسماة (٤٨)، وقال ابن كثير وليس ينبغي لأحد بعد النبي أن ينكح امرأة إلا بصداق واجب (٤٩). إن من خطب امرأة قد ادعى رغبة في صحبتها



فلا بد لدعواه من مصداق ، فجعل بذل المال دليلاً على الصدق في المقال في دعوى البعال ولهذا جاز النكاح في حق الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بلا صداق؛ لأن الصدق في مقاله ظاهر من غير مصداق إذا كان معصوماً من الكذب والنفاق فلم يطلب منه مصداق آخر ، فمن تزوج من النساء بصداق كان ذلك منه صلة محضة من غير ان يكون ذلك مصداقاً لخطبته(٥٠) قال تعالى: {وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ} (٥١)

وهذه من الأحكام المتعلقة والخاصة بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لم يكن دفع المهر واجب في حقه، وفي ضوء ذلك يوضح لنا الطريق السوي في الصداق ومقداره وتوجيه الامة الإسلامية على تسهيل وتيسير الزواج وتقليل الصداق فقال(إِنَّ مِنْ يَمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا)) (٥٢)

لقد قدم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة بسلوكه العملي صورة من صور الالتزام بمسالة الصداق فما زاد صداق نساء النبي' على خمسمائة درهم عدا أم حبيبة (رضي الله عنها) فقد امهرها النجاشي ، أربعة الإلف درهم وكتب بذلك إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقبل (٥٣)

فحين سالت عائشة زوج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كم كان صداق الرسول؟ قالت : كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا قالت أتدري ما النش قال قلت لا قالت نصف أوقية فتلك خمس مائة درهم فهذا صداق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأزواجه (٥٤)

وعن ام حبيبه رضي الله عنها قالت : أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش فمات بأرض الحبشة فزوجها النجاشي النبي' امهرها عنه أربعة الإلف وبعث بها إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مع شرحبيل ابن حسنة (٥٥) أي أرسلها إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في الما

سَبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ؛ بل إن رسول الله' جعل عتق صفة صداقها ، فعن انس إن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أعتق صفة وجعل عتقها صداقها(٥٦).

لقد ضرب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) المثل واضحاً بالنسبة لزوجاته رضي الله عنهم بالنسبة لقله المهور في حين إن الناس في عصرنا الحالي يتجهون إلى المغالاة في المهور واعتقدوا إن ذلك تشريفاً لنسائهم وتكريماً لفتياتهم وإعلاء لقدرهم ومكانتهم وهذا في الواقع قد سبب ضرر بسمعة المجتمع

الإسلامي وأحدثت مفاسد في ثنایا العصر الحديث باتجاه الكثير من الظواهر المتعلقة بالمغلاة في المهور.

١. إعراض الكثير من الشباب عن الزواج نتيجة لارتفاع المهور الباهضه وأعبائه التي لاتناسب مع إمكانية الشباب
٢. اتجاه الشباب بدافع عدم الإمكانية والقدرة على الزواج إلى بروز ظاهرة التحرش بالنساء التي أصبحت ظاهرة بارزة في العصر الحديث

٣. انتشار العلاقات غير الشرعية في المجتمع نتيجة لذلك
٤. اتجاه الفتيات للعمل كحوض لهن عن الزواج لتوفير احتياجاتهن في أمور الحياة
المبحث الرابع:

سيرة الرسول الأعظم' في وليمة العرس في زواجه
الوليمة : هي طعام العرس والأماك ، وقيل : هي كل طعام صنع لعرس وغيره (٥٧)

قال صاحب المغني : لا خلاف بين أهل العلم في أن الوليمة سنة في العرس مشروعة لما روي أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) رأى على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة قال ماهذا قال إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب قال بارك الله لك أولم ولو بشاة (٥٨)، ومن المعلوم ان نواة من ذهب وهي وَزْنُ ثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ وَثُلُثٍ، فَأَمَرَهُ 'بِعَمَلِ وَلِيْمَةٍ وَلَوْ بِشَاةٍ، وَالْوَلِيْمَةُ: هِيَ الطَّعَامُ الَّذِي يُصْنَعُ فِي الْعُرْسِ، وَالْوَلِيْمَةُ بِالشَّاةِ أَوْ أَكْبَرَ مِنْهَا لِمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهَا، إِنْ الْغَايَةُ مِنَ الْوَلِيْمَةِ هُوَ شَكَرُ اللَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الزَّوْجِ والتقرب إليه بجمع أهل التقوى التماساً لأجر إطعامهم وطلباً لدعائهم ولذلك كانت المبلغة فيها والتكلف فيها يتعارض مع الغايات والأهداف السامية التي يجب أن لوجه الله تعالى وحده لأشريك له .

لقد كانت سيرة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) خير ما يهتدي به في كيفية الوليمة ، فقد أولم مرة على تمر وسويق وأخرى على خبر ولحم وثلاثة كانت وليمته من الشعير

قالت صفية بنت شيبة : أولم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على بعض نسائه بمدين (من شعير ، أما من أولم عليها بخبز ولحم فإنها زينب بنت جحش رضي الله (٥٩)

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما أولم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على شيء من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة (٦٠)، وقال أيضا نزلت أية الحجاب في زينب بنت جحش وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحمًا وكانت تفخر على نساء

وعنه قال عن وليمة صفية : أقام النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بين خيبر والمدينة ثلاثاً يئني عليه (٦٦)بصفية بنت حيي فدعوت المسلمين إلى وليمته فما كان فيها خبز ولا لحم أمر بالأنطاع(٦٧)فألقي فيها من التمر والاقط (٦٨) والسمن فكانت وليمته (٦٩).

ولا مخالفة بين الروايات لأن كل ما ذكر من أجزاء الحيس ، قال أهل اللغة : والحيس : التمر البرني (والاقط، يدقان ويعجنان بالسمن عجناً شديداً حتى يندر النوى منه نواة نواة ثم يسوى كالثرید (٧٠).

وفي ضوء ما تم سرده من أحاديث نبوية تتعلق في سيرة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) في ولأئمه يمكن أن نستخرج الكثير من الآداب والمعاني الكريمة في هذا الموضوع ١. أن تكون الوليمة بعيد عن التكلف والمبالغة في الإسراف والتبذير ويكون ذلك وفق إمكانية الزوج وقدرته على الإنفاق ونسترشد في قوله تعالى:

{لِيُنْفِقُوا ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} (٧١).

ويقدم لنا الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) صورة فعلية فكما انه أولم على زينب بشاة أولم على صفية بمدين (٧٢) من الشعر

٢. أن تكون الدعوة عامة لكل المسلمين الفقراء منهم والأغنياء وهذا ما فعله الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) إذ قال لأنس حين إرساله يدعو الناس لوليمته: اذهب فادع لي من لقيت من المسلمين .

٣. ومن موقف أم سليم يظهر استحباب تعاون أهل والجيران والإخوان مع العريس في تحمل بعض نفقات عن العريس عن طريق الهدايا والهبات (٧٣) الخاتمة :

١. إن البحث أوضح إن الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) قد جمع تحته أكثر من أربعة نسوة وهذا مما أبيض له بإجماع المسلمين ،وقد اتفق العلماء على أن من خصائصه(صلى الله عليه وآله وسلم) الزيادة على أربع نسوة يجمع بينهن .

٢.إن الحكمة من هذا الزواج المتعدد هي أهداف متعددة منها تعليمي وتشريعي وسياسي وأنساني وتربوي

٣. يعتقد المستشرقون في أفكارهم المزعومة والباطلة بأن

النبي وكانت تقول :ان الله أنكحني في السماء (٦١). وروى انس بن مالك رضي الله عنه إن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) اطعم صبيحة عرسه بزینب حيساً أهده له أم سليم ، ونص الحديث عند البخاري قال : كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)عروساً بزینب فقالت لي أم سليم لو اهدينا لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)هديه فقلت لها افعلي فعمدت إلى تمر وسمن وأقط فاتخذت حيسة في برمة فأرسلت بها معي إليه فانطلقت بها إليه فقال لي ضعها ثم أمرني فقال ادع لي رجلاً سماهم وادع لي من لقيت قال ففعلت الذي أمرني فرجعت فإذا البيت غاص بأهله فرأيت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وضع يديه على تلك الحيسة وتكلم بها ماشاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال حتى تصدعوا كلهم عنها (٦٢)

فقد تم في هذا الحديث ان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) قد دعا الناس في يوم عرسه إذ إن الوليمة كانت عبارة عن حيساً أهده له أم سليم ،وقد روى لنا أنس بن مالك حديثاً فيه ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا الناس إلى وليمة وكانت تلك الوليمة تتكون من خبز ولحم فعنه إنه قال :بني على النبي'بزینب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعياً فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون فدعوت حتى ما أجد احد أدعوا، فقلت يانبي الله ما أجد أحداً ادعوه فقال ارفعوا طعامكم (٦٣)

وقد قال ابن حجر في تعليقه على الروايتين السابقتين : إن حضور الحيسة صادف حضور الخبز واللحم فأكلوا كلهم من ذلك .

وقد قال ابن حجر في تعليقه على الروايتين السابقتين : إن حضور الحيسة صادف حضور الخبز واللحم فأكلوا كلهم من ذلك .

وقد علق على أية التكثر الطعام بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ قال : الذي يكون قدر الشاة حتى يشبع المسلمون كلهم وهم يومئذ نحو الألف لولا البركة التي حصلت من جملة آياته(صلى الله عليه وآله وسلم)في تكثر الطعام (٦٤).

أمّا من أولم عليها بتمر وسويق فإنها صفية بنت حيي ،فعن انس بن مالك قال:إن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أولم على صفية بسويق وتمر (٦٥).

- (١٠) القاضي عياض، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت. ج. ١)، ص ٨٨.
- (١١) الإمام أبو حفص عمر بن علي الأنصاري، غاية السؤال في خصائص الرسول، تحقيق عبد الله، دار البشائر، ط ١ (بيروت، ١٤١٤ هـ)، ص ١٩٠.
- (١٢) القاضي عياض، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، ج ١، ص ٨٩.
- (١٣) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب الناشر: دار المعرفة (بيروت، ١٣٧٩ هـ)، ج ٩، ص ١١٥.
- (١٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٩، ص ١١٥.
- (١٥) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (المتوفى: ٢١٣ هـ) السيرة النبوية: تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده الطبعة: الثانية (مصر ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م) ج ٢، ص ٦٤٣ - ٦٨٤؛ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (المتوفى: ٦٧١ هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، (القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م) ج ١٤، ص ١١٤؛ الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد (المتوفى: ٧٤٨ هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، (بيروت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ج ٢، ص ١٠٩-١٣٥ وما بعدها؛ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت. ٧٧١ هـ) البداية والنهاية تحقيق د/ أحمد أبو ملجم وآخرين، دار الريان، ط الأولى (القاهرة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ج ٢، ص ١٠٩.
- (١٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ١١١.
- (١٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ١١١.
- (١٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٤٣ - ٦٤٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ١١١؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ١٠٧.
- (١٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ١٠٧.
- (٢٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ١٠٨.
- (٢١) لذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢٦٦ معنى فركت أي قل ميلها للرجال، بسبب كبر سنها.
- (٢٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ١٣٥.
- (٢٣) يراجع تفصيل القصة في صحيح البخاري ك النكاح، ب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير ج ٦ ص ١٣٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء.
- ج ٢، ص ٢٢٨.
- (٢٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢٦٦.
- (٢٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٤ ١٣٥.
- (٢٦) ابن حنبل أحمد أبو عبد الله بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى: ٢٤١ هـ) مسند أحمد.
- (٢٧) أبو المعاطي النوري الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى (بيروت ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ج ٧، ص ٤٣٤ - ٤٣٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ٩٢ - ٩٣.

النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) كان رجلاً كثيراً ومفرطاً في الشهوة وهذه شبهة ليس لها واقع وهي مجافية للحقيقة وباطلة ، إذ إننا لو تأملنا في معرفة هذه الزوجات وحياتهن وكيف تزوجهن الرسول الأعظم ' فان هذه المعطيات سوف تدحض مزاعم المستشرقين تبين تهافتها، وتؤكد سمو أخلاق النبى(صلى الله عليه وآله وسلم)وعظمة شخصيته.

٤. في ضوء سيرة الرسول ، توجيه الأمة الإسلامية على تسهيل وتيسير الزواج وتقليل الصداق

التوصيات

١. إن المستشرقين وأفكارهم المزعومة والباطلة بأن النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) كان رجلاً كثيراً ومفرطاً في الشهوة؛ ويزعمون إنه منشغل كثيراً في حب النساء .وحاشاه الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)إن هذه الادعاءات الباطلة قد حفزت المؤرخين العرب المسلمون بشتى مذاهبهم للدفاع والرد على مزاعم المستشرقين بأسلوب علمي يظهر الرسول الأعظم بأبهى صورة لأنه رسول البشرية جمعاء
٢. لقد ضرب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)المثل واضحاً بالنسبة لزوجاته رضي الله عنهم بالنسبة لقللة المهور والابتعاد عن المغالاة في المهور
٣. لقد ارشنا الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)في سيرته العطرة حول الوليمة إن تكون وليمة العرس بعيد عن التكلف والمبالغة في الإسراف والتبذير وان تكون الدعوة عامة لكل المسلمين الفقراء منهم والأغنياء واستحباب تعاون الأهل والجيران والإخوان مع العريس في تحمل بعض نفقات عن العريس
- الهوامش :
- (١) سورة الأحزاب ، الآية، ٥٠.
- (٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١ هـ) جامع لأحكام القرآن : تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار لكتب المصرية الطبعة: الثانية (القاهرة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م) ج ١٤، ص ٢٠٦-٢٠٧.
- (٣) البخاري، صحيح البخاري ، ج ٦، ص ٤٨٥.
- (٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله ، دار المعرفة (بيروت ، د. ت. ج. ٩)، ص ١١٤.
- (٥) ابن حجر، فتح الباري ، ج ٩، ص ١١٥.
- (٦) البخاري، صحيح البخاري ، ج ٧، ص ١٣٠.
- (٧) فرصه يعني قطنه
- (٨) البخاري، صحيح البخاري ، ج ١، ص ١٠١.
- (٩) البخاري، صحيح البخاري ، ج ١، ص ٩٣.



(٥٢) الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٥٠هـ) المستدرك تحقيق: إشراف : يوسف عبد الرحمن دار بيروت، دت) ج٢، ص ١٨١

(٥٣) السعيد، صلاح الدين محمود، زوجات النبي، دار البنيان (مصر، د. ت. ص ٢٦٥)

(٥٤) مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، د. ت. ج٢، ص ١٠٤٢م)

(٥٥) أبو داود سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـ) سنن أبو داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، (بيروت، د. ت. ج٢، ص ٢١٩)

(٥٦) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى (مصر، ١٤٢٢هـ) ج٦، ص ٤٤٣ بن

(٥٧) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب، الناشر: دار صادر الطبعة: الثالثة (بيروت، ١٤١٤هـ) ج ١٢، ص ٣٤٦ أبو الحسن

(٥٨) ابن قدامة المقدسي أبو محمد موفق الدين عبد الله (المتوفى: ٦٢٠هـ) المغني، الناشر: مكتبة (القاهرة د. ت. ج ٨، ص ١٠٥)

(٥٩) اختلف العلماء لمعرفة مقدار المد كم كيلو، المذهب الشافعية والحنبلة قالوا إن المد الواحد يساوي ٥٠٨،٦ جرام، أما مذهب الحنفية قال إن المد يساوي ١٠٧٢ جرام، ومذهب المالكية قال إن المد يساوي ٥٠٦،٥ جرام،

<https://wiki.arab-box.com>

(٦٠) البخاري، صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٧٠؛ النيسابوري، صحيح مسلم ج ٢، ص ٧٨ (النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) صحيح مسلم سلم: النكاح (١٠٤٢/٢) ح (٧٨).

(٦١) البخاري، صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٧٠)

(٦٢) النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) صحيح مسلم سلم: النكاح (١٠٤٢/٢) ح (٧٨).

(٦٣) البخاري، صحيح البخاري، ج ٦، ص ٣٢٥

(٦٤) البخاري، صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٧٠؛ النيسابوري، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧٨)

(٦٥) النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) صحيح مسلم سلم: النكاح (١٠٤٢/٢) ح (٧٨).

(٦٦) أبو داود، سنن أبو داود، ج ٣، ص ٣٤١

(٦٧) بيني : البناء : الدخول بالزوجة

(٦٨) الأنطاع : جمع نطع ، وهو بساط من الجلد، ويطلق أيضا على الوعاء والخوان أو المائدة

(٦٩) والأقط : الأقط : يتخذ من اللبن يطبخ حتى يجف الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير اعتنى فيها يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، (بيروت، د. ت. ص ١٧)

(٦٩) البخاري، صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٤٦

(٢٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢١٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٥٧

(٢٩) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢١٨-٢٣٩

(٣٠) ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ٢٨٩ - ٢٩٠

(٣١) ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ٢٩٤ - ٢٩٥

(٣٢) ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ٢٦

(٣٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٤

(٣٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٣٦

(٣٥) رواه أحمد في المسند، ج ٧، ص ١٢٦

(٣٦) رواه أحمد في المسند، ج ٧، ص ١٥٠ والمنخل: الغربال بضم الميم والخاء، والخبز المنخول: المغرب

والمنخل: الغربال بضم الميم والخاء، والخبز المنخول: المغرب

(٣٧) منحة اللب: أن يعطيه ناقة أو شاة، ينتفع بلبنها ويعيدها، ابن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق، الطاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ٤، ص ٣٦٤

(٣٨) القرط: ورق السلم يدبغ به، وقيل: قشر البلوط، الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد (المتوفى: ٦٦٦هـ) مختار الصحاح تحقيق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا الطبعة: الخامسة، (بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ص ٢٢٢

(٣٩) الأفيق: الجلد الذي لم يتم دبغه، وجمعه أفق، كأديم وأدم، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية (بيروت، ١٣٩٢)، ج ١٠، ص ٨٣

(٤٠) شرح النووي، ج ١٠، ص ٨٣

(٤١) رواه أحمد في المسند، ج ٦، ص ٣٣٩ .

(٤٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٨-٢٩.

(٤٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (المتوفى: ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون (بيروت، ١٤١٩هـ) ج ٣، ص ٤٩٦

(٤٤) واجماً: أي اشتد حزنه حتى سكت عن الكلام، شرح النووي، ج ١٠، ص ٨١

(٤٥) وجأ يجأ: إذا طعن، شرح النووي، ج ١٠، ص ٣٢٨

(٤٦) رواه مسلم في ك الطلاق ب بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، شرح النووي، ج ١٠، ص ٨٠ - ٨١ ورواه ، أحمد في المسند ج ٤، ص ٢٧٧

(٤٧) سورة النساء، الآية، ٤

(٤٨) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ/١١٥٣م) تفسير مجمع البيان، دار المرتضى (بيروت، ٢٠٠٦م) ج ٣، ص ١٥-١٦

(٤٩) ابن كثير، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر (المتوفى: ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون (بيروت، ١٤١٩هـ) ج ١، ص ٣٥٧

(٥٠) حسين محمد يوسف آداب العقد والزفاف في الإسلام، دار الاعتصام، (مصر، ١٩٩٧م) ص ٢٠

(٥١) سورة الأحزاب، الآية، ٥٠

الصاح تحقيق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية ، الدار النموذجية، بيروت ، صيدا الطبعة: الخامسة، (بيروت، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م)

١٢. السعيد، صلاح الدين محمود، زوجات النبي، دار البنيان (مصر، د. ت)

١٣. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت، ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) تفسير مجمع البيان، دار المرتضى (بيروت، ٢٠٠٦ م).

١٤. عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت، ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م). الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، دار الكتب العلمية (بيروت، د. ت)

١٥. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير اعتنى فيها يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية (بيروت ، د. ت)

١٦. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (المتوفى: ٦٧١ هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، (القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م)

١٧. ابن قدامة المقدسي أبو محمد موفق الدين عبد الله (المتوفى: ٦٢٠ هـ) المغني، (القاهرة، د. ت)

١٨. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت، ٧٧٤ هـ) البداية والنهاية: تحقيق أحمد أبو ملجم وآخرين، دار الريان، ط ١ الأولى (القاهرة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م)

١٩. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (المتوفى: ٧٧٤ هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون (بيروت، ١٤١٩ هـ)

٢٠. مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي (بيروت، د. ت)

٢١. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (المتوفى: ٧١١ هـ) لسان العرب، الناشر: دار صادر الطبعة: الثالثة (بيروت ، ١٤١٤ هـ)

الحن النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦ هـ) المنهاج شرح صحيح م النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦ هـ) المن

٢٢. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦ هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، الطبعة: الثانية، (بيروت ، ١٣٩٢) مسلم بن الحجاج ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، الطبعة: الثانية، (بيروت ، ١٣٩٢) سلم بن

٢٣. ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (المتوفى: ٢١٣ هـ) السيرة النبوية :تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشليبي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده الطبعة: الثانية (مصر ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م) الموقع الالكتروني

(٧٠) البخاري، صحيح البخاري ، ج ٦، ص ٣٢٥ ت

(٧١) سورة الطلاق الآية ٧

النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) صحيح مسلم سلم: النكاح (١٠٤٢/٢) ح (٧٨).

(٧٢) المذ هو كيل وهو رطل وثلاث عند أهل الحجاز ، الفيومي ،

المصباح المنير ، ص ٥٦٦

النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ) صحيح مسلم سلم: النكاح (١٠٤٢/٢) ح

(٧٨).

(٧٣) حسين محمد يوسف ، آداب العقد والزفاف في الإسلام ، ص ١٠٨ -

١١٢

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن الأثير مجد الدين ابن عبد الكريم الشيباني (المتوفى: ٦٠٦ هـ)

النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، محمود

محمد الطناحي، دار الفكر، (بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م).

٢. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله ،صحيح البخاري تحقيق:

محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن

السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى (مصر،

١٤٢٢ هـ)

البخاري ، صحيح الأدب المفرد ، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر

الدين الألباني

٣. الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ /

١٩٩٧ م،

٤. الحاكم النيسابوري ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت، ٥٤٠ هـ)

، المستدرك تحقيق: إشراف : يوسف عبد الرحمن (بيروت، د. ت))

٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل ، فتح الباري

شرح صحيح البخاري ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي

قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب الناشر:

دار المعرفة (بيروت، ١٣٧٩ هـ)

٦. حسين محمد يوسف آداب العقد والزفاف في الإسلام ، دار

الاعتصام ، (مصر، ١٩٩٧)

٧. أبو حفص عمر بن علي الأنصاري ، غاية السؤال في خصائص

الرسول تحقيق عبد الله ، دار البشائر، ط ١ (بيروت، ١٤١٤ هـ)

٨. ابن حنبل احمد أبو عبد الله بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى

: ٢٤١ هـ) مسند أحمد تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري الناشر : عالم

الكتب الطبعة : الأولى (بيروت ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).

٩. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: ٢٧٥ هـ) سنن

أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة

العصرية، صيدا (بيروت ، د. ت)

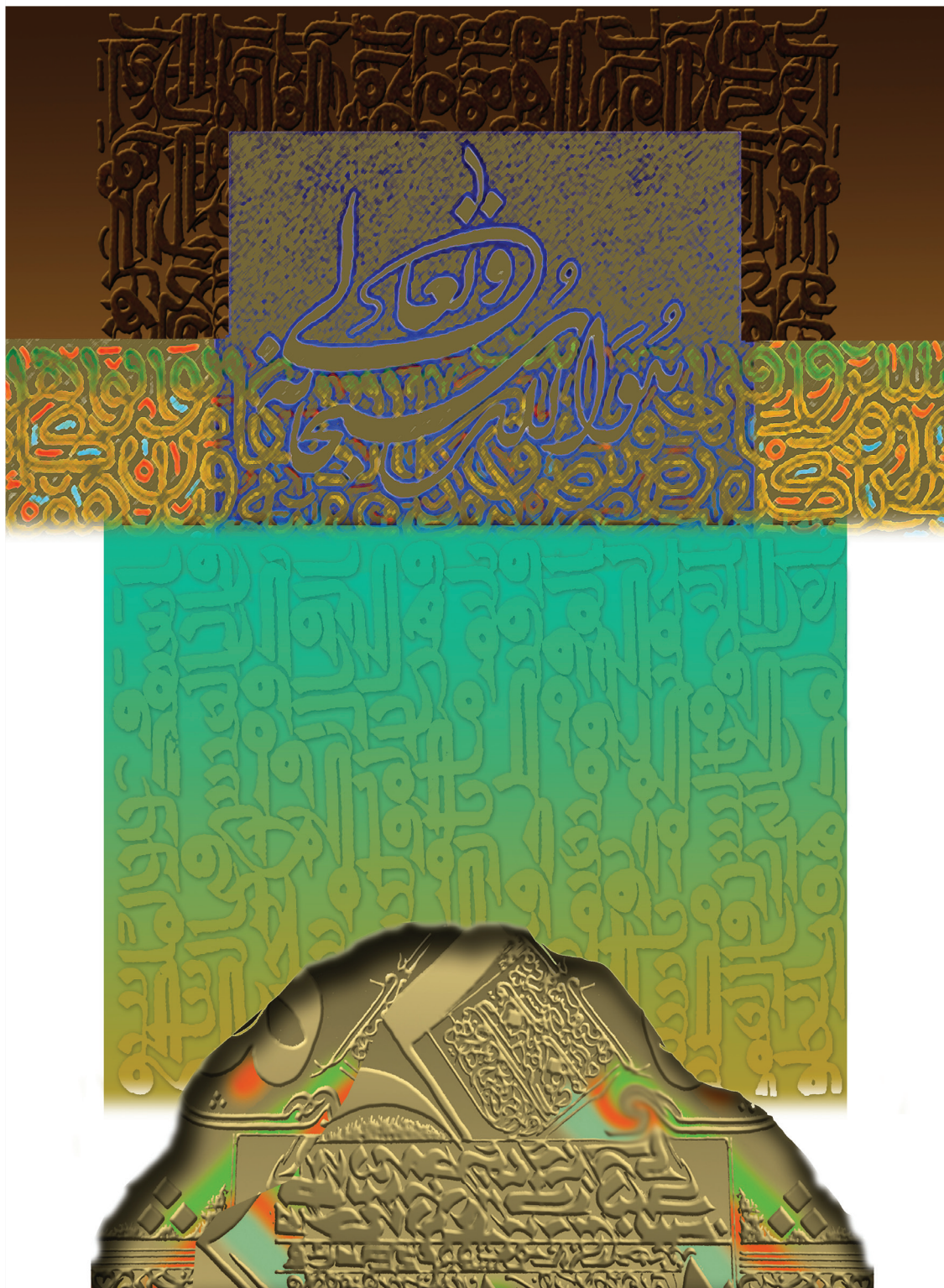
١٠. الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد (المتوفى: ٧٤٨ هـ) سير أعلام

النبلاء ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط

الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، (بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)

١١. الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد (المتوفى: ٦٦٦ هـ) مختار





استراتيجيات الذاكرة وعلاقتها بالتحصيل الدراسي

أ.م. د بشائر مولود توفيق أ.د عائدة مخلف مهدي
جامعة بغداد / مركز البحوث التربوية والنفسية

students. A questionnaire was prepared to verify the memory strategies used by the students in studying history, It reached 20 items whose validity and reliability were verified. The results of the research were that the students use memory strategies, including (key-words and initial letters), and there is a strong positive correlation between memory strategies and their academic achievement in the subject of history, and based on the results of the research, some recommendations and suggestions were developed
Keyword (strategy, memory, academic achievement)

الفصل الأول:

مشكلة البحث وأهميته

أولاً : مشكلة البحث :

يواجه الطلبة صعوبة في تذكر المعلومات واسترجاعها وقد يعود ذلك إلى اعتمادهم على الحفظ والتسميع أو إلى ضعف قدراتهم على استدعاء واسترجاع المعلومات اللفظية والبصرية والمكانية لأن أكثر المواد الدراسية خالية من المعنى وهذا قد ينعكس على مهاراتهم اللغوية ويعيق تعلمهم وتفاعلهم مع الآخرين أكاديمياً أو حياتياً .

ولهذا أصبح من الضروري البحث عن وسائل واساليب تساعد طلبتنا في استرجاع المعلومات والخبرات التي يتلقونها في قاعات الدرس للوصول إلى تحصيل دراسي مرتفع واستخدام اساليب تعلم فعالة تساعد على الحفظ وتجعلهم قادرين على استرجاع المعلومة وقت الحاجة إليها .

هنا برزت الحاجة إلى وجود معينات أو استراتيجيات تعمل على تحويل المواد الصعبة التخزين إلى مواد سهلة التخزين في الذاكرة وتحسينها ودورها في رفع المستوى التحصيلي لدى طلبة الجامعات

إذن تتحدد مشكلة البحث بالأسئلة الآتية :

-ماهي استراتيجيات التي تؤدي إلى تحسين الذاكرة ؟
-هل يختلف التحصيل للطلبة باختلاف معرفتهم

المستخلص

يهدف البحث الحالي التعرف على استراتيجيات الذاكرة وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى طلبة المرحلة الإعدادية والتعرف على العلاقة الارتباطية بين استراتيجيات الذاكرة وتحصيلهم الدراسي في مادة التاريخ ، شملت عينة البحث طلبة المرحلة الإعدادية (ذكور وإناث) في إعداديات تربية الرصافة الأولى / محافظه بغداد ، بلغت (٢٠٠) طالب وطالبة ، تم اعداد استبانة للتحقق من استراتيجيات الذاكرة التي يستخدمها الطلبة في دراسة مادة التاريخ اذ بلغت ٢٠ فقرة تم التحقق من صدقها وثباتها ، كانت نتائج البحث ان الطلبة يستعملون استراتيجيات الذاكرة ومنها (الكلمات المفتاحية والحروف الاستهلاكية) و هناك علاقة ارتباطية موجبة قوية بين استراتيجيات الذاكرة وبين تحصيلهم الدراسي في مادة التاريخ ، وبناءً على نتائج البحث تم وضع بعض التوصيات والمقترحات .

Abstract

Assistant Professor Dr. Bashir Molod Tawfiq / University of Baghdad - Educational and Psychological Research Center Dr.bashir.molod@gmail.com

Professor Dr. Aida Mikhlef Mahdi / University of Baghdad - Educational and Psychological Research Center Dr.aida@perc.uobaghdad.edu.iq

Research Summary: The current research aims to identify memory strategies and their relationship to academic achievement among middle school students and to identify the correlation between memory strategies and their academic achievement in the subject of history.

The sample of the research included middle school students (males and females) in the first secondary education of Rusafa / Baghdad governorate, amounting to (200) male and female

باستراتيجيات الذاكرة ؟

-هل هناك علاقة ارتباطية بين استراتيجيات الذاكرة التي يستخدمها الطلاب وبين تحصيلهم الدراسي في مادة التاريخ ؟

ثانياً : أهمية البحث :

اهتم علماء النفس والتربويين بموضوع الذاكرة ودورها في مختلف مجالات السلوك الإنساني لأنها من أهم العمليات العقلية العليا للإنسان ويعتمد عليها (الإدراك , الوعي , التعلم , التفكير الخ)

لهذا يرى علماء النفس أن التحدي الحقيقي الذي يواجههم كيف يضاعفون الذاكرة الانسانية من حيث فاعليها وسعة استيعابها ؟ وكان ذلك من خلال تفعيل الاستراتيجيات المعرفية (ابو جادو وآخرون ، ٢٠٠٧ : ص ٧٨)

انصب اهتمام الباحثين في الذاكرة على أثر استراتيجيات الذاكرة في تحسين أداء الذاكرة لأنها العمليات الموجهة والواعية بشكل كامن لتحسين أداء الذاكرة

كشفت عدد من البحوث أن الاطفال لا يستخدمون استراتيجيات الذاكرة بشكل تلقائي ويجب تدريبهم وهذا قد ينتج تحسناً في أداء الذاكرة الخاص بهم 94FIAVEL,1970,P وهناك طرق عديدة لتدريب الذاكرة على التذكر وذلك معن طريق اعادة الكتابة أو القراءة أو من خلال اشارة معينة واذا وجدت مشكلة في الاسترجاع تقوم بتعزيز مؤشرات وحل الترميز اما اذا كان من عدم الانتباه تستخدم بطاقات المراجعة وتكرار المعلومة كما اكد غنايم (٢٠٠٧) أن ضعف القدرة على التذكر لدى الفرد يعود في اكثر الاحيان الى عدم استعمال الاستراتيجية المناسبة في استعادة المعلومات المراد تذكرها .

إن التذكر عملية استرجاع لما تعلمه ولأنه أمر ضروري إذ إن المتعلم بحاجة الى الاستعانة بخبراته السابقة وتجاربه بطريقة شعورية واضحة فاذا لم يتذكر خبراته السابقة فلن يتمكن من تعلم أي شيء جديد وبما أن الذاكرة تعتمد عليها الكثير من العمليات العقلية المعرفية (حل المشكلات ، التفكير ، الادراك ، الوعي) فالإدراك والوعي تستلزمان القدرة على تخزين المعلومات فالتعلم يتطلب اكتساب عادات ومعلومات جديدة والتحدث يحتاج الى كلمات وربطها ببعضها البعض كما يعتمد حل المشكلات على سلسلة من الافكار

أن استراتيجيات التذكر Cherri ويرى شيري (2002) تقسم الى داخلية وتشمل التصورات العقلية وتحسين مهارات الاستماع والتكرار أما الخارجية فهي لتحسين التذكر p:689,2002, Cherri

أما الشرفاوي (2003) يعد التذكر عملية لاسترجاع الخبرة للاستفادة منها في المواقف الجديدة التي تواجه الفرد وأن الخبرات المسجلة في العقل على شكل تصورات ومفاهيم ونماذج (الشرفاوي ، 2003 : ص 69)

إذن نستنتج من ذلك أن كل ما يفعله الفرد معتمد على الذاكرة فهي تمثل محور العمليات المعرفية ومركز نظام تجهيز المعلومات (البرعمي ، ٢٠١٣ : ص ٣٠)

وبما أن مشكلة النسيان أصبحت أمراً طبيعياً وقد تكون سبب في فشل الطلبة في التحصيل الدراسي فيرى بلوم (١٩٨٥) بضرورة اعتماد التذكر كمؤشر للحكم على أداء الطلبة ويدل على اتقان الاداء المدرسي وأن استعمال مساعدات التذكر اصبح أمراً ضرورياً وهناك عدد من الدراسات تجمع على اهمية وفعالية استراتيجيات تحسين الذاكرة لأنها تشكل نقلة نوعية وتحدث تحسناً ملحوظاً في التعلم وتحقيق فائدة للطلبة ويمكن استخدامها في كل الميادين الدراسية اختيار الاستراتيجية المناسبة للمادة الدراسية ولكن نجد غياب لهذه الاستراتيجيات أو استخدامها بشكل واضح مع الطلبة من خلال ما ذكر يمكن تحديد أهمية البحث —

• الاهتمام بالكشف عن معينات الذاكرة وتحسينها وتوفير استراتيجيات وانشطة لتنمية الذاكرة لدى طلبة الجامعة والتعرف على نتائجها الايجابية يتوقع الافادة من هذه الدراسة في ابراز العلاقة القوية بين استراتيجيات تحسين الذاكرة والتحصيل الدراسي للطلبة في الجامعة

ثالثاً : هدف البحث

يهدف البحث الحالي الى التعرف على:

- استراتيجيات الذاكرة (الكلمات المفتاحية ، الحروف الاستهلاكية) لدى طلبة الخامس الادبي .
- العلاقة الارتباطية بين استراتيجيات الذاكرة (الكلمات المفتاحية ، الحروف الاستهلاكية) لدى طلبة الخامس الادبي وتحصيلهم الدراسي في مادة التاريخ .

رابعا : حدود البحث :

تحدد البحث الحالي على طلبة الصف الخامس الاعدادي

للعام الدراسي ٢٠٢٠-٢٠٢١ في مديرية تربية بغداد/ الرصافة الاولى ، ودرجات تحصيلهم في مادة التاريخ .

خامساً : تحديد المصطلحات

استراتيجيات الذاكرة :

عرفها كل من :

- Solso, ١٩٩٥ (انها المعينات التي يستعملها الفرد لتخزين واسترجاع المعلومات) (٢٥٦:١٩٩٥)

- رشوان و٢٠٠٢: (التكتيكات التي يمارسها الفرد شعوريا في تحويل المعلومات الى اشكال يمكن تخزينها واسترجاعها بسهولة من الذاكرة) (رشوان ، ٢٠٠٢ : ١١)

التحصيل الدراسي :

عرفه كل من :

- نجاري وزرقي (٢٠٠٠): (مدى استيعاب التلاميذ لما تعلموه ممن خبرات معينة في مادة دراسية مقررته مقاس بالدرجة التي يحصل عليها في مادة دراسية معينة نهاية العام الدراسي)

(نجاري ، ٢٠٠٠ : ص.أ.ع)

- الدسوقي (١٩٨٨): (بأنه المعرفة والمهارة حال قياسها). (دسوقي، ١٩٨٨، ص٤٧).

الفصل الثاني: خلفية نظرية

أولاً : الذاكرة

ثانياً : استراتيجيات تحسين الذاكرة :

ثالثاً : أنواع استراتيجيات الذاكرة

أولاً : الذاكرة

اهتم علماء النفس في موضوع الذاكرة لما تؤديه من دور مهم في مختلف مجالات السلوك الانساني وانصب اهتمامهم منذ منتصف الستينات على الذاكرة وتعتبر الذاكرة من العمليات العقلية المهمة في حياة الفرد لان الكثير من العمليات تعتمد عليها وفي الحقيقة أن كل ما يفعله الفرد تقريباً يعتمد على الذاكرة (العدل ، ٢٠٠٠ : ص ٩٣) لأنها تمثل محور العمليات المعرفية تعمل الذاكرة بشكل عام على تخزين المعلومات واستدعائها، ومن الممكن تفسير مفهوم ومصطلح الذاكرة بحسب المجال أو الجانب الذي يتم استعمالها وتوظيفها من خلاله، ففي العلوم الفسيولوجية والعصبية من الممكن تعريفها على أنها القدرة على استقبال المعلومات والخبرات، وتخزينها، والمحافظة عليها، وذلك ليتم استدعاؤها واستعادتها عند الحاجة. أما في علم النفس فقد تم تعريف الذاكرة على أنها الإمكانية التي يتم بموجبها تكييف السلوكيات بما يتناسب مع الخبرات التي يمر بها الإنسان، ومن الممكن تعريفها بشكل

أوضح على أنها عملية عقلية معرفية تعمل على تخزين، وحفظ المعلومات، والخبرات والمواقف المختلفة التي يمر بها الإنسان ويتعلمها؛ وذلك بغرض استعادتها واسترجاعها عند الحاجة لها، ويقوم عمل الذاكرة على استعادة المعلومات المطلوبة بعد فترة من الزمن سواء كانت طويلة أم قصيرة، ومن المهم ذكره أن مفهوم الذاكرة ذو معنى أشمل من مفهوم عملية التذكر، فعملية التذكر تشمل العمليات والنشاطات التي تقوم بها الذاكرة (العتوم ، ٢٠١٤ : ص ٦٠) . والذاكرة تتكون من ثلاث اقسام هي :

- الذاكرة الحسية وهي التي تستقبل المعلومات عن طريق الحواس من خلال (البصر ، السمع ، واستقبال الكم الكبير من خصائص المثيرات الخارجية التي يتفاعل معها الإنسان إذ يختص كل مستقبل حسي بحسب وظيفته بملاقاة المثيرات المختلفة، ويقوم باستقبال الخبرات الحسية بموجبها، وتدخل هذه المعلومات الذاكرة الحسية وتسجل على شكل صور في مخيلة الطالب وتنفذ خلال وقت قصير اذ لم تنقل الى الذاكرة قصيرة المدى (التيم ، ٢٠٠٦ : ٤٩) . وتتميز المستقبلات الحسية في الذاكرة الحسية بسرعتها الكبيرة في نقل الصور الخارجية للعالم الخارجي، والقدرة على تكوين الصورة النهائية لتصورات المثيرات المختلفة، وبالتالي المساعدة على تحقيق السرعة في الاستجابات السلوكية التي تلائم هذه المثيرات.

-الذاكرة قصيرة المدى: أن لهذه الذاكرة أهمية كبيرة لأنها تحتفظ بكل المعلومات والافكار والخبرات لدى الفرد وان لها اثر كبير في عملية التعلم والتذكر فهي تسجيل الأحداث والوقائع التي تحدث في حياة الفرد اليومية بشكل آلي ومؤقت، وهي عادةً تكون سريعة الاختفاء ما لم يتم بذل جهد وتركيز كبير لاسترجاعها، أي أنها المحطة التالية بعد الذاكرة الحسية للمعلومات، والخبرات، والمواقف التي يمر بها الإنسان، أما وظيفتها فهي تقوم على إجراء بعض التعديلات والتغييرات على المعلومات بشكل أولي، فالمثيرات والخبرات التي تلقى الاهتمام في الذاكرة الحسية تنتقل بدورها إلى الذاكرة قصيرة المدى لاستخلاص المعاني والمواقف التي ترتبط بها، بالإضافة إلى تحديد مستوى أهمية البيانات والمعلومات واتخاذ القرار إما بالتخلي عنها، أو الاحتفاظ بها بإرسالها إلى الذاكرة طويلة المدى كي يتم تخزينها بشكل دائم.

-الذاكرة طويلة المدى : ان هذه الذاكرة هي الجزء المهم الذي يتم من خلاله تخزين كم هائل من الافكار والمعلومات لفترات زمنية طويلة جداً وتكون المعلومات مرتبطة مع بعضها

يتعرف الطلبة على هذه الاستراتيجيات لمساعدتهم وزيادة قدرتهم على تذكر المعلومات الجديدة .

ثالثاً : أنواع استراتيجيات الذاكرة

- استراتيجية إحلال الأماكن:

وتقوم على أساس ربط قائمة من المواد المراد تعلمها مع الأماكن أو المواقف المعروفة للفرد بطريقة متسلسلة وذلك من خلال إيجاد أقران كل مفردة أو معلومة يريد الفرد تعلمها مع موقف معروف شريطة تسلسل هذه المواقف في ذهن الطالب تقوم هذه الاستراتيجية على تعلم الطالب ربط المعلومات الجديدة بعلاقات مرجعية لها مستخدم وبكلمات متناغمة يتم ترميزها أي استبدال الكلمات أو ربطها بأخرى على أن يفهم الطالب الطريقة قبل تطبيقها وتعد هذه استراتيجية أفضل عندما تكون المعلومات جديدة بالنسبة للمتعلمين .

- استراتيجية التأمل:

وتقوم على ربط كلمتين تريد تذكرهما بكلمة ثالثة جديدة أو فكرة أو هيئة تربطهم معا ليكون لها القدرة على توجيه تذكر الكلمتين الأصليتين في المستقبل إذ إن هذه الاستراتيجية تتطلب التأمل والتفكير واستخدام خيالك العقلي قبل الوصول إلى الكلمة الرابطة للكلمتين معا.

- استراتيجية الكلمات المفتاحية:

تعتمد على ربط الكلمات الجديدة بكلمات أخرى معروفة للطالب أي اختيار كلمة واعتبارها بمثابة مفتاح يدل على الفقرة أو الجملة كاملة وهذه استراتيجية مفيدة في تعلم لغة اجنبية .

- استراتيجية الموقع:

وتقوم على ربط المعلومة المراد الاحتفاظ بها مع موقع أو مكان معروف للفرد شرط أن تكون متسلسلة الأماكن في ذهن المتعلم وخلق مسلك بين المعلومات وتفعيلها بشكل نشط في صورة مبتكرة؛ أي ترميز المادة المراد تذكرها وربطها بدلالات مألوفة (عبد الله ، ٢٠٠٤ : ص ٤٩)

- استراتيجية الحروف الاستهلاكية أو الحرف الأول:

وتقوم على أخذ حرف الأول من كل كلمة وتكوين عبارة جديدة أو جملة المراد تذكرها ومحاولة بناء جملة لها معنى أو دلالة لدى الطالب لأنها تتطلب أقل مساحة في ذهن أي يكفي تذكر الحرف الأول لتذكر الباقي

(wikibooks , ٢٠١٤,p: ٧٩٢)

- استراتيجية التجميع:

البعض تتصف الذاكرة طويلة المدى بأنها الخازن الدائم والأبدي للمعلومات على اختلافها.

وقد اتفق العلماء على أن عملية التذكر تعد أساساً في عملية التعلم ولكن هناك عدد من العوامل التي قد تؤثر في قدرة المتعلم على التذكر وهي:

- عوامل تتعلق بالمتعلم وتتمثل بالنضج والعمر الزمني واستعداداته وقدراته وميوله يضاف إلى ذلك خبراته السابقة وحالته النفسية والصحية.

- عوامل تتعلق بالمعلومات المراد تعلمها وتتمثل بدرجة وضوح الهدف من التعلم والارتباطات بين هذه الخبرات المراد تعلمها .

- عوامل خاصة بأسلوب التعلم : تتمثل بطبيعة التدريب على المادة التعليمية ومدى تأثيرها على عملية التذكر وطبيعة الاسئلة لكل مادة تعليمية (الملي ، ٢٠١٠ : ص ٩٦)

ثانياً : استراتيجيات تحسين الذاكرة :

هي عبارة عن سلوكيات تسهل عملية ترميز المعلومات وتخزينها ولا يحدث هذا تلقائياً بل عن طريق عملية تتطلب مجهود من قبل المتعلم أي إن يحسن عملية تخزين المعلومات لتجاوز مشكلة النسيان كما ان هذه الاستراتيجيات تساعد الطلبة على تذكر المعلومة الجديدة التي ترتبط بالمعارف المكتسبة سابقاً باستخدام المؤشرات البصرية أو الصوتية والاحتفاظ بالمعلومة وبالتالي تسهل استدعائها .

وتقوم هذه استراتيجيات على مجموعة من الافتراضات التي حددها قطامي (٢٠٠٩) ومنها

١. معرفة المعنى يحسن من تذكر المعلومة لأن أي معلومة تكون خالية المعنى فانها لا تحظى باهتمام المتعلم .

٢. إن استعمال عدد اكبر من الحواس يساعد على التذكر وربط المعلومة بالمؤشرات الحسية (بصرية , سمعية ,....) وبذلك يتم ربطها بالمعلومة الجديدة المراد الاحتفاظ بها ويسهل استرجاعها لاحقاً

٣. إن استراتيجيات تحسين الذاكرة ترفع دافعية التعلم وتجعله ممتع وتطور مهارات التواصل الاجتماعي .

٤. إن استراتيجيات تحسين الذاكرة تؤدي إلى توليد الأفكار وهذا يجعل التعلم نشطاً ويرسخ الذاكرة طويلة المدى إن الانتباه للمادة العلمية عاملاً أساسياً للتذكر فكلما جعلنا التعلم مختلفاً ومتجدداً يصبح المخ أكثر تركيزاً وانتباهاً وبناءً على ما سبق ترى الباحثان أن من المهم جداً أن



(التذكر presssley&meter,1994:p79)

وهما أن التعلم هو تغير في خبرات الفرد بسبب تلقيه خبرة معينة أو خبرات تؤدي الى تغير في السلوك أي إن الفرد لا يكرّر ما تعلمه في المواقف نفسها بل يستفاد من تجاربه وخبراته السابقة في توافقه مع موقف الحياة المختلفة وأن تكوين الخبرات تتطلب ثبات المادة المتعلمة وثباتها وتعتمد على (الانتباه , التركيز , الفهم , الدافعية للتعلم) وأن ثبات المادة التعليمية في الذهن تتطلب قدرة الفرد على استدعاء المادة المتعلمة وتذكرها في المواقف، أي إن الوعي باستعمال الاستراتيجيات أثناء التعلم يساعد على استرداد المعلومات بطريقة سهلة .

إن استراتيجيات الذاكرة تشكل طريقة معالجة الشخص للمعلومات وكيفية استقباله وتخزينه لها . ولها أهمية كبيرة في التذكر واسترجاع المعلومات ومراجعتها بعدة مراحل هي (استقبال المعلومات وتجهيزها ، الانتباه التلقائي ، الترميز ، التسميع ، التنظيم ، الاستعادة والاسترجاع) . الدراسات السابقة:

وقد دأبت الدراسات التي تجري كلّ يوم محاولة الكشف عن الوسائل المختلفة للإسهام في تحسين الأداء التحصيلي للطلبة وأن هناك عدد من الدراسات التي تؤكد على أن استعمال استراتيجيات تحسين الذاكرة أثر بشكل كبير على التحصيل للطلبة ومنها :

١. دراسة إبراهيم (٢٠٠٣)

هدفت الدراسة إلى التعرف على فاعلية استعمال بعض استراتيجيات التذكر (الموقع، الحرف الأول، الكلمة المفتاحية) بالأسلوب الترابطي في تحصيل طلبة الصف الأول المتوسط للمعرفة التاريخية واحتفاظهم بها، أجريت هذه الدراسة في جامعة الموصل - كلية التربية في العراق توصل الباحث إلى وجود فرق ذي دلالة إحصائية في الاحتفاظ والتحصيل بين متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث عند مستوى دلالة (٠,٠٥) (لصالح المجموعة التجريبية التي درست باستعمال مساعدات التذكر بالأسلوب (إبراهيم، ٢٠٠٣: ص ٦ - ١٠).

٢. دراسة الجاسمي (٢٠١٤)

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر منشطات الذاكرة في التحصيل والاستبقاء في مادة الكيمياء لدى طلاب الصف الأول المتوسط . أجريت هذه الدراسة

وتعتمد على تجميع عدد من الأحرف أو الأرقام في وحدات صغيرة يسهل تذكرها إذ يميل الطالب إلى تذكر الأشياء المنظمة والمتناغمة وبدون التنظيمات فإنهم يفقدون الكثير من اجزاء المعلومات الضرورية لديهم والمتعلقة بحياتهم اليومية والدراسية .

- استراتيجية القصة أو (التأليف) :

تعتمد هذه الاستراتيجية على تأليف قصص تربط بين مجموعة الكلمات المراد تذكرها وتشكل هذه الكلمات مع بعضها قصة لها معنى عند الطالب وتكون صورة ذهنية للخبرات الجديدة التي يتعرض لها ، أي يمكن للطلاب استحضار الصورة بعد تخيلها وإيجاد روابط وتصور علاقات بين ما لديه من مخزون وتكون هذه استراتيجية سهلة الاسترجاع لأنها عبارة عن صور سمعية أو بصرية بوقت أسرع .

-استراتيجية السلسلة الرباطة:

تعتمد هذه استراتيجية على استعمال سلسلة من الروابط البصرية وذلك من خلال الفقرة الأولى المراد الاحتفاظ بها مع الفقرة الثانية والثالثة وبهذه يكونون سلسلة مترابطة من المفاهيم العلمية الجديدة للوصول الى الاتقان (قطامي ، ١٩٩١ : ص ٩٠)

رابعاً : استراتيجيات الذاكرة والتحصيل الدراسي

أن الكثير من المعلمين يعدون الكتاب المدرسي والمنهج المقرر هو الاساس في التعلم ويطرحون الأسئلة على الطلبة وتكون الإجابة من قبل عدد محدود من الطلبة وإجابات مختصرة وتلقين الطلبة بأهم النقاط من الدرس السابق والدرس الحالي وقد ألفت المعلم هذا الأسلوب الذي تعلمه هو في طفولته ثم يقوم الأهل بمراجعة الدروس لأبنائهم بنفس الطريقة التي كانوا يذكرون بها .

مع التطور العلمي والتكنولوجي يجب أن نخلق سياسة جديدة في علم التدريس وندخل استراتيجيات جديدة لها أثر فعال في التحصيل للطلبة وكذلك تنمية تفكيرهم بأنواعه كافة لأن التعليم الفعال يؤدي الى إبقاء أثره ونقل ما تعلمه إلى حياته العامة فقد اشارت الكثير من الدراسات الى أن استخدام استراتيجيات الذاكرة تؤدي اثراً كبيراً في تحسين الذاكرة بالسنين الأولى من العمر وقد تبين بالعديد من الدراسات أن استخدامها يتوقف على قدرة الفرد على التذكرة، فكلماً زاد عمر الفرد زاد فهمه لفائدة الاستراتيجيات ومع تكرار الاستخدام يؤدي ذلك بشكل آلي إلى زيادة قدرة الفرد على

٥. دراسة علي وآخرون (٢٠١٩) : هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر استراتيجية الكلمة اللاقطة في تحصيل مادة التاريخ الأوربي الحديث لدى طالبات الصف الخامس توصلت الدراسة إلى وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٥) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية الاتي درسن على وفق استراتيجية الكلمة اللاقطة ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في اختبار التحصيل البعدي لصالح المجموعة التجريبية (علي وآخرون ، ٢٠١٩ : ٢١ - ٤٦)

الفصل الثالث

منهجية البحث واجراءاته

أ - منهجية البحث :

اعتمدت الباحثتان في البحث الحالي منهج البحث الوصفي الارتباطي

ب - مجتمع البحث :

يعرف مجتمع البحث بأنه (مجموعة من العناصر الكلية التي يسعى الباحث لتعميم نتائج البحث المتعلقة بالمشكلة المدروسة) (نوح ، ٢٠٠٤: ٩٢) ، يتألف مجتمع البحث الحالي من طلبة الصف الخامس الأدبي في المدارس الحكومية النهارية التابعة لمديرية تربية بغداد /الرصافة الاولى للعام الدراسي ٢٠٢٠-٢٠٢١ اذ بلغ عددهم (٩٣٤٨) طالباً وطالبة بواقع (٤٧٦٠) طالب بنسبة ٥١% من العدد الكلي و (٤٥٨٨) طالبة يمثلن نسبة ٤٩% من المجتمع .

ج- عينة البحث :

تعرف عينة البحث بأنها جزء من مجتمع البحث وتمثله بما يتناسب مع الطريقة المختارة (مرابطي و نحوي ، ٢٠٠٩: ١٠٤) ، وتم اختيار العينة بالطريقة القصدية للإعداديات القريبة من سكن الباحثين اذ بلغت عينة البحث (٤٠٠) طالب وطالبة من الصف الخامس الادبي والجدول (١) يوضح ذلك:

في العراق جامعة بابل/كلية التربية الأساسية توصل الباحث إلى وجود فروق ذي دلالة إحصائية في التحصيل لصالح الطلاب الذين يدرسون باستعمال منشطات الذاكرة. (الجاسمي، ٢٠١٤: ص ٧-١٠) .

٣. دراسة العبيدي (٢٠١٤)

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر استراتيجيات مساعدات التذكر في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة الاجتماعيات، وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات تلميذ المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة الاجتماعيات وفق خطوات استراتيجيات مساعدات التذكر ومتوسط درجات تلاميذ المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة بالطريقة الاعتيادية في الاختبار التحصيلي البعدي دلت نتائج البحث عن تفوق تلاميذ المجموعة التجريبية على تلاميذ المجموعة الضابطة في الاختبار التحصيلي البعدي .

(العبيدي ، ٢٠١٤: ١)

٤. دراسة مطشر (٢٠١٤)

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر استراتيجية معينات التذكر في التحصيل وتنمية التفكير التأملي في مادة التاريخ لطلاب الرابع الأدبي كانت نتائج الدراسة تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية باستراتيجية معينات التذكر على طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها في الطريقة التقليدية في الاختبار التحصيلي. تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية باستراتيجية معينات التذكر في الاختبار البعدي على القبلي. تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية باستراتيجية معينات التذكر على طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية في اختبار التفكير التأملي البعدي.

(مطشر ، ٢٠١٤: ١)

جدول (١)

عينة البحث			
ت	اسم المدرسة	ذكور	اناث
١	إعدادية الأنصار للبنين	١٠٠	---
٢	إعدادية الإمام الصادق للبنين	١٠٠	---
٣	إعدادية القناة للبنات	---	١٠٠
٤	إعدادية بلقيس للبنات	---	١٠٠
المجموع	٤ مدارس	٢٠٠	٢٠٠
		٤٠٠	

د- أداة البحث :

لتحقيق أهداف البحث قامت الباحثتان بإعداد أداة لقياس استراتيجيات الذاكرة وبعد الاطلاع على الأدبيات والبحوث التي تناولت استراتيجيات الذاكرة وقد اختارت الباحثتان (استراتيجية الكلمات المفتاحية واستراتيجية الحروف الاستهلاكية) وقد تم صياغة مجموعة من الفقرات تتناسب مع كل استراتيجية إذ بلغ عدد الفقرات الكلية (استراتيجيات الكلمات المفتاحية ١٠ فقرات) و (استراتيجيات الحروف الاستهلاكية ١٢ فقرة) الملحق (١).

وقد عرضت الفقرات بصورتها الأولية على مجموعة من المحكمين في علم النفس وطرائق التدريس بلغ عددهم (١٠) محكم الملحق (٢)؛ لبيان صلاحية الفقرات ومدى ملائمتها لتحقيق أهداف البحث وبناءً على آراء المحكمين عدلت بعض الفقرات وحذفت فقرتين من فقرات استراتيجية الحروف الاستهلاكية، أصبح عدد فقرات الأداة ٢٠ فقرة .

هـ- صدق الأداة:

لغرض التحقق من صدق الأداة إذ قامت الباحثتان بعرض المقياس بصورته الأولية على عدد من المحكمين ومن ذوي الاختصاص للطلاع عليه وإبداء ملاحظاتهم حول ملائمة الاستبيان مع عينة البحث، وبعد الاطلاع على آراء الخبراء تبين أن نسبة الاتفاق كانت (٨٥٪)، مع إجراء بعض التعديلات اللازمة .

و- ثبات الأداة

يعد الثبات من خصائص الاستبيان الجيد لأنه يؤشر اتساق فقرات الاستبيان في قياس ما يفترض أن يقيسه الاستبيان بدرجة مقبولة من الدقة. وللتحقق من ثبات الاستبيان استخدمت الباحثتان معادلة (الفا - كرونباخ) إذ بلغ معامل الثبات (٠,٨١) وهو معامل ثبات مقبول لأغراض تطبيق الدراسة.

ن- المقياس بصيغته النهائية

بعد التأكد من الخصائص السيكو مترية للمقياس للاستراتيجيتين أصبح جاهز للتطبيق بصيغته النهائية على عينة البحث إذ تكونت من (١٠) فقرة لاستراتيجية الكلمات المفتاحية (١٠) فقرة لاستراتيجية الحروف الاستهلاكية تدرجت الإجابة (أوافق بشدة ،أوافق نوعاً ما، لا أوافق) (٣ ، ٢ ، ١) والمتوسط الفرضي (٢٠) للاستراتيجية الكلمات المفتاحية و (٢٠) لاستراتيجية الحروف الاستهلاكية .

الفصل الرابع

• عرض النتائج ومناقشتها

الهدف الأول :

التعرف على استراتيجيات الذاكرة (الكلمات المفتاحية ، الحروف الاستهلاكية لدى طلبة الخامس الادبي .وللتحقق من هذا الهدف تم حساب المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاستجابات عينة البحث البالغ عددها (٤٠٠) طالباً وطالبة الصف الخامس الادبي على مقياس استراتيجتي الذاكرة (الكلمات المفتاحية والحروف الاستهلاكية) كما موضح في جدول (٢) كالآتي :

جدول (٢)

يوضح المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة لمقياس استراتيجية الذاكرة

المتغير	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
استراتيجية الكلمات المفتاحية	٤٠٠	٣٩	٥,٦٠١	٢٠	٦٧,٨٦	١,٩٦	٠,٠٥
استراتيجية الحروف الاستهلاكية	٤٠٠	٣٤	٤,٢٨١	٢٠	٦٥,٤٢		

جزء من الدرس للتعرف عليها وكيفية اكتسابها
• المقترحات :

- تقترح الباحثان اجراء دراسات مماثلة على عينات
اخرى وكذلك دراسة استراتيجيات اخرى للذاكرة .

المصادر

- ابراهيم ، محمد (٢٠٠٥) : التفكير من منظور تربوي ، القاهرة ، مصر
- ابو جادو ، صالح محمد ، ونوفل ، بكر ، (٢٠٠٧) . تعليم التفكير.
النظرية وتطبيق دار الميسرة، عمان ، الاردن .

- البرعمي ، علي سعيد (٢٠١٣) : فاعلية برنامج تحسين مستوى الوعي
بنسق الذاكرة بمكوناتها (المعرفي والتحكمي) وأثره في تنمية التفكير
الناقد والتحصيل الدراسي لدى عينة من طلاب الصف الثامن
الاساسي بسلطنة عمان (رسالة دكتوراه غير منشورة) القاهرة ، جامعة
الدول العربية

-الجاسمي ، حيدر (٢٠١٤) : اثر منشطات الذاكرة في التحصيل
والاستبقاء في مادة الكيمياء لدى طلاب الصف الاول المتوسط (
رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل
-دسوقي، كمال (١٩٨٨) : ذخيرة علوم النفس، المجلد الأول، ط ١ ،
القاهرة

-الشرقاوي ، أنور (٢٠٠٣) :: العمليات المعرفية وتناول المعلومات
، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية
-الطيب ، عصام وربيع عبدة (٢٠٠٦) : علم النفس المعرفي - الذاكرة
وتشفير المعلومات ، القاهرة ، دار الكتب

-رشوان ، ربيع عبدة احمد (٢٠٠٢) : استراتيجيات تشفير المعلومات في
الذاكرة وتأثيرها على مستوى الاداء في بعض المهام اللفظية والشكلية
لدى طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية رسالة ماجستير غير منشورة
، القاهرة ، جامعة عين شمس.

-عبد الله ، طالب (٢٠٠٤) : أثر استخدام استراتيجيات خرائط المفاهيم
على التحصيل تلاميذ المرحلة الاساسية للعلوم وتنمية اتجاهاتهم نحو
مجلة القراءة والمعرفة ، جامعة عين شمس ، كلية التربية ، ٣٥ (٩)

- العتوم ، عدنان يوسف (٢٠١٤) : علم النفس المعرفي بين النظري
والتطبيقي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن

- العدل، عادل (٢٠٠٠) : فاعلية الاسلوب المعرفي واستراتيجية تجهيز
المعلومات على الذاكرة العاملة ” مجلة كلية التربية ” جامعة عين شمس
، مصر الجديدة ٣، (٢٤)

- علام، رجاء محمود (٢٠٠٩) : منهج البحث في العلوم التربوية والنفسية
، القاهرة ، دار النشر للجامعات .

- علي، هبة واخرون (٢٠١٩) : (أثر استراتيجيات الكلمة اللاقطة
في تحصيل مادة التاريخ الأوربي الحديث لدى طالبات الصف
الخامس الأدبي) ، ” مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية“ ، المجلد:٩،
العدد:٣

- قطامي ، يوسف ((٢٠١٤) : استراتيجيات التعلم والتعليم نماذج
التدريس

- مطشر ، علي عبد الحسين (٢٠١٤) : اثر استراتيجيات معينة التذكر
في التحصيل وتنمية التفكير التأمل في مادة التاريخ لطلاب الرابع
الادبي (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة المستنصرية ، تربية
الاساسية

ويتضح من الجدول أعلاه أن القيمة الناتجة المحسوبة والبالغة
(٦٧,٨٦-٦٥,٤٢) هي اعلى من القيمة الناتجة الجدولية
والبالغة (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وهذا يدل على
عينة البحث يمتلكون استراتيجيات الكلمات المفتاحية
والحروف الاستهلاكية في دراسة مادة التاريخ .

الهدف الثاني :

العلاقة الارتباطية بين استراتيجيات الذاكرة
(الكلمات المفتاحية، الحروف الاستهلاكية) لدى طلبة الخامس
الأدبي وتحصيلهم الدراسي في مادة التاريخ.
وللتحقق من هذا الهدف تم حساب العلاقة الارتباطية
بين استراتيجيات الذاكرة (الكلمات المفتاحية و الحروف
الاستهلاكية)للمرحلة الإعدادية وعلاقتها بدرجات تحصيلهم
الدراسي في مادة التاريخ

إذ تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين البيانات الخاصة
بمقياس استراتيجيات الذاكرة ودرجات التحصيل الدراسي
لمادة التاريخ لعينة البحث إذ بلغ معامل ارتباط بيرسون
(٠,٨٠) وهذا يدل على أن هناك علاقة ارتباطية قوية طردية
بين المتغيرين .

• الاستنتاجات:من خلال النتائج يمكن التوصل إلى
الاستنتاجات الاتية :

إن طلبة الإعدادية يستعملون استراتيجيات الذاكرة منها
(الكلمات المفتاحية و الحروف الاستهلاكية)
وهناك علاقة ارتباطية موجبة قوية بين استراتيجيات
الذاكرة وبين التحصيل الاكاديمي في مادة التاريخ .

• التوصيات

١.اعتماد استراتيجيات تحسين الذاكرة في التدريس وما لها
من أثر كبير في تحصيل الطلبة تقبلهم للمادة العلمية وسهولة
حفظها وترسيخها في ذاكرتهم .

٢.ضرورة معرفة استراتيجيات كل متعلم وتشخيص نقاط القوة
والضعف عنده من أجل توجيه على اختيار استراتيجيات
المناسبة له

٣.عقد الندوات وورش العمل للمعلمين للتعرف على
استراتيجيات تحسين الذاكرة وكيفية استثمارها بالدرس
لزيادة التحصيل لدى الطلبة

٤. ادخال برامج تعليمية واساليب تدريسية في المناهج
المقررة لرفع مستوى التحصيل لدى الطلبة

٥.اعتماد استراتيجيات تحسين الذاكرة في التعليم وتخصيص

to improve it, ontiose it. National instate of mintal Heath, National Institute on Aging Retrieved from <http://www.yahoo.com.marsh>

-Flavell. j.H. (1971),Development studies of mediation memory advances in child development and behavior , Vol. (5) NEW YORK Academic press,

- Pressley, M, & Meter , P. V (1994) What is memory development , Theory of memory and Cognitive Development 2&20 . Ln P. Emosris & M Gruenberg (EDS) THEORETICAL ASPECTS OF MEMORY < LONDON : ROUTLEDGE PUBLISHERS

- Solso ,R, 1995 :cognitive psychology . 4ed . London , allan &bacon

- الممللي ،سعاد (٢٠١٠). الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينه من المتفوقين والعاديين دراسة ميدانية على طلبة الصف العاشر من مدارس المتفوقين و العاديين في مدينة دمشق، مجله جامعه دمشق ٢٦ (٣). ١٠٧_٧١.

- المليلجي , حلمي (٢٠٠٤) : علم النفس المعرفي , بيروت ، دار النهضة العربية

- المرابطي ، عادل و عايشة نحوي (٢٠٠٩) : العينة ، مجلة الوحدات للبحوث والدراسات ، تاجزائر ، م٤، ع ٦ .

- النوح ، عبد الله (٢٠٠٤) ، مبادئ البحث التربوي ، الرياض ، السعودية ، د ط.

- نجاري ، حبيب وزرقي محمد (٢٠٠٠) : أهمية استعمال الوسائل التعليمية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي في مادة العلوم الطبيعية ، مذكرة ليسانس وهران

- اليتيم شريف احمد (٢٠٠٦) اثر التكامل بين استراتيجيتي التدريس البنائيتين: دوره التعلم و الخارطة المفاهيمية في فهم الطلبة للمفاهيم العلمية و اتجاهاتهم نحو العلم وادراكاتهم للبيئة. أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان ، الاردن

-cherries'. (2002). Your memory – How



نقد الرواية العربية من منظور الاستشراق - روجر ألن مثلاً -

أ. م. د. علي محمد ياسين

جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية

ceptions for this narrative genre until concluding his method of dealing with the modern Arabic literature reflected in some of the novels and stories in which his critic perspective has been interested, so, he comes to read it in this way accordingly...

المقدمة:

يعد المستشرق البريطاني (روجر أُلن المولود عام ١٩٤٢م في (بورن ديفون) والحاصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة أوكسفورد في بريطانيا عام ١٩٦٨م) (١) واحداً من ألمع المستشرقين المعاصرين ممن اهتموا بالأدب العربي الحديث الذي لم يكن ليستقطب الدراسات الاستشرافية أسوة بالآداب الكلاسيكية العربية؛ لصعوبته أولاً ولقلة البحوث المكتوبة عنه في الأكاديميات الغربية، قياساً بالبحوث والدراسات الأخرى المكتوبة في المجالات الفكرية والتاريخية والدينية التي شغلت الاستشراق وحركت دوافعه العديدة (٢).

وقد عمل (روجر أُلن) مدرساً لمادة الأدب العربي في الجامعات البريطانية بعد حصوله على شهادة الماجستير، ثم تحول للعمل بجامعة بنسلفانيا في فيلاديلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية بعد حصوله على شهادة الدكتوراه، وما يزال محاضراً بدرجة (بروفسور) في التخصص نفسه وفي الجامعة نفسها (٣)، وقد كتب داخل أروقة هذه الجامعة أول دراسة له بعنوان: حديث عيسى بن هشام للمويلحي، دراسة عصر في ظل الاحتلال البريطاني الصادرة عن دار نشر جامعة نيويورك عام ١٩٧٤م (٤).

قدّم هذا المستشرق العديد من المحاضرات حول الرواية العربية أيام عمله في الجامعات البريطانية، ثم جمع هذه المحاضرات وأضاف إليها الكثير لينشرها عام ١٩٨٢م في الولايات المتحدة الأمريكية بكتاب ترجمته إلى العربية (حصة إبراهيم المنيف) بعنوان: (الرواية العربية، مقدمة تاريخية ونقدية) (٥)، وهو ما سيرتكز عليه هذا البحث الموجز، مضافاً إليه كتابه الثاني الصادر عام ٢٠٠٠م، بعنوان (مقدمة عن الأدب العربي) والمترجم هو الآخر إلى العربية بواسطة ثلاثة من المترجمين العرب، هم: (رمضان بسطاويسي، مجدي أحمد توفيق، فاطمة قنديل) والمنشور عام ٢٠٠٣م، عبر مؤسسة المشروع القومي للترجمة في القاهرة، والكتابان

المستخلص

للبروفسور المستشرق (روجر أُلن) اهتمامات واضحة في الأدب العربي الحديث تعكسها مجموعة الروايات العربية المتعددة التي ترجمها إلى اللغة الإنجليزية و مجموع البحوث والمحاضرات التي خصصها لهذا الأدب مركزاً على جانبه لنثري الذي لم يجد الاهتمام المطلوب من قبل المستشرقين قدر اهتمامهم بالمجالات الأخرى إبداعية كانت أو معرفية.

يسعى هذا البحث للوصول إلى الكيفية التي يفهم بها القارئ الغربي أدبنا العربي الحديث، وذلك من خلال تسليط الضوء على الطريقة التي تعامل من خلالها هذا المستشرق مع الفن الروائي العربي عبر فصول كتابه: (الرواية العربية، مقدمة تاريخية ونقدية) ثم محاولة تقصي مفاهيمه العامة لهذا الجنس السردية وصولاً إلى منهجه في التعامل مع الأدب العربي الحديث ممثلاً ببعض الأعمال الروائية والقصصية التي استجابت لها ذائقته النقدية فقرأها على وفق هذه الاستجابة.

Abstract
Professor Roger Allen, the orientalist clearly concerns himself with the modern Arabic literature. This is manifested throughout his translation for a group of numerous novels as well as researches and lectures which he dedicated for the literature in question. In this concern, he focuses on the prosodic aspect that has not been receiving the required adequate attention through the other orientalists' works in comparison to the creative or knowledgeable ones. This paper drives at arriving at understanding the style through which the Western readership comprehends our modern Arabic literature by means of shedding light on the style that this orientalist uses in his book: «The Arabic Novel, a Historical and Critic Introduction» Then this paper would try to find out the general con-



يكشفان عن إلمام واضح بتاريخ الأدب العربي الطويل، ولا سيما الحديث منه، وعن معرفة بالأسماء المبدعة في الفن الروائي من مختلف الأقطار العربية. وبالنظر إلى المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها (روجر ألن) من خلال تفاعله مع المشهد الثقافي العربي المرتبط بالفن الروائي فقد انتدب إلى جانب تدريسه في الجامعة رئيس اللجنة تحكيم جائزة (بانيبال) للترجمة، وعضواً مشاركاً في لجنة تحكيم جائزة (العويس) الدولية، فضلاً عن رئاسته تحرير مجلة آداب الشرق المتوسط، وإعداده لأحد أجزاء تاريخ (كمبردج) للأدب العربي (٦).

وإيماناً منه بالقيمة الفنية العالية وبالجدارة الأدبية التي تحملها الرواية العربية، فقد نقل إلى الإنجليزية الكثير من القصص والروايات العربية، منها على سبيل المثال لا الحصر، رواية (خان الخليلي) لنجيب محفوظ ورواية (حكايتي شرح يطول)، كما ترجم رواية الأديب المغربي بن سالم حميش (مجنون الحكم) المستوحية لسيرة العلامة ابن خلدون، فضلاً عن ترجمته لبعض أعمال يوسف إدريس وجبرا إبراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف والكاتبة مي التلمساني، وسواهم من الأدباء العرب المعاصرين (٧).

وستحاول هذه الدراسة الموجزة من خلال مباحثها الثلاثة الوقوف على مفهوم (روجر ألن) لفن الرواية وتتبع منابع الرؤية المشكّلة لهذا المفهوم من خلال تحليل نصوصه، لا بوصفه ناقداً فحسب؛ وإنما بوصفه ناقداً ومستشرقاً في آن واحد، لا سيما وأن النقد الأدبي الروائي من منظور الاستشراق - كما يبدو لي - لم يتطرق إليه أحد من الباحثين العرب ضمن بحث علمي منشور.

كما ستسعى محاولتنا هذه إلى مقاربة المنهج النقدي الذي تحركت في إطاره اشتغالات هذا المستشرق حينما اختار نماذج معينة من الرواية العربية في كتابه هذا بغية تحديد الموقف الفكري الذي يضمه من خلال تفضيله هذه النماذج التي قاربها دون غيرها.

المبحث الأول

المستشرقون والسرد العربي الحديث، مدخل أولي:

بالرغم من الصعوبات الجمة التي تواجه الدارسين لوضع تعريف مانع جامع للرواية بوصفها فناً إبداعياً مستمراً في التطور وغير مكتمل الملامح وغير خاضع لضوابط وأعراف فنية نهائية (٨) فإن مصطلح الرواية المحيل على نوع من أنواع سرد القصص المشتغل على العديد من الأحداث والشخصيات

المتنوعة الانفعالات والمشارب والدوافع قد انتقل للدلالة على العمل القصصي بعد إن كان متعلقاً بعملية نقل الاخبار والأحداث والأسمار والقصص والحكايات (٩). إن للرواية - كما يرصد ذلك عبد الملك مرتاض - تعريفات لا تحصى (١٠)، لكنها تبقى في نهاية المطاف جنساً أدبياً راقياً، وشديد التعقيد، تتلاحم أجزاؤه وتتضافر لتكوّن شكلاً أدبياً عماده اللغة الأدبية والخيال الذي يسقي هذه اللغة مشدوداً بعنصر السرد وما يقتضيه من حبكة وحوادث وشخصيات تواجه مصائر متنوعة (١١).

وربما انسحبت إشكالية تحديد ماهية الرواية وصعوبة تعريفها كجنس أدبي على إشكالية أخرى متعلقة بالتاريخ الأدبي لها، إذ درج المهتمون على أن بداية التاريخ الفني لها عالمياً ينطلق مع رواية (دون كيشوت ١٦٠٥م) للكاتب الأسباني سرفانتس، وعربياً مع رواية (زينب ١٩١٤م) للكاتب المصري محمد حسين هيكل، بالرغم من وجود أشكال قصصية أخرى سابقة لهذين العاملين في الأدب العالمي والأدب العربي على حدّ سواء.

وهذا لا يعني أن ظهور الرواية العربية وبروزها مرتبط بصاحب رواية (زينب) وحده، بل هو ثمرة لعوامل عديدة: أدبية، وثقافية واجتماعية، ولتطور المجتمع العربي الحديث بعد الاحتكاك بأوروبا، ولظهور الطباعة وانتشار الصحافة ونشاط حركة الترجمة، فضلاً عن التطورات الاقتصادية الكبرى التي أسهمت بحدوث تحولات اجتماعية مهمة كان فن الرواية فيها من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على مواكبة الأحداث ورصدها والتعبير عنها.

ولما كان النقد الأدبي جزءاً من المشهد الثقافي، ينحط

بانحطاطه ويزدهر لازدهاره فقد صاحب الرواية العربية بعد ظهورها نقد جديد مختلف لم تعهده الثقافة العربية المتألّفة مع فن الشعر لقرون طويلة، والممتلكة لتراث عريق يجيد التعامل مع هذا الفن القريب من ذاقة العربي ومن نفسيته، وقد اختلفت مواقف النقاد العرب وطرق معالجتهم ومناهجهم في تناولهم لفن الرواية اختلافاً كبيراً (١٢).

أما عند المستشرقين فقد نالت الرواية العربية حظوة كبيرة من المهتمين منهم بالأدب العربي الحديث تجاوزت حظوة الشعر نفسه، وقد وجدت هذه الرواية طريقاً إلى ترجماتهم الكثيرة لنماذج مختلفة منها، وإن هذه الترجمات كانت (أقرب

إلى الدارسين الغربيين من ترجمة الشعر والمسرح، كما أنها

[الرواية] لا تعبر عن طبيعة البيئة العربية وحدها، بل تطرح

محفوظ بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨م فقد أغرى المستشرقين المهتمين بالسرد العربي بالدخول إلى عوالم نجيب محفوظ بغية اكتشافها وتحليل شخصياتها المتحركة في محيط شرقي إسلامي يكابد من أجل النهوض والحق بركب الحضارات الإنسانية الصاعدة.

ولذلك فقد بلغ عدد المقالات والدراسات التي كتبت عن محفوظ بعد حصوله على الجائزة في بريطانيا وحدها أكثر من ثلاثين مقالاً وبحثاً كتبها مستشرقون في الدوريات الإنجليزية فقط (١٨).

ولعل المستشرق الراهب (جاك دوميه) المهتم بالأبعاد السيكولوجية لشخصيات محفوظ الروائية من أقدم المستشرقين اهتماماً بأدب هذا الروائي المميز، إذ كتب كتاباً بعنوان (ثلاثية نجيب محفوظ) نقله إلى العربية بالعنوان نفسه الشاعر المصري نظمي لوقا (١٩)، ثم توالى البحوث والدراسات الاستشرقية الكثيرة عنه. وإذا كان محفوظ هو الاسم المميز في عالم الرواية العربية فإن يوسف إدريس هو الاسم المميز في عالم القصة العربية القصيرة، ولذا فقد حظي إبداعه القصصي بمتابعات المستشرقين وقراءاتهم الكثيرة، وكان من أهم هذه الدراسات دراسة (كربرشويك) الهولندي المنقولة للعربية (٢٠) أيضاً.

المبحث الثاني

مفهوم الرواية، والرواية العربية عند روجر ألن: للوصول إلى مفهوم الرواية عند روجر ألن لا بدّ من الوقوف على مفهومه لمصطلح (أدب) الذي تقصّي دلالاته في الموروث النقدي والأدبي العربي في كتابه (مقدمة للأدب العربي) (٢١) ابتداء من الجاهلية وعصر الإسلام مروراً بالعصور اللاحقة وانتهاء بالعصر الحديث دون أن يرجح تعريفاً محدداً لهذا المصطلح الذي اعترف بتحول دلالاته وتغيرها بحسب المحيط والتاريخ العربيين، وبارتباط مفهومه كتعبير راق، وبكل أنماطه وأجناسه الشعرية والنثرية بـ (اللغة الرفيعة ارتباطاً وثيقاً إلى حدّ استبعاد الأنماط الأخرى من الإبداع غير المتوافقة مع تلك المعايير) (٢٢).

وقد ظلّ (روجر ألن) يؤكد ضرورة اشتغال كل أدب إنساني على أمرين مهمين، هما الإنسانية والجدة التي تعني: (أن يكون العمل مبتكراً وأصيلاً، وأن يكون شكلاً لا يكرر ما يردده معظم الناس إما بحكم الحاجة أو الاضطرار) (٢٣). كما اشترط في مواضع كثيرة من كتابه أن يكون العمل الأدبي

قضية الإنسان بشكل عام، وهي تخلو من تعقيدات الشعر، وتهويمات المسرح، وتكشف عن خصائص الأديب والمجتمع معا (١٣).

وبهذا الصدد فإن الاستشراق، وإن اتهم بتركيز اهتمامه على تاريخ الشعوب الشرقية في الماضي البعيد، وبإهمال تطور هذه الشعوب في العصور الحديثة والسكريات عن نهضتها القومية باقتصاره على دراسة الجوانب البالية والميتة من الحضارات الشرقية (١٤)؛ فإن الباحث لا يعدم وجود اهتمام واضح بشؤون الحياة الثقافية والأدبية المعاصرة عند العرب، وبفن الرواية خصوصاً، وقد ابتدأت ريادة هذا الاهتمام مع (أجانيوس كراشكوفسكي) الروسي، ثم تابعته تلميذته (كلثوم عودة فاسيليفيا) التي نشرت المنتخبات لدراسة الآداب العربية منذ سنة ١٨٨٠م - ١٩٢٥م، متناولة أدب جرجي زيدان وأمين الريحاني وجبران خليل، ثم لحقتها بدراساتها عن توفيق الحكيم والمازني وذي النون أيوب والشرقاوي ويوسف إدريس وغيرهم (١٥).

ومما يؤكد هذا الاهتمام لاحقاً هو كثرة الرسائل والأطاريح المسجلة في الأكاديميات الغربية عن فنون العرب السردية الحديثة، ومن هذه الدراسات مثلاً: أطروحة المستشرق الفرنسي (شارل فيال) بعنوان: الاتجاهات الاجتماعية في القصة العربية المعاصرة، في عام ١٩٥٧م، ورسالة المستشرق الأسباني (فرناندو أويدا) بعنوان: الأقصوصة المعاصرة في المغرب عام ١٩٦٩م، ورسالة المستشرقة الأسبانية (ماريا توماس كلارا) عن الرواية النسائية المعاصرة في سوريا (١٦).

ومع مطلع السبعينيات من القرن الماضي شهد حقل الرواية العربية إقبالاً واضحاً من المستشرقين الفرنسيين، إذ كتب (شارل فيال) مجموعة كتب عن الرواية العربية منها كتابه: المرأة في أدب نجيب محفوظ عام ١٩٧٢م، وكتاب عن أدب يحيى حقي القصصي، وثالث بعنوان: القاهرة في نظر الروائيين العرب عام ١٩٧٣م، كما كتب المستشرق الفرنسي (مونيه) عن الأدب القصصي لمحمد عبد الحليم عام ١٩٧٤م، في حين اختارت المستشرقة الفرنسية (ندا توميش) في العام ١٩٧٥م أن تؤرخ للقصة المصرية بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧م، وأن تكتب في العام ١٩٧٦م عن ريادة القصة المصرية وبواكيرها الأولى (١٧).

أما التطور الكبير الذي حققته الرواية العربية خلال العقدين الأخيرين من القرن نفسه، لا سيما بعد فوز نجيب

الجذر الملحمي وباشتمالها على عدة أجناس تعبيرية، واحتوائها على تداخل لغات وأصوات متعددة، ومن هؤلاء النقاد (ميخائيل باختين) على سبيل المثال (٢٨). وعلى مدى قرنين من الزمان يمسح (روجر ألن) بشكل موجز الظروف المحيطة بعصر النهضة في مختلف الأقطار العربية راصداً هذا الفن الجديد في الأدب العربي منذ بداياته الأولى في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر على يد الكاتب اللبناني (بطرس البستاني ١٨١٩-١٨٨٣) حتى بلوغه الخطوة الفنية الأولى أوائل القرن العشرين على يدي محمد حسين هيكل في روايته (زينب ١٩١٣م) ثم بلوغه قمة النضج الفني منتصف القرن العشرين في مصر التي يعدها نقطة جغرافية مركزية في نشأة الرواية العربية واكتمالها جنساً أدبياً من الناحية الفنية (٢٩). ويحاول هذا المستشرق الإنجليزي في رصده لهذا المدى الزمني الطويل نسبياً التوقف عند أهم العلامات الفارقة في تاريخ الرواية العربية دون أن يقع في الانتقاء المخل الذي كان يحذر (٣٠) أثناء عرضه لمسيرة الرواية العربية الممتدة لما يقرب القرنين من الزمان بين إرهابتها الأولى وسني نضجها، الأمر الذي لم يمنعه من الوقوع في الخلط - أحياناً - عندما تحدث بإسهاب عن الرواية بوصفها جنساً أدبياً قائماً بذاته، ويتضح ذلك جلياً من خلال ضربه الأمثلة التوضيحية لهذا الحديث عبر تناوله الأجناس الأخرى القريبة من فن الرواية، كفني القصة القصيرة (٣١)، والسيرة الذاتية مثلاً (٣٢)، وهما جنسان مختلفان عن فن الرواية تقنياً وتعبيرياً وعلاقة بالواقع وطريقة تخيله فنياً.

أما مراحل تطور الرواية العربية الحديثة في هذا المدى الزمني الطويل فيحصرها (روجر ألن) بثلاث مراحل أساسية في مسيرة الرواية العربية الحديثة، هي كالآتي: مرحلة البدايات الأولى المرتبطة بالنهضة العربية الحديثة وبتطور تقاليد النثر الأدبي فيها، ومن ثم مرحلة المحاولات القصصية المبكرة في مرحلة ما بين الحربين العالميتين، وأخيراً مرحلة نضج الرواية العربية التي يحددها بين العام ١٩٣٩م وحتى تاريخ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل للآداب عن ثلاثيته المشهورة سنة ١٩٨٨م.

وقد اتكأ هذا الناقد الغربي على عدد من الدارسين العرب والغربيين في التأصيل التاريخي للرواية العربية في مراحلها الثلاث، وقد تعددت إحالات هوامشه على المصادر العربية والغربية؛ وإن كانت نسبة الغلبة فيها

غير مكرور ولا مبتذل وأن يكون متعلقاً بهوم الإنسان الفرد ومعبراً عن هموم الجماعة التي ينتمي إليها هذا الفرد (٢٤). وعلى الرغم من إقرار (روجر ألن) بصعوبة تحديد مفهوم ثابت ونهائي لفن الرواية، واصفاً إياها بأنها : (غط أدبي دائم التحول والتبدل، يتسم بالقلق بحيث لا يستقر على حال)؛ فهو لا ينفي صلتها العميقة بالحياة واتصالها الوثيق بكيونة الإنسان، وقدرتها على اجتذاب أماط متنوعة ومختلفة من القراء الذين وجدوا خلال المائتي السنة الماضيتين ضالهم في هذا الشكل الأدبي القادر على إحداث لون من التطابق المفترض بين الحياة والفن (٢٥).

إن الرواية بتصور هذا الناقد المستشرق من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على تصوير ذات الكاتب المبدع والواقع الذي تحيا ضمنه، وهي بوصفها جنساً أدبياً قادرة على تشخيص كينونتها بطرق مختلفة؛ فهي ليست مجرد حكاية تقوم على سرد مجموعة متتالية من الأحداث المترابطة أو غير المترابطة، بل فن يمتلك تنوعاً غنياً من الإمكانيات السردية الجامعة بين المواضيع التربوية ومواضيع التأمل الشخصي والخيال الجامح، فضلاً عن جمعها بين ما هو اجتماعي ونفسي وفلسفي (٢٦)، ولذلك يضيف (روجر ألن) على هذا الفن أهمية كبيرة مراهنًا على قدرته في تحريك جوامد المجتمع العربي، وفي إحداث التغيير الثقافي اللازم والمواكب للعصر إذا ما أخذت مكانها ودورها المناسبين ضمن بنية الثقافة العربية بشكل صحيح.

وإذا كان هذا المستشرق يذهب إلى محاكاة الرواية العربية لأختها الغربية وتأثرها بمساراتها واقتباسها منها بعض الأساليب والتقنيات السردية التي سبقت إليها الرواية الغربية بفعل الظروف والعوامل الاجتماعية والثقافية؛ فإننا نجد له محاولات واجتهادات نقدية واضحة في أن يتلمس لها جذوراً في الموروث العربي الحكائي الذي يشمل (النوادر، والصور القلمية الموجزة، والحكايات ذات المغزى الأخلاقي، وقصص الهروب العجيبة، والأمط المشابهة، وقد جمعت هذه الأعمال في مجلدات تحت عناوين كثيرة التنوع بهدف توفير المتعة للفتات التي تستطيع القراءة، خاصة أصحاب السلطة (٢٧).

أما في محاولته التوفيق بين الحضارة الغربية أي الحضارة المنتجة للرواية والحضارة العربية صانعة ألف ليلة وليلة والملاحم الشعبية والأسمار؛ فرمها يلتقي (روجر ألن) مع النقاد الذين قالوا باحتواء الرواية على

المطولة (مدن الملح) (٣٨).

و- العلاقة بين الريف والمدينة، وهي موضوعة أو ثيمة ليست جديدة على الرواية العربية، فقد رسم لها الروائي العراقي ذو النون أيوب صورا نابضة بالحياة عام ١٩٤٨م في روايته (اليد والأرض والماء) وتابعه في مصر عبد الرحمن الشرقاوي في روايته المشهورة (الأرض) ومواطنه يوسف إدريس في رواية (الحرام) ثم تلاهم يوسف القعيد في روايته (عزبة المنيسي) وصنع الله إبراهيم في روايته (نجمة أغسطس)، وغيرهم (٣٩). ز- المرأة ودورها الاجتماعي، إذ تعكس عنوانات الروايات العربية الأولى-بحسب روجر ألن- كرواية (ذات الخدر) و(زينب) و(ثرثيا) و(سارة) و(حواء) اهتمام الكتاب والمثقفين العرب بالمرأة (٤٠) التي لا يمكن لها أن تغير من منزلتها ووضعها الاجتماعي إلا من خلال التعليم والتوق للحرية والمساواة، وهو ما تجسده رواية (أنا أحياء) التي كتبتها الروائية اللبنانية (ليلى بعلبكي) عام ١٩٥٨م (٤١).

ح- الفرد والحرية، وهو ما تعكسه مجموعة الروايات التي جعلت من موضوعة السجن مادة لمقارعة القمع السياسي في البلاد العربية كروايات (السجن ١٩٧٢) لنبيل سليمان، ورواية (الوشم ١٩٧٢) لعبد الرحمن مجيد الربيعي ورواية (شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف ورواية (تلك الرائحة) لصنع الله إبراهيم، وغير ذلك من الروايات العربية التي أخذت على عاتقها تصوير صراع الفرد العربي في مقاومته للاضطهاد السياسي وتوقه للحرية التي يفتقدها في وطنه فيكافح من أجلها دافعا للأثمان الباهضة لذلك (٤٢).

المبحث الثالث

الاشتغال النقدي عند روجر ألن، من المفهوم إلى الإجراء إذا كان الجانب النظري من النقد الأدبي مهتماً بالبحث في ماهية الأدب ووظيفته وتصوراته ومفاهيمه العامة؛ فإن الجانب التطبيقي سينصب حول تساؤلات الناقد عن مقومات العمل الأدبي، وطريقة الكاتب (الأديب) في تصوير هذه المقومات وتجسيدها فنياً وبيان مدى نجاحه أو إخفاقه في ذلك.

وبما أن (روجر ألن) اختار الرواية العربية ميداناً لاشتغاله النقدي، فهو يقرّ بعد استعراضه السريع لوضع الكتابة الروائية العربية بقصور هذا الاستعراض عن الإحاطة بكل الأعمال المهمة والمرموقة (٤٣) معلناً عن انتقائه نماذج روائية محددة بغية الانتقال برؤيته النقدية الخاصة (من داخل النص إلى الميدان العام لبحث وضع كل من الكاتب والقارئ، وكذلك

تشير إلى المصادر العربية الحديثة المتعلقة بالجنس الروائي على حساب المصادر الأخرى مجتمعة (٣٣).

وبعد أن ينتهي (روجر ألن) من التأريخ المناسب الذي يرتتبه للرواية العربية يفتح باباً في كتابه جديداً للحديث عن الموضوعات الأثرية للرواية العربية في مرحلة نضجها واكتمالها، بحيث تحولت الرواية العربية مع هذه الموضوعات إلى جنس أدبي مستقر قادر على النهوض بوظيفته الاجتماعية والأخلاقية والفنية والثقافية على حدّ سواء، وتتلخص هذه الموضوعات بالآتي:

أ- الصراع والمواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي الغاصب، لا سيما باشتغالات الروائيين الفلسطينيين الذين لقوا الحيف والمعاناة المباشرة من الاحتلال فترة طفولتهم الباكّة، كحسان كنفاني في روايته (رجال في الشمس)، وجبرا إبراهيم جبرا في (السفينة) و إميل حبيبي في (سداسية الأيام الستة) و سحر خليفة في روايتها (لم نعد جوارى لكم) وغيرهم من الروائيين الذين أدركوا حجم الفاجعة الفلسطينية (٣٤).

ب- الثورة والاستقلال والتحرر، وهو ما تجسده بكل صدق فني روايات العديد من الروائيين العرب، كنجيب محفوظ في ثلاثيته، والمغربي عبد الكريم غلاب في (دفنا للماضي) والجزائري الطاهر وطار في روايته (اللز)، والعراقي غائب طعمة فرمان في (خمسة أصوات)، واللبناني توفيق يوسف عواد في (الرغيف)، والسوري حنا مينا في (الشرع والعاصفة) وغيرهم (٣٥).

ج- الحرب الأهلية اللبنانية سبعينيات القرن الماضي، كما صورت رعبها ووحشتها ولا معقوليتها -بالخصوص- أعمال كلّ من: الروائي اللبناني توفيق يوسف عواد في رواية (طواحين بيروت) والكاتبة السورية غادة السمان في (كوابيس بيروت) وإلياس خوري في (الجبل الصغير) وغيرهم من الروائيين العرب واللبنانيين (٣٦).

د- إشكالية العلاقة مع الغرب، ولا سيّما في المرحلة التي تلت مرحلة التحرر من نير الاستعمار، وكما جسد ذلك كتاب عرب مختلفون، منهم: اللبناني يوسف إدريس في (الحي اللاتيني) والسوداني الطيب صالح في (موسم الهجرة إلى الشمال) والمغربي محمد زفزاف في (المرأة والوردة) وغيرهم (٣٧).

هـ- التحولات الاجتماعية الكبرى بعد استثمار النفط، كما تعكس ذلك روايات الروائي السعودي الأصل عبد الرحمن منيف كـ(النهايات) و(سباق المسافات الطويلة) ثم خماسيته



النص الروائي نفسه(٤٤)، ولذلك فهو يختار اثنتي عشرة رواية كنماذج للتحليل الكاشف عن قناعة مختمرة وعن رؤية مسبقة مفادها: إن الرواية تمثل النمط الأدبي الأكثر قدرة على الكشف عن تعقيدات الحياة في مجتمع ما وعن مناحي التنوع والتناقض فينا كبشر، فضلاً عن أن هذه الروايات المختارة كلها منشورة بعد حرب حزيران ١٩٦٧م التي أثارت جدلاً كبيراً وتفكيراً في الطريقة العقيمة التي يحيا فيها المجتمع العربي(٤٥). أما الروايات العربية التي أثارت الفضول النقدي عند (ألن) فكانت كالآتي:

١-ثرثرة فوق النيل لنجيب محفوظ، الذي جمع فيها هذا الروائي عدداً من الشخصيات المثقفة تجمعهم عوامة راسية في النيل، يلتقون فيها مساء كل يوم، وقد انقطعت صلتهم بالواقع من حولهم، فانصرفوا إلى ملذاتهم، وافتقدوا القدرة على المشاركة العملية في المجتمع، وقد وجد (ألن) هذه الرواية من أغنى روايات محفوظ رمزية(٤٦)، وما العوامة فيها إلا (وسيلة للانعزال عن عالم المدينة وعن المجتمع ومشكلاته، وسبيلا للابتعاد عن الغربة التي تفرضها طبيعة الحياة الحديثة)(٤٧). ويتضح اقتراب (روجر ألن) في تعليقاته النقدية حول هذه الرواية من تصورات المنهج الاجتماعي التي فسّرت علاقة الفن بالواقع انطلاقاً من أن الفنون والآداب ما هي إلا انعكاس لواقع الحياة وتطورها.

٢-ما تبقى لكم، لغسان كنفاني، وهي: رواية تتناول معاناة أسرة فلسطينية نازحة بسبب الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٤٨م، ثم تأخذ أحداثها بمتابعة تشتت الأسرة ممثلة بشخصية (حامد) وأخته (مريم) اللذين يكابدان أصناف المعاناة والعذاب بسبب تبدل طريقة حياتهما بعد هذا النزوح المرير.

ويجد (ألن) في شخصية مريم التي أجبرت على الزواج من الشخص الخائن (زكريا)صاحب الأولاد الخمسة الذي استغل براءتها وأنوثتها تجسيدا لخيانة قضية فلسطين من الداخل(٤٨)، وينتهي إلى أن الكتابات القصصية لكنفاني الملتزم بقضيته الكبرى (لا تكثرث بالواقعية المضخمة التي تميزها، بل يمكننا القول أنها تشوه أعمال الآخرين ممن كتبوا عن القضية الفلسطينية دون أن تكون لديهم ملكات كنفاني الفنية)(٤٩)

٣- عودة الطائر إلى البحر، لحليم بركات المكتوبة بتأثير هزيمة حزيران التي أذلت العرب سياسياً، وهزت ضمائر كتابهم

أدبياً عبر تغيير أشكال الكتابة لتشتمل على مظاهر مأساوية الواقع وتشظياته، وقد تجسدت أبعاد هذه المأساوية من خلال الشخصية الروائية التي يمثلها في هذه الرواية البطل (رمزي الصفدي) الأستاذ الجامعي المشتت والمهزوم والمعبر عن وعي الطبقة المثقفة العربية، وتلجأ هذه الرواية إلى أسطورة الهولندي الطائر* وتتخذ منها أنموذجها الأمثل لربط المأساة بالمأساة، بحيث يصبح الهولندي الطائر رمزاً للعذاب الفلسطيني المستمر، وتصبح البلاد العربية كسفينة تائهة دون دفة في محيط هائج(٥٠).

٤-موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، وهي رواية تتحدث عن التقاء الغرب والشرق وتناقضهما، واختلال التوازن بينهما بسبب سوء التفاهم الناجم عن تصادم القيم الثقافية لكل منهما، وذلك من خلال رحلة شخص قروي شديد الفطنة (مصطفى سعيد)الذي ينتقل من قرية سودانية منعزلة لأغراض الدراسة إلى (لندن) المدينة الغربية الحديثة شكلاً ومضموناً، وبعد هذه الرحلة المفعمّة بالاكشاف وبالعلاقات النسائية المتعددة الدوافع يعود البطل (مصطفى سعيد) ليتزوج من امرأة (حسنة) تنتمي إلى قريته ويشعر -كما ينقل لنا الراوي الذي يتابع هذه الأحداث بطرق مختلفة- أنها الوحيدة التي أحبها بصدق، وحين يموت البطل يكتشف الراوي الذي اطلع القارئ على أسرار الشخصية وغوامض رحلته البعيدة وعلاقاته المتعددة إن حياة مصطفى سعيد ما هي إلا (رمز كامل لشعوره بالغربة داخل وطنه الأصلي، والذي سعى دائماً لتأكيد هويته في فترة غربته أثناء وجوده في لندن)(٥١).

٥- أيام الإنسان السبعة لعبد الحكيم قاسم المبنية حول حياة(عبد العزيز) الذي تتخذ الرواية محورا لما يحيط به من أمور وأحداث يتحرك فيها ضمن عائلة قروية تنتمي إلى مجموعة صوفية (دراويش) داخل قرية من قرى الريف المصري فتتبع مراحل حياة هذا البطل في تنقله من عالم الطفولة إلى عالم المراهقة والرجولة ثم اكتمال الشباب وما يصاحبه من تبدل بالوعي نتيجة الاطلاع والدراسة والاكتشاف.

وبحسب (ألن) فإن هذه الرواية تكشف من خلال أسلوب الاسترجاع (تقنية الفلاش باك) عن نفور (عبد العزيز) من تقاليد المجموعة الصوفية التي ينتمي إليها بتأثير الوعي والدراسة الجامعية في الإسكندرية، وعليه فيمكن (رؤية الرواية على أنها نظرة من الداخل لعملية

الواحدة حين يبدأ بطل الرواية بسرقة بيت أحد ضباط الشرطة، ومن خلال هذا الموقف يدور حوار داخلي بين البطل وذاته، وقد استبطن هذا الحوار استرجاعات متتالية لمواقف مختلفة من حياة البطل المتخذ من الحبل الذي يحمل عنوان الرواية وسيلة الوصول إلى البيوت لسرقته، ثم يختتم هذا الروائي رباعيته برواية (الضفاف الأخرى) محاولاً متابعة ملامح الشخصيات وخيوطها الرئيسة التي رسمها في رواياته الثلاث السابقة بهدف متابعة خط قصصي متوأم معها جميعاً (٥٧)، غير أن صاحب الرباعية -بحسب روجر ألن- ظلّ دون مستوى النجاح في إنتاج تجربة مركزة، كما أن كل رواية من رواياته الأربعة تمتعت بوجود مستقل عن بقية أخواتها من الروايات المندرجة ضمن هذه الرباعية التي من الممكن أن تقرأ متصلة ومنفصلة عن بعضها (٥٨).

٨- الزيني بركات لجمال الغيطاني، التي ترصد حالة مصر إبان السلطة المملوكية من ٩١٢ هـ إلى ٩٢٣ هـ، وهي فترة تعيين الزيني بركات محتسباً ذا سلطات رسمية هائلة، كما تبين صراع الأمراء المماليك فيما بينهم حول السلطة و تجسس البعض منهم على الرعية و السلطان لصالح الأتراك وما رافق ذلك من قمع واستبداد وعنف سياسي. غير أن هذه الرواية ذات التكنيك السردى المتنوع -وإن استلهمت التاريخ في تقنياتها السردية- فقد ظلت مليئة بالمفاتيح والدلائل التي تستهدف الحاضر الذي يحياه الكاتب (٥٩). وبالرغم من وجود تشابه واضح بين عهد الزيني بركات المليء بالبصاين (الجواسيس) والمتنفعين السياسيين وعصر الرئيس المصري (جمال عبد الناصر ت ١٩٧٠م) فروجر ألن يرفض أن تصنّف هذه الرواية على أنها مجرد انعكاس للحظة تاريخية معينة ومحدودة، مؤكداً في الوقت نفسه -مساهمتها الواضحة في تطوير أساليب السرد في الرواية العربية الحديثة (٦٠).

٩- الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل لأميل حبيبي، وهي عبارة عن ثلاث رسائل أرسلها (سعيد أبو النحس المتشائل) إلى الراوي بعد أن اختفى سعيد مع رجل الفضاء، ويعرض في هذه الرسائل ما يتعلق بتاريخه العائلي ومقتطفات من حياته بصورة تبعث على السخرية والضحك من الطريقة التي يحيا فيها عرب إسرائيل بعد حدوث النكبة عام ١٩٤٨م. ويجد (روجر ألن) هذا العمل الروائي مكرساً للتجربة الفلسطينية بكل أبعادها المأساوية (٦١)، ثم يخلص إلى أن إميل حبيبي من خلاله رسالته في هذا العمل قد

تغير طويلة وصعبة في كثير من الأحيان، وكواجهة بين المفاهيم الشعبوية للدين والخرافات السائدة ضمن تركيبة القرية من جهة وبين سمات العالم المتغير في الخارج كما تتجلى في حياة المدينة والتعليم المعاصر من جهة أخرى (٥٢).

٦- السفينة لجبرا إبراهيم جبرا، رواية تدور أحداثها المتقاطعة والمتداخلة من خلال حديث مجموعة من المثقفين الذين يعانون من تناقضات الواقع المحيط بهم، وهم على ظهر سفينة منطلقاً من بيروت إلى أحد الموانئ الأوروبية، ووجد (ألن) في سفينة جبرا براعة في طريقة السرد وتوظيفاً موفقاً للرموز، فالسفينة عالم مصغر تتبادل فيه مجموعة من المثقفين الأفكار المتعلقة بوجودهم وبنمط معيشتهم، أما البحر فما هو سوى الأفق المفتوح لأصحاب هذه الأفكار وهم يتوقون إلى الحرية وإلى المطلق (٥٣).

٧- رباعية إسماعيل فهد إسماعيل، وهي عبارة عن أربع روايات متسلسلة نشرت بداية السبعينيات من القرن الماضي بالتتابع، وكالآتي: (كانت السماء زرقاء) (المستنقعات الضوئية) (الحبل) (الضفاف الأخرى) وقد اتخذت من القمع السياسي وما رافقه من حرمان واضطهاد واعتقال ونفي سياسي طال مجموعة من المثقفين العراقيين مطلع الستينيات من القرن المنصرم (٥٤)، وتدور أحداث الرواية الأولى حول هروب شخصيتي البطل والضابط الذي أقعدته إصابته بسبب الثورة الحاصلة في البلد و منعتة عن مواصلة الحركة، وكلاهما ينشد الهرب خلاصاً من ماض مؤلم فيلتقيان لتدور أحداث الرواية من خلال حواراتهما واسترجاعاتهما كلٌ لماضيه، أما رواية (المستنقعات الضوئية) فيشير عنوانها إلى زنانات السجن التي تتسلل إليها خيوط الشمس بين حين وآخر لتنير جوها الكابي النت، وبطل الرواية (حميدة) سجين محكوم عليه بالمؤبد لأنه دافع عن فتاة تعرضت للقتل على يد أخويها في شارع عام (٥٥)، في حين لا يحمل بطل رواية (الحبل) اسماً بالرغم من ميوله اليسارية الواضحة، وهو سجين سياسي أيضاً يفقد وظيفته الحكومية عقاباً له فيضطر لدخول الكويت للعمل، وبعد اكتشاف السلطات الكويتية عدم حيازته لجواز سفر رسمي تقوم بطرده للحدود، وهناك يصادر كل ما عنده من أموال ادخرها لأولاده، فينتهي به المطاف ليكون لصاً لا يسرق إلا رجال الشرطة! (٥٦)، ويضيف إسماعيل فهد عام ١٩٧٢ إلى رباعيته روايته الثالثة (الحبل) ذات الشخصية الرئيسة

يعاينه بهذه الطريقة المذهلة (٦٩). ويبدو لنا ونحن ننهي هذا العرض الموجز للنصوص الروائية التي حللها (روجر ألن) أنه قد اعتمد منهجا وصفيًا انتقائيًا حاول من خلاله البحث عن محاور التقاطع والالتقاء بين مضامين النصوص الروائية التي حللها والأفكار التي تشغل المثقفين العرب والثقافة العربية، ولا سيما في الفترة التي تلت نكسة حزيران ١٩٦٧م. وقد ظل المستشرق (روجر ألن) في كل النماذج التي اختارها ناقدا مضمونيا يتصيد الرؤى الاجتماعية دون أن يتغلغل في جماليات أشكال هذه المضامين، مما يدل على أنه لا يرى في الأدب إلا انعكاسا مرآويا للواقع الذي أنتجه، وإن هذا الأدب لا يحتمل مبدأ الاستقلال الضمني عن المجتمع الذي أفرزه أو حتى عن المبدع الذي أبدعه، ومع هذا يبقى كتابه على قدر من الأهمية لأنه ينه القارئ العربي على نوعية الرواية العربية الأكثر إثارة للقارئ الغربي الحصيف والأكاديمي على وجه الخصوص.

الخاتمة

لم تكن الدراسات الاستشرافية لتعني بالأنواع والنماذج الأدبية العربية الحديثة أسوة بالأدب الكلاسيكي، لكثرة هذه النماذج، وصعوبتها أولاً، ولقلة البحوث المكتوبة عنها في الأكاديميات الغربية، قياساً بالبحوث والدراسات الأخرى المكتوبة في المجالات الفكرية والتاريخية والدينية التي شغلت الاستشراق قديماً وحديثاً، وحركت دوافعه العديدة، وهذا لا يعني انعدام مثل تلك الدراسات بالمرة.

- وقد كان المستشرق البريطاني المعاصر (روجر ألن، المولود عام ١٩٤٢م) واحداً من المستشرقين الذين عكفوا على الرواية العربية ترجمة وتحليلاً من خلال بحوثه ودراساته التي كان أبرزها كتابه (الرواية العربية، مقدمة تاريخية ونقدية) الذي تعامل مع فن الرواية على أنها من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على تصوير ذات الكاتب المبدع، والواقع الذي تحيا ضمنه هذه الذات.

- وقد وُزِعَ (ألن) التطور الفني للرواية العربية بين ثلاث مراحل رئيسية، هي: مرحلة البدايات الأولى المرتبطة بالنهضة العربية الحديثة وتطور تقاليد النثر الأدبي فيها، ومرحلة المحاولات القصصية المبكرة في فترة ما بين الحربين العالميتين، وأخيراً مرحلة نضج الرواية العربية التي يحددها بين العام ١٩٣٩م، وحتى تاريخ حصول (نجيب محفوظ) على جائزة نوبل للأدب عن ثلاثيته المشهورة سنة ١٩٨٨م.

عبر تعبيراً أدبياً أخذاً عن حاجة عرب (إسرائيل) لما ينقل للآخرين إحساسهم بكيونوتهم الخاصة، وبوجودهم المأساوي كأعضاء في مجتمع منقسم على نفسه (٦٢).

١٠- النهايات لعبد الرحمن منيف، وهي رواية تتخذ من الصحراء موضوعاً لها بخلاف الروايات العربية التي غالباً ما يكون موضوعها المدن وسكانها المنتمون للطبقة البرجوازية (٦٣)، ومسرح الرواية قرية (طيبة) الواقعة على تخوم الصحراء حيث الصعوبات الجمة التي يواجهها سكان هذه القرية المهتدة بالرمال الزاحفة وبالحرارة اللاهبة وشحة المياه على مدار العام، مما يجعل منها رواية تركز على جماعة لا على بطل فرد مع وجود شخصية رئيسة (عساف) المحب للطبيعة والرافض لصيد الحيوانات والطيور البرية بشدة، كما أنها رواية تركز على البيئة أكثر من تركيزها على الأحداث (٦٤).

١١- حكاية زهرة لحنان الشيخ، إذ ترتبط هذه الرواية بفترة تاريخية معروفة من حياة الشعب اللبناني هي فترة الحرب الأهلية ودخول إسرائيل إلى الميدان اللبناني وعبثها بنسيجه الاجتماعي بداية الثمانينيات من القرن الماضي، كما تعالج الرواية ضمن إطارها السرد المتشعب وضع المرأة متخذة من سلوك (زهرة) الفتاة المنحدرة من جنوب لبنان والمجسدة لتحطم الأسرة اللبنانية وتفكك أواصرها أثناء الحرب والتهجير القسري بسببها (٦٥)، ولعل هذه الرواية تظل مليئة بالرموز ابتداء من عنوانها مروراً بتوزيع جسد (زهرة) بين أربعة رجال، ابن عمها قاسم، ومالك صديق شقيقها، وهاشم خالها، وماجد زوجها، وانتهاء بتشتت الأمكنة التي تحلها زهرة في رحلة بحثها عن مكان آمن تركز إليه بعيداً عن ويلات الحروب وآلامها (٦٦).

١٢- نزيف الحجر لإبراهيم الكوني، التي تتحدث عن علاقة بين الشخصية المحورية (أسوف) وحيوان الودان الصحراوي (تيس جبلي) يحيطه الغموض والغربة ويسبغ عليه من يروي أحداث الرواية صفات إنسانية (٦٧) تؤكد وحدة وتكامل مخلوقات الطبيعة الصحراوية، وهو ما تحاول الرواية أن تنقله للقارئ (٦٨)، ولا يكون لها ذلك إلا عبر رؤية فريدة يوظفها (الكوني) ابن البيئة من خلال تركيزه على غرائبية المكان وأسطورية مكوناته وشخصه، ومن خلال الاستعانة بأسلوب سردي ينوع ألوان الحكى، ممّا يجعل القارئ متوثباً على الدوام- ومستفزاً حينما يجري تغريب الواقع الذي

-انتقى (هذا الناقد المستشرق) اثنتي عشرة رواية كنماذج للتحليل الكاشف عن قناعة نقدية مفادها: إن الرواية تمثّل النمط الأدبي الأكثر قدرة على الكشف عن تعقيدات الحياة في مجتمع ما، وعن مناحي التنوع والتناقض فينا كبشر، فضلاً عن أن هذه الروايات المختارة كلها منشورة بعد حرب حزيران ١٩٦٧م التي أثارت جدلاً كبيراً وتفكيراً في الطريقة العقيمة التي يحيا فيها المجتمع العربي المعاصر، دون أن يلتزم (ألن) بعرض نماذج الرواية العربية على وفق المراحل التي تطورت عبرها -بحسب ما ذهب إليه- مكتفياً بدراسة نماذج تمثّل المرحلة الأخيرة للتطور الفني الذي رصده في دراسته، وكان في كل نماذجه التي حللها ناقداً مضمونياً يتصيّد الرؤى الاجتماعية دون أن يتغلغل في جماليات أشكال هذه المضامين، مما يدل على أنه لا يرى في الأدب إلا انعكاساً مرآوياً للواقع الذي أنتجه، وإن هذا الأدب لا يحتمل مبدأ الاستقلال الضمني عن المجتمع الذي أفرزه أو حتى عن المبدع الذي أبدعه.

- ومع هذا يبقى موقفه النقدي وتحليلاته وآراؤه على قدر من الأهمية؛ لأنه ينبّه القارئ العربي على نوعية الرواية العربية الأكثر إثارة للقارئ الغربي الحصيف والأكاديمي منه على وجه الخصوص.

الهوامش

- (١) ينظر، نجيب العقيلي: المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط ٤، ١٩٨٠م، ج ٢ / ٦١
- (٢) للوقوف على الأسباب العديدة لعزوف الاستشراق عن دراسة الأدب العربي الحديث، ينظر مثلاً، أحمد سمائلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. (القاهرة، بدون تاريخ) ص ٤٩٢ وما بعدها.
- (٣) ينظر، روجر ألن: لا أترجم لأديب لا أعرفه شخصياً، حوار أجرته معه مجلة البيان الإماراتية بتاريخ ٢٩ يونيو ٢٠٠٨ علما رابط <https://www.albayan.ae/paths/books/2008-06-29-1.652368>
- (٤) ينظر، د. وائل علي السيد: المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبية العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م، ص ١٨٣.
- (٥) ينظر، روجر ألن: الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٧م (د ط)، ص ١٣.
- (٦) ينظر، روجر ألن: مقدمة للأدب العربي، ترجمة: رمضان بسطاوي، مجدي أحمد توفيق، فاطمة قنديل، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٣٩٣
- (٧) ينظر، روجر ألن: لا أترجم لأديب لا أعرفه شخصياً، مصدر سابق
- (٨) ينظر، محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي

- للنشر، تونس ط ١، ٢٠١٠، ص ٢٠١
- (٩) ينظر، عدنان بن ذريل: مصطلح الرواية وتطور مفهومها العربي، مجلة الآداب البيروتية، آذار، ١٩٦٣م
- (١٠) ينظر : عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، الكويت، ١٩٩٨م، ص ١١ وما بعدها
- (١١) ينظر، نفسه، ص ٣٠.
- (١٢) للوقوف على ذلك ينظر مثلاً: د. أحمد إبراهيم الهواري نقد الرواية العربية في الأدب العربي الحديث في مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د. ط ١، ٢٠٠٣، ص ١٠٧ وما بعدها، وينظر أيضاً، محمد سويرتي: النقد النبوي والنص الروائي، نماذج تحليلية من النقد العربي، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط ٢، ١٩٩٤م، ص ٢١ وما بعدها.
- (١٣) د. وائل علي السيد: المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبية العربية، مصدر سابق، ص ١٨٦.
- (١٤) ينظر، عبد الله العروي: الأيديولوجية العربية المعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، د. ط ١، ١٩٧٠م، ص ٢٤٠.
- (١٥) ينظر: أحمد سمائلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط ١، ١٩٩٨م، ص ٥١١.
- (١٦) ينظر، العقيلي: المستشرقون، مصدر سابق، ج ١/ ص ٣٧.
- (١٧) د. وائل علي السيد: المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبية العربية، مصدر سابق، ص ١٨٧.
- (١٨) المصدر نفسه، ص ١٨٨.
- (١٩) ينظر، جاك جوميه: ثلاثة نجيب محفوظ، ترجمة: نظمي لوقا، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٤م.
- (٢٠) ب.م كبرشويك: الإبداع القصصي عند يوسف ادريس، ترجمة: رفعت سلام، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م
- (٢١) ينظر، روجر ألن : مقدمة للأدب العربي، مصدر سابق، ص ٢٢ وما بعدها.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٣.
- (٢٣) ينظر، مثلاً روجر ألن: الرواية العربية ، مصدر سابق، ص ١٨-١٩ والرأي لإدوارد سعيد كما ينقل ألن في الهامش رقم (٦) من ص ١٩.
- (٢٤) ينظر، مثلاً روجر ألن: الرواية العربية ، مصدر سابق، ص ١٨، ص ٢٠، ص ٢٢، ص ٢٨
- (٢٥) ينظر، روجر ألن: الرواية العربية ، مصدر سابق، ص ٢٠.
- (٢٦) ينظر، الرواية العربية ص ٢٢
- (٢٧) المصدر نفسه، ص ٣٢
- (٢٨) ينظر، ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٩ وما بعدها.
- (٢٩) ينظر، المصدر نفسه ، ص ٣١-١٠٥ .
- (٣٠) ينظر، روجر ألن: الرواية العربية، ص ١٧٧.

- (٦٢) ينظر، نفسه، ص ٢٩٠
- (٦٣) ينظر، نفسه، ص ٢٩١
- (٦٤) ينظر، نفسه، ص ٢٩٣
- (٦٥) ينظر، نفسه، ص ٣٠٠
- (٦٦) ينظر، نفسه، ص ٣٠٢
- (٦٧) ينظر، نفسه، ص ٣٠٤
- (٦٨) ينظر، نفسه، ص ٣٢٠ وما بعدها
- (٦٩) ينظر، نفسه، ص ٣٢٥
- المصادر والمراجع.
- أولا/ الكتب
- أحمد إبراهيم الهواري نقد الرواية العربية في الأدب العربي الحديث في مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د . ط ، ٢٠٠٣م.
- أحمد سمائلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. (القاهرة : المؤلف، بدون تاريخ)
- ب.م كبرشويك: الابداع القصصي عند يوسف ادريس، ترجمة: رفعت سلام، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م
- جاك جوميه: ثلاثة نجيب محفوظ، ترجمة: نظمي لوقا، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٤م.
- روجر ألن: الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية، ترجمة : حصة إبراهيم المنيف، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٧م (د ط)
- مقدمة للأدب العربي، ترجمة: رمضان بسطاويسي، مجدي أحمد توفيق، فاطمة قنديل، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م
- عبد الله العروي: الأيديولوجية العربية المعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، د. ط ، ١٩٧٠م
- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، الكويت، ١٩٩٨م
- محمد سويرقي: النقد البنوي والنص الروائي، نماذج تحليلية من النقد العربي، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط ٢، ١٩٩٤م
- محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس ط ١، ٢٠١٠م.
- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧م.
- نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط ٤، ١٩٨٠م، ج ٢.
- د. وائل علي السيد: المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبية العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م.
- ثانيا/ الدوريات
- عدنان بن ذريل: مصطلح الرواية وتطور مفهومها العربي، مجلة الآداب البيروتية، آذار، ١٩٦٣م.
- ثالثا/ مواقع شبكة المعلومات

* <https://ar.wikipedia.org/wiki>

* <https://www.albayan.ae/paths/books> ٢٩-٠٦-٢٠٠٨

- (٣١) ينظر، مثلا، المصدر نفسه، ص ٦٥
- (٣٢) وينظر، مثلا حديثه عن سيرة طه حسين الذاتية في الأيام، ص ٦٨ من المصدر نفسه.
- (٣٣) للوقوف على ذلك ينظر ، ص ١٦٦ وما يليها.
- (٣٤) ينظر، المصدر نفسه، ص ١٠٧ وما بعدها.
- (٣٥) ينظر، نفسه ، ص ١١٨ وما بعدها.
- (٣٦) ينظر، نفسه ، ص ١٢٨ وما بعدها.
- (٣٧) ينظر، نفسه ، ص ١٣٣ وما بعدها.
- (٣٨) ينظر، نفسه ، ص ١٣٥ وما بعدها.
- (٣٩) ينظر، نفسه ، ص ١٣٥ وما بعدها.
- (٤٠) ينظر، نفسه، ص ١٤٧
- (٤١) ينظر، نفسه، ص ١٥١
- (٤٢) ينظر، المصدر نفسه، ص ١٥٦ وما بعدها
- (٤٣) ينظر، نفسه، ص ١٩٥
- (٤٤) نفسه، ص ١٧٧
- (٤٥) ينظر، نفسه، ص ١٩٦
- (٤٦) ينظر، نفسه، ص ٢٠٣.
- (٤٧) نفسه، ص ١٩٩
- (٤٨) ينظر، نفسه، ص ٢٠٩
- (٤٩) نفسه، ص ٢١٢
- (*) وهي عبارة عن شبح لسفينة أسطورية لا يمكنها أن ترسو في ميناء ومحكوم عليها الإبحار في المحيطات أبدا، ومن المرجح أن تكون هذه الأسطورة قد نشأت من الفولكلور البحري في القرن السابع عشر، وتبين المشاهدات المدونة لبعض البحارة أن السفينة تتوهج كضوء شبحي عند اقتراب سفينة أخرى منها... وعند محاولة إيصال أي رسالة من (الهولندي الطائر) إلى اليابسة أو إلى البشر يتضح أن طاقمها ماتوا منذ زمن بعيد، ويعد ظهورها علامة شؤم للبحارة ونذير بكارثة وشيكة. ينظر <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- (٥٠) ينظر، روجر ألن، مصدر سابق، ص ٢١٣
- (٥١) المصدر نفسه، ص ٢٢٤-٢٢٥
- (٥٢) نفسه، ص ٢٣١
- (٥٣) ينظر، المصدر نفسه، ص ٢٤٧-٢٤٨
- (٥٤) ينظر، نفسه، ص ٢٥٠
- (٥٥) ينظر، نفسه، ص ٢٥٤-٢٥٥
- (٥٦) ينظر، نفسه، ص ٢٥٦
- (٥٧) ينظر، نفسه، ص ٢٥٧-٢٦٠
- (٥٨) ينظر، نفسه، ص ٢٦٠
- (٥٩) ينظر، نفسه، ص ٢٦٤
- (٦٠) ينظر، نفسه، ص ٢٧٥
- (٦١) ينظر، نفسه، ص ٢٨٠



سبل حماية الحرمات للأفراد في الاسلام

أ. د. أنس عصام اسماعيل

مركز أحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

beautiful examples of the protection of personal inviolabilities and rights whether for Muslim individuals, Dhimmis(1) or those who seek temporal asylum in a Muslim state. I divide my paper into two chapters, preceded by an introduction in which I deal with the main definitions pertains to the topics and title. I ends my paper with a conclusion, in which I record the main results that I concluded. I deal in the first chapter with the kinds of inviolabilities for which Islam has put clear punishments and boundaries. In the second chapter, I deal with the kind of inviolabilities for which Islam has put punitive punishments or punishments in the afterlife. And in either case, the punishment could be physical or moral. Key words: inviolabilities, protection, ways.

المقدمة:

لا بدّ لنا أن نعلم المقصود من الحرمات وأنواعها قبل الخوض في سبيل حمايتها.

الحرمة: ما لا يحل لك انتهاكه، وأحرم الرجل كانت له حرمة، وحرّم الرجل نساؤه، والمحارم ما لا يحل استحلّاله، وانتَهكت حرمة فلان: أي تناولها بما لا يحل (٢). والسبيل: جمع سبيل والسبيل الطريق، يذكر ويؤنث، قال (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي) (٣) فأنث، وقال: (وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً) (٤) فذكر، وسبّل ضيعته أي جعلها في سبيل الله، وقوله : (يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً) (٥) أي سبباً ووصلة (٦).

حماية: من حميت القوم حماية ومحمية، وكل شيء دفعت عنه فقد حميته، وحميت من هذا الشيء أحمى منه حمية، أي انفت انفا وغضباً (٧).

ويتضح ممّا سبق تعريفه أن مقصود البحث هو طرق حماية ما لا يجوز انتهاكه للأفراد، وهذا يشمل جوانب عدة كحرمة الاعتداء على النفس والمال والعرض والحرية سواءً منها

الملخص:

لا شك أن دين الإسلام، هو دين العدل والحق، وقد أعطى أهمية كبيرة لحرمات الأفراد ومنع أي نوع من أنواع الاعتداء عليها، سواءً كان الاعتداء مادياً أو معنوياً، وذلك من خلال التشريعات والقوانين التي سنّها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والتي ظهرت آثارها وتطبيقاتها على الخلفاء الراشدين من بعده وعلى من تابعهم في ذلك من الحكام والقضاة العادليين على مر العصور، وقد سطر لنا التاريخ أروع القصص في المحافظة على حرمات الأفراد وحقوقهم، سواءً منهم المسلم أو الذمي أو المستأمن، وقد قسمت بحثي هذا على مبحثين تسبقهما مقدمة تناولت فيها أهم التعريفات التي تخص البحث وعنوانه، وتليهما خاتمة سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وتناولت في المبحث الأول أنواع الحرمات التي وضع لها الإسلام حدود وعقوبات ثابتة، وتناولت في المبحث الثاني أنواع الحرمات التي وضع لها الإسلام عقوبات تعزيرية أو أخروية، وفي كلا الحالتين قد تكون العقوبات مادية أو معنوية.

Abstract:

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon our master Muhammad and all his family and companions.

There is no doubt that Islam is a religion of reason and righteousness. Islam strongly emphasizes the importance of personal inviolability, and it prevents any kind of violation to these inviolabilities whether the violation was physical or moral. Islam prevents this violation via the rules and laws stipulated in the holy Quran and Sunnah. the laws and rules whose effects and practices were clearly shown in the life of the Rashidun Caliphs (righteously guided Caliphs) after the prophet Muhammad, and by all the just rulers and judges throughout history. History has shown us the most

في السلوك، وبقوة التأثير الاجتماعي المدفوع بواجب الرقابة الاجتماعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يضاف إلى ذلك امتصاص الطاقات النفسية والجسدية التي من شأنها التحريض على ارتكاب الجريمة، وذلك بتهيئة كل الظروف التي تساعد على تلبية مطالب الانسان وحاجاته الضرورية الجسدية والنفسية والروحية.

ولكن- رغم كل ذلك- لا بدّ أن تحدث من بعض الافراد جرائم يدفع إليها الانحراف والشذوذ، فالأنظمة النظرية والتطبيقية - مهما اتخذت من احتياطات- لا توقف وقوع الجريمة إيقافا كاملا، ولكنها تخفف من وقوعها إلى أدنى النسب.

وقد تدارك الإسلام أنواع الانحراف والشذوذ الدافعة إلى الجريمة، بالعقوبات الزاجرة الرادعة ذات المظهر الخاص، وهذه العقوبات يقيمها سلطان المسلمين بالعدل والقسطاس المستقيم(٨) فالشريعة الاسلامية لم تفرض عقوباتها، وتنزلها بالأبرياء الأمنين، وإنما فرضتها، وأنزلتها بالأشقياء الخائنين الذين ينتهكون حرمة الناس والمجتمع، ويقوضون أمن الناس وسلامتهم، ويدنسون الأعراض، ويقتلون الأمنين، وهؤلاء الأشرار لم تباغتهم الشريعة بعقوباتها، وإنما أعلنت الشريعة عقوباتها الصارمة الحازمة لهؤلاء ولغيرهم، فإذا استهان الأشقياء بهذه العقوبات، وانتهكوا الحرمات، وأصبحوا معاول هدم في كيان المجتمع، بعد أن ضمن لهم المجتمع حياة آمنة مطمئنة، وأعطاهم من الحقوق ما لغيرهم وساوى بينهم وبين حاكمهم، وهى لهم كل أسباب العيش الكريم عندها لابد من اقامة القصاص عليهم وإتمام الحق والعدل لينجوا المجتمع من ايذائهم(٩).

١- حرمة النفس الانسانية:

جعل الله للنفس الانسانية حرمة فلا يجوز الاعتداء عليها بأي نوع من أنواع الاعتداء ولا تحت أي ذريعة، والنصوص الدالة على ذلك من الكتاب والسنة قال:

{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}(١٠) وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ}(١١) وقال: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(١٢) ولا تقتصر حرمة النفس الانسانية على النفس المؤمنة بل كل نفس انسانية لها حرمة ولا يجوز الاعتداء عليها بالقتل إلا في حالات مخصصة حددها الشارع، أما ما نراه اليوم من سفك للدماء تحت ذرائع شتى وتبريرات لا أصل لها من شرع

الجسدية أو الفكرية وما إلى ذلك من ممنوعات، جعلها الشارع محرمة لحفظ حقوق الناس وحاجياتهم الضرورية والحاجية، كما سيأتي بيانه لاحقا.

المبحث الأول: الحرمات الاساسية أو الضرورية:

وقد اسميتها بهذا الاسم لأن الاعتداء عليها يعد جريمة إنسانية لن تستمر معها الحياة أو تكون الحياة بدونها صعبة جداً لن يتمكن الإنسان من تحملها، وهي مما وضع لها الإسلام عقوبات وحدود بنصوص شرعية، كي يضمن المجتمع عدم تكرارها، وكما سيأتي بيانها تفصيلاً، وقبل أن يقيم الإسلام الحدود على من يعتدي على حرمة الآخرين، أحاط المجتمع المسلم بأسوار أربعة بعضها من وراء بعض، ومن شأن هذه الأسوار أن تبعد أفراد المجتمع المسلم عن السقوط في الجريمة، إلا من بلغ منهم مبلغ الشذوذ.

السور الاول: سور الانظمة الاجتماعية والفردية التي تهيئ لكل فرد مطالبه النفسية والجسدية الضرورية، وتدفع عنه الضرورات التي تلح في داخله، وفق تكوينه الذي فطره الله عليه، فأقام الاسلام نظام العدالة الاجتماعية، وحض على الزواج وأمر بتيسير وسائله وأسبابه، وهياً لجميع أفراد المجتمع فرص التنافس الشريف بحسب الكفاءات دون ظلم ولا عدوان.

السور الثاني: سور تربية المسلمين نظرياً وعملياً على مكارم الأخلاق، وعلى احترام الحق والواجب، وتربيتهم على تذوق هذه المكارم والفضائل واستحسانها وحبها، والنفور من أضرارها.

السور الثالث: سور المخاوف والانذارات بعقوبة الله في الدار الآخرة، لمن خالف أنظمتة وشرائعه التي أنزلها لعباده وأمرهم بتطبيقها.

السور الرابع: سور العبادة الحققة لله تعالى، المصحوبة بمراقبته التي تسمو بروح المسلم سمواً يبعدها عن المؤثرات المادية، التي تدفع الفرد إلى الانحراف عن صراط الله المستقيم.

وفي داخل هذه الأسوار الأربعة يتعرع المجتمع المسلم في بحبوحة السعادة والأمن والطمأنينة، والبعد عن كل العوامل التي يمكن أن تعرض الانسان على ارتكاب الجريمة.

ومما لا ريب فيه أنه يندر وقوع الجرائم التي يعذر مرتكبوها، داخل مجتمع مسلم توافرت فيه الاحتياطات التربوية الاسلامية التي تتغلغل في أعماق النفوس بتأثيراتها الفكرية والوجدانية والروحية، والتي تكوّن العادات المستحكمة



أو دين فهذا كله خارج نطاق الاسلام، وإن تسمى من يقومون به بأسماء اسلامية أو أدوا شعائر اسلامية، فالدين الاسلامي هو ما قال الله وقال الرسول وليس لأحد قول فوق قول الشرع الحنيف.

وأما سبل حماية النفس البشرية من الاعتداء فهو القصاص بالقتل أو الدية في حالة القتل الخطأ، أو العمد إذا تنازل ذوي القتل، وأما الاعتداء على النفس دون القتل كالأضرار والعاهات فقد حماها الاسلام بقاعدة (والسن بالنسن) وهذه آية صريحة لا تقبل الشك أو التحريف، وهي قوله: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ فِيهَا أَنْ تُنْفِسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (١٣) وما كان من اعتداء على النفس بالجروح فقد حماها الاسلام بالديات، وفي كتب الفقه الكثير من التفاصيل التي تخص الديات المالية المترتبة على الجروح.

٢- حرمة المال الخاص والممتلكات الشخصية:

لاشك أن الاسلام جعل حرمة كبيرة للمال الخاص بالأفراد سواء كانوا مسلمين أو غيرهم، ولا يجوز لأحد أن يأخذ من مال الآخرين شيئاً إلا برضاهم، فلا تجوز السرقة وأخذ المال والممتلكات الشخصية إلا بحقها.

وأما سبل حماية المال الخاص والممتلكات الشخصية، فقد حرم الاسلام السرقة وجعل فيها عقوبة قطع اليد، ثمناً لما استحل من مال الآخرين، قال: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (١٤) زيادة على ما يلحق به من عقوبة في الدار الآخرة، وهذا ما نسميه بثنائية الجزاء، وهي أن يكون جزاء دنيوي وجزاء أخروي على الفعل المحرم، وهناك شروط قد ذكرها الفقهاء لتمييز السرقة عن اللقطة وغيرها، وما ينطبق عليه وصف السرقة وما يستحق فيه قطع اليد من غيره، وهي موجودة في كتب الفقه لمن أراد الاستزادة، إن عظمة الاسلام تكمن في تشريعاته الدقيقة والعادلة حيث حول أمة أمية يأكل فيها القوي الضعيف، وتغير فيها القبائل بعضها على بعض لأجل السلب والنهب واسترقاق البشر، إلى أمة تسبق أُمم الارض في دقة أنظمتها وعقوباتها التي لم تصل إليها القوانين البشرية لحد الآن، ولتأكيد الأمر يكفي أن نلقي نظرة سريعة على عدد نزلاء السجون في الشرق

والغرب بسبب السرقة، وعدد جرائم السرقة في ازدياد مستمر، بينما حسم الاسلام هذا الأمر عندما وضع حداً للسرقة وهو قطع اليد، ولذلك لا يوجد فاصل زمني بين تحريم السرقة وترك الناس لهذه الجريمة، ولم يسجل لنا التاريخ إقامة هذا الحد إلا على عدد قليل ممن ارتكب هذه الجريمة لا يمكن المقارنة بينه وبين أعداد المسجونين الآن بسبب السرقة.

٣- حرمة الأعراض:

جعل الإسلام حرمة خاصة للأعراض، ولكل نوع من أنواع الاعتداء على الأعراض له عقوبة تختلف عن غيرها، وأشدّها انتهاك العرض بالاعتداء المباشر، ويليهما انتهاك الأعراض بالقذف أي اتهام العفيفات بالزنا، وأدناها النظر إلى ما لا يحل من أعراض الناس والتلصص عليهم، فجريمة الزنا لها عقوبتان:

الاولى: الرجم حتى الموت للزاني المحصن وللزانية

المحصنة، والمحصن هو المتزوج بعقد صحيح، وكذلك المحصنة، وتفاصيل عقوبة الرجم موجودة في كتب الفقه، وعن عمر بن الخطاب قال: (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وآله) بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا، وَعَقَلْنَاهَا، وَوَعَيْنَاهَا، فَلِذَا رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى أَنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضْلُوا بِتَرْكِ قَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ (١٥)، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ؛ إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الْحَبْلُ، أَوْ الْإِعْتِرَافُ) (١٦).

والثانية: هي الجلد مئة جلدة للزاني غير المحصن - غير المتزوج بعقد صحيح- على أن يكون تنفيذ الحكم أمام الناس قال: {الرَّائِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (١٧)

وأما القذف ففيه عقوبة الجلد ثمانين جلدة، والقاذف هو من اتهم شخصاً آخر بالزنا وليس لديه أربعة شهود يشهدون على هذه الجريمة، فالكلمة التي يتكلم بها الفرد يتهم بها غيره ويطعن بعرضه، فهو أمام خيارين، أما أن يأتي بأربعة شهود وأما يجلد ثمانين جلدة أمام الناس قال: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (١٨).

مأخوذ من ذلك لأنه خلص من الرق)(٢٦) والحرية اصطلاحاً : تعني الخلو من كل قيد وهي نوعان حسية ومعنوية، فالحسية: خلو البدن من القيود التي تمنع حركته أو تحد منها، والمعنوية: خلو النفس من الأوامر والنواهي التي تحظر على صاحبها الانطلاق والحركة دون مراعاتها خشية الوقوع في العقوبة من الأمر أو الناهي، وقال ابن عاشور: الحرية: عمل الانسان ما يقدر على عمله حسب مشيئته لا يصرفه عن عمله أمر غيره

(٢٧). جاء الإسلام باحترام الشخصية الانسانية، والشخصية الإنسانية لا تكون إلا مع الحرية، حرية الإقامة وحرية الانتقال وحرية التدين، وحرية الفكر والرأي، ولذلك كان الإسلام والتحكم نقيضين لا يجتمعان، فليس لإنسان أن يتحكم في غيره، وليس للدولة أن تتحكم في الناس، ولكن لها أن تحكم عليهم إن اشتطوا أو تجاوزوا حدودهم.

إن الحرية كلمة أخذت من وصف الحر، فالحر والحرية متلاقيان في المؤدى، وإن كانت الحرية وصفاً والحر موصوفاً، والحر حقاً هو الشخص الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية ويضبط نفسه، فلا تتدلى إلى سفاف الأمور، ولا ينطلق وراء أهوائه وشهواته ولا يكون عبداً لها، فالحر يتبدى بالسيادة على نفسه وإطلاق إرادته وعقله من قيود شهوته(٢٨).

والحريات لم تشرع أساساً لتكون أسباباً لمضار راجحة وإنما أساس تشريعها جلب المصلحة الراجحة، وإن استعمالها على غير هذا الوجه عائد على أصل تشريعها بالنقص، وهي مضادة لمقصد الشارع في الغاية من تشريع الحقوق والحريات أصلاً، وهذا ممنوع عقلاً وشرعاً، وإلا كان التشريع مجلبة للمضار ولا ضرر ولا ضرار في الاسلام.

إن أساس مشروعية الدولة أو السلطة هو حماية حقوق وحريات الافراد، وتدخل الدولة في تقييد واحدة منها هو استثناء من الاصل تزول مشروعية هذا التدخل بزوال المسوغ له.

وتدخل ولي الأمر ليس مصادرة للحرية وإنما هو تنظيم لها، وتشذيب لأغراضها بملاحظة مصلحة الآخرين وعدم الاضرار بالجماعة، ولا يتدخل ولي الأمر إلا إذا حدث جور وتعسف في استعمال الحرية، والجور والتعسف كلاهما مرض اجتماعي ينحرف بالحرية عن مفهومها الرشيد(٢٩).

فتقييد حرية المنفلتين من قيود الحرية هو من حماية الحرية

وأما الحرمة الثالثة فهي حرمة التلصص على أعراض الناس لأن في التجسس انتهاكاً لحقوق غيره والتي منها حفظ حرمة المسكن وحرية صاحبه الشخصية بعدم الاطلاع على أسراره، فقد اسقط الاسلام القصاص والدية عمن انتهك حرمة بيوت الآخرين بالنظر فيه ونحوه، فعن سهل بن سعد: أن رجلاً اطلع من جحر في دار النبي (صلى الله عليه وآله) والنبي (صلى الله عليه وآله) يحك رأسه بالمدرى فقال: (لو علمت أنك تنظر لطعنت بها في عينك، إنما جعل الأذن من قبل الابصار)(١٩) وعن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم (صلى الله عليه وآله) لَوْ أَنَّ امْرَأَةً أَطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِعَصَاٍ فَفَقَّاتَ عَيْنَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ(٢٠)، وعن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قَالَ:

(مَنْ أَطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوهُ عَيْنُهُ)(٢١)، ومما مضى يتبين لنا حجم الاهتمام الذي أولاه الدين الاسلامي لحرمة الأفراد، بل جعل من يدافع عن حرمانه ثم يقتل شهيداً، (فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)(٢٢).

المبحث الثاني: الحرمات الحاجية:

وهي الحرمات التي تكون دون الضرورية والتي يسبب انتهاكها ألماً وحرماً شديداً تصعب معه الحياة، كما سيأتي تفصيلها لاحقاً، وفيما يلي نتناولها بالتفصيل.

١- كرامة الانسان:

قال: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}(٢٣) وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(٢٤) وقد غاضب أبو ذر وهو عربي من غفار، مع بلال الاسود الحبشي مولى أبي بكر وتطور النزاع بينهما إلى أن أخذت أبو ذر الحدة فقال لبلال: يا ابن السوداء فشكاه بلال إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال لأبي ذر: (أعييرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية)(٢٥).

٢- الحرية الشخصية:

الحرية لغة: (مصدر حر والحر من الرجال خلاف العبد



نفسها، وان كل النظم الاجتماعية والقانونية في الإسلام تتجه إلى حماية الحريات العادلة، وكذلك كل النظم الدولية التي سنها الإسلام، إنما هي لمنع الاعتداء على الآخرين ولتثبيت دعائم العدل (٣٠) ولناخذ بعض أنواع الحرية بشيء من التفصيل.

أ- حرية الإقامة والسكن: فمتى قدر الإنسان على اقتناء مسكنه، فله حرية ذلك، كما أن العاجز عن ذلك ينبغي على الدولة أن توفر له السكن المناسب، حتى تضمن له أدنى مستوى لمعيشته، فلا يجوز لأحد أو جهة معينة أن تسلب الفرد هذا الحق أو أن تضايقه في مسكنه أو تخرجه منه عنوةً، تحت أي ذريعة أو مسوغ، بل الإسلام يأمر الجار بمساعدة جاره حيث يقول الرسول (صلى الله عليه وآله): (لَا يَسْبَغُ الْمُؤْمِنُ دُونَ جَارِهِ أَوْ قَالَ: الرَّجُلُ دُونَ جَارِهِ) (٣١) ويقول: (مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَرُوهُ) (٣٢) والاحاديث في هذا الباب كثيرة، وما نراه اليوم من تهجير لأحياء سكنية أو مدن أو قرى تحت مسوغات وذرائع شتى، فهذا كله لا يمت إلى الاسلام بصله، بل يعد اعتداءً سافراً على حرية الافراد، فليس من حق أي جهة أو مجموعة أن تخرج الأمن من دورهم ومسكنهم.

ب- حرية العمل: فللفرد في المجتمع الإسلامي أن يزاول المهنة والحرفة التي تناسبه وليس لأحد أو جهة أن يسلبه هذا الحق أو يضايقه في عمله مادام ملتزماً بشروط وضوابط العمل المعمول بها في مجتمعه، ومن حق العمال على رب العمل أن يلطف بهم، وإلا يستعمل أحداً فوق طاقته، ولا يجيعه، بل يمكنه من الأكل، أو يطعمه بحسب ما يقع الشرط عليه، وعليه أن يطلق سراحه أوقات الصلوات، فإنها لا تدخل تحت الاجارة، وما يتعمده بعضهم من تسخير البنائين، واجاعتهم وإعطائهم من الأجرة دون حقهم، واستعمالهم فوق طاقتهم من أقبح الحرمات، وأشنع الجرائم على الله في خلقه (٣٣).

ج- حرية الحركة: فقد حرم الإسلام الاعتداء على المسافرين، والتربص لهم في الطرقات، وأنزل عقوبة شديدة على الذين يقطعون الطرق ويروعون الأمن من المسافرين بالقتل والسلب، قال: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (٣٤) في هذه الآية الحكيمة وضع الله أربع عقوبات لجرائم الإخلال بالأمن

العام والخاص وانتهاك الحرمات، وهي الجرائم التي يصدق عليها وصف محاربة الله ورسوله، والافساد في الارض (٣٥) ولتأكيد حسن استعمال الطرق وتأمينها نهى النبي صحابته الكرام عن الجلوس فيها حيث يقول: (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ فَقَالُوا مَا لَنَا بِذَلِكَ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ، عَنِ الْمُنْكَرِ) (٣٦) فالطريق يجب أن تفسح لما هيئ لها من السفر والتنقل والمرور، وأي استعمال لغير هدفها محظور لاسيما إذا أدى إلى الاضرار بالآخرين، وما نراه اليوم من استغلال للطرق العامة والتضييق على المارة سواءً بالبناء عليها أو استغلالها لعرض بعض البضائع والمنتوجات، فهذا كله مخالف للشرع الحنيف، ولأهمية التنقل في حياة الإنسان وحق من حقوقه المشروعة، فقد جعل الله لابن السبيل، وهو المسافر، أحد مصارف الزكاة إذا ألم به ما يدعوه إلى الأخذ من مال الزكاة، ولو كان غنيا في موطنه، قال: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٣٧).

د- حرية التدين: احترم الإسلام حرية الاعتقاد، وقاتل من أجلها، واعتبر الفتنة في الدين أكبر من القتل، وجعل الأساس في الاعتقاد أن يكون بالاختيار الحر الخالي من كل إكراه، أو حمل على الاعتقاد بأي وسيلة من وسائل الضغط، وأن يكون أساس الاختيار سليماً، فلا يكون إغراء، وأن يقوم بكل ما يوجبه عليه دينه طائعا إن أراد، وعلى ذلك تتكون هوية الاعتقاد من عناصر ثلاثة:

أولها: تفكير حر غير خاضع للتقليد، أي كان من يقلده، سواءً كان الآباء الأولين، أم الأقوياء الحاضرين.

ثانيها: منع الإكراه على عقيدة معينة بتهديد أو تعذيب أو اغراء بالمحرمات والخبائث.

ثالثها: أن يكون حراً بالعمل بمقتضى دينه، لا يمنعه اضطهاد من الظهور بدينه واقامة شعائره.

وقد ضمن الإسلام هذه العناصر الثلاثة (٣٣٨) من خلال السماح لمعتنقي الديانات الأخرى بالعيش الكريم داخل المجتمع الاسلامي، وغير المسلمين الذين يعيشون مع المسلمين قسماً:

القسم الأول: المستأمنون، وهم الذين يقيمون مع المسلمين

إقامة مؤقتة غير دائمة.

والقسم الثاني: الذميون الذين يقيمون مع المسلمين إقامة دائمة، وسموا ذميين، لأنهم أقاموا مع المسلمين على أساس أن لهم عهداً ودمية على أن يكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين.

وأَنَّهُمْ (أي غير المسلمين) بهذا يلتزمون أمرين:

أحدهما: التزام التكليفات المالية على القادرين منهم لكي يساهموا في بناء الدولة ويشتركوا في ميزانها المالي.

ثانيهما: أن يلتزموا أحكام الإسلام في المعاملات المالية وفي الخضوع للعقوبات الإسلامية ليكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، أما نظام الأسرة من زواج وطلاق فإنهم يتركون وما يدينون، وذلك لصلة أحكام الأسرة بأصل التدين، فكان من المحافظة على حريتهم في التدين أن يتركوا في العبادات وأحكام الأسرة إلى دينهم الذي ارتضوا البقاء عليه (٣٩).

ولتشبث حريات وحقوق وحرمان اصحاب الديانات الأخرى تنزل آيات قرآنية لتبرئة أحد اليهود من تهمة باطلة الصقت به، ورغم الحرب الخبيثة التي كان يشنها اليهود على الإسلام في مهده، ومحاولة زلزلة المؤمنين واقتلاع العقيدة الجديدة من جذورها قبل أن ترسخ في الأرض، والدس والكيد ونشر الاراجيف، زيادة على الحرب الرسمية التي تستخدم فيها أدوات القتال، مع الغدر في هذه الحرب ونقض المواثيق وانتهاك الحرمات... في وسط كل ذلك لا يقبل الاسلام عدواناً وقع على واحد من اليهود، فيتنزل الوحي بتبرئته، قال: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ مِمَّا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاتاً أَثِيماً * يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً * وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِثْماً يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً * وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وََمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) (٤٠) وقد نزلت هذه الآيات التسع بهذا التفصيل والبيان والتوكيد الشديد، لتحمي الرسول (صلى الله عليه وآله) من الحكم على هذا اليهودي البريء الذي كانت القرائن- الظاهرة- كلها تتهمة، وكان الحق أنه بريء من الاتهام، فوضع الإسلام بذلك في عالم الواقع هذا المبدأ الانساني الخالد، والذي لا يوجد قط بهذه الصورة في غير الإسلام (٤١).

إن صيانة غير المسلمين واجبة على الدولة الاسلامية، فدمه مصون، ومن اعتدى عليه يقتص منه، وأمواله مصونة، وحرية الشخصية مصونة ليس لأحد أن يمسها، وكرامته محترمة لأنه انسان معصوم النفس والكرامة كالمسلم على حد سواء، وشدد النبي (صلى الله عليه وآله) في احترام حقوق الذميين، وقال: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا} (٤٢)، وقال:

{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (٤٣) وقال: {أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} (٤٤) ومن اروع قصص التاريخ في حفظ حرمان الآخرين وانفسهم من الاعتداء عليها، ما روي (عن أنس، قال: أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، عائد بك من الظلم، قال: عذت معاذاً، قال: سابت «ابن» عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين! فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم بابه معه، فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين، ثم قال للمصري: ضعه على صلعة عمرو، قال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً! قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني (٤٥)، فلا يكون اختلاف العقائد سبباً في العداوة، أو انكار الحقوق.

د- حرية الرأي والفكر:

الرأي هو الثمرة التي ينتجها الفكر السليم، والاتجاه المستقيم إلى طلب الحقائق وإعلانها، والإسلام يقرر أن حقائق الكون وطبائع الأشياء تجب دراستها، وإعلان ما ينتهي إليه العقل والفكر الحر غير المأسور بتقاليد سابقة لأن الإسلام نهى عن التقليد، وأمر المؤمن أن يفكر فيما تحت يده في الأرض،

المتميزة وذاتيتها القومية الخاصة في تراثها الفكري والحضاري، شهدنا كتابات طيبة ومتميزة تتحدث عن احترام الإسلام للحرمان وحفظ الحقوق والحريات وهو ميدان خصب ما زال ينتظر منا المزيد من الجهود التي يمكن أن تسلم مجتمعاتنا ضد الاستبداد والقهر من جهة، وتنصف حضارتنا الإسلامية وفكرنا الاسلامي وديننا الحنيف من جهة ثانية.

لقد بلغ الإسلام في الإيمان بالإنسان وفي تقديس حقوقه إلى الحد الذي تجاوز بها مرتبة (الحقوق) عندما عدّها (ضرورات) ومن ثم أدخلها في اطار الواجبات فالأكل والملبس والمسكن والأمن والحرية في الفكر والاعتقاد والتعبير والعلم والتعليم ليست فقط حقوقاً له ان يطالب بها بل هي من أوجب الواجبات بل من الضروريات، انها ليست مجرد (حقوق) من حق الفرد أو الجماعة أن يتنازل عنها أو عن بعضها، وإنما هي ضرورات انسانية فردية كانت أو جماعية لا سبيل إلى حياة الإنسان بدونها، حياة تستحق معنى الحياة، ومن ثم الحفاظ عليها هو واجب عليه أيضاً يأثم هو ذاته فرداً كان أو جماعة إذا هو فرط فيه، زيادة على الاثم الذي يلحق كل من يحول بين الإنسان وبين تحقيق هذه الضرورات، إنها ضرورات لابد من وجودها ومن تمتع الإنسان بها، وممارسته لها، كي يتحقق له المعنى الحقيقي (للحياة)، وإذا كان الاعتداء على (الحياة) من صاحبها بالانتحار أو من الآخرين بالقتل جريمة كاملة تستحق القصاص والاثم، فكذلك العدوان على اي من الحرمان اللازمة للإنسان والتي يتحقق بها معنى الحياة.

الهوامش:

(١) Christians or Jews living in Muslim state.

(٢) ينظر المحيط في اللغة: اسماعيل بن عباد بن عباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (٣٨٥هـ) ج ١، ص ٢٢٥، باب (مرج) وينظر: المنتخب من صحاح الجوهري أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ) ج ١، ص ٩٨٤، باب حرم.

(٣) يوسف: من الآية ١٠٨.

(٤) الاعراف: من الآية ١٤٦

(٥) الفرقان: من الآية ٢٧

(٦) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ج ٥، ص ١٧٢، باب سيل، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.

(٧) ينظر: العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن قيس الفراهيدي البصري (١٧٠هـ) ج ٣، ص ٣١٢، ت د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال، وينظر: مختار الصحاح، زين

وما فوقه من أفلاك، ليتعرف كنهها، ولأنها سخرت له وذلك لإرادته، اقرأ قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} (٤٦) ولا يمكن أن يدرس الكون دراسة علمية إلا إذا كانت حرية الفكر المستقيم، وإذا كانت دراسة الكون يطلبها الإسلام على سبيل الفرض الكفائي، فإن حرية الرأي وإعلانه واجبة (٤٧)، ومن الحرمان التي صانها الاسلام هي حرية الرأي، ولا يجوز لأحد أن يصادر آراء الآخرين وأفكارهم.

إن للناس حرياتهم وحرماناتهم وكراماتهم التي لا يجوز أن تنتهك في صورة من الصور، ولا أن تمس بحال من الأحوال، ففي المجتمع الإسلامي الرفيع الكريم يعيش الناس آمنين على انفسهم، آمنين على بيوتهم، آمنين على أسرهم، آمنين على عوراتهم، ولا يوجد مبرر - مهما يكن - لانتهاك حرمان الانفس والبيوت والاسرار والعورات.

حتى ذريعة تتبع الجريمة والتحقيق فيها لا تصلح في النظام الإسلامي ذريعة للتجسس على الناس، فالناس على ظواهرهم، وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم، وليس لأحد أن يأخذهم إلا بما يظهر منهم من مخالفات وجرائم، وليس لأحد أن يظن أو يتوقع، أو حتى يعرف أنهم يزاولون في الخفاء مخالفة ما، فيتجسس عليهم ليضبطهم، وكل ما له عليهم أن يأخذهم بالجريمة عند وقوعها وانكشافها (٤٨)، و(عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ أُنِيَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقِيلَ هَذَا فَلَانٌ تَقَطَّرُ لِحْيَتُهُ خَمَرًا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ إِنَّنَا قَدْ نُهَيْتَا عَنْ التَّجَسُّسِ وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَرُ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذُ بِهِ) (٤٩)، و(عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ: «إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ» فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا» (٥٠)

وهكذا أخذ النص التشريعي طريقه في النظام العملي للمجتمع الاسلامي، ولم يعد مجرد تهذيب للضمير الانساني، بل صار سياجا حول حرمان الناس وحقوقهم وحرياتهم، فلا تمس من قريب أو بعيد، تحت أي ذريعة أو ستار.

الخاتمة:

لقد شهدنا في العقود الأخيرة، وكمظهر من مظاهر الصحة الاسلامية، وبحث أمتنا الإسلامية عن هويتها الحضارية

- الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (٦٦٦ هـ) ج١، ص٨٢، ت يوسف الشيخ محمد، ط٥، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، المكتبة العصرية - الدار النموذجية - بيروت - صيدا.
- (٨) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير - الاستشراق الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، عبد الرحمن بن حسن حبيكة الميداني دمشقي (١٤٢٥ هـ) ص ٥٣٥ وما بعدها، ط٨، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، دار القلم دمشق.
- (٩) ينظر: الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الاسلامي مقارنا بالقانون، منصور محمد منصور الحفناوي، ص١٩٨، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، مطبعة الأمانة.
- (١٠) النساء: ٩٣.
- (١١) - البقرة: ١٧٨.
- (١٢) البقرة: ١٧٩.
- (١٣) المائدة: ٤٥.
- (١٤) المائدة: ٣٨.
- (١٥) أي آية الرجم (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) التي نسخت تلاوتها وبقي حكمها.
- (١٦) مُخْتَصَر صَحِيح الإمام البخاري، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، ج٤، ص٢١٣، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- (١٧) النور: ٢.
- (١٨) النور: ٤.
- (١٩) الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ هـ) حسب ترقيم فتح الباري، ج٧، ص٢١١، ط١، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م، دار الشعب، القاهرة.
- (٢٠) الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ج٩، ص١٣.
- (٢١) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ج٦، ص١٨١، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة - بيروت.
- (٢٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ت شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج٣، ص١٩٠، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، مؤسسة الرسالة.
- (٢٣) الاسراء: ٧٠.
- (٢٤) الحجرات: ١١.
- (٢٥) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ هـ) ج١، ص١٤.
- (٢٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي
- الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠ هـ) ج١، ص١٢٨، مادة (حرر) المكتبة العلمية - بيروت.
- (٢٧) ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الاسلام، ص١٦٠.
- (٢٨) ينظر: المجتمع الانساني في ظل الاسلام، محمد أبو زهرة، ج١، ص٢٥٧، ط٢، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية.
- (٢٩) ينظر: العلاقة بين الأمن والحرية في الاسلام، شويش المحاميد، مجلد ٣٤، ص٦٣٣، ط١، ٢٠٠٧ م، السعودية.
- (٣٠) ينظر: المجتمع الانساني في ظل الاسلام، محمد ابو زهرة، ج١، ص٢٦٠.
- (٣١) الزهد والرفائق لابن المبارك أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (المتوفى: ١٨١ هـ) ت حبيب الرحمن الأعظمي، ج١، ص١٧٩، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٣٢) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ هـ) ج٨، ص١٢.
- (٣٣) ينظر: معيد النعم ومبيد النقم، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (٧٧١ هـ) ج١، ص١٠٠٠، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- (٣٤) المائدة: ٣٣.
- (٣٥) ينظر: الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوة عرض وتفنيد ونقض، عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني (ت ١٤٢٩ هـ) ص١٥٧، ط١، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م، مكتبة وهبة.
- (٣٦) الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ هـ) ج٣، ص١٧٣، وينظر: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ج٧، ص٢.
- (٣٧) التوبة: ٦٠.
- (٣٨) ينظر: المجتمع الانساني في ظل الاسلام، محمد أبو زهرة، ج١، ص٢٦٥، ط٢، ١٤٠١ - ١٩٨١ م، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية.
- (٣٩) ينظر: المجتمع الانساني في ظل الاسلام، محمد ابو زهرة، ج١، ص٢٦٦.
- (٤٠) النساء: ١٠٥ - ١١٣.
- (٤١) ينظر: جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، ص٢٤٨، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، دار الشروق.
- (٤٢) الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ هـ) ج٩، ص١٦.
- (٤٣) الممتحنة: ٨.
- (٤٤) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير



٨. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي - بيروت.
٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ت محمد محيي الدين عبد الحميد، دون سنة طبع أو طبعة، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
١٠. الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوة عرض وتفنيد ونقض، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت ١٤٢٩هـ) ط ١، ١٤٢٠-١٩٩٩م، مكتبة وهبة.
١١. الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الاسلامي مقارنا بالقانون، منصور محمد منصور الحفناوي، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مطبعة الأمانة.
١٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ط ٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.
١٣. العلاقة بين الأمن والحرية في الاسلام، شويش المحاميد، ط ٧، ٢٠٠٧م، السعودية.
١٤. العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن قيم الفراهيدي البصري (١٧٠هـ) ت د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال.
١٥. في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٣٣٤٦، ط ٣٢، دار الشروق.
١٦. معيد النعم ومبيد النقم، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (٧٧١هـ) ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
١٧. المجتمع الانساني في ظل الاسلام، محمد أبو زهرة، ط ٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية.
١٨. المحيط في اللغة: اسماعيل بن عباد بن عباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (٣٨٥هـ).
١٩. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (٦٦٦هـ) ت يوسف الشيخ محمد، ط ٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، المكتبة العصرية- الدار النموذجية- بيروت- صيدا.
٢٠. مُخْتَصَر صَحِيحُ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
٢١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ت شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة.
٢٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) مادة (حرر) المكتبة العلمية - بيروت.
٢٣. المنتخب من صحاح الجوهري أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ).

- بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ج ٣، ص ١٧٠، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، طون سنة طبع أو طبعة، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، حكم عليه الشيخ الالباني بالصحة.
 - (٤٥) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ) ج ١، ص ٥٧٨ ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، ١٣٨٧-١٩٦٧م، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر.
 - (٤٦) الحج: من الآية ٦٥.
 - (٤٧) ينظر المجتمع الانساني في ظل الاسلام، محمد أبو زهرة، ج ١، ص ٢٧٤.
 - (٤٨) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٣٣٤٦. طبعة دار الشروق.
 - (٤٩) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ج ٤، ص ٤٢٣، دار الكتاب العربي - بيروت. قال عنه الالباني صحيح الاسناد.
 - (٥٠) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ج ٤، ص ٢٧٢، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، قال عنه الالباني صحيح.
- المصادر والمراجع:**
١. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير- الاستشراق الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، عبد الرحمن بن حسن حبيكة الميداني الدمشقي (١٤٢٥هـ) ط ٨، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، دار القلم دمشق.
 ٢. أصول النظام الاجتماعي في الاسلام.
 ٣. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ، دار الأفاق الجديدة - بيروت.
 ٤. الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) حسب ترقيم فتح الباري، ط ١، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م، دار الشعب، القاهرة.
 ٥. جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، دار الشروق.
 ٦. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ) ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، ١٣٨٧-١٩٦٧م، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر.
 ٧. الزهد والرقائق لابن المبارك أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (المتوفى: ١٨١هـ) ت حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

مفهوم الغي في القرآن الكريم

أ.م.د. محمد أحمد حسين
كلية الحكمة الجامعة

المخلص :

الغي مفهوم متعدد الاشتقاق من الناحية اللغوية واستعماله في القرآن الكريم ، والغي يملكه الإنسان باختياره ، ولا سلطان قاهر عليه في انحيازه إلى هذه الجهة ، أو تلك ، ولكن كلاً من الهداية والغواية أمرها يعود إلى مشيئة الله تَعَالَى كما هو معلوم فإن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ عباده المؤمنين من غواية الشيطان ، وعلى هذا يمكن لأي مسلم أن يرى إن كان محفوظاً من الله تعالى مشمولاً بهذه النعمة من عدمه ، بمراقبة سلوكه ، فإن كانت الغواية تصيبه بين حين وحين ، علم أنه من الغاوين .

Abstract:

It has abolished a multi-derivative concept from a linguistic point of view and its use in the Holy Qur'an, and nullity is owned by a person by his own choice, and there is no compelling authority over him to take this side or that, but both guidance and seduction are due to the will of God Almighty as it is known that God Almighty has ensured the preservation His faithful servants are from the temptation of Satan, and accordingly any Muslim can see whether he is protected from God Almighty and whether he is covered by this blessing or not, by observing his behavior. Keywords: cancel in the Holy Qur'an

المقدمة :

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الخلق كلهم، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته النجوم البررة القادة ، وسلم اللهم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإن اللغة العربية تعدّ من أعرق اللغات وأبدعها ، لما تحتويه من كثرة في المفردات، وغزارة في المادة وقد شرفها الله سبحانه وتعالى من بين سائر اللغات الأخرى بنزول قرآنه الكريم بلغة

العرب ، وقد وسعت سنة نبيه محمد ' وآثار العرب العلمية والأدبية منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا .

إن القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية الخالد والمنهاج الذي ارتضاه الخالق لإصلاح الخلق ، وهو حجة الرسول الكريم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وآيته الكبرى وهو عماد لغة العرب الأسمى ، تدين له اللغة في بقائها وسلامتها وتستمد علومها المختلفة منه .

وقد انفرد القرآن الكريم من بين الكتب السماوية الأخرى بعناية العلماء والفقهاء واهتمامهم، وأخذت هذه العناية أشكالا مختلفة ، فتارة ترجع إلى أسلوبه وإعجازه ، وأخرى إلى لفظه وأدائه ، وأخرى إلى كتابته ورسمه ، وتارة إلى تفسيره وشرحه إلى غير ذلك من علومه العديدة ، فكان أن خص العلماء كل جانب من هذه الجوانب بالبحث والدراسة والتأليف .

وموضوع هذا البحث (مفهوم الغي في القرآن الكريم - دراسة تحليلية وموضوعية)

وقد اقتضت طبيعة البحث ومنهجيته أن أقسمه على مبحثين تسبقها مقدمة وتنتهيها خاتمة .

المَبْحَثُ الأول: تعريف الغي لغةً واصطلاحاً، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الغي لغة

المطلب الثاني: تعريف الغي اصطلاحاً

وفي المبحث الثاني: مفهوم الغي في القرآن الكريم، وتضمن أربعة مطالب :

المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها كلمة الغي

المطلب الثاني: علاقة الغواية بالإرادة الإلهية

المَطْلَبُ الثالث: الفصل بين الرشد والغي

المَطْلَبُ الرابع : النصح والغواية

أما منهجي في كتابة البحث فألخصه بما يأتي :

١ - أن أذكر في البدء النص القرآني، ثم أذكر وجه المناسبة وسبب نزول الآية إن وجد .

٢ - أوجزت المعنى العام للآيات القرآنية.

٣- ثم بينت ما يستفاد من النص .

وختاماً، فهذا عمل متواضع بذلت فيه الجهد وأخلصت له النية وعشت في أرجائه أسعد الأوقات ؛ لأنه دراسة في رحاب القرآن الكريم لمعرفة خفاياه ، فإن جاء هذا العمل وافياً بالغرض محققاً للقصد فبتوفيق الله سبحانه وتعالى وعنايته ، وإن جاء غير ذلك فقد بذلت ما في وسعي.

المبحث الأول

تعريف الغي لغةً واصطلاحاً

المطلب الأول

الغي في اللغة :

الغين والياء المشددة أو المضاعفة أصلٌ صحيح يدلُّ على إضلال الشيء لغيره

الغَيُّ : الضَّلَالُ والخَيِّبَةُ . غَوَى - بِالْفَتْح - غَيًّا وَغَوِيَّ غَوَايَةً ضَلَّ . وَرَجُلٌ غَاوٍ وَغَوٍ وَغَوِيٌّ وَغَيَّانٌ : ضَالٌّ ، وَأَغْوَاهُ هُوَ ؛ قال المرقش :

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ

وَمَنْ يَغْوُ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَيِّ لَأَمَّا (١)

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصُّمَّةِ (٢) :

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوْتُ

غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةً أَرَشِدْ

ونقل عن ابن الأعرابي أن الغَيَّ : الفسادُ ، وَغَوٍ هُوَ اسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ غَوِيَ لَا مِنْ غَوَى ، وكذلك غَوِيٌّ ، ونظيره رَشَدَ فهو رَاشِدٌ وَرَشَدٌ فهو رَشِيدٌ (٣) . وفي الحديث الشريف : ((مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى)) (٤). وفي حديث موسى وآدم - عليهما السلام - : ((أَغْوَيْتِ النَّاسَ)) (٥) ، أَي : خَيَّبْتَهُمْ ؛ يقال : غَوَى الرَّجُلُ خَابَ وَأَغْوَاهُ غَيَّرَهُ .

والغَوَّةُ والغَيَّةُ واحد . ومصدر غَوَى الْغَيَّ (٦) .

والغَوَايَةُ : الانْهِيَاكُ فِي الْغَيِّ . ويقال : أَغْوَاهُ اللَّهُ إِذَا أَضَلَّهُ . وحكي عن بعض العرب : غَوَاهُ بِمَعْنَى أَغْوَاهُ (٧) .

وَأَرْضٌ مَغْوَاةٌ : مَضَلَّةٌ . وَالْأَغْوِيَّةُ : الْمَهْلَكَةُ : وَالْمُغَوَّيَاتُ - بفتح الواو مشددة - جمع الْمُغَوَّاةِ :

وهي حُفْرَةٌ كَالرُّبْيَةِ تُحْتَفَرُ لِلْأَسَدِ (٨) .

وقيل : مَنْ حَفَرَ مُغَوَّاةً أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِيهَا (٩) .

وَوَقَعَ النَّاسُ فِي أُغْوِيَّةٍ ، أَي : فِي دَاهِيَةٍ (١٠) .

وَالْمُغَوَّيَاتُ بِالتَّشْدِيدِ وَفَتْحِ الْوَاوِ ، وَاحِدَتُهَا مُغَوَّاةٌ ، وَهِيَ حُفْرَةٌ كَالرُّبْيَةِ تُحْتَفَرُ لِلذَّبِّ وَيَجْعَلُ فِيهَا جَدْيٌ إِذَا نَظَرَ الذَّبُّ إِلَيْهِ سَقَطَ عَلَيْهِ يَرِيدُهُ فَيُصَادُ ، وَمِنْ هَذَا قِيلَ : (لِكُلِّ مَهْلَكَةٍ مُغَوَّاةٌ) (١١) .

وقال رؤبة (١٢) :

إِلَى مُغَوَّاةٍ الْفَتَى بِالْمُرْصَادِ

يريد إلى مَهْلَكَتِهِ وَمَنْيَتِهِ ، شَبَّهَهَا بِتِلْكَ الْمُغَوَّاةِ ، وَإِذَا أَرَادَ عَمْرٌ أَنْ قَرِيشًا تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مَهْلَكَةً لِمَالِ اللَّهِ كَاهِلَاكِ تِلْكَ الْمُغَوَّاةُ لَمَّا سَقَطَ فِيهَا ، أَي : تَكُونُ

مَصَادِدَ لِلْمَالِ وَمَهَالِكَ كَتِلِكَ الْمُغَوَّيَاتِ (١٣) .

وَتَعَاوَوْا عَلَيْهِ ، أَي : تَعَاوَنُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ . وَتَعَاوَوْا عَلَيْهِ : جَاؤُوهُ مِنْ هُنَا وَهُنَا وَإِنْ لَمْ يَقْتُلُوهُ . وَالتَّغَاوَى : التَّجَمُّعُ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى الشَّرِّ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْغَوَايَةِ أَوْ الْغَيِّ (١٤) .

المطلب الثاني

الغي في الاصطلاح :

تعريف الغي في الاصطلاح لا يكاد يختلف عن تعريف أهل اللغة له ، ف قيل في تعريفه أنه : جهل من اعتقاد فاسد . وقال الحرالي : سوء التصرف في الشيء وإجراؤه على ما يسوء عاقبته (١٥) .

ولكن وضعوا فروقاً بين الغي ومرادفاته ، من ذلك :

أ - الفرق بين الغي والضلال :

إن أصل الغي الفساد ، ومنه يقال : غوى الفصيل إذا بشم من كثرة شرب اللبن ، وإذا لم يرو من لبن أمه فمات هزلاً . فالكلمة من الأضداد ، وأصل الضلال الهلاك ومنه قولهم : ضلت الناقة إذا هلكت بضياعها . وفي القرآن : { وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ } (١٦) ، أَي : هَلَكْنَا بِتَقْطِيعِ أَوْصَالِنَا . فالذي يوجبُه أصل الكلمتين أن يكون الضلال عن الدين أبلغ من الغي فيه (١٧) .

ويستعمل الضلال أيضاً في الطريق كما يستعمل في الدين ، فيقال ضل عن الطريق إذا فارقه ، ولا يستعمل الغي إلا في الدين خاصة ، فهذا فرق آخر (١٨) .

وربما استعمل الغي في الخيبة يقال : غوى الرجل إذا خاب في مطلبه وأنشد قول الشاعر (١٩) :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره

ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

وقيل أيضاً : معنى البيت أن من يفعل الخير يحمد ، ومن يفعل الشر يذم ، فجعل من المعنى الأول .

ويقال أيضاً : ضل عن الثواب ، ومنه قوله تعالى { كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ } (٢٠) ، والضلال بمعنى الضياع يقال : هو ضال في قومه أي : ضائع ، ومنه قوله تعالى : { وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى } (٢١) ، أَي : ضائعاً في قومك لا يعرفون منزلتك . ويجوز أن يكون ضالًّا ، أَي : في قوم ضالين ، لأن من أقام في قوم نسب إليهم ، كما قيل : خالد الحذاء لنزوله بين الحذائين ، وأبو عثمان المازني لإقامته في بني مازن لم يكن منهم ، وقال أبو علي الفارسي في قوله تعالى : { وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى } علي

{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ
الْعَاوِينَ} الآية (٤٢)

مريم

{خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ
فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا} الآية (٥٩)

طه

{فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ
الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} الآية (١٢١)

الشعراء

{وَبَرَزْتُ الْجَحِيمَ لِلْعَاوِينَ} الآية (٩١)

{فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ} الآية (٩٤)

{وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} الآية (٢٢٤)

القصص

{فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ
يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} الآية (١٨)

{قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ
كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} الآية (٦٣)

الصفات

{فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ} الآية (٣٢)

ص

{قَالَ فِعْزَتِكَ لِأَغْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ} الآية (٨٢)

النجم

{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} الآية (٢)

المطلب الثاني

الفصل بين الرشد والغي

قال تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ
يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا
انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (٢٧) .

سبب النزول :

في سبب نزول الآية أربعة أقوال :

أحدها : أن المرأة من نساء الأنصار كانت في الجاهلية إذا لم
يعش لها ولد ، تحلف لأن عاش لها ولد لتهودنه ، فلما أجليت
بني النضير كان فيهم ناس من أبناء الأنصار ، فقال الأنصار :

يا رسول الله ! أبنائنا ، فنزلت هذه الآية ، وهذا قول ابن

عباس ، وقال الشعبي : قالت الأنصار : والله لنكرهن أولادنا

على الإسلام ، فإنا إنما جعلناهم في دين اليهود ، إذ لم نعلم ديناً

أفضل منه ، فنزلت هذه الآية (٢٨) .

أي : وجدك ذاهباً إلى النبوة فهي ضالة عنك ، كما قال
تعالى : { أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا } (٢٢) ، وإِنما الشهادة
هي الضلالة عنها ، وهذا من المقلوب المستفيض في
كلامهم ، ويكون الضلال الإبطال ومنه :

{ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ } (٢٣) ، أي : أبطلها . ومنه :

{ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ } (٢٤) ، ويقال :
ضلني فلان ، أي : سباني ضالاً ، والضلال يتصرف في
وجوه لا يتصرف الغي فيها (٢٥) .

ب - الفرق بين الغي والفساد :

إن كل غي قبيح ، ويجوز أن يكون فساداً ليس بقبيح
كفساد التفاحة بتعيناها ، ويذهب بذلك إلى أنها تغيرت
عن الحال التي كانت عليها ، وإذا قلنا : فلان فاسد ،
اقتضى ذلك أنه فاجر ، وإذا قلت : إنه غاو ، اقتضى فساد
المذهب والاعتقاد (٢٦) .

المبحث الثاني

مفهوم الغي في القرآن الكريم

المطلب الأول

آليات التي وردت فيها كلمة الغي

البقرة

{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ
بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا
انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} الآية (٢٥٦)

الأعراف

{قَالَ فِيمَا أُغْوِيْنِي لِأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} الآية (١٦)
{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ
يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} الآية (١٤٦)

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ

الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ} الآية (١٧٥)

{وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ} الآية (٢٠٢)

هود

{بِنَفْعِكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ
يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} الآية (٣٤)

الحجر

{قَالَ رَبِّ مِمَّا أَلْغَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ} الآية (٣٩)



والثاني : أن رجلاً من الأنصار يقال له أبو الحصين ، تنصر له ولدان قبل أن يبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم قدما المدينة ، فلزمهما أبوهما ، وقال : والله لا أدعكما حتى تسلما ، فأبيا فاختصما إلى النبي ' فنزلت هذه الآية ، وهذا قول مسروق (٢٩) .

والثالث : أن ناساً كانوا مسترضعين في اليهود ، فلما أجلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بني النضير ، قالوا : والله ليذهبن معهم ولنذهبن بدينهم ، فمنعهم أهلهم وأرادوا إكراههم على الإسلام ، فنزلت هذه الآية . روي عن مجاهد (٣٠) .

والرابع - أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح كان يكرهه على الإسلام فنزلت هذه الآية . روي عن مجاهد أيضاً (٣١) .

تحليل الألفاظ :

إِكْرَاهُ :

قِيلَ : الْكَرْهُ وَالْكَرْهُ وَاحِدٌ نَحْوُ : الضَّعْفُ وَالضَّعْفُ ، وَقِيلَ : الْكَرْهُ الْمَشَقَّةُ الَّتِي تَنَالُ الْإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ فِيمَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ بِإِكْرَاهٍ ، وَالْكَرْهُ مَا يَنَالُهُ مِنْ ذَاتِهِ وَهُوَ يِعَافُهُ . وَالْإِكْرَاهُ يُقَالُ فِي حَمْلِ الْإِنْسَانِ عَلَى مَا يَكْرَهُهُ (٣٢) .

بِالطَّاعُوتِ :

طَعُوْتُ وَطَعَيْتُ طَعَوَانًا وَطَعِيَانًا وَأَطَعَاهُ كَذَا حَمَلَهُ عَلَى الطَّعِيَانِ ، وَذَلِكَ تَجَاوَزُ الْحَدِّ فِي الْعِصْيَانِ ، قَالَ تَعَالَى :

{ إِنَّهُ طَعَى } (٣٣) ، وَالطَّعْوَى الْأَسْمُ مِنْهُ . وَالطَّاعُوتُ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مُتَعَدٍّ ، وَكُلِّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، وَلَمَّا تَقَدَّمَ سُمِّيَ السَّاجِرُ ، وَالكَاهِنُ ، وَالْمَارِدُ مِنَ الْجِنِّ ، وَالصَّارِفُ عَنْ طَرِيقِ الْخَيْرِ طَاعُوتًا ، وَوَزْنُهُ فِيمَا قِيلَ فَعَلُوْتُ نَحْوَ جَبَرُوتٍ وَمَلَكُوتٍ ، وَقِيلَ : أَصْلُهُ طَعُوْتُ وَلَكِنْ قُلِبَ لَمْ الْفِعْلُ نَحْوُ صَاعِقَةٍ وَصَافِقَةٍ ، ثُمَّ قُلِبَ الْوَاوُ أَلْفًا لَتَحَرُّكِهِ وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهُ . وَطَاعُوتٌ وَإِنْ جَاءَ عَلَى وَزْنِ لَاهُوتٍ ، فَهُوَ مَقْلُوبٌ لِأَنَّهُ مِنْ طَعَاً ، وَلاهُوتٌ غَيْرُ مَقْلُوبٍ لِأَنَّهُ مِنْ لَاهُ ، بِمَنْزِلَةِ الرَّعْبُوتِ وَالرَّهْبُوتِ ؛ وَالْجَمْعُ الطَّوَاغِيتُ (٣٤) .

بِالْعُرْوَةِ :

يُقَالُ : عَرِيَ مِنْ تَوْبِهِ يَعْزَى فَهُوَ عَارٌ وَعَرِيَانٌ ، قَالَ تَعَالَى : { إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى } (٣٥) ، وَهُوَ عَرُوٌّ مِنَ الذَّنْبِ ، أَيْ : عَارٍ . وَالْعُرْوَةُ : مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ عُرَاهُ ، أَيْ : نَاحِيَّتِهِ ، قَالَ تَعَالَى :

{ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } (٣٦) ، وَذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ

التَّمَثِيلِ . وَالْعُرْوَةُ أَيْضاً شَجَرَةٌ يَتَعَلَّقُ بِهَا الْإِبِلُ وَيُقَالُ لَهَا عُرْوَةٌ وَعَلَقَةٌ (٣٧) .

الْوُثْقَى :

وُثِقْتُ بِهِ أَثِقْتُ ثِقَةً : سَكَنْتُ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ ، وَأَوْثَقْتُهُ شَدَدَتُهُ ، وَالْوُثَاقُ وَالْوُثَاقُ اسْمَانِ لِمَا يُوثَقُ بِهِ الشَّيْءُ ، وَالْوُثْقَى تَأْنِيْتُ الْوُثْقَى . وَالْمِيثَاقُ عَقْدٌ مُؤَكَّدٌ بِيَمِينٍ وَعَهْدٌ ، وَالْمُوثَقُ الْأَسْمُ مِنْهُ ؛ قَالَ : { حَتَّى تُؤْتُونَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ } (٣٨) ، وَالْوُثْقَى : قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُوثَقِ ، قَالَ : { فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } وَنَاقَةُ مَوْثَقَةُ الْخَلْقِ مُحْكَمَتُهُ (٣٩) .

انْفِصَامٌ :

الْفَاءُ وَالصَادُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْصِدَاعِ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ بَيِّنُوتَةٍ . مِنْ ذَلِكَ الْقَصَمُ ، وَهُوَ أَنْ يَنْصَدِعَ الشَّيْءُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبِينَ ، وَكُلُّ مَنْحِنٍ مِنْ خَشَبَةٍ وَغَيْرِهَا فَهُوَ مَقْصُومٌ ، وَقَصَمَ الشَّيْءُ : كَسَرَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبِينَ ، تَقُولُ : قَصَمْتُه فَاَنْقَصَمَ ، قَالَ تَعَالَى : { لَا انْفِصَامَ لَهَا } (٤٠) ، وَتَقَصَّمَ مِثْلَهُ (٤١) .

المعنى العام :

في تفسير قوله تعالى : { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } أقوال :

الأول : كَانَ ذَلِكَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُعْرَضُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْإِسْلَامُ فَإِنْ أَجَابَ وَإِلَّا تَرَكَ .

والثاني : أَنَّ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَرَادُوا الْجَزِيَّةَ وَالتَّرَمُّوا الشَّرَائِطَ تَرَكُوا .

والثالث : أَنَّهُ لَا حُكْمَ لِمَنْ أُكْرِهَ عَلَى دِينٍ بَاطِلٍ فَاعْتَرَفَ بِهِ وَدَخَلَ فِيهِ كَمَا قَالَ : { إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ } (٤٢) .

الرابع : لَا اعْتِدَادَ فِي الْآخِرَةِ بِمَا يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الطَّاعَةِ كَرَهًا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْتَبِرُ السَّرَائِرَ وَلَا يَرْضَى إِلَّا الْإِخْلَاصَ .

الخامس : مَعْنَاهُ لَا يُحْمَلُ الْإِنْسَانُ عَلَى أَمْرٍ مَكْرُوهٍ فِي الْحَقِيقَةِ مِمَّا يَكْلِفُهُمُ اللَّهُ بَلْ يُحْمَلُونَ عَلَى نَعِيمٍ الْأَبَدِ .

السادس : أَنَّ الدِّينَ الْجَزَاءُ ، مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْأَلُ بِمُكْرِهِمْ عَلَى الْجَزَاءِ بَلْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ مِنْ يَشَاءُ كَمَا يَشَاءُ (٤٣) .

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ :

إِنْ قَضِيَّةُ الْعَقِيدَةِ كَمَا جَاءَ بِهَا هَذَا الدِّينُ قَضِيَّةٌ اقْتِنَاعٌ بَعْدَ الْبَيَانِ وَالْإِدْرَاكِ ، وَلَيْسَتْ قَضِيَّةٌ إِكْرَاهٍ وَغَضَبٍ وَإِجْبَارٍ . وَلَقَدْ جَاءَ هَذَا الدِّينُ يَخَاطِبُ الْإِدْرَاكَ الْبَشَرِيَّ بِكُلِّ قَوَاهِ وَطَاقَاتِهِ . يَخَاطِبُ الْعَقْلَ الْمَفْكَرَ ، وَالْبَدَاهَةَ النَّاطِقَةَ ، وَيَخَاطِبُ الْوُجْدَانَ الْمُنْفَعِلَ ، كَمَا يَخَاطِبُ الْفِطْرَةَ الْمُسْتَكْنَةَ . يَخَاطِبُ

والتعبير هنا يرد في صورة النفي المطلق : (لا إكراه في الدين) وهو من نفي الجنس ، أي : نفي جنس الإكراه . ونفي كونه ابتداء . فهو يستبعد من عالم الوجود والوقوع . وليس مجرد نهى عن مزاولته . والنهي في صورة النفي للجنس أعمق إيقاعاً وأكد دلالة (٤٨) .

قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ :

الإيمان هو الرشد الذي ينبغي للإنسان أن يتوخاه ويحرص عليه . والكفر هو الغي الذي ينبغي للإنسان أن ينفر منه ويتقي أن يوصم به . والأمر كذلك فعلاً . فما يتدبر الإنسان نعمة الإيمان ، وما تمنحه للإدراك البشري من تصور ناصع واضح ، وما تمنحه للقلب البشري من طمأنينة وسلام ، وما تثيره في النفس البشرية من اهتمامات رفيعة ومشاعرة نظيفة وما تحقّقه في المجتمع الإنساني من نظام سليم قويم دافع إلى تنمية الحياة وترقية الحياة .. ما يتدبر الإنسان نعمة الإيمان على هذا النحو حتى يجد فيها الرشد الذي لا يرفضه إلا سفيه ، يترك الرشد إلى الغي ، ويدع الهدى إلى الضلال ، ويؤثر التخطب والقلق والهبوط والضالة على الطمأنينة والسلام والرفعة والاستعلاء (٤٩) .

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا :

في المراد بالطاغوت هاهنا خمسة أقوال :

أحدها - أنه الشيطان ، قاله عمر وابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - ومجاهد والشعبي والسدي ومقاتل في آخرين (٥٠) .

والثاني - أنه الكاهن ، قاله سعيد بن جبیر ، وأبو العالية (٥١) .

والثالث - أنه الساحر ، قاله مُحَمَّد بن سيرين (٥٢) .

والرابع - أنه الأصنام ، قاله اليزيدي ، والزجاج (٥٣) .

والخامس - أنه مردة أهل الكتاب ، ذكره الزجاج أيضاً (٥٤) .

لقد ذكر الله انقسام الناس على قسمين : قسم آمن بالله وحده لا شريك له وكفر بالطاغوت - وهو كل ما ينافي الإيمان بالله من الشرك وغيره - فهذا قد استمسك بالعروة الوثقى ، التي لا انفصام لها ، بل هو مستقيم على الدين الصحيح ، حتى يصل به إلى الله ، وإلى دار كرامته .

ويؤخذ القسم الثاني من مفهوم الآية : أن من لم يؤمن بالله ، بل كفر به ، وآمن بالطاغوت ، فإنه هالك هلاكاً

الكيان البشري كله ، والإدراك البشري بكل جوانبه ؛ في غير قهر حتى بالخارقة المادية التي قد تلجئ مشاهدتها الجاء إلى الإذعان ، ولكن وعيه لا يتدبرها وإدراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعي والإدراك .

وإذا كان هذا الدين لا يواجه الحس البشري بالخارقة المادية القاهرة ، فهو من باب أولى لا يواجهه بالقوة والإكراه ليعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد ، أو مزاولة الضغط القاهر والإكراه بلا بيان ولا إقناع ولا اقتناع (٤٤) .

وفي هذه الآية بيان لكمال هذا الدين الإسلامي ، وكمال براهينه ، واتساح آياته ، وكونه هو دين العقل والعلم ، ودين الفطرة والحكمة ، ودين الصلاح والإصلاح ، ودين الحق والرشد ، فلكمال وقبول الفطر له لا يحتاج إلى الإكراه عليه ؛ لأن الإكراه ، إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب ، ويتنافى مع الحقيقة والحق ، أو لما تخفى براهينه وآياته . وإلا فمن جاءه هذا الدين ، وردده ولم يقبله ، فإنه لعناده . فإنه قد تبين الرشد من الغي ، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة ، إذا رده ولم يقبله .

ولا منافاة بين هذا المعنى وبين الآيات الكثيرة الموجبة للجهاد . فإن الله أمر بالقتال ليكون الدين كله لله ، ولدفع اعتداء المعتدين على الدين . وأجمع المسلمون على أن الجهاد ماض مع البر والفاجر ، وأنه من الفروض المستمرة : الجهاد القولي الفعلي . فمن ظن أن هذه الآية تنافي آيات الجهاد ، وادعى أنها منسوخة ، فقلوه ضعيف لفظاً ومعنى ، كما هو واضح بين لمن تدبر الآية الكريمة (٤٥) .

فقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية ، فذهب قوم إلى أنه محكم ، وأنه من العام المخصوص ، فانه خص منه أهل الكتاب بأنهم لا يكرهون على الإسلام ، بل يخيرون بينه وبين أداء الجزية وهذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة . وقال ابن السكن : معنى الآية ليس الدين ما تدين به في الظاهر على جهة الإكراه عليه ، ولم يشهد به القلب ، وتنطوي عليه الضمائر ، إنما الدين هو المنعقد بالقلب . وذهب قوم إلى أنه منسوخ وقالوا : هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال ، فعلى قولهم يكون منسوخاً بآية السيف (٤٦) . وهذا مذهب الضحاك والسدي (٤٧) .

وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان ؛ واحترام إرادته وفكره ومشاعره ، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه ، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني .



أبدياً، ومعذب عذاباً سرمدياً(٥٥) .

إن الطاغوت صيغة من الطغيان ، تفيد كل ما يطغى على الوعي ، ويجور على الحق ، ويتجاوز الحدود التي رسمها الله للعباد ، ولا يكون له ضابط من العقيدة في الله ، ومن الشريعة التي يسنها الله ، ومنه كل منهج غير مستمد من الله ، وكل تصور أو وضع أو أدب أو تقليد لا يستمد من الله . فمن يكفر بهذا كله في كل صورة من صورته ويؤمن بالله وحده ويستمد من الله وحده فقد نجا ، وتتمثل نجاته في استمساكه بالعروة الوثقى لا انفصام لها(٥٦) .

وهنا نجدنا أمام صورة حسية لحقيقة شعورية ، ولحقيقة معنوية : إن الإيمان بالله عروة وثيقة لا تنفصم أبداً ، إنها متينة لا تنقطع ، ولا يضل الممسك بها طريق النجاة ، وهي موصولة بمالك الهلاك والنجاة ، والإيمان في حقيقته اهتداء إلى الحقيقة الأولى التي تقوم بها سائر الحقائق في هذا الوجود ، حقيقة الله ، واهتداء إلى حقيقة الناموس الذي سنه الله لهذا الوجود ، وقام به هذا الوجود . والذي يمسك بعروته يمضي على هدى إلى ربه ؛ فلا يرتطم ولا يتخلف ولا تتفرق به السبل ولا يذهب به الشرود والضلال(٥٧) .

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ :

وقوله: { وَاللَّهُ سَمِيعٌ } ، أي : لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، وسميع لدعاء الداعين ، وخضوع المتضرعين . { عَلِيمٌ } بما أكنته الصدور ، وما خفي من خفايا الأمور . فيجازي كل أحد بحسب ما يعلمه من نياته وعمله(٥٨) .

ما يستفاد من النص :

لآية الكريمة فوائد كثيرة ، ما يتعلق بالبحث منها أنها جمعت بين الرشد ونقيضه الغي ، فبينت السبيل الوصل إلى الرشد ، وتركت بيان سبيل الغي لأنه مفهوم مترتب على معرفة نقيضه ، والإشارة المهمة في هذه الآية أن كلاً من الرشد والغبي يملكهما الإنسان باختياره ، ولا سلطان قاهر عليه في انحيازه إلى هذه الجهة ، أو تلك ، ولكن كلاً من الهداية والغواية أمرها يعود إلى مشيئة الله تعالى كما هو معلوم .

المطلب الثالث

النصح والغواية

قال تعالى : {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ

لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}{(٥٩) .

تحليل الألفاظ :

نُصْحِي :

النُّصْحُ تَحَرَّى فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ فِيهِ صَلَاحٌ صَاحِبِهِ ، قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَاكَ رَسُولًا رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}{(٦٠) . وقال: وهو من قولهم : نَصَحْتُ لَهُ الْوُدَّ ، أي : أَخْلَصْتُهُ ، وَنَاصِحٌ خَالِصٌ أَوْ مِنْ قَوْلِهِمْ : نَصَحْتُ الْجِلْدَ خَطِيئَتَهُ ، وَالنَّاصِحُ الْخَيَّاطُ وَالنَّصَاحُ الْخَيْطُ(٦١) .

تُرْجَعُونَ :

الرُّجُوعُ الْعُودُ إِلَى مَا كَانَ مِنْهُ الْبَدْءُ ، أَوْ تَقْدِيرُ الْبَدْءِ مَكَانًا كَانَ أَوْ فِعْلًا ، أَوْ قَوْلًا ، وَبِذَاتِهِ كَانَ رُجُوعُهُ ، أَوْ بَجُزٍّ مِنْ أَجْزَائِهِ ، أَوْ بِفِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِهِ . فَالرُّجُوعُ الْعُودُ ، وَالرُّجُوعُ الْإِعَادَةُ ، وَالرُّجُوعُ فِي الطَّلَاقِ ، وَفِي الْعُودِ إِلَى الدُّنْيَا بَعْدَ الْمَمَاتِ ، وَيُقَالُ فَلَانٌ يُؤْمِنُ بِالرُّجُوعَةِ . فَمِنْ الرُّجُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى : { لَنْ رَجَعَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ }{ (٦٢) .

المعنى العام :

{يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} { (٦٣) .

أي : إن إرادة الله غالبية ، فإنه إذا أراد أن يغويكم لردكم الحق . فلو حرصت غاية مجهودي ، ونصحت لكم أتم النصح - وهو ما فعله هود - عليه السلام - حقاً - فليس ذلك بنافع لكم شيئاً . (هُوَ رَبُّكُمْ) يفعل بكم ما يشاء ، ويحكم فيكم بما يريد ، وهو أولى بكم يتصرف في ملكه كما يشاء (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) وإليه ترجعون بعد الموت ، فيجازيكم بأعمالكم(٦٤) .

وفي قوله تعالى: {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} أربعة أقوال :

أحدها - يضلكم ، قاله ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

(٦٥) .

والثاني - يهلككم ، حكاه ابن السكّن . وقال : هو قول مرغوب عنه(٦٦) .

الثالث - يضلكم ويهلككم ، قاله الزجاج(٦٧) .

الرابع - يخيبكم من رحمته ، قاله الجصاص(٦٨) .

ما يستفاد من النص :

على وفق المعاني التي ذكرها المفسرون للفظ الغواية هنا ، يتبين لنا ما يأتي :

أن الغواية إن كانت بمعنى الهلاك ، فهي بيد الله تعالى لا يملكها أحد سواه { قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ

غيه ، فهو لا يعلم من نفسه السوء ، وحال من يرتكب المعصية ، ويعلم أنها معصية ويعلل نفسه بالأمال خير من هذا الذي يعتقد في نفسه الخير ، لأن توبته بعيدة .
٧. لكل شيء نهاية ، ونهاية الغي والغاوين ، نار جهنم يصلونها جزاء بما قدمت أيديهم . وعلى الإنسان أن يعتبر وأن يعي عاقبته ، فلا يلج المسالك التي تختتم له بسوء العاقبة .
{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا * لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } البقرة: ٢٨٦
الهوامش:

(١) ينظر لسان العرب : مادة (غوي) ١٥ / ١٤٢ .

(٢) ينظر شعر دريد بن الصمة . دار صادر . بيروت . لبنان . (د . ت) : ٤٤ .

(٣) ينظر لسان العرب : مادة (غوي) ١٥ / ١٤٢ .

(٤) صحيح مُسلم . أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . (ت ٢٦١ هـ) . تحقيق : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . (د . ت) : ٢ / ٥٩٤ رقم (٨٧٠) من حديث عدي بن حاتم - رضي الله عنه - .

(٥) صحيح مسلم : ٤ / ٢٠٤٣ رقم (٢٦٥٢) .

(٦) ينظر مختار الصحاح : مادة (غوي) ٢٥٢ .

(٧) ينظر القاموس المحيط : مادة (غوي) ٤ / ٣٧٢ .

(٨) ينظر مجمع البحرين : مادة (غوي) ٣ / ٣٤١ .

(٩) ينظر مجمع الأمثال . أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميبداني النيسابوري . (ت ٥١٨ هـ) . تحقيق : مُحَمَّد محبى الدين عبد الحميد . دار المعرفة . بيروت . (د . ت) : ٢ / ٢٩٧ .

(١٠) ينظر الصحاح : مادة (غوي) ٦ / ٢٤٥١ .

(١١) ينظر العين : مادة (غوي) ٤ / ٤٥٦ .

(١٢) ينظر ديوان رؤبة بن العجاج . صححه وليم بن الورد . الطبعة الثالثة . دار الآفاق الجديدة . بيروت . ١٩٨٠ م : ١٤٧ / ١ .

(١٣) ينظر النهاية في غريب الحديث : ٣ / ٣٩٨ .

(١٤) ينظر تاج العروس : مادة (غوي) ١٠ / ٢٧٣ .

(١٥) ينظر التوقيف على مهمات التعاريف : ٥٤٥ .

(١٦) سورة السجدة : من الآية ١٠ .

يُهِلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا } (٦٩) .

وإن كانت الغواية بمعنى الإضلال ، فهذا قدر مشترك بين الخالق تعالى - وبين الخلق ، فالله تعالى بيده مقادير الأمور : { يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } (٧٠) .

وكذلك الخلق ، فالشيطان يضل { وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } (٧١) ، والإنسان يضل { قَالَتْ أَخْرَاهُمُ الْأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا } (٧٢) ، ولا يتحقق هذا الإضلال إلا بإذنه .

وإن كانت بمعنى التخييب من رحمته ، فهو { يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } (٧٣) .

فمرجع هذه الأمور جميعاً إلى الله جلَّ شأنه ، وهذا هو أحد الدروس التي ينبغي أن يستنبطها الإنسان ويعيها ، مما يستلزم منه أن يفرد خالقه تعالى بالعبادة دون سواه ، وهذا من صلب دعوة التوحيد التي جاءت بها الرسل عليهم السلام .

الخاتمة

الحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله الطيبين الطاهرين الكرام .

بعد هذه الجولة الممتعة الشاقة في آيات مباركات من القرآن الكريم ، توصلت من خلال الدراسة الى أهم نتائج هذا البحث:

١. وردت كلمة (الغي) بمختلف اشتقاقاتها اللغوية في القرآن الكريم (١٨) مرة .

٢. الغي هو : : سوء التصرف في الشيء وإجراؤه على ما يسوء عاقبته .

٣. إن كلاً من الرشد والغي يملكهما الإنسان باختياره ، ولا سلطان قاهر عليه في انحيازه إلى هذه الجهة ، أو تلك ، ولكن كلاً من الهداية والغواية أمرها يعود إلى مشيئة الله تعالى كما هو معلوم .

٤. إن الخلق يضل بعضهم بعضاً ، وأن الشيطان ، والإنسان سبب من أسباب الغواية ، وعلى هذا فالإنسان مطالب بالحذر ، وعدم التذرع بالقدر .

٥. تكفل الله تعالى بحفظ عباده المؤمنين من غواية الشيطان ، وعلى هذا يمكن لأي مسلم أن يرى إن كان محفوظاً من الله تعالى مشمولاً بهذه النعمة من عدمه ، بمراقبة سلوكه ، فإن كانت الغواية تصيبه بين حين وحين ، علم أنه من الغاوين .

٦. قد يظن نفسه على خير ، فيقع في الخطأ ، ويسدر في

- (١٧) ينظر الفروق اللغوية . أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري . (ت ٣٩٥ هـ) . ضبطه وحققه : حسام الدين القدسي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . (د . ت) : ٣٩٢ .
- (١٨) ينظر الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) . أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي . (ت ١٠٩٤ هـ) . قابلة على نسخة خطية وأعدده للطبع ووضع فهرسه : الدكتور عدنان درويش ، ومحمد المصري . دار الكتب الثقافية . دمشق . ١٩٧٥ م : ٣ / ١٢٩ - ١٤٣ ، ٣ / ٤٣ .
- (١٩) ينظر الفروق اللغوية : ٣٩٢ .
- (٢٠) سورة غافر : من الآية ٧٤ .
- (٢١) سورة الضحى : الآية ٧ .
- (٢٢) سورة البقرة : من الآية ٢٨٢ .
- (٢٣) سورة مُحَمَّد ﷺ : من الآية ١ .
- (٢٤) سورة الفيل : الآية ٢ .
- (٢٥) ينظر المفردات في غريب القرآن . أبو القاسم بن حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني . (ت ٥٠٢ هـ) . أعدده للنشر وأشرف على الطبع : د . محمد أحمد خلف الله مكتبة الأنجلو المصرية . (د . ت .) : ٤٤٠ ، ٥٥١ . التعريفات : ١٤٣ .
- (٢٦) ينظر الفروق اللغوية : ٣٩٣ .
- (٢٧) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .
- (٢٨) سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ : ٥٨/٣ رقم : (٢٦٨٢) ؛ سُنَنُ النَّسَائِيِّ الْكُبَرَى : ٣٠٤/٦ رقم : (١١٠٤٨) ؛ صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ : ٣٥٢/١ رقم : (١٤٠) .
- (٢٩) يُنْظَرُ : جَامِعُ الْبَيَّانِ : ١٥/٣ ؛ زَادُ الْمَسِيرِ : ٣٠٤/١ ؛ العجَاب في بيان الأسباب : ٦١٢/١ لباب النقول : ٤٨ .
- (٣٠) يُنْظَرُ : جَامِعُ الْبَيَّانِ : ١٥/٣ ؛ زَادُ الْمَسِيرِ : ٣٠٤/١ ؛ العجَاب في بيان الأسباب : ٦١٢/١ لباب النقول : ٤٨ .
- (٣١) يُنْظَرُ : جَامِعُ الْبَيَّانِ : ١٥/٣ ؛ زَادُ الْمَسِيرِ : ٣٠٤/١ ؛ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ : ٨٦/٤ ؛ العجَاب في بيان الأسباب : ٦١٢/١ لباب النقول : ٤٨ .
- (٣٢) يُنْظَرُ : الصَّحَاح : مَادَّةُ (كره) ٢٢٤٧/٦ ؛ الْمُفْرَدَات : ٤٢٩ .
- (٣٣) سورة طه : الآية ٢٤ .
- (٣٤) الْمُفْرَدَات : ٣٠٤ ؛ لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (طلي) ١٤/١٥ .
- (٣٥) سورة طه : الآية ١١٨ .
- (٣٦) سورة البقرة : من الآية ٢٥٦ .
- (٣٧) المَجْمَل : ٦٦٤/٣ ؛ الْمُفْرَدَات : ٣٣٢ .
- (٣٨) سورة يوسف : من الآية ٦٦ .
- (٣٩) يُنْظَرُ : الْعَيْنُ : مَادَّةُ (وثق) ٢٠٢/٥ ؛ الْمُفْرَدَات : ٥١١ - ٥١٢ .
- (٤٠) سورة البقرة : من الآية ٢٥٦ .
- (٤١) غَرِيبُ الْحَدِيثِ لابن سَلَامٍ : ٣٠٧١ ؛ مُعْجَمُ مَقَائِيسِ اللَّغَةِ : ٥١٠/٥ .
- (٤٢) سورة النحل : من الآية ١٠٦ .
- (٤٣) يُنْظَرُ : الْمُفْرَدَات : ٤٢٩ .
- (٤٤) يُنْظَرُ : فِي ظلال القرآن : ٢٩٢/١ .
- (٤٥) يُنْظَرُ : النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ ، لهبة الله بن سلامة بن نصر المقرئ ، (ت ٤١٠ هـ) ، تَحْقِيقُ زهير الشاويش ، وَمُحَمَّدُ كنعان ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى ، المكتب الإسلامي ، بَيْرُوت ، ١٤٠٤ هـ : ٥٦ ؛ نَوَاسِخُ الْقُرْآنِ ، لأبي الفرج عَبْدَ الرَّحْمَنِ بن علي بن مُحَمَّدٍ المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى ، دار الكتب العلمية ، بَيْرُوت ، ١٤٠٥ هـ : ٩٢ .
- (٤٦) آية السيف هي قوله تعالى : { فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَأَبَّوْا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ } { سورة التوبة : الآية ٥ } يُنْظَرُ : تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ : ٣٣٧/٢ .
- (٤٧) يُنْظَرُ : المصطفى بألف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، لأبي الفرج عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابن علي بن مُحَمَّدٍ المعروف بابن الجوزي ، (ت ٥٩٧ هـ) ، تَحْقِيقُ : د . حاتم صالح الضامن ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى ، مؤسسة الرسالة ، بَيْرُوت ، ١٤١٥ هـ : ٢١ ؛ نَاسِخُ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ ومنسوخه ، هبة الله بن عَبْدَ الرَّحِيمِ بن إِبْرَاهِيمَ ، (ت ٧٣٨ هـ) ، تَحْقِيقُ : د . حاتم صالح الضامن ، الطَّبَعَةُ الثَّالِثَةُ ، مؤسسة الرسالة ، بَيْرُوت ، ١٤٠٥ هـ : ٢٣ .
- (٤٨) يُنْظَرُ : تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ : ١٣٥/١ .
- (٤٩) يُنْظَرُ : فِي ظلال القرآن : ٢٩٢/١ .
- (٥٠) يُنْظَرُ : جَامِعُ الْبَيَّانِ : ١٩/٣ ؛ أَحْكَامُ الْقُرْآنِ ، لِأبي بَكْرٍ أَحْمَدَ بن علي الرَّازِي الْجَصَّاصِ ، (ت ٣٧٠ هـ) ، تَحْقِيقُ : مُحَمَّدُ الصَّادِقُ قَمْحَاوِي ، دَارُ إِحْيَاءِ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ ، بَيْرُوت ، ١٤٠٥ هـ : ١٨٢/٣ ؛ زَادُ الْمَسِيرِ : ٣٠٥/١ ؛ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ : ٥١٣/١ .
- (٥١) يُنْظَرُ : جَامِعُ الْبَيَّانِ : ١٩/٣ ؛ زَادُ الْمَسِيرِ : ٣٠٥/١ ؛ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ : ٥١٣/١ ؛ فَتْحُ الْقَدِيرِ : ٢٧٦/١ .

٤. التوقيف على مهمات التعاريف . مُحَمَّد عبد الرؤوف المناوي . (ت ١٠٣١ هـ) . تحقيق : د . مُحَمَّد رضوان الداية . الطبعة الأولى دار الفكر المعاصر - دمشق ، دار الفكر - بيروت . ١٤١٠ هـ .
٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ (تفسير الطَّبْرِي) . (لأبي جعفر مُحَمَّد بن جَرِير ابن يَزِيد بن خالد الطَّبْرِي) ت ٣١٠ هـ) دار الفكر للطباعة والنشر . بَيْرُوت . ١٤٠٥ هـ .
٦. ديوان رؤبة بن العجاج . صححه وليم بن الورد . الطبعة الثالثة . دار الآفاق الجديدة . بيروت . ١٩٨٠ م .
٧. زاد المسير في علم التفسير . لأبي الفرج عَبد الرَّحْمَنِ بن علي بن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي . (ت ٥٩٧ هـ) . الطبعة الثالثة . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر . بَيْرُوت . ١٤٠٤ هـ - ١٩٩٠ م .
٨. سُنن أبي داود . أبو داود سُلَيْمان بن الأشعث السُّجِسْتَانِي الأزدي . (ت ٢٧٥ هـ) . تحقيق : مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد . دار الفكر للطباعة والنشر . (د . ت) .
٩. سُنن النسائي الكبرى . أبو عبد الله أحمد بن شُعَيْب بن علي بن عبد الرحمن النسائي . (ت ٣٠٣ هـ) . تحقيق : د . عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن . الطبعة الأولى . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
١٠. شعر دريد بن الصمة . دار صادر . بيروت . لبنان . (د . ت) .
١١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا . الطبعة الثانية . دار العلم للملايين . بيروت . لبنان . ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
١٢. صَحِيح ابْنِ حَبَّانَ بترتيب ابن بلبان . لأبي حاتم مُحَمَّد بن حَبَّانَ ابن أَحْمَد التميمي البستي . (ت ٣٥٤ هـ) . تَحْقِيق : شعيب الأرنؤوط الطبعة الثانية . مؤسسة الرسالة . بَيْرُوت . ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
١٣. صحيح مُسلم . أبو الحسين مسلم بن الحجاج القُشَيْرِي النيسابوري . (ت ٢٦١ هـ) . تحقيق : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي . بَيْرُوت . (د . ت) .
١٤. العجَاب في بيان الأسباب . لأبي الفُضَّل شهاب الدِّين أَحْمَد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) . تَحْقِيق : عَبدُ الحَكِيم مُحَمَّد الأنيس . الطبعة الأولى دار ابن الجوزي . الدمام . ١٩٩٧ م .
١٥. العين . أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت

- (٥٢) يُنْظَرُ : جَامِعُ الْبَيَانِ : ١٨/٣ ؛ أَحْكَامُ الْقُرْآنِ لِلْجَصَّاصِ : ١٨٢/٣ ؛ زَادُ الْمَسِيرِ : ٣٠٥/١ ؛ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ : ٥١٣/١ ؛ فَتْحُ الْقَدِيرِ : ٢٧٦/١ .
 - (٥٣) يُنْظَرُ : مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ : ٣٦/١ .
 - (٥٤) يُنْظَرُ : الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ : ٣٦/١ .
 - (٥٥) يُنْظَرُ : تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ : ١٣٥/١ .
 - (٥٦) يُنْظَرُ : فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ : ٢٩٢/١ .
 - (٥٧) يُنْظَرُ : الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ : ٢٩٢/١ .
 - (٥٨) يُنْظَرُ : تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ : ١٣٥/١ .
 - (٥٩) سورة هود : الآية ٣٤ .
 - (٦٠) سورة الأعراف : الآية ٧٩ .
 - (٦١) يُنْظَرُ : الصَّاح : مَادَّةُ (نصح) ٤١٠/١ ؛ الْمُفْرَدَات : ٤٩٤ .
 - (٦٢) سورة المنافقين : الآية ٨ .
 - (٦٣) يُنْظَرُ : الْمَجْمَل : ٤٢٢/٢ ؛ الْمُفْرَدَات : ١٨٨ .
 - (٦٤) يُنْظَرُ : تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ : ٤٤٥/٢ ؛ فَتْحُ الْقَدِيرِ : ٤٩٥/٢ .
 - (٦٥) يُنْظَرُ : جَامِعُ الْبَيَانِ : ٣٢/١٢ ؛ زَادُ الْمَسِيرِ : ٩٩/٤ .
 - (٦٦) يُنْظَرُ : الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ : ١٧٥/٧ .
 - (٦٧) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ : ٤٧/٢ .
 - (٦٨) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ لِلْجَصَّاصِ : ٣٧٧/٤ .
 - (٦٩) سورة المائدة : من الآية ١٧ .
 - (٧٠) سورة النحل : من الآية ٩٣ .
 - (٧١) سورة النساء : من الآية ٦٠ .
 - (٧٢) سورة الأعراف : من الآية ٣٨ .
 - (٧٣) سورة آل عمران : من الآية ٤٧ .
- ثبت المصادر والمراجع
- القرآن الكريم
١. أَحْكَامُ الْقُرْآنِ ، لِأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بنِ عَلِي الرَّاظِي الْجَصَّاصِ ، (ت ٣٧٠ هـ) ، تَحْقِيق : مُحَمَّدُ الصَّادِقُ قَمْحَاوِي ، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ ، بَيْرُوتَ ، ١٤٠٥ هـ .
 ٢. تاج العروس من جواهر القاموس . محيي الدين أبو الفضل مُحَمَّد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الرُّبَيْدِيِّ . (ت ١٢٠٥ هـ) . مكتبة الحياة . بيروت . (د . ت) .
 ٣. تفسير القرآن العظيم المسمى تفسير ابن كثير . لأبي الفداء عماد الدِّين إسماعيل بن عُمر كَثِير الْقُرَشِيِّ الدَّمَشْقِيِّ . (ت ٧٧٤ هـ) . دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ . بَيْرُوتَ . ١٤٠١ هـ .

(تَحْقِيق : مُحَمَّدٌ مَحْيِي الدِّين عَبْدُ الحَمِيد . مطبعة السعادة . مصر ١٩٤٧ م .

٢٨. مختار الصحاح . مُحَمَّدٌ بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي . (ت ٧٢١ هـ) . تحقيق : محمود خاطر . الطبعة الأولى . مكتبة لبنان ناشرون . بيروت . ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

٢٩. المصنف بألف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، لأبي الفرج عَبْد الرَّحْمَن ابن علي بن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) (تَحْقِيق : د . حاتم صالح الضامن ، الطَبْعَةُ الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بَيْرُوت ، ١٤١٥ هـ .

٣٠. مَعَايِنُ الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ . لأبي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بن السري بن سهل الزجاج . (ت ٣١١ هـ) . الطَبْعَةُ الأولى . تَحْقِيق عَبْد الْجَلِيل عده شليبي . عالم الكتب . بَيْرُوت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٣١. معجم مقاييس اللغة . أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا . (ت ٣٥٩ هـ) . تحقيق : عبد السلام هارون . دار الكتب العلمية . بيروت . (د . ت) .

٣٢. المفردات في غريب القرآن . أبو القاسم بن حسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني . (ت ٥٠٢ هـ) . أعده للنشر وأشرف على الطبع : د . مُحَمَّد أحمد خلف الله . مكتبة الأنجلو المصرية . (د . ت) .

٣٣. ناسخ القرآن العزیز ومنسوخه ، هبة الله بن عَبْد الرحيم بن إِبْرَاهِيم (ت ٧٣٨ هـ) ، تَحْقِيق : د . حاتم صالح الضامن ، الطَبْعَةُ الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بَيْرُوت ، ١٤٠٥ هـ .

٣٤. الناسخ والمنسوخ ، لهبة الله بن سلامة بن نصر المقرئ ، (ت ٤١٠ هـ) ، تَحْقِيق زهير الشاويش ، وَمُحَمَّد كنعان ، الطَبْعَةُ الأولى ، المكتب الإسلامي ، بَيْرُوت ، ١٤٠٤ هـ .

٣٥. النهاية في غريب الحديث والأثر . أبو السعادات مجد الدين بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير . (ت ٦٣٠ هـ) . تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود مُحَمَّد الطناحي . الطبعة الأولى . المكتبة العلمية . بيروت . ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٣٦. نواسخ القرآن ، لأبي الفرج عَبْد الرَّحْمَن بن علي بن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، الطَبْعَةُ الأولى ، دار الكتب العلمية ، بَيْرُوت ، ١٤٠٥ هـ .

١٧٥ هـ) تحقيق : د . مهدي المخزومي ، و د . إبراهيم السامرائي . بغداد . الطبعة الأولى . طبعت الأجزاء من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٨٥ م .

١٦. غريب الحديث أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤ هـ) تحقيق : د . مُحَمَّد عبد المعيد خان . الطبعة الأولى . دار الكتاب العربي . بيروت . ١٣٩٦ هـ .

١٧. فَتْحُ الْقَدِيرِ الْجَامِع بين فني الرواية والدَّرَايَةِ من علم التفسير . مُحَمَّد ابن علي بن مُحَمَّد الشوكاني . (ت ١٢٥٠ هـ) . دار الفكر للطباعة والنشر . بَيْرُوت . (د . ت) .

١٨. الفروق اللغوية . أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري . (ت ٣٩٥ هـ) . ضبطه وحققه : حسام الدين القدسي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . (د . ت) .

١٩. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الطَبْعَةُ الأولى ، دار الشروق ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٢٠. القاموس المحيط . أبو الطاهر مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي الصديقي الشيرازي . (ت ٨١٧ هـ) . المؤسسة العربية للطباعة والنشر . بيروت . لبنان . (د . ت) .

٢١. المصدر نفسه

٢٢. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) . أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي . (ت ١٠٩٤ هـ) . قابلة على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهرسه : الدكتور عدنان درويش ، ومحمد المصري . دار الكتب الثقافية . دمشق . ١٩٧٥ م .

٢٣. لباب النقول في أسباب النزول . لأبي الْفَضْل عَبْد الرَّحْمَن بن أَبِي بَكْرٍ بن مُحَمَّد السيوطي . (ت ٩١١ هـ) . دار إحياء الْعُلُوم . بَيْرُوت . (د . ت) .

٢٤. لسان العرب . أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١ هـ) . الطبعة الأولى . دار صادر . بيروت . لبنان . ١٩٦٨ م .

٢٥. مجمع الأمثال . أبو الفضل أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم الميبداني النيسابوري . (ت ٥١٨ هـ) . تحقيق : مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد . دار المعرفة . بيروت . (د . ت) .

٢٦. مجمع البحرين . فخر الدين الطريحي . (ت ١٠٨٥ هـ) . تحقيق أحمد الحسيني . الطبعة الثانية . مكتب نشر الثقافة الإسلامية . ١٤٠٨ هـ .

٢٧. المجمل . لأبي الحسين أَحْمَد بن فارس بن زكريا . (ت ٣٩٥ هـ



الآثار الثقافية والاجتماعية للمؤسسات التعليمية في العهد المملوكي

م . د. رشا عيسى فارس
جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي

the invasion. In their capital Cairo, the Centre for Science and the Houses of Knowledge grew, libraries spread, the science movement flourished, schools, corners and choirs were created. There is a vast scientific wealth to be found in the great group of scientists who emerged at that time in various branches of science and knowledge, as well as the emergence of scientific encyclopedias, which were the most remarkable phenomenon of intellectual life.

المقدمة:

لقد مارس المماليك سلطانهم من خلال العلماء، فمنهم جاء للقضاة والمحاسبين وأعاونهم الذين أشرفوا على الأسواق، وكذلك أدار العلماء الأوقاف، وكان من رجال الدين السلطة الثانية بعد المماليك.

وقد قامت المرأة في عهد المماليك بدور فعّال ومتميز، إذ لم يخل الحكام على نسايتهم وبناتهم بالمال والمتاع وأضفوا عليهن ألقاب التشريف، وخاطبوهن في المكاتبات بعبارات التشريف والتكريم، وذلك من باب الفخر والتزكية والثناء والتعظيم، واقتنى السلاطين والأمراء الجوّاري للغناء والطرب، فكان لكل مالك أو أمير جوقة مغنيات كاملة من الجوّاري. وكثيراً ما تزوج الأمير جاريته حيث يتواتر أسماء كثير من الجوّاري اللواتي قدر لهن أن يلعبن أدواراً مهمة في قصور السلاطين والأمراء.

أما نظام التربية عند المماليك، فسند أن علوم الدين الإسلامي وآداب اللغة العربية كانتا لا تقلان أهمية عما يتلقونه من تدريبات عسكرية ورياضية، فكانوا يجلبون صغار السن ويضعون في الأطباق ويعلمون الكتابة والقراءة ويتلقون آيات الذكر الحكيم وضروباً من الفروض الدينية، ويعودون على الصلاة، ويحبّب إليهم الدين والدود عنه والتخلق بكل جميل من الأخلاق. ويتابع المملوك تدريباته العسكرية في سن البلوغ، وفي وقت فراغه يطالع العلوم والآداب، وقد يتفقه أحدهم في الدين أو يأخذ بنظم الشعر والكتابة.

ومن السلاطين الذين راعوا العلماء وقربوهم إليهم، السلطان «طر» الذي كان مائلاً للعدل ويحب العلم ويكرّم العلماء،

الملخص

تعد الدراسة في هذا الموضوع من الدراسات المهمة التي كان لها دور بارز ومؤثر في إثراء الجانب التربوي والتعليمي ومن الدراسات ذات الأهمية في تحديد سمات التاريخ الإسلامي، من خلال التعرف عن الدور الذي لعبته المؤسسات التعليمية في إبراز العديد من العلماء والفقهاء والمحدثين الذين نبغوا في مجالات علمية عدة، كالحديث والفقه والتاريخ وغيرها من العلوم الأخرى، فقد برزت في هذه الحقبة السلطنة المصرية في ظل المماليك، إذ شهدت مدينة القاهرة بوصفها مركز السلطنة المملوكية خاصة بعد أن بدأت المراكز العلمية في بغداد بالانحسار بسبب الغزو وتوجهت انظار العلماء الى القاهرة بحثاً عن الامان والاستقرار، فنمت في عاصمتهم القاهرة مركز العلم ودور المعرفة وانتشرت المكتبات وازدهرت حركة العلم وأنشأت المدارس والزوايا والخانقاهات، واصبحت هنالك ثروة علمية واسعة تتمثل في تلك المجموعة الكبيرة من أكابر العلماء الذين برزوا في تلك المدة في شتى فروع العلم والمعرفة، وكذلك بروز الموسوعات العلمية التي كانت تمثل أبرز ظاهرة امتازت بها الحياة الفكرية.

Abstract

The study on this subject is an important one that has played a prominent and influential role in enriching the educational and educational aspects and one of the important ones in defining the characteristics of Islamic history, by learning about the role that educational institutions have played in highlighting the many scholars, scholars and modernists who have professed in many scientific fields, such as modern, jurisprudence, history and other sciences. In this era, the Egyptian Sultanate emerged under the Mamluks. It witnessed Cairo as the center of the Mamluk Sultan, especially since the scientific centres in Baghdad began to decline because of

عملوا على ازدهار وتطوير المدارس (١). ومما يدل -أيضاً- على ازدهار النشاط العلمي هو تشجيع المماليك للعلم وترحيبهم بالعلماء؛ لذا فقد أكَثَر المماليك من بناء المدارس والجوامع والرُّبَط والخوانك لتكون قبلة للعلماء وطلاب العلم ينهلون منها العلم في شتى ميادين المعرفة (٢). ويعود السبب في اهتمام السلاطين والأمراء بالحركة العلمية إلى هجرة الكثير من العلماء من المشرق الإسلامي إلى مغربه بعد اجتياح المغول للمشرق الاسلامي ودخولهم بغداد وبلاد الشام، فاستقر الكثير من هؤلاء العلماء في مصر، وبعد العمل الكبير الذي قام به المماليك لوقف زحف المغول على ما تبقى من العالم الإسلامي في مغربه بعد أعمالهم الإجرامية في المشرق من قتل العلماء وتدميرهم لدور الفكر والعلم. ومما ساعد على النهوض بالحركة العلمية، إن بعض المماليك كان على جانب كبير من العلم والمعرفة والفضل، وتصدر بعضهم للإقراء والتدريس، مثل السلطان الظاهر بيبرس (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م) الذي كان يميل إلى التأريخ وأهله ميلاً شديداً (٣). وهذا يدل على أن علم التأريخ كان من أبرز العلوم في العصر المملوكي لما لقيه من تشجيع من سلاطين المماليك، كما اهتم كثير من السلاطين باللغة العربية وعلموها لأنها اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم ولأنها لغة العالم الاسلامي، وبرز عدد من علماء اللغة وكان على رأسهم ابن منظور المصري (٧١١هـ/١٣١١م) صاحب المعجم الشهير (لسان العرب)(٤). ونتيجة لذلك فقد زاد النشاط العلمي في عصر المماليك عن سابقه في زمن الأيوبيين وتوفر الوقت والمال لديهم، فاهتموا بإنشاء دور التعليم في مختلف أنحاء مصر والشام والحجاز، ورصدوا لها الأوقاف الواسعة ليضمنوا استمرارها وتأديتها على أكمل وجه(٥). كما حظيت مكة المكرمة والمدينة المنورة باهتمام خاص من سلاطين المماليك لما لها من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، فأنشأوا المدارس المتعددة فيها لكي تكون ملتقى لطلبة العلم، وكان لسلاطين المماليك دور كبير في إحياء الحركة العلمية في الحجاز فأنشأوا المدارس والكتاتيب والاربطة. ولم يكن الأمراء أقل نصيباً في تحصيلهم للعلم من سلاطينهم بل ربما فاقوهم، ولذا اقرن اسم بعضهم بلقب (محدث) أو فقيه، كما اهتموا بالحركة العلمية وأنشأوا كثيراً من المدارس، ومن هؤلاء الأمراء ، الأمير أرغون الدوادار (٧٣١هـ/١٣٣٠م) وهو أحد

وحظي المسجد في العصر المملوكي باهتمام السلاطين والأمراء وعامة الناس بمختلف فئاتهم، فشهد العصر حركة عمرانية للمساجد لا تزال آثارها باقية حتى يومنا هذا. وكان الكثير من السلاطين والأمراء ينزلون هذه المساجد لمشاركة العلماء حلقاتهم العلمية. ومن العلماء الذين تخرجوا من الجامع الأزهر القلقشندي والقريزي، والسيوطي، والبلقيني وابن تغري بردي وابن حجر العسقلاني. وقد امتاز العصر المملوكي بكثرة ما أنشئ فيه من المكتبات العامة والخاصة، وكان أغلب السلاطين والعلماء والفقهاء والأدباء يتنافسون في جمع المخطوطات النادرة من كتب التفسير والحديث والفقه واللغة والطب والأدبيات ودواوين الشعراء. وقد تولّى إدارة المكتبات الإسلامية رجال هم في ذروة مجتمعهم حسباً ونسباً وعلماً وفضلاً وأدباً وأمانة وصدقاً؛ وتبع الأدباء في العصر المملوكي أسلافهم. وعلى هذا الاساس فأن مسألة الخوض في الآثار الثقافية والاجتماعية للمؤسسات التعليمية في العهد المملوكي يقتضي تقسيم البحث إلى: مظاهر الاهتمام بالحركة العلمية في العهد المملوكي: لقد كان عصر المماليك وخصوصاً القرن الثامن الهجري، من أزهى العصور علمياً وثقافياً بعد القرن الثالث الهجري؛ ذلك أن هذا العصر قد امتاز بكثرة العلماء الذين أنتجهم الأمة في ذلك الوقت، تاركين للأجيال القادمة تراثاً ضخماً في شتى فنون المعرفة. وقد كان للعلماء والأمراء والسلاطين الدور الأساسي في نهضة الحركة العلمية وذلك من خلال استقطاب العلماء وتشجيعهم، عليه سنقوم بتقسيم هذا المبحث الى ثلاثة مطالب، نبحت في المطلب الأول اهتمام السلاطين وامراء المماليك بالحركة العلمية، أما المطلب الثاني فسندرس فيه دور العلماء في تنشيط الحركة العلمية، في حين نخصص المطلب الثالث لبيان دور المرأة ومكانتها في الحركة العلمية وكالاتي: اهتمام السلاطين وأمراء المماليك بالحركة العلمية: لقد تميز عصر المماليك بكثرة المدارس التي أنشأها السلاطين ابتداءً من عهد السلطان قلاوون، ولذلك فقد اهتم بعض السلاطين والأمراء بتقريب العلماء والاهتمام بهم وإكرامهم وتبجيلهم، فعندما ورث المماليك دولة بني أيوب لم يرضوا لأنفسهم أن يكونوا أقل منهم شأنًا في نشر الحركة العلمية، فقد



بعدة عوامل منها التقوى والزلفى ، ومنها اتخاذ المدرسة أداة تضمن بقاء الحكم في أيديهم ودعم مركزهم في أعين الشعب. وقد ألحقت بكل مدرسة خزانة كتب يرجع إليها المدرسون والطلاب في البحث والاستقصاء، فإذا أتم الطالب دراسته وتأهل للفتيا والتدريس أجاز له شيخه ذلك وكتب له إجازة يذكر فيها اسم الطالب وشيخه ومذهبه وتاريخ الإجازة وغير ذلك (١٠).

كما أن الحياة العلمية في مدارس العصر المملوكي لم تخل من ضروب الترويج عن النفس فأقيمت في المدارس بين الحين والآخر حفلات لمختلف المناسبات العلمية كختم البخاري أو الفراغ من تصنيف كتاب أو غير ذلك. وكانت الأوقاف والأحباس هي التي ثبتت أركان المدرسة ودعمت نظامها ومكنتها من القيام برسالتها في عصر المماليك.

أما الطلبة فكان التعليم لهم مجاناً إضافة لضمان المسكن والكساء وبعض المقررات النقدية والعينية شهرياً، إلا أنها كانت تختلف من طالب لآخر وفق ما يراه ناظر الوقف وهذا أدى إلى التحاسد بين الطلبة بسبب نقص مقرر أحدهم عن زميله، كما أن المدرسة في ذلك العصر لم تكن في كثير من الأحيان بناءً مستقلاً قائماً بذاته، وإنما كانت جزءاً ملحقاً بالقبة التي بناها السلطان أو الأمير ليدفن فيها بعد وفاته (١١).

دور المرأة ومكانتها في الحركة العلمية:

قامت المرأة في عهد المماليك بدور فعال و متميز، إذ لم يخل الحكام على نسائهم وبناتهم بالمال والمتاع وأضافوا عليهن ألقاب التشريف، وخاطبوهن في المكاتبات بعبارات التشريف والتكريم. وأطلق عامة الشعب على نسائهم ألقاباً تنم عن التقدير والاحترام، مثل «ست الخلق» و«ست الكل».

ولم يفرق الاسلام بين الرجل والمرأة في التعليم، بل جعل تعلم المرأة امور دينها وما تستقيم به حياتها فرضاً يجب عليها ان تتعلمه، وكل ما يحصل عليه الرجل من الثواب عن العمل الذي يعمل به تحصل عليه المرأة من غير تفريق، قال تعالى : (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴿١٢﴾ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً) (١٢)، ويقول سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣).

مماليك السلطان المنصور قلاوون الذي أنشأ مدرسته قبل سنة (٧٢٠هـ/١٣٢٠م) (٦).

دور العلماء والعالمات والاعيان العامة في تنشيط الحركة العلمية

لقد كان للعلماء والعالمات والأعيان العامة الدور الكبير في تنشيط الحركة العلمية في العصر المملوكي، وقد اهتموا بتدريس العلوم الشرعية خاصة علم الحديث وعلم القراءات والفقه والتفسير، فقد عرفت مصر ازدهاراً علمياً في العصر المملوكي في مختلف المجالات بعد أن أصيب العالم الإسلامي بنكسات على أيدي المغول والقوى الصليبية، إذ رحل العلماء والمعلمون وطلبة العلم من بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وغرناطة مركز الخلافة الإسلامية في اسبانيا وبلاد الاندلس، فأقبل علماء المشرق والمغرب على القاهرة زاهرة المماليك ومحطة العلماء (٧).

ومن العلماء الذي كان لهم دور علمي هو صالح بن ابي منصور الشيباني (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، وشهاب الدين المعروف بابن أبي العيون والذي تولى القضاء سنة ٨٢٢ هـ/١٤١٩م، وقد كان للعلماء الدور الكبير في إثراء الحركة العلمية، وتعد الطائف مركزاً من مراكز العلم ولا شك أن وجود مسجد ابن عباس بالطائف كان من الأسباب الرئيسية التي جعلت كثيراً من العلماء يقومون بزيارة هذه المدينة .

لقد كان عصر المماليك وخصوصاً القرن الثامن الهجري، من أزهى العصور علمياً وثقافياً بعد القرن الثالث الهجري؛ ذلك أن هذا العصر قد امتاز بكثرة العلماء الذين أنتجهم الأمة في ذلك الوقت، تاركين للأجيال القادمة تراثاً ضخماً في شتى فنون المعرفة (٨).

كما أن مصر على وجه الخصوص أصبحت محوراً لنشاط علمي كبير وذلك لعدة أسباب منها: ما أصاب المسلمين في القرن السابع الهجري من كوارث على أيدي المغول في العراق والشام، وعلى أيدي المسيحيين في الأندلس، فكان من حظ مصر التي ظلت بمنجاة من مثل تلك المصائب أن تغدو هي المجال الوحيد للنشاط الفكري والثقافي والفني، كما أن إحياء الخلافة العباسية في مصر على أيدي المماليك هيأ القاهرة لأن ترث بغداد وتصبح مركزاً للنشاط العلمي والديني في العالم الإسلامي (٩).

وقد تميز هذا العصر بكثرة المدارس التي أنشأها السلاطين ابتداءً من عهد السلطان بيبرس فصاعداً مدفوعين إلى ذلك

أما المكتبات العربية الإسلامية فهي نتاج طبيعي للحضارة الإسلامية وانعكاس لها وقد ساهمت في توسيع نطاق الحضارة والحفاظ عليها ونقلها إلى الأجيال المسلمة وعندما اتسع أفق المسلمين العقلي وازدهرت وتنوعت اهتماماتهم الفكرية زاد عدد المكتبات وتنوعت أغراضها حتى شملت جميع أنواع أساسيات المكتبات ولهذا قد عرفت الحضارة الإسلامية مختلف أنواع المكتبات (١٧).

عليه سنقوم بدراسة دور المكتبات في تنشيط الحركة العلمية في عهد المماليك وذلك من خلال تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، المطلب الأول نخصه لبيان الكتب والمكتبات بشكل عام، أما المطلب الثاني فسندرس فيه المكتبات الخاصة، أما المكتبات العامة فسندرسها في المطلب الثالث وكالآتي:

الكتب والمكتبات

من المعروف أن الكتب والمكتبات قد أدت دوراً مهماً في حياة المسلمين وشكلت صرحاً بارزاً من صروح الحضارة الإسلامية لدرجة أن هذه الحضارة أصبح يطلق عليها (حضارة الكتاب) وذلك منذ أن كان المسلمون يعتبرون كل كتاب ابتداء من القرآن الكريم يمثل عالماً كاملاً بنفسه فهو بالنسبة لهم يمثل مالم يمثله أي شيء لأي شعب من شعوب العالم القديم فهو المصدر الوحيد الذي لا ينضب للحياة الروحية (١٨). وحين يتحدث المسلمون عن الكتب فإنهم يتحدثون عنها دائماً بالكثير من الحب وكأنهم يتحدثون عن أشياء عزيزة على نفوسهم أو يتحدثون عن اصدقاء مخلصين فهم يقولون عن الكتاب

نعم الانيس اذا خلوت كتاب

تلهو به أن خانك الاحباب
،وتغنى كثير من الشعراء بأهمية الكتاب ودوره في تثقيف المجتمع حتى انه يعتبر عندهم في بعض الاحيان مساوياً لقيمة السلاح.

ولأهمية هذه الكتب في تثقيف المجتمع فقد درج الخلفاء والحكام والعلماء والأغنياء وأهل الخير أن يوقفوا الكثير من الأوقاف على المساجد والمدارس والأربطة وغيرها، ابتغاء ثواب الله فاصبح وقف الكتب وحبسها على المكتبات مصدراً رئيسياً من مصادر تزويد المكتبات بالكتب (١٩).

ويكون الوقف على أنواع، فمنهم من يوقف كتبه على المسلمين عامة دون تعيين، ومنهم من يخصص فيقول (أوقفته على

فكما أن هذا القدر من العلم يجب على الرجل أن يتعلمه كذلك يجب على المرأة ان تتعلمه، والتقصير فيه خطيئة ولا يكفرها إلا الخروج من الجهل به، وعد العلماء من النساء المتعلّمات في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): عائشة وحفصة، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يخرج الى النساء فيعظهن ويعلمهن، لأن ترك النساء بغير تعليم يؤدي إلى جهلن بما يجب عليهن من أمور دينهن وحقوق ازواجهن وتربية اولادهن (١٤).

ولا يشترط عليها الإسلام إلا شرطين، الأول أن تطلب العلم بحشمة ووقار، والثاني أن يكون ما تتعلمه ممّا يعود عليها بالنفع والخير، ولم يختلف وضع المرأة ومكانتها العلمية بعد هذا العصر بل استمر على ما هو عليه في العصر المملوكي.

ولقد ذكرت كتب التراجم أسماء كثيرة من عالمات العصر ونشاطهن العلمي، ويلاحظ أن معظمهن كان لهن اهتمام بعلم الحديث ويلاحظ أن اجازتهن وأخذهن للعلم كان على أيدي آبائهن أو أجدادهن أو أخوانهن، ومن النساء الاقي كان لهن دور في الحركة العلمية: (١٥)

١- خديجة بنت علي بن أبي بكر (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) التي كان لها نشاط في علم الحديث.

٢- فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م).

٣- الاختين أم الحسن وأم الحسين بنتي المحب محمد بن الشهاب، وكان لهما جهود لا بأس بها في الحديث.

٤- أم كلثوم ابنة محمد بن أحمد الرضي وتسمى سعيده (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م).

فقد كانت النساء يأتين للمساجد للعبادة ولسماع الخط، وكذلك يلقين المواعظ والدروس من خلال منازلهن والأربطة وما كانت تتميز به هؤلاء العالمات وغيرهن هو حفظ الاحاديث الشريفة. (١٦)

دور المكتبات في تنشيط الحركة العلمية في عهد المماليك: المكتبة هي مؤسسة أوجدها الانسان لتعمل على خدمته من خلال تجميع الكتب وبالتالي ثروته الفكرية وتنظيمها ونقلها للأجيال القادمة فيمكن القول أن المكتبة هي مؤسسة ثقافية معرفية وجدت لتجمع وتحفظ مجموعات معينة من مصادر المعرفة بحيث تنظم وترتب وفق طرق معينة وتحت اشراف فرد أو مجموعة أفراد متدربين على القيام بأعمال المكتبة وخدمة روادها.



المكان الفلاني أو البلدة الفلانية)، ومنهم من يترك استعمالها حراً، على حين يضع آخرون شروطاً لاستعمالها وإعارتها، كما فعل الفاسي الذي منع إعارة الكتب لأهل مكة.

غير أن العادة جرت أن يوقف المرء كتبه على المدرسة التي تخرج منها أو درس أو علم فيها، أو على الرباط الذي كان يسكنه ويدرس فيه، أو ما شابه ذلك، وكان وقف الكتب يسهل عمل الباحث لأن الكتب كانت مبدولة للجميع، حيث استغنى بعض العلماء عن شراء الكتب ولا سيما إذا كانت ذات يدهم ضيقة فاستفادوا من هذه الكتب بالمطالعة في أماكنها (٢٠).

المكتبات الخاصة

لم يظهر لنا من خلال المصادر التي تناولت مرحلة المماليك وجود مكتبة خاصة لأحد العلماء والتي يتردد إليها طلبة العلم، وإما كانت هناك تراجم تشير إلى إن كثيراً من العلماء كان لديهم كتب خاصة بهم، أو إنهم كانوا يحبون اقتنائها ومطالعتها، وكانوا يساعدون طلبة العلم بإعارتها إليهم. فقد أوقف إبراهيم بن محمد الموصلي (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) كتباً كثيرة بخطه منها (شرح ابن الحاجب وغيره)، وعلي بن محمد الجيزي المعروف بابن الجريش (ت ٨٨٠ هـ / ١٤٧٨ م) الذي كان مغرمًا بتحصيل الكتب بحيث اقتنى منها نفائس من كل نوع شراءً وانتساخاً، حتى قيل إنها تساوي أربعة آلاف دينار، كما اقتنى محمد بن أبي بكر المديني كثيراً من كتب الصوفية بسبب محبته لأبي عربي الصوفي (٢١). وقد كان للعلماء الدور الكبير في تنشيط الحركة العلمية وذلك عن طريق إعارة الكتب ووقفها لنشر العلم والمعرفة بين الناس، ومن هؤلاء: عبد السلام بن محمد بن يحيى الذي سمع من الزين أبي بكر المراغي، وكتب له نسخة من تصنيفه (تحقيق النصرة بتخليص معالم دار الهجرة) (٢٢). وعلى الرغم من وجود بعض الجفاء والاختلاف بين العلماء، إلا أنهم كانوا يتناسون ذلك عندما يتصل الأمر بالمصلحة العلمية رغبة منهم في نشر العلم والمعرفة، وربما كانت الإعارة مدخلاً لأحدهم لإزالة الجفوة بينه وبين عالم آخر.

وكان بعض العلماء والواقفين لهذه الكتب يضعون شروطاً عند إعارتها أو يمتنعون عن إعارتها لظنهم بها أو خشيتهم ضياعها وسوء استعمالها من قبل المستعير، فقد ذكر تقي الدين ابن فهد .

إن مؤلفات تقي الدين الفاسي ومصنفاته صارت جميعها كالعدم لأنه إوقفها وشرط أن لاتعار لمكي (٢٣).

وتعرضت كتب بعض العلماء للضياع أمّا لحاجة ورثة هذا العالم للمال فيقومون ببيعها بعد وفاته أو لعدم معرفتهم بقيمة هذه الكتب وإهمالهم لها، فقد كان لدى عمر بن محمد السراج (ت ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م) عدداً كبيراً من الكتب ولم يعمل فيها خيراً بل هلكت بعده ولم ينتفع بها (٢٤).

وكذلك عبد الله بن حجاج المغربي الشهير بمكشوف الرأس (ت ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م) الذي كان من أكابر العلماء المطلعين على العلوم اليونانية إذ جمع من الكتب الجلييلة ما لم يجمعه أحد من جنسه أتى بها من بلاده مشتملة على أصول وإمهات ودواوين من تفسير وفقه وحديث وتاريخ وطب ومنطق وحكمة وعلوم شتى، لا يعرفها أهل زماننا ولا يفهمها إلا من عالج أصولها، وكان فيها من كل فن تصانيف عديدة، فلما أدركه الأجل أوصى إلى جاره النور بن الصفي فقيه الإمامية بأولاده الصغار، ولكن الكتب أصابها الأرضة والنار وتبللت وذهب منها النقاوة والأخيار، والذي بقي منها بيع كل عشرين كتاباً بدينار واحد (٢٥).

وبالتالي يتبين لنا إن آفة الكتب ، الأرضة والنار قد أودت بقسم كبير من محتويات المكتبات الخاصة وغيرها من المكتبات، وإن ما بقي منها لم تكن إلا كتب الطب والمنطق والحكمة والتي يبعث بأقل الأثمان وأبخسها، وذلك لأن طلبة العلم كانوا يهتمون بكتب العلوم الشرعية التي كانت سوقها رائجة في ذلك العصر.

المكتبات العامة

وتشمل هذه المكتبات الآتي:

أولاً: خزائن الكتب في المساجد

لعل هذا النوع من المكتبات العامة يعد أول المكتبات نشوءاً في الإسلام، ويبدو أن العادة جرت من أقدم عصور الإسلام أن يودع الناس في المساجد عدداً من نسخ القرآن الكريم وغيره من الكتب الدينية النافعة كوقف لفائدة المطالعين والمصلين، ومن الواضح أن مكتبة المسجد ظهرت للوجود منذ اتخاذ المسلمين المسجد مكاناً للدراسة.

وقد كان المسجد الحرام والمسجد النبوي مركزاً علمياً من أكبر مراكز التعليم والتدريس وجذب إليه الطلاب من جميع أنحاء العالم، لذا اهتم بهما الخلفاء والحكام والأمراء والعلماء وغيرهم، فأوقف عليهما مجموعات ضخمة من الكتب في أغلب فروع العلم والمعرفة ليستفيد منها طلاب العلم (٢٦).

وقد نشأت خزائن الكتب على مرّ العصور الإسلامية في أنحاء

رغد الحركة العلمية وهذا ما سنحاول توضيحه وفقاً للاتي:

الكتاتيب:

عرفت كتاتيب تعليم الأطفال قبل ظهور الإسلام، وقد كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلاً، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية، وكان تعلمه الصبيان في الزمن الأول فجاء الإسلام، إلا أن الكتاب لم يكن منتشراً بالشكل الكبير كما في الدولة الإسلامية.

وبعد صدر الإسلام انتشرت الكتاتيب في أرجاء الدولة الإسلامية، واصبحت الكتاتيب من أهم مراكز تعليم الصغار على مستوى العامة، وكان الذين يتولون تعليم الأطفال فيها يسمون بالمعلمين أو المكتبيين، وعلى الرغم من الاختلاف الذي نجده في تعليم الأطفال في الكتاتيب بين المشرق والمغرب، إلا أن السمة العامة لذلك التعليم تبدو واحدة على الرغم من الاختلاف في الطريقة (٢٩).

والغاية من إقامة هذه الكتاتيب هي : تحفيظ وعرض وكتابة السور القصار من القرآن الكريم فضلاً عن معرفة الخط، والاستخراج والضبط والفهم للمسائل، وبعض متون الاحاديث وعقائد السنن، وأصول الحساب وما يستحسن من المراسلات والشعار.

وقد انتشرت هذه الكتاتيب في العالم الإسلامي على نطاق واسع في زمن المماليك وعرف منها نوعان: (٣٠)

أولاً: المكاتب الخاصة:

وهذا النوع من المكاتب كان يقيمها من وجدوا في أنفسهم القدرة على اتخاذ التعليم حرفة يتقوتون منها، ويتعلم فيها الصبيان بأجر معلوم يدفع لأصحابها، وتلاحظ ان هذا النوع من الكتاتيب لا يتقيد بعدد معين من الطلاب.

ثانياً: مكاتب الأيتام:

وهي التي ينشئها المحسنون من السلاطين والأمراء والأعيان والعلماء والأغنياء، ويتحمل المنشئ كافة نفقات تعليم التلاميذ من الإيتام منذ دخولهم المكتب إلى أن يتخرجوا بحفظ القرآن الكريم، وكان دافع المنشئين إلى ذلك هو التقرب إلى الله تعالى قبل أي اعتبار آخر، وكانت مكاتب الأيتام أكثر دقة في اختيار افضل المؤدبين العاملين بها، واشترط في معلم الكتاب أن يكون من أهل الصلاح والعفة والأمانة حافظاً لكتاب الله ، حسن الخط، يدري الحساب، مشتهر بالدين والخير.

انتشرت المكتبات في العهد المملوكي بشكل لم يسبق له مثيل

متفرقة من الحرم، وتعرضت هذه الخزائن لكوارث عدة منها التلف والضياع والحرق والسرقة، وذلك لعدم وجود مكان مخصص لها يحميها من عبث العابثين ويحفظها من عوارض الزمان كالسيول والحرائق وغيرها.

ثانياً: خزائن الكتب في الأربطة

قام السلاطين والأمراء بإنشاء الكثير من الأربطة، وقد اشتهرت بعض الأربطة بنشاطها التعليمي ووجود العديد من الكتب المهمة فيه وقد كثرت هذه الكتب في بعض الأربطة إلى أن أصبحت بعضها تضم مكتبات ضخمة فيها جميع فنون العلم. وقد اهتم العلماء بفهرسة هذه الأربطة وتنظيمها بحيث يسهل تناولها ويسهل استعمال كتبها على الباحثين والدارسين وهذا دليل على أن بعض الأربطة كان بها كتباً كثيرة وإلا لما احتاج الأمر إلى فهرسة كتبها (٣٧).

ثالثاً: خزائن الكتب في المدارس

اهتم السلاطين والأمراء والعلماء وغيرهم بخزائن الكتب في المدارس لتساعد في تنشيط الحركة العلمية، وعين لبعض هذه المدارس أمناء لمكتباتها من أجل المحافظة على الكتب وتقديم العون لطلاب العلم في جلب ما يطلبونه من الكتب. فقد أمر الخليفة المستنصر العباسي في سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م، بإنشاء مكتبة في المدرسة المنصورية بمكة، وأرسل الأموال إليها من بغداد، وبعدها أصبحت مقراً للملك المنصور وزوجته حينما يتوجها لأداء فريضة الحج (٣٨).

ونتيجة لإهتمام السلاطين بإقامة المنشآت العلمية وتشجيع العلماء على التأليف، فقد درج العلماء أن يؤلفوا الكتب باسم الحكام، وأن يهدوها لهم، وذلك رغبة منهم في حماية أنفسهم وفي رواج أعمالهم وارتفاع أسمائهم وتأمين مورد للعيش أفضل من المورد الذي يؤمنه لهم التأليف وحده دون حماية أو رعاية. مراكز التعليم في العصر المملوكي لم يكن عصر المماليك عصراً عادياً من العصور الهادئة أو الخاملة في التاريخ، وعلى الرغم من كثرة الفتن الداخلية والحروب الخارجية في هذا العصر فإن النشاط العلمي والفكري لم يتأثر بها لأن الفئة الحاكمة وحدها كانت هي التي تحارب دون أن تساهم فئات الشعب الأخرى فيها بفضل نظام المماليك الذي وقف الجندية عليهم وحدهم، فقد كام السلاطين والمماليك وامرائهم بتشجيع المدارس والجوامع والكتاتيب، وقد احترم المماليك العلماء ورجال الدين لانهم قوة لها، وبالتالي كان لمراكز التعليم (الكتاتيب ، المدارس ، المساجد ، الأربطة) الدور الكبير في

راضية، وكنت أشتري كاغدا - يعني ورقا - بخمسة دراهم فأكتب فيه ديوان المتنبي في ثلاث ليال وأبيعه بمائتي درهم وأقله بمائة وخمسين درهما (٣٢).

المساجد:

يعتبر النشاط التعليمي من أهم وظائف المسجد بعد الشعائر التعبدية، وكان من أعظم مهماته كونه مدرسة يعلم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها أصحابه، إذ كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) 'يقيم حلقات العلم ويشجع من يقيمها ويجلس إليهم فيها، ورغب في تعهدها والحضور إليها وحذر من التقصير فيها، وذلك لما لها من أهمية وضرورة للأمة والمجتمع (٣٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص إن رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) مر بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه، فقال كلا المجلسين خير وأحدهما أفضل من الآخر صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وإما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإما بعثت معلماً ثم أقبل فجلس معهم (٣٤)

هكذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يجلس في المسجد فيعلم الجاهل ويفتي السائل ويبين الأحكام، وسار على نهجه الصحابة والتابعين في إقامة حلقات العلم إذ كانوا يتنافسون على الحضور إليها ويوصي بعضهم بعضاً بها.

ويعتبر المسجد الحرام من أكبر دور العلم التي يتلقى فيها العديد من الناس على اختلاف ألوانهم ومشاربهم، خاصة العلوم الشرعية، ذلك إن المسجد الحرام لا يخلو من الرواد على مدار العام، إذ الكعبة المشرفة قبلة المسلمين التي يحج إليها الآف مؤلفة من المسلمين كل عام ليؤدوا فريضتهم التي كتبت عليهم، والذين بلا شك كان بينهم كثير من العلماء أدوا رسالتهم العلمية في المسجد الحرام واستفاد منهم طلبة العلم (٣٥).

وقد استمرت حلقات العلم في المسجد الحرام تعقد منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا إذ يحفل المسجد بالعديد من الحلقات التي تتميز في غالبيتها في الأجوبة عن الأسئلة التي يطرحها العديد من الناس، حيث يجلس العديد من رجال العلم في المسجد للأجابة على تلك التساؤلات الخاصة بالأمور الدينية والاجتماعية (٣٦).

وعليه فإن حلقات العلم في المساجد كانت تيسر للتلاميذ

في ما سبق ذلك من عهود، فلم تكن في مصر والشام مدرسة إلا وألحقت بها مكتبة عامة بل ولا مسجد إلا ويشتمل على دار للكتب، وكان لكل مكتبة خازن «أمين مكتبة» وكانت العادة في هذا الخازن أن يكون عالماً أو فقيهاً، وليس أدل على ذلك من أن الحافظ ابن حجر العسقلاني كان خازن المكتبة المحمودية إلى أن توفي عام ٨٥٢ هـ وكان شمس الدين محمد بن سعد السيرامي خازناً للمكتبة الشيعونية، وبلغ من انتشار المكتبات الوقفية في ذلك العصر أن أبا حيان النحوي كان يعيب على من يشتري الكتب ويقول: «اللَّهُ يَرْزُقُ عَقْلاً تعيش به، أنا أي كتاب أردته استعرتته من خزائن الأوقاف»، وللدلالة على ضخامة عدد المكتبات الوقفية وشيوعها وتميزها في هذا العصر يتحدث المقرئ عن مدارس هذا العصر باستفاضة ولكنه يتوقف عند واحدة منها وهي المدرسة المحمودية واصفاً محتوياتها فيقول: «فيها خزانة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلاً، وهي باقية إلى اليوم لا يخرج لأحد منها كتاب إلا أن يكون في المدرسة، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن، وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر»، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ومن هذا النص نستنتج أن المكتبات في عصر المماليك عرفت نظام الأرشفة والتنسيق وتوزيع الكتب على الفنون وضبط نظام الاستعارة فيها، واحتوائها على نفائس الذخائر التي امتازت بها عن جميع المكتبات المعاصرة لها.

وقد اعتنى الأمراء والأعيان في ذلك العصر بالكتب عناية فائقة، وتنافسوا في ادخارها، واقتناء النفائس منها، وقد كانت المبالغة في العناية الفائقة باقتناء الكتب في هذا العصر وتزويقها وتحسين تغليفها وعمل خزانات جميلة لحفظها نابعة من أسباب عدة: من أهمها الغرام العلمي والشغف بنوادر الكتب والمخطوطات الذي كان يتربع في قلوب كثير من رموز المجتمع، ومنها التحلي بالمكتبات وجعلها زينة للبيوت ووسيلة احترام ووجاهة عند أهل العلم الذين يستعيرون من الكتب ما تمس إليه حاجتهم وتقصر أيديهم عن شرائه، ومنها الاعتقاد - الذي كان سائداً بين كثير من الناس في ذلك العصر - أن اقتناء الكتب يورث الغنى (٣١).

ونتيجة للاهتمام بالكتب ازدهرت حرفة الوراقة ازدهاراً لا مثيل له في هذا القرن حتى أصبحت مصدراً رئيساً للكسب والعيش ليس لعامة الناس فقط وإنما للعلماء والشعراء أيضاً، قال العكبري: كسبت في الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم

بتنافسون على الإقامة فيها، ومن الامثلة على تلك المدرسة، المدرسة صاحبية البهائية التي انشأها الوزير صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) والتي كانت من أجمل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر يتنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها، ومن المدرسين الذين سكنوا المدرسة الصالحية، عبد الله بن علي التركماني، والقاضي بدر الدين اليباري، وسكن ابو الحسن التبريزي بالمدرسة الحسامية.

فقد كان يجد بها العالم والمتعلم والعايد والمتراد والمنقطع الغذاء العلمي والروحي والمادي والمأوى، وذلك فيما يلقي بها من دروس علمية، وما كانت تقدمه من رواتب نقدية وعينية للمدرسين والطلبة وبقية العاملين بها (٤٠).

وقد زحرت المدارس في مصر بعدد كبير من الاسبله للسقاية كعمل خيري استهدف خدمة الناس لتوفير مياه الشرب العذبة لهم في الشوارع والطرق العامة والمدارس، ومن المدارس في العهد المملوكي في مصر هي: (٤١)

أ- المدرسة الظاهرية: أنشأها السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري على انقاض قاعة إحدى قاعات القصر الفاطمي الكبير بجانب المدرسة الصالحية وقد شرع في بنائها سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م)، وألحقت بها خزانة كتب جليلة، وبنى بجانبها مكتباً لتعليم الأيتام القرآن الكريم، كما أنشأ بها مساكن للطلبة والاساتذة.

ب- المدرسة المنصورية: نسبت هذه المدرسة الى مؤسسها الملك المنصور قلاوون ورتب فيها درساً على المذاهب الاربعة لكل طائفة مدرس وثلاثة معيدين، كما رتب مدرساً في الطب إذ سكن ابن النفيس، ورتب كذلك درساً لتفسير القرآن الكريم، وتعد هذه المدرسة واحدة من أروع المدارس المملوكية التي شيدت بالقاهرة.

ج- مدرسة جمال الدين الاستادار: وتقع هذه المدرسة بشارع الجمالية برحلة باب العيد من القاهرة، أنشأها الأمير جمال الدين محمود الاستادار في سنة (٨١١هـ/١٤٠٨م)، واشترى لها جملة من الكتب النفيسة في الفقه والحديث وغيرها.

د- المدرسة المؤيدية: وتقع هذه المدرسة بشار المعز لدين الله داخل باب زويلة، أسسها الملك المؤيد شيخ، وبسبب ذلك حبس المؤيد في خزانة شمائل أيام فتنة منطاش، فنذر لأن نجاه الله وملكه القاهرة أن يبني مكانها جامعاً يقام فيه ذكر الله فكان له ذلك. بالإضافة إلى الدور العلمي الذي كانت

حرية الحضور حسب أعمالهم، ومصالحهم وليس هناك تحديد لأعداد التلاميذ، ولم يكن هناك تلك المنهجية المعقدة، ولذلك فإن من ينضم إلى تلك الحلقات العلمية فإن توجهه بلا شك علمي إلى حد كبير، وتقسم الدروس التي كانت تعطى في المساجد إلى نوعين: (٣٧)

القسم الأول: الدروس العامة، وهي ما تعرف بحلقات العلم المتنوعة حيث تلقى على الطلبة وعامة الناس وهذه الدروس لا يتقاضى فيها العالم راتباً معيناً، كما إنه لا يأخذ من الطلبة صدقة أو زكاة لأن تعليمه وتدريبه لطلاب العلم كان في سبيل الله.

القسم الثاني: الدروس المخصصة التي قررها وأمر بها السلاطين والأمراء والتجار وغيرهم، إذ كانوا يدفعون لمن يقوم بتدريسها اجراً معلوماً، وقد بلغ هذا الأجر في بعض الحالات مبلغاً كبيراً، كما ان هذه الدروس تعد حلقات مؤقتة تستمر على قدر استمرار اهتمام منشئها بها، بخلاف الحلقات العامة التي تستمر باستمرار وجود المدرسين ورغبتهم في مواصلة التدريس وتنتهي عادة بوفاتهم.

المدارس والأربطة

اولاً: المدارس

أنشئت المدارس في مصر لتقى فيها محاضرات العلوم والمعارف، وألحقت بها خزائن الكتب لجذب العلماء من شتى الجهات، ويرجع إليها المدرسون والطلاب عند الحاجة، ومثال ذلك ما نصت عليه وثيقة وقف السلطان الغوري، وبها خلوة كبرى معدة لخن الكتب وبها جنبات خشب نقي، وصدر مثبتة معدة لحفظ ما فيها من كتب العلم الشريف الموقوفة على طلبة العلم الشريف، لانتفاعهم بها في المدرسة، وبهذا المرتبة خزانة معدة لحفظ المصاحف والربعات الشريفة بواجهة (٣٨)

واحتوت مكتبات المدارس المملوكية كتباً كثيرة في مختلف العلوم والفنون التي كانت تدرس في ذلك الوقت، وقد احتوت المدارس في العهد المملوكي على مساكن للطلبة والمدرسين، وتعد فكرة انشاء مساكن للطلبة والمدرسين ميزة من مميزات النظام التعليمي الاسلامي، ومثل هذا النظام هو خير ما يمكن تقديمه للطلبة والغرباء والفقراء إذ يجدون فيها راحتهم وأمنهم واستقرارهم، فكان من مكملات المدرسة إنشاء بيوت خاصة للطلبة والمدرسين ملحقة ببناء المدرسة (٣٩). وقد امتازت بعض المدارس بجودة مساكنها مما جعل الطلبة

لتقديم الاطعمة لساكنتها، وكما احتوت بعض الأربطة على مدافن للموتى.

وتشير المصادر إلى أن الأربطة كان لها بعض الاثر في تنشيط الحركة الفكرية، فقد كان يسكنها الكثير من طلبة العلم والعلماء الفقراء، وما كان يحدث فيها من سماع ومناقشات وإجازات وما يتبعها من أمور متعلقة بها من الأذكار وغير ذلك، وعلاوة على ذلك فإن بعض الأربطة كانت تضم أعداداً غير قليلة من الكتب على سبيل الوقف، مما اتاح لنزلاتها فرصة المطالعة والدراسة ضمن تلك الأربطة (٤٧).

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث الموسوم بـ (الاثار الثقافية والاجتماعية للمؤسسات التعليمية في العهد المملوكي) توصلنا إلى عدد من النتائج نوجزها بالآتي:

١- أظهر لنا هذا البحث أن العصر المملوكي لم يكن عصر ظلام وضلالة علمية، بل كان هناك شتى فنون المعرفة والحياة العلمية.

٢- تبين لنا الدور الكبير للامراء والسلاطين وما قاموا به من جهود رائعة لتنشيط الحركة العلمية .

٣- أظهر لنا هذا البحث دور المدارس والمساجد والأربطة في نشر الاثار الثقافية والاجتماعية للمؤسسات التعليمية.

٤- دور المرأة الكبير في نشاط الحركة العلمية للمؤسسات التعليمية، فقد اشرفت المرأة على الأربطة، وحصلت على الاجازات في التعليم.

٥- لم يكن عصر المماليك عصرًا عاديًا من العصور الهادئة أو الخاملة في التاريخ، وعلى الرغم من كثرة الفتن الداخلية والحروب الخارجية في هذا العصر فإن النشاط العلمي والفكري لم يتأثر بها لأن الفئة الحاكمة وحدها كانت هي التي تحارب، دون أن تساهم فئات الشعب الأخرى فيها.

الهوامش:

(١) ينظر: مصطفى محمود سبيتي، المماليك وآثارهم الدينية، دار المواسم للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠٨، ص ٧٥.

(٢) ينظر: احمد مختار العبادي: المماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٤٣.

(٣) ينظر: يوسف بن تغري بردي: النجوم الزاهرة، وزارة الثقافة، مصر، ١٩٣٠، ج ٧، ص ١٨٢.

(٤) ينظر: شمس الدين السخاوي: الضوء اللامع، دار الجيل العربية، بيروت، ١٩٣٦، ج ٦، ص ٨٥.

(٥) ينظر: يوسف بن تغري بردي: المصدر السابق، ص ٤٥٩.

(٦) ينظر: محمد بن احمد الفاسي: العقد الثمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦، ج ١، ص ١١٧.

تؤدي المدارس، فإنها أيضاً كانت تؤدي وظائف اجتماعية مهمة، فكانت في بعض الاحيان داراً للقضاء يفصل فيها بين القضايا التي تحدث بين العلماء والاعيان وغيرهم، كما كانت مكاناً لانعقاد الصلح بين الاطراف المتنازعة.

والخلاصة إن العلوم التي كانت تدرس في هذه المدارس هي العلوم الدينية كتفسير القرآن وعلوم القراءات والفقه وأصوله، والحديث وعلومه، واللغة العربية بصرفها ونحوها مع شيء من الاهتمام بعلوم البلاغة والفلك والحساب (٤٢)

ثانياً: الأربطة

كانت الأربطة في أصلها منشآت دينية وعسكرية يقيم بها المحاربون للتعبد والاستعداد للجهاد والتربص لأعداء الإسلام الذين يغيرون على بلادهم، وقد اشتق اسمها من الآية الكريمة: (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) (٤٣)، وكذلك من قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٤)، ومع الزمن أصبحت الأربطة مجرد مأوى يقيم بها الفقراء والمتصوفة المنقطعون للعبادة، وهذا الاستعمال هو الذي كان معروفاً في العصر المملوكي، فقد انتشر التصوف في مصر في عصر المماليك، وامتد انتشاره ليشمل الحجاز أيضاً. وقد شايح كثير من سلاطين المماليك حركة التصوف، واستتبع انتشار التصوف ان زاد عدد البيوت التي خصصت للصوفية والتي اطلق عليها خوانق وربط وزوايا.

ولما ضعفت الخلافة العباسية وقلت الاعطيات التي كانت ترسل من قبل الخلفاء اليهم بدأوا يطلبون اجراً عن سكن الحجاج في دورهم، مما دفع اثرياء المسلمين من تجار ووزراء وسلاطين الى بناء اربطة في مكة ليقوم فيها فقراء الحجاج والفقراء من اهله (٤٥)

وقد اشار الرحالة المسلمون الى هذه الأربطة ودورها المهم في الحياة الاجتماعية لسكان الحرمين الشريفين، فقد عملت هذه الأربطة على توفير وسائل الراحة لطلاب العلم الوافدين الى الحرمين الشريفين من البلاد الاسلامية، وللفقهاء والمجاورين في مكة والمدينة المنورة، وكان هؤلاء لهم دور عظيم في نشر العلوم في مجتمع اهل مكة والمدينة (٤٦).

بالاضافة الى ما تقدمه الأربطة من راحة للطلاب والمجاورين كان الحجاج يجدون فيها مأوى لهم حيث يسكنون فيها، وتقدم لهم المأكول والمشرب، حيث ضمت هذه الأربطة مساكن لسكن المجاورين وكذلك برراً تمه الساكنتين بالماء، ومطبخاً

العباسي ، المصدر السابق، ص٢٢٤..
(٣٣) ينظر: عبد الله قاسم الوشلي، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، ط ١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٠، ص٤٨.
(٣٤) ينظر: ابن الاثير، مجدي الدين ابي السعادات ، جامع الاصول في احاديث الرسول، مطبعة الملاح، بيروت، ١٩٨٦، ج ١، ص ١١.
(٣٥) عبد العزيز محمد ، رسالة المسجد في الاسلام، دار التراث ، بيروت، ط ١، ١٩٨٧، ص١٦٣-١٦٢.
(٣٦) ينظر: عبد الله قاسم الوشلي، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، المصدر السابق، ص٤٩.
(٣٧) ينظر: عبد العزيز محمد ، رسالة المسجد في الاسلام، المصدر السابق، ص١٦٧.
(٣٨) ينظر: محمد محمود خلف، المدارس في مصر في عصر دولة المماليك، اطروحة دكتوراه، الجامعة الاردنية ، ٢٠٠٥، ص ٨٠.
(٣٩) ينظر: محمود عابدين، تاريخ دولة المماليك في مصر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ١٩٩٥، ص٧٧.
(٤٠) ينظر: محمد كمال الدين عز الدين ، الحركة العلمية في مصر زمن المماليك ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٩، ص ٣
(٤١) ينظر: محمد محمود خلف، المدارس في مصر في عصر دولة المماليك، ص٨٣.
(٤٢) ينظر: محمد كمال الدين عز الدين ، الحركة العلمية في مصر زمن المماليك ، المصدر السابق، ص٤.
(٤٣) ينظر ، سورة الانفال ، الاية ٦٠.
(٤٤) ينظر ، سورة ال عمران ، الاية ٢٠٠.
(٤٥) ينظر: حسن الباشا، المدخل الى الآثار الاسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٠، ص١٣٣.
(٤٦) ينظر: حسن الباشا، المدخل الى الآثار الاسلامية ، المصدر السابق، ص١٣٥.
(٤٧) ينظر: محمد السيد الوكيل ، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، ط ١ ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٩٨٦، ص٨٨.
(٤٨) ينظر: محمد كمال الدين عز الدين ، الحركة العلمية في مصر زمن المماليك ، المصدر السابق، ص ١٣.

المصادر

- القرآن الكريم

- ١- ابن الاثير، مجدي الدين ابي السعادات ، جامع الاصول في احاديث الرسول، مطبعة الملاح ، بيروت ، ١٩٨٦، ج ١.
- ٢- احمد مختار العبادي: المماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٨٦.
- ٣- الجبوري يحي وهيب، المكتبات في الحضارة الاسلامية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨.
- ٤- جمال بن فرحان الرمي: الحياة العلمية في عصر المماليك، موقع الألوكة الثقافية ، ٢٠١٥ .
- ٥- الجميل محمد بن فارس: المكتبات العربية في العصر العباسي ،مجلة العصور ، المجلد الرابع ، ١٩٨٩.
- ٦- الجواهري محمد ، تاريخ المكتبات في البلدان العربية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٢.
- ٧- حسن الباشا، المدخل الى الآثار الاسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٠.
- ٨- شمس الدين السخاوي: الضوء اللامع ،دار الجيل العربية، بيروت،

- (٧) ينظر: د. احمد مختار العبادي: المماليك في مصر والشام،المصدر السابق ، ص٤٧.
- (٨) ينظر: مصطفى محمود سبيتي، المماليك وآثارهم الدينية ، المصدر السابق، ص٧٩.
- (٩) ينظر: د. جمال بن فرحان الرمي: الحياة العلمية في عصر المماليك، موقع الألوكة الثقافية ، ٢٠١٥ .
- (١٠) ينظر : د. مفيد الزيدي ، العصر المملوكي ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، الاردن ، ٢٠٠٩، ٢٢١.
- (١١) ينظر: مصطفى محمود سبيتي، المماليك وآثارهم الدينية ، المصدر السابق، ص٨٨.
- (١٢) ينظر: سورة النساء ، الاية ١٣٤.
- (١٣) ينظر: سورة النحل ، الاية ٩٧.
- (١٤) ينظر: د. احمد مختار العبادي: المماليك في مصر والشام،المصدر السابق ، ص١٣٢.
- (١٥) محمد بن احمد الفاسي: العقد الثمين، المصدر السابق ، ص٢١٠.
- (١٦) ينظر: د. احمد مختار العبادي: المماليك في مصر والشام،المصدر السابق ، ص١٣٧.
- (١٧) ينظر: الجواهري محمد، تاريخ المكتبات في البلدان العربية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٢، ص٦٣.
- (١٨) ينظر: الجميل محمد بن فارس: المكتبات العربية في العصر العباسي ،مجلة العصور ، المجلد الرابع ، ١٩٨٩، ص٢٦١.
- (١٩) ينظر: محمد بن احمد الفاسي: العقد الثمين، المصدر السابق ، ص٣٢١.
- (٢٠) ينظر: العوضي، د. طه حسين : اثر الوقف الاسلامي في النهضة العلمية، ط ١ ،مطبعة الديوان ، القاهرة، ١٩٩٧ ص ١٣.
- (٢١) ينظر: عمر بن فهد الهاشمي: الدار الكمين ، بدون دار نشر ، ٢٠٠٠، ص٢٥٣.
- (٢٢) ينظر:الجواهري محمد، تاريخ المكتبات في البلدان العربية، المصدر السابق، ص ٦٣.
- (٢٣) ينظر: محمد طاهر حمادة: المكتبات في الاسلام نشأتها وتطورها ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨، ص٨٢.
- (٢٤) ينظر: عمر بن فهد الهاشمي: الدار الكمين ، المصدر السابق، ص٢٥٧.
- (٢٥) ينظر: د. طه حسين العوضي: اثر الوقف الاسلامي في النهضة العلمية، ط ١ ،مطبعة الديوان ، القاهرة، ١٩٩٧ ص ٢٨.
- (٢٦) ينظر: محمد طاهرة حمادة : المكتبات في الاسلام نشأتها وتطورها، المصدر السابق، ص٨٣.
- (٢٧) ينظر: الجبوري يحي وهيب، المكتبات في الحضارة الاسلامية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨، ص٧٩.
- (٢٨) ينظر: الجميل محمد بن فارس: المكتبات العربية في العصر العباسي ،المصدر السابق، ص٢٧٣.
- (٢٩) ينظر: محمد طاهر حمادة، المكتبات في الاسلام ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٨، ص ٧٢.
- (٣٠) ينظر: محمد رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي، مكتبة الادب، القاهرة ، ط ١، ١٩٦٥. ص ١٩٣.
- (٣١) ينظر: محمد طاهر حمادة، المكتبات في الاسلام ، المصدر السابق، ص ٧٧.
- (٣٢) ينظر: الجميل محمد بن فارس: المكتبات العربية في العصر

١٩٣٦، ج ٦.

٩- طه حسين : اثر الوقف الاسلامي في النهضة العلمية، ط١، مطبعة الديوان ، القاهرة، ١٩٩٧.

١٠- طه حسين العوضي: اثر الوقف الاسلامي في النهضة العلمية، ط١، مطبعة الديوان ، القاهرة، ١٩٩٧.

١١- عبد العزيز محمد ، رسالة المسجد في الاسلام، دار التراث ، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

١٢- عبد الله قاسم الوشلي، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ ، ط١ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٩٠.

١٣- عمر بن فهد الهاشمي: الدار الكمين ، بدون دار نشر، ٢٠٠٠.

١٤- محمد السيد الوكيل ، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، ط١ ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٩٨٦.

١٥- محمد بن احمد الفاسي: العقد الثمين، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦ ج ١.

١٦- محمد رزق سليم، عصر سلاطين المماليك وانتاجه العلمي والادبي،

مكتبة الادب، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٥.

١٧- محمد طاهر حمادة: المكتبات في الاسلام نشأتها وتطورها ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨.

١٨- محمد كمال الدين عز الدين ، الحركة العلمية في مصر زمن المماليك ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٩.

١٩- محمد محمود خلف، المدارس في مصر في عصر دولة المماليك، اطروحة دكتوراه، الجامعة الاردنية ، ٢٠٠٥.

٢٠- محمود عابدين، تاريخ دولة المماليك في مصر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ١٩٩٥، ص٧٧.

٢١- مصطفى محمود سبيتي، المماليك وآثارهم الدينية ، دار المواسم للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠٨.

٢٢- مفيد الزبيدي ، العصر المملوكي ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، الاردن ، ٢٠٠٩.

٢٣- يوسف بن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،وزارة الثقافة ، مصر، ١٩٣٠، ج ٧.



**تطبيقات الربا في العصر الحديث
إصدار السندات وتداولها إنموذجاً**

م.د. أروى نهاد إسماعيل
كلية الحكمة الجامعة

المستخلص :

إن الاعتقاد بأن السندات أداة في التمويل والاستثمار وأدارة مخاطر النقد والسيولة إنما هو ضرب من تخلف الفكر الاقتصادي والجهالة العلمية والتقليد الأعمى للغالب المتبوع، فضلاً عن المحادة لتصريح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، والحق أن العقيدة المالية الفاسدة أي المقصود استعمال الربا كأداة مالية لأغراض إقتصادية متعددة إحدى حماقات الاقتصاد الرأسمالي المعاصر، لاسيما من المنظور المخاطري المحض والذي لايزال صندوق النقد الدولي يكرسه ويفرضه على سياسات البنوك المركزية والتي تعمل دائماً على إخضاعها تحت سلطاته الرقابية .

أهمية الدراسة : إن أهمية السندات تكمن في كونها تجمع بين طبيعتين مختلفتين في أداة مالية واحدة، حيث يتولد العائد عنها من طريق مختلفين ، وهذا يعني إن لهذه الأداة خصوصية تفضيلية يأخذها المستثمر الربوي بعين الاعتبار إلى جانب كونها أداة استثمار ذات دخل ثابت ومخاطر متدنية وأحياناً شبه صفرية، وهي تطرح بمرونة زمنية عالية ولآجال متنوعة ، قصيرة ومتوسطة وطويلة .

سبب اختيار هذا الموضوع : إن هذا التنوع الوظيفي في طبيعة توليد العائد على السندات الربوية المعاصرة رصده الشريعة الإسلامية بإعجاز بالغ وإتقان مبین، حيث نجد القرآن الكريم يحظر الربا استقلالاً في مواضع ، كما يحظر أكل المال بالباطل استقلالاً في مواضع أخرى أيضاً.

تهدف هذه الدراسة إلى:

إن التعامل بالربا على اختلاف هيئة التعامل به عقد لا يلزم منه إحداث حركة حقيقة للسلع والخدمات في الاقتصاد على خلاف البيع لانه حلال يقوم على إحداث مبادلة حقيقة تقع على مال حقيقي بصورة سلعة أو خدمة حقيقية، فإن البيع يحرك السلع والخدمات في الاقتصاد، والربا يجفف منابعها ويعطل رواجها وحركتها فضلاً عن تصنيفها وانتاجها.

منهج الدراسة : الإجابة على الإشكاليات المطروحة واختبار صحة فرضياتها، ثم اتباع المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي للإلمام بالمفاهيم والعناصر الأساسية المتعلقة بالسندات وتداولها.

وفي هذا الإطار طرحنا الفرضية التالية : إن الأصل في الإقتراض الربوي من البنوك وغيرها يمثل في (إشباع العجز

المالي) عند العميل مما يؤدي إلى ظلم وحدوث عجز في العملية الاقتصادية في القطاع الاقتصادي .

ولقد لخصت الدراسة إلى حملة من النتائج هي : إن جميع صور وتطبيقات الربا في عصرنا الحديث محرمة في الإسلام ، لأن الجمع البديع بين الربا والباطل في آية واحدة مشعر باجتماعهما في معاملة مالية واحدة في الواقع، هو ما تحقق بالفعل في عمليات تداول السندات الدائنية - ذات الأصل الربوي- في ميادين أسواق الدين والنقد الحقيقية المعاصرة كما قال تعالى:

{قَبِطْلِم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبَصَدَّهُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١)}

هيكلية الدراسة جاءت على النحو التالي : فقد قمت بتقسيم البحث إلى خمسة مطالب الاول : تسمية المعاملة في العصر الحديث، الثاني : التصور الفقهي لهذه المعاملة الربوية ، الثالث : الجانب الاقتصادي من المعاملة، الرابع: كيفية تحقيق الربا في هذه المعاملة ، الخامس : مصدر الحظر الشرعي للسندات وفق التطبيق الواقعي المعاصر

Abstract:

The belief that bonds are a tool in financing, investment, and cash and liquidity risk management is a kind of backwardness of economic thought, scientific ignorance and blind imitation of the majority followed, as well as defiance of the statement of the Noble Qur'an and the purified Sunnah of the Prophet. Multiple economics is one of the follies of the contemporary capitalist economy, especially from the purely risky perspective, which the International Monetary Fund continues to devote and impose on the poli-

up its sources and disrupts its popularity and movement, as well as its classification and production.

Study methodology: answering the problems raised and testing the validity of their hypotheses, then following the descriptive, inductive and analytical approach to familiarize themselves with the concepts and basic elements related to bonds and their circulation.

In this context, we put forward the following hypothesis: The origin of usurious borrowing from banks and others is represented in (the satisfaction of the financial deficit) at the customer, which leads to injustice and the occurrence of a deficit in the economic process in the economic sector.

The study has been summarized into a set of results: All forms and applications of usury in our modern age are prohibited in Islam, because the wonderful combination of usury and falsehood in one verse is marked by their convergence in one financial transaction in reality, which is what has actually been achieved in the transactions of credit bonds - which are related Al-Rabwi origin - in the fields of the markets of religion and criticism of contemporary rights as saying: Al-Rasheon in the flag of them and the believers believe what I was revealed and what was down from you and the residents of prayer and the people of Zakat and the believers in God and the other day, and the other day.

cies of central banks, which it always works to subject them under its supervisory authorities.

The importance of the study: that the importance of bonds lies in the fact that they combine two different natures in one financial instrument, where the return is generated from them by two different methods, and this means that this tool has a preferential privacy that the interest-based sensor takes into account in addition to being an investment tool with a fixed income and with low risks and sometimes almost Zero, which is offered with high time flexibility and for various terms, short, medium and long.

The reason for choosing this topic: This functional diversity in the nature of yield generation on contemporary interest-bearing bonds was monitored by Islamic Sharia with great miraculousness and apparent mastery, where we find the Holy Qur'an prohibiting usury independently in some topics, and also prohibiting the consumption of money unlawfully in other topics as well.

This study aims to: Dealing with interest in different forms of dealing is a contract in which it is not necessary to create a real movement of goods and services in the economy unlike selling, because it is permissible based on creating a real exchange based on real money in the form of a real good or service. The economy, and usury dries



تواجه عجزاً مالياً أو البنوك والشركات الخاصة ، بينما من يشتري السند ينظر إليه كأداة للاستثمار وتنمية فوائضه المالية ، ولا يجوز إصدار السند إلا بناء على ترخيص وموافقة البنك المركزي أو وزارة المالية بحسب نظام الدولة .

فالسند عبارة عن (وثيقة بدين بشرط الزيادة إلى أجل الاستحقاق) ، وهو ينشأ في أصله توثيقاً لعملية مداينة تكون بين طرفين ، فهو التزام معلوم لأجل أو آجال معلومة على أساس نقدي أو دائني فقط ، حيث لا وجود في تنفيذه لأية سلعة أو خدمة وسيطة في هذه المعاملة ، إلا أنه التزام تجاري يولد الزيادة المشروط كفاً يريحها المقرض مقابل الزمن ، وبهذا يمكننا تشخيص محددات السند في أنه :

١ - عملية مداينة بين طرفين .
٢ - يأتي السند توثيقاً لعملية مداينة تنشأ بموجب عقد قرض بحسب الأصل، وإن كان السند قد ينشأ أيضاً على أساس دين ثابت في الذمة ، ويسمى (توريق الديون) (٣) أو (تصكيك الديون) (٤) .

٣ - السند ذو طبيعة تجارية ، أي إنه مصدر لتوليد الربح لمن يستثمر فيه، وللازم ذلك في الواقع أن يقتن إصدار السند التجاري بزيادة مشروطة مقابل الأجل يلتزم بها المصدر (البائع للسند) نحو المستفيد (المشتري للسند)

٤ - عادة ما تكون السندات قابلة للتداول في سوق النقد ، وقد يصرح بتداولها في سوق الأوراق المالية بشروط قانونية.

٥ - لا ينطوي إصدار السند أو تداوله على أي أساس عيني مادي حقيقي في الاقتصاد ، فمصدر السند يحتاج إلى النقد السائل (الكاش) لمواجهة عجزه المالي فقط لا غير ، فالمصدر يتحمل في ذمته الديون لصالح المشتريين ، ولا وجود في تلك العلاقة لأية سلع أو خدمات حقيقية تصاحب توليد النقد في هذه العملية (٥). وتتنوع السندات من حيث الأجل والعائد المشروط ودرجة الضمان ، إذ توجد سندات قصيرة الأجل ومدتها (٣ / ٦ / ٩ / ١٢) شهراً فقط ، كما توجد سندات متوسطة الأجل تصل لأكثر من

(١ / ٢ / ٣ / ٤ / ٥) سنوات، كما توجد سنوات طويلة الأجل تزيد فوق ذلك، ثم العائد أيضاً قد يكون قليل النسبة وقد يكون متوسطاً أو مرتفعاً بحسب حاجة المصدر وأجل الاستحقاق ، كما أن السندات تتعدد بحسب درجة قوة الضمان الذي يصاحبها ، فقد يكون ضمان السند عالياً شبه مضمون ، وهذا عادة يكون من إصدار الدولة وفي أجل قصير ، ولذلك

The structure of the study came as follows: I divided the research into five demands: the first: the designation of the transaction in the modern era, the second: the jurisprudential conception of this usurious transaction, the third: the economic aspect of the transaction, the fourth: how to achieve usury in this transaction, the fifth: the source of the ban Legitimate bonds according to contemporary realistic application
Keywords: bonds and their trading

المطلب الأول : تسمية المعاملة في العصر الحديث :
تشتهر هذه المعاملة الربوية بمصطلحات متعددة ، وأشهرها الآتي :

١ - أذونات الخزنة الحكومية بفائدة (ربوية) :
٢ - سندات الاستثمار بفائدة (ربوية) .
٣ - شهادات الاستثمار بفائدة (ربوية)

عبارة عن :وثائق اقتراض بفائدة ربوية تصدرها الدولة ،وموضوعها:اقتراض الدولة من غيرها بفائدة ربوية مشروطة ،هي تشبه السندات الربوية المعروفة، ولكن المختص بإصدارها هو الدولة ممثلة بوزارة المالية أو البنك المركزي ونحوها من مؤسسات الدولة ، واعلم أن إطلاق مصطلح(أذونات الخزنة مصدره قانون الدولة ، فالأذونات جمع (إذن) ، والخزنة تعني خزانة الدولة وصندوقها النقدي العام ، وسميت أذونات الخزنة بذلك بسبب أن الدولة - بموجب دستورها - لا يحق لها الاقتراض عن طريق إصدار السندات إلا بعد أخذ موافقة البرلمان الممثل للشعب ، والهدف تقييد تصرفات الحكومة فيما يضر بمصالح الدولة ، ويحملها أعباء كبيرة من الديون مستقبلاً ، فإذا أذن البرلمان للدولة جاز لها الاقتراض قانوناً لمصلحة خزانة العامة ، ولذلك تسمى أيضاً (السندات العامة) أي للدولة ، وإن لم يأذن البرلمان كان ذلك محظوراً على الدولة قانوناً ، وهذا هو سبب تسميتها (أذونات الخزنة) (٢).

المطلب الثاني : التصور الفقهي لهذه المعاملة الربوية:
يعتبر (السند) أحد أدوات تمويل العجز الحاصل لدى الجهة المصدرة له ، سواء أكانت الجهة هي الدولة عندما

جميعاً معاملات تحقق فيها وجود التزامين على أساس نقدي ، أولهما : التزام برد أصل المبلغ المودع بموجب عقد قرض ، وثانيهما : التزام برد زيادة مشروطة بموجب عقد القرض نفسه ، فنحن أمام عقد قرض بفائدة مشروطة مقابل الأجل (٨).
جاء في القرار الصادر عن مجمع الفقه الإسلامي الدولي بشأن السندات ما يلي : (أولاً : إن السندات التي تمثل التزاما بدفع مبلغها مع فائدة منسوبة إليه أو نفع مشروط محرمة شرعاً ؛ من حيث الإصدار أو الشراء أو التداول ، لأنها قروض ربوية ؛ سواء أكانت الجهة المصدرة لها خاصة أو عامة ترتبط بالدولة ، ولا أثر لتسميتها شهادات أو صكوكاً استثمارية أو ادخارية أو تسمية الفائدة الربوية الملتزم بها ربحاً أو ربحاً أو عمولة أو عائداً (٩).

المطلب الرابع: السندات وتداولها في سوق أدوات الدين :
يُعد سوق أدوات الدين هو التطبيق الأكثر فحشاً وجساراً على ربا المداينات ، وتحديدًا من بوابة السوق المنظم لتداول السندات الربوية في العصر الحديث ، إذ يتم بواسطة سوق الدين الجمع بين آليات الإقراض الربوي بفائدة (إصدار سندات الدين الربوي) ، مع آليات التداول في السوق المالي (البورصة) ، حتى باتت سمة قبيحة من سمات ضعف بنية الاقتصاد العالمي برمته في العصر الحديث ، كما غدا الإدمان على إصدار السندات مصدراً استراتيجياً لتمويل العجز المزمن في الموازنات العامة لدى الدول الرأسمالية الموعلة في الدائنية ، فضلاً عن إصدارها من قبل المؤسسات التقليدية غير الحكومية ، وعادة ما يتم التبشير بهذه السوق والإشادة بفاعليتها كأحد وسائل إثراء قطاع الاستثمار المالي وتعزيز التصنيف الائتماني لاقتصاد الدولة وفق المقاييس الربوية العالمية (١٠).

فالسندات عبارة عن أدوات مالية دائنية ذات أغراض ثلاثية ؛ تمويلية واستثمارية ومخاطرية ، فالسندات أوعية مالية لتنمية الأموال وتعظيمها ، وتتسم بكونها أدوات ذات دخل ثابت ومخاطر متدنية من وجهة نظر المستثمر صاحب الفائض المالي ، بينما السند نفسه ينظر له على أنه منتج تمويلي لمواجهة العجز المالي من وجهة نظر جهة العجز المصدرة له ، كما تستخدم السندات الربوية كأدوات استراتيجية في الاقتصاد المصري الربوي للتحكم في حجم المعروض النقدي ، حيث تعد السندات أداة رئيسة لإدارة السياسة النقدية لدى البنوك المركزية (١١)، كما تعد أداة مخاطر السيولة لدى البنوك

يطلق عليه مصطلح (شبه النقد) أو (النقد المعادل) ، وقد يكون ضمان السند دون ذلك ، ولا سيما إذا كان المصدر جهة خاصة وليست الدولة (٦).

المطلب الثالث : الجانب الاقتصادي من المعاملة :
تتعدد أهداف المتعاملين في السندات الربوية على الشكل الآتي :

- ١- الحاجة إلى تمويل العجز لدى مصدر السند ، فهي هنا حاجة تمويلية بحتة .
- ٢- الحاجة إلى تنمية المال واستثماره في أدوات وأوعية استثمار شبه مضمونة ، وهذه الحاجة تحمل صاحب الفوائض المالية على توظيفها في هذا النمط من الاستثمارات شبه الآمنة وذات المخاطر المتدنية للغاية .
- ٣- الحاجة إلى تنويع أدوات ووسائل الاستثمار فيما يعرف بتنويع مخاطر الأصول ، وهو من الاستراتيجيات المشهورة لدى صناديق ومحافظ الاستثمار ، فعلى الرغم من أن عوائد السندات لا توازي في حجمها - عادة - عوائد الاستثمار في قطاعات أخرى - مثل الأسهم - إلا أن السندات تبقى من تطبيقات الدخل الثابت الذي يميل إلى الأمان وشبه الضمان ، كما أن له عوائد تجعلها تتفوق على أداة (الودائع تحت الطلب) وهي الحساب الجاري الذي لا يلتزم البنك معه بتقديم أية عوائد مالية عليها (٧).

المطلب الرابع : كيفية تحقق الربا في هذه المعاملة .
تقوم السندات بفائدة مشروطة على الأساس النقدي، فمشتري السند ينقل مسؤولية التصرفات بأمواله النقدية إلى مصدر السند (البائع) ، فيكون المصدر في الواقع ممثلاً عن حامل السند في عملية استثمار وتنمية أمواله ، وبذلك نكون في السندات أمام عقد معاوضة تعتمد هندسته المالية على : (تسليم نقد مقابل التزام المستلم بأن يرد مثل ما قبضه تماماً مع التزامه أيضاً بأن يرد زيادة معلومة بالشرط فوق أصل المال المقبوض في أجل محدد في المستقبل)، إذن نكون أمام عقد يعتمد على التوصيف التالي : (زيادة مشروطة على أصل القرض أو الدين مقابل الأجل) ، وهذا هو عين الأصل الأول من أصول الربا ، والنتيجة أن عمليات (السندات) يتحقق فيها محظور الربا في الإسلام ، فيكون حكمها التحريم شرعاً ، سواء كان المصدر للسندات هو الدولة نفسها أو البنوك والشركات الخاصة ففي جميع هذه الحالات والتطبيقات تعتبر هذه المعاملة محرمة شرعاً ، والسبب أنها



التقليدية الربوية (١٢).

المطلب الخامس: مصدر الحظر الشرعي للسندات وفق التطبيق الواقعي المعاصر

لكي نثبت ونتفهم مدى عمق العلاقة بين السندات باعتبارها أدوات دين وفكرة التداول المالي الحقوقي ؛ فإنه يتعين علينا إخضاع آلية السندات المعاصرة للاختبار الشرعي والفحص الفني الدقيق طبقاً لأسس هندسة الحظر المالي في الشريعة الإسلامية ، ولقد قمنا في دراستنا هذه بإجراء ذلك الاختبار الشرعي والمبني على أساس التصور الفني الدقيق ، وفق واقعها التطبيقي مصدر الحظر الشرعي للسندات ، وفي واقعها التطبيقي المعاصر - يرجع إلى ثلاثة أصول شرعية متباينة ، وهي الربا بنوعيه ؛ القروض والديون ، إضافة إلى أكل الأموال بالباطل (١٣)، وبيان تلك الأصول الحظرية الثلاثة على النحو التالي :

الأصل الأول : ربا القرض ، وحقيقته « اشتراط الربح على أساس القرض نظير الزمن » ، وهو وصف قائم متحقق في السندات كلها عند إصدارها ، حيث تلتزم جهة إصدار السند بقيمة القرض الإسمية مضافاً إليه زيادة معلومة في أجل أو آجال الاستحقاق ، ويلاحظ هنا أن العائد يتولد من بيع الانتفاع بالنقد مقابل الزمن ، وهو من ربا الجاهلية الذي حرمه القرآن الكريم صراحة ، وأجمع العلماء عليه (١٤).

الأصل الثاني : ربا الدين ، وحقيقته « اشتراط الربح على أساس الالتزام في الذمة نظير الزمن » ، وهو وصف قائم متحقق أيضاً في السندات كلها عند تداولها على سبيل التبرج والمتاجرة بها ، ويأخذ التبرج من السندات بطريق ربا الدين صورتين ؛ ربا الزيادة أو ربا الخصم ، ويلاحظ هنا أن العائد يتولد من بيع الانتفاع بالدين المجرد أو سائر الالتزامات في الذمة مقابل الزمن ، وهو النوع الثاني من أنواع ربا الجاهلية الذي حرمه القرآن الكريم ، وعليه أجمع العلماء (١٥).

الأصل الثالث : أكل المال بالباطل ، وحقيقته « أخذ مال بلا مقابل يستحقه شرعاً أو عرفاً » ، حيث يتم تداول وثائق السندات الربوية على أساس قيمتها السوقية والمنفصلة عن أصل قيمة الدين وفوائده المشروطة ، فهنا يحقق المستثمر الربح نتيجة المضاربة السعرية ؛ بأن يشتري الحق المجرد المنفصل عن أصله المتمثل

في الدين المؤجل ، فهو يشتري السنة لا يبتغي عائده الذاتي السنوي أو الدوري ، وإنما مقصوده من شراء السند تحقيق الربح من فروقات الأسعار المضاربة ، والتي يولدها المضارب من إعادة بيع السند بعد شرائه في الأجل القصير ، أشبه صورة التداول في الأسهم بطريقة المضاربة السعرية (١٦).

الخاتمة :

١. إن تداول السندات - على ما أوضحناه قد تحقق فيه خاصيتان هما : القابلية للتداول مع الانفكاك بين الحق المجرد في الدين وبين الدين ذاته ، واجتماع هاتين الخاصيتين دال على تلبس السندات بنمط التداول المالي الحقوقي ، وبالتالي يتحقق في السندات قيامها على فكرة الباطل ممثلة بالمتاجرة بالحق المنفصل عن أساس دائني ، وعلى هذا فإن من أسباب الحظر الشرعي في السندات المعاصرة كونها - إلى جانب اشتغالها على آلية الربا - قابلة للتداول في سوقها النشط على أساس القيمة السوقية ، وهذا المعنى يندر التفتن إليه في الفقهاء الإسلامي والقانوني معاً وهو مشعر بفداحة المخالفة الشرعية في أداة السندات الربوية المعاصرة، وأنها أداة مالية تركبت فيها المخالفة الشرعية من ثلاثة أصول تحريرية وهي : الربا بنوعيه؛ القروض والديون؛ إلى جانب أكل المال بالباطل .

٢. ان الربا استثمار وتربح من ذات الزمن وليس من التجارة أو الانتاج أو العمل، فكل عملية مداينة يصاحبها شرط الزيادة قبل العقد فهو ربا القرض.

٣. ان الربا محرم شرعاً ويشمل جميع أمثلة وتطبيقات الفوائد الربوية في عصرنا الحديث سواء كانت الزيادة المشروطة تأخذ فائدة اتفاقية أو تأخيرية، أو كانت ثابتة أو متغيرة أو على أساس سعر الخصم الربوي .

٤. إن الإسلام موقفه حاسم بشأن الربا وإنما يستند إلى رؤية اقتصادية عميقة ونظرة استراتيجية ثابتة حيث يرى الإسلام أن حركة المال في الاقتصاد مثل حركة الدم في الجسد، فكلما كان الدم ساثلاً متحركاً بلا عوائق أو حواجز تحول بينه وبين حركته الطبيعية بين أعضاء الجسد فإن ذلك ينعكس حتماً على قوة الجسد وصحته وكفاءته في أداء وظائفه ، والعكس صحيح تماماً، فإن الدم إذا حُبس أو تصلب أو تعثر في حركته فإن ذلك سيؤدي إلى أن يحل بالجسد العجز والإعياء والمرض

واسماعيل يونس يامن، دار صفاء للنشر، عمان، ٢٠١١م، ص: ١٠٦.

(٦) ينظر: النقود والمصارف، رائد عبد الخالق عبد الله العبيد وخالد احمد فرحان المشهداني، دار الايام للنشر، الاردن، ٢٠١٣م، ص: ٧٩، وإدارة البنوك، محمد عبد الفتاح الصيرفي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤م، ص: ٣١.

(٧) ينظر: إقتصاديات النقود والمصارف: ص: ٣٩، و العمليات المصرفية الإسلامية، خالد أمين عبد الله و إسماعيل الطراد، دار وائل للنشر/ الاردن، ص: ١٢٣.

(٨) ينظر: الجهاز المصرفي والاستقرار الاقتصادي، احمد النهاني، دار أمانة للنشر والتوزيع/ عمان، ٢٠١٣م، ص: ٥٦، إقتصاديات النقود والبنوك، حسين بني هاني، دار ومكتبة الكيندي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩م، ص: ٢٤٣، والادارة المالية والمصرفية، محمد عبد الخالق، دار اسامة للنشر/ عمان، ٢٠١٠م، ص: ٤١.

(٩) ينظر: القرار رقم ٦٠ (١١ / ٦) الصادر عن مجمع الفقه الإسلامي الدولي، والمنعقد في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٧-٢٣ شعبان ١٤١٠ الموافق ١٤ - ٢٠ آذار / مارس ١٩٩٠ م بشأن السندات.

(١٠) ينظر: دور البنوك التجارية في استثمار أموال العملاء، سعيد سيف النصر، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الاسكندرية/ مصر، ٢٠٠٠م، ص: ١٤٢، و النقود والمصارف، محمود حسين الوادي، دار المسيرة للنشر والتوزيع / عمان، ٢٠١٠م، ص: ١٣٤.

(١١) ينظر: تيسير مخاطر القروض البنكية وفقاً للمعايير الدولية، احلام عقون، مذكرة ماستر، جامعة العربي ابن مهيديس/ ام البواقي، ٢٠١٢-٢٠١٣م، ص: ١٤، والبنوك وخطر الأسواق المالية العالمية، صلاح حسن، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠١١م، ص: ٣٠.

(١٢) ينظر: البنوك الإسلامية والمنهج التمويلي، كمال السيد طایل، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان / الاردن، ٢٠١٢م، ص: ٢٧، وتقنيات وسياسات التيسير المصرفي، بخراز فريدة، ديوان المطبوعات الجامعية / الجزائر، ٢٠٠٠م، ص: ٢٠، كفاءة المصارف الإسلامية في تمويل التنمية، معاندي مسعودة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧م، ص: ٨٣.

(١٣) ينظر: الاوراق التجارية والعمليات المصرفية، أكرم ياملي، دار الثقافة للنشر، الاسكندرية/ مصر، ١٩٩٩م، ص: ٣٤١، ودور المصارف الإسلامية في تفادي الأزمات المالية، صليحة مدفوني، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في علوم التسيير، جامعة ام البواقي، ٢٠١٢م، ص: ٧.

(١٤) ينظر: إعانة الطالبين حاشية على حل ألفاظ فتح المعين لشرح

والخمول فتتعطل وظائفه وتنهار قدراته وربما أدى ذلك بالجسد إلى الموت، فهكذا المال في الاقتصاد تماماً.

٥. إن الإصلاح الاقتصادي وفوضى الربا ضدان لا يجتمعان، ذلك أن الربا يضخم صناعة فقاعات الديون التي تنشأ على الذمم المجردة، فتصبح توظيفات أموال الربا غامضة مما يجعل الربا بيئة خصبة لانعدام الشفافية وتفشي حركة رؤوس الأموال.

٦. فقد أثبتت دراسات اقتصادية أن لربا أضرار ومفاسد على الاقتصاد تتجاوز العشرين ضرراً اقتصادياً كبيراً أبرزها الزيادة المفرطة في عرض النقود باستمرار، الأمر الذي يؤدي إلى تحفيز التضخم باستمرار، وتآكل العملة الوطنية محلياً، وتراجع قيمتها خارجياً.

الهوامش

- (١) سورة النساء الآية (١٦٠ - ١٦١)
- (٢) ينظر: البنوك التجارية والتسويق المصرفي، سامر جلدة، دار أسامة للنشر، عمان، ٢٠٠٠م، ص: ١٤.
- (٣) هو عملية مالية يتم فيها إصدار صكوك تحمل قيمة أصول تدر عائد وتباع بعد ذلك إلى المستثمرين. ينظر: قضايا فقهية معاصرة في المال والاقتصاد، د. نزيه حماد، دار القلم - دمشق، الدار الشامية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، ص: ٤٥، و الأسواق المالية. د. محمد علي القري. دار حافظ - جدة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص: ٦٧.
- (٤) جعل الدين المؤجل في ذمة غيره في المدة ما بين ثبوته في الذمة وحلول أجله، صكوكا قابلة للتداول في سوق ثانوية، وبذلك: يمكن أن تجري عليه عمليات التبادل والتداول المختلفة، ولها ثلاث طرق: الطريقة الأولى: بيع المصدر الأصلي "البنك مثلاً" الذين يرمته إلى مالك جديد.
- الطريقة الثانية: بيع الفوائد المتوقعة من القرض مع بقاء ملكية الدين للمصدر الأصلي.
- الطريقة الثالثة: إصدار سندات مضمونة بتلك الديون، ثم بيعها، فتكون الديون الأصلية ضماناً لتلك السندات فقط. ينظر: النوازل في القرض، صالح بن علي الجوعي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٢هـ-١٤٣٣هـ، ص: ٣٤.
- (٥) ينظر: المصارف الإسلامية، عايد فضل الشعراوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الطبعة ٢، بيروت، ٢٠٠٧م، ص: ١١٦، وإدارة المصارف التجارية، أسعد حميد العلي، مكتبة الذاكرة للطباعة والنشر، عمان، ٢٠١٣م، ص: ٤٤، إقتصاديات النقود والمصارف، حسين محمد سمحان



١٢. البنوك وخطر الأسواق المالية العالمية، صلاح حسن، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠١١م، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
١٣. تقنيات وسياسات التيسير المصرفي، بخراز فريدة، ديوان المطبوعات الجامعية / الجزائر، ٢٠٠٠م. كفاءة المصارف الإسلامية في تمويل التنمية، معاندي مسعودة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧م.
١٤. تقييم أعمال البنوك الإسلامية الإستثمارية، محي الدين يعقوب ابو الهول، دار النفائس للنشر / الاردن، ٢٠١٢م.
١٥. تيسير مخاطر القروض البنكية وفقاً للمعايير الدولية، احلام عقون، مذكرة ماستر، جامعة العربي ابن مهيديس / ام البواقي، ٢٠١٢-٢٠١٣م
١٦. الجهاز المصرفي والاستقرار الاقتصادي، احمد النبهاني، دار آمنة للنشر والتوزيع / عمان، ٢٠١٣م
١٧. دور البنوك التجارية في استثمار أموال العملاء، سعيد سيف النصر، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الاسكندرية / مصر، ٢٠٠٠م.
١٨. دور المصارف الإسلامية في تفادي الأزمات المالية، صليحة مدفوني، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في علوم التيسير، جامعة ام البواقي، ٢٠١٢م.
١٩. العمليات المصرفية الإسلامية، خالد أمين عبد الله و إسماعيل الطراد، دار وائل للنشر / الاردن.
٢٠. القرار رقم ٦٠ (١١ / ٦) الصادر عن مجمع الفقه الإسلامي الدولي، والمنعقد في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٧-٢٣ شعبان ١٤١٠ الموافق ١٤ - ٢٠ آذار / مارس ١٩٩٠ م بشأن السندات.
٢١. قضايا فقهية معاصرة في المال والاقتصاد، د. نزيه حماد، دار القلم - دمشق، الدار الشامية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
٢٢. كفاءة المصارف الإسلامية في تمويل التنمية، معاندي مسعودة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧م.
٢٣. المراجعة والرقابة في المصارف الإسلامية، نوال بن عمارة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣م.
٢٤. المصارف الإسلامية، عابد فضل الشعراوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الطبعة ٢، بيروت، ٢٠٠٧م.
٢٥. النقود والمصارف، رائد عبد الخالق عبد الله العبيد وخالد احمد فرحان المشهداني، دار الأيام للنشر، الاردن، ٢٠١٣م.
٢٦. النقود والمصارف، محمود حسين الوادي، دار المسيرة للنشر والتوزيع / عمان، ٢٠١٠م.
٢٧. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير (١٠٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، بيروت.
٢٨. النوازل في القرض، صالح بن علي الجوعي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٢هـ-١٤٣٣هـ

- قرة العين بمهمات الدين، لأبي بكر ابن السيد محمد شطا الدمياطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ٢٠ / ٣٠، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير (١٠٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، بيروت: ٤٢٤/٣.
- (١٥) أحكام القرآن. لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي: ١٨٦/٢.
- (١٦) ينظر: المراجعة والرقابة في المصارف الإسلامية، نوال بن عمارة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣م، ص: ٣٩، وتقييم أعمال البنوك الإسلامية الإستثمارية، محي الدين يعقوب ابو الهول، دار النفائس للنشر / الاردن، ٢٠١٢م، ص: ٩٥، وكفاءة المصارف الإسلامية في تمويل التنمية، معاندي مسعودة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧م، ص: ٢٥٩.

المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن. لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥،
٢. إدارة البنوك، محمد عبد الفتاح الصيرفي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤م.
٣. الادارة المالية والمصرفية، محمد عبد الخالق، دار اسامة للنشر / عمان، ٢٠١٠م.
٤. إدارة المصارف التجارية، أسعد حميد العلي، مكتبة الذاكرة للطباعة والنشر، عمان، ٢٠١٣م.
٥. الأسواق المالية. د. محمد علي القري. دار حافظ - جدة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م
٦. إعانة الطالبين حاشية على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين، لأبي بكر ابن السيد محمد شطا الدمياطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٧. اقتصاديات النقود والبنوك، حسين بني هاني، دار ومكتبة الكيندي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩م.
٨. اقتصاديات النقود والمصارف، حسين محمد سمحان واسماعيل يونس يامن، دار صفاء للنشر، عمان، ٢٠١١م.
٩. الاوراق التجارية والعمليات المصرفية، أكرم ياملي، دار الثقافة للنشر، الاسكندرية / مصر، ١٩٩٩م.
١٠. البنوك الإسلامية والمنهج التمويلي، كمال السيد طایل، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان / الاردن، ٢٠١٢م.
١١. البنوك التجارية والتسويق المصرفي، سامر جلد، دار أسامة للنشر، عمان، ٢٠٠٠م.

الشعور بالآخرين وتأصيله في القرآن الكريم

أ.م.د. فاضل أحمد حسين
كلية العلوم الإسلامية .. جامعة ديالى

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى الصحابة ومن تبعه في الخير إلى يوم الدين. إن احترام مشاعر الآخرين من أعظم الأخلاق الإسلامية التي يجب على كل مسلم الالتزام بها، حتى تسود المحبة في عالم المسلمين والناس. اليقين أن كلام الإنسان جزء من أفعاله، وأنه محسوب عليه أو عليه. فالمسلم الحقيقي هو الذي يحرص على تأديب نفسه وعمل ما ينفعه ويصلح أموره. وأهل الغفلة يشاركون في الكلام الفارغ والوسواس ولوم الناس. هذا هو الذي يخرج المشاعر ويعكر صفو العلاقات الإنسانية، والعقل من لا يهتم بمشاعر الآخرين الذين يتلاعبون بالناس ولا يهتمون بمشاعرهم، فقال الرسول (كل كلمة) آدم ما هو إلا ذكر الله، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) لذلك المسلم من يحترمه ويحفظ مشاعره لإرضاء الله، فعليه أن يضع كلام الحق عليه سبحانه. قال تعالى:

Abstract

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the Messenger of God, Muhammad, and upon companions, and those who followed him in goodness until the Day of Judgment. Respecting the feelings of others is one of the great Islamic morals, which every Muslim must adhere to, so that love may prevail in the world of Muslims and people. Certainty is that a person's speech is part of his action, and that it is counted against him or for him. The true Muslim is the one who is keen to discipline himself and do what will benefit him and set his affairs straight. The people of heedlessness participate in idle talk, of whispering, and blaming people. This is the one who embarrasses feelings and disturbs the peace of human relations, and the wise person is the one who does not care about the lab-

yrinths of others who play on people and are not keen on their feelings, so the Prophet said (every word of Adam is only the remembrance of God, or enjoining good, or forbidding evil) to that Muslim Whoever respects him and preserves their feelings in order to please God, he must put the words of the truth, glory be to Him. Allah says:

الشعور لغة واصطلاحاً

الشعور لغة:

جاءت لفظة الشعور في معاجم اللغة شبه متفقة على إنها تعني إدراك، مسؤولية، ميل، فطن ونحو ذلك، وهي تؤدي نفس المعنى، فقد قيل بأن معنى لفظ شعور هو الإدراك: (الإدراك بلا دليل)(١) وجاء في موضع آخر معناه (شعور مصدر: شَعَرَ وشَعَرَ. إحساس. إدراك حسي من غير دليل. شعر به: أحس به. شعر به: علم به.)(٢) يتضح مما تقدم ان لفظ الشعور هو الإحساس والإدراك والعلم بالآخرين.

الشعور اصطلاحاً:

جاء معنى لفظة (الشعور) في التعريفات الاصطلاحية مقارنة لمعناها اللغوي وقريبة منه جداً فقد جاء في تعريفه (الشعور: علم الشيء علم حس)(٣)

الآخرين لغة واصطلاحاً

الآخرين لغة:

جاءت لفظ الآخرين في المعاجم العربية إنها تعني شيئين من جنس واحد، (الآخر: أحد الشئين، ويكونان من جنس واحد)(٤) وقد اتفق معه صاحب معجم الوسيط في نفس هذا المعنى إذ قال: (الآخر: أحد الشئين ويكونان من جنس واحد)(٥) إذن إن معنى الآخرين هم الناس الذين نعيش في وسطهم وتفاعل معهم وهم البشر مثلنا.

الآخرين اصطلاحاً

لم أجد في المصادر والمراجع تعريف لمطلح الآخرين ولذلك ماقصده هو كل إنسان غير نفسك هو يقصد به الآخر..

المبحث الأول: العناصر الأساسية للشعور بالآخرين في القرآن الكريم

المطلب الأول: وحدة المنشأ الإنساني

إن القاعدة الأساسية والمهمة التي يبني الإسلام أفراد المجتمع

هذه القيم التي ما أورثت الانسانية إلا خبالا.. والاستعاضة عنها بقيمة التقوى (١٠) من جهة أخرى القرآن الكريم نراه يخاطب الإنسان في قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (١١). فالناس مكرمون عند الله تعالى، وإن أساس التفاضل بينهم هي التقوى. جاء في الاخبار عن دُرَّة بنْتِ أَبِي لَهَبٍ، قَالَتْ: (قَامَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ' وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَبُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ وَأَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ). (١٢).

المطلب الثاني: النزعة الاجتماعية متأصلة في ذات الإنسان إن استقلال الإنسان حقيقة موجودة غير منكرة وإن خصائص هذه الميزة وكيانه الذاتي أمر واقعي، ولكن للإنسان طبيعة أخرى تتحكم فيه، ولديه ميول عديدة تجعله يتجه بميل خاص نحو غيره من الأفراد الآخرين وهو ما يعرف بالميل الاجتماعي. أي ينزع الإنسان دائماً للاجتماع بغيره من البشر وأن يتصل بهم ويقيم علاقات اجتماعية وروابط معهم، وهذا الذي عبر عنه العلامة ابن خلدون في مقدمته بقوله: (ان الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم، الإنسان مدني بالطبع أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو العمران) (١٣). والمقصود من مفهوم اجتماعي ليس إنساناً منفرداً، وإنما المقصود به بشر متفاعلون، وبينهم علاقات ومخرجات لهذه العلاقات والإنسان. يقول الفخر الرازي عند قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} (١٤) (اعلم أن الإنسان مدني بالطبع، ومعناه أنه ما لم يحصل مدينة تاممة لم تنتظم مهمات الإنسان في مأكوله ومشروبه وملبسه ومنكجه) (١٥) وهذا يدل على أن مسألة الاختلاط والاجتماع أمر غاية في الأهمية والتكامل الإنساني، ولذا جاء في قوله تعالى:

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (١٦). يقول الزمخشري في معرف تفسيره للآية: (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا لِيُطْمَنَ إِلَيْهَا ويميل ولا ينفر، لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه أنس، وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ) (١٧).

وبهذا يتضح إن الإسلام ينمي النزعة الاجتماعية لدى الإنسان

الإسلامي هي الإيمان بوحدة المنشأ الإنساني والبشري، وإن الإسلام والسلطة والأخلاق تتعامل مع المجتمع على هذا الامر. قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (٦) يقول الطبري في تفسيره للآية: (معرِّفاً عباده كيف كان مُبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبِّههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة) (٧). فالخطاب الإلهي موجه إلى كافة البشر باعتبارهم نفس واحدة، وعلى هذا الأمر لا مبرر للتمايز العنصري أو اللغوي، أو العشائري، وما شابه ذلك، إذ إن الخط العام الذي تتفرع عنه سائر الخطوط للمجتمع الإسلامي إنه مجتمع واحد من نوع واحد من جنس واحد، وإن الحواجز المصطنعة بين الناس من العنصريات، والقوميات، والأقليات، والطبقات ونحو ذلك إنها عقبات حقيقية تقف حائلاً في طريق الإنسان والمجتمع من تحقيقه السعادة والتقدم. يقول الطبري: (وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض، وإن بُعد التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى، وعاطفاً بذلك بعضهم على بعض، ليتناصفوا ولا يتظالموا، وليبذل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله له) (٨).

يوضح القرآن للإنسان وحدة الأصل والمنشأ، ويرفض التمييز العنصري المفتعل، واتخاذها أساساً ومقياساً للتفاضل، سجّل هذا المبدأ العلمي بقوله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (٩) وإذا كان هذا هو منهج القرآن ونظرته للإنسان فإن المشكلة الكبرى التي تعاني منها الإنسانية اليوم هي مشكلة الاستعلاء العنصري، والصراعات القومية بين بني الإنسان، يقول المدرسي في تفسيره (ومن أبرز سيئات مثل هذه التصورات هدم الجسور الطبيعية بين أبناء آدم، وإشاعة روح التباعد والتناحر بينهم، مما يجعلهم في مواجهة بعضهم، وقد يدفعهم نحو الحروب الطاحنة التي لم يتخلص منها البشرية طوال تاريخها المعروف بسبب تمسكهم بهذه القيم الجاهلية. من أجل ذلك دعت رسالات الله إلى رفض



ويرعاها ويدفع في اتجاه إيمانها وتكبير روح التعاون ويحث عليها، ويرفض من يحاول أن يبتعد عن المجتمع وينزع إلى الفردية، ولا يرضي له ذلك. والإسلام بتوجيهه يسعى إلى إقامة المجتمع الإنساني، وإلى تمكين الترابط في الحياة، ولهذا كانت نظرة الإسلام إلى الناس نظرة واحدة لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (١٨) وبعد إن أيقظ الإسلام روح الجماعة في الأفراد أقام مجتمعه بينهم وهو المجتمع الإسلامي، وحفظ هذا المجتمع بسند قوي كي يبقى، وكي يستمر في بقائه أحاطه بتأكيد النهي عن الاعتداء والعدوان لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ النَّبِيِّ الْحَرَامَ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (١٩) وجعل الإسلام الرباط الذي يربط الأفراد بعضهم ببعض هو رباط الإيمان فهو نقطة التقاء الجماعة المؤمنة لقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (٢٠) وفي مقابل ذلك حرم الإسلام كل معاني الخلاف والنزاع، والفرقة والصراع، إلا في سبيل الحق وإقامة العدل. فنهى عن كل ما يضر بالاجتماع من أسباب، كالكفر والابتداع، والظلم والنزاع، والبغى والفساد. ومن هنا جاء عن المناوي قوله: (المراد بعض المؤمنين لبعض كالحائط، لا يتقوى في أمر دينه ودنياه إلا بمعونة أخيه كما أن بعض البنين يقوى ببعضه) (٢١)

المطلب الثالث: الانتقال من ثقافة «أنا» إلى «نحن»

إن أي شخص عندما يقرأ القرآن الكريم بتدبر وتأمل يرى بأن القرآن الكريم يؤسس إلى منحى مهم وهو الشعور الراقى بالآخرين والتحسس بالأمهم واحلامهم، وينبذ الانانية والذاتية المعزولة عن روح المشاعر الإنسانية التي يتفاعل بها مع محيطه الاجتماعي، ولهذا نقرأ آيات قرآنية تبدأ بخطاب (يا أيها الناس) و (يا أيها الذين آمنوا) و(يتفكرون) (يعقلون) (محسنين) كل ذلك اشاره الى بث روح المسؤولية على نحو المجموع (نحن) وتربية الانسان وربط مصيره بمدى الاستفادة من روح الجماعة والمجتمع الذي يعيش فيه، مثلا في بناء الامة الواحدة وعدم التفرق بينها قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (٢٢) وهذه الآية تكافح الأنانية والتفكير الضيق وتفتح أفق الإنسان ومشاعره بأفضل النبل والتسامي والمحبة. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (٢٣) حتى يكون هذا المجتمع نقياً طلب من أفرادها أن يتحلوا بالعدل حتى مع أعدائهم وهذا أيضا من منهج القرآن الكريم على تربية الفرد والأمة ان يتحلوا بالحكمة، والدقة، والسيطرة على النفس ومكافحة الغرور النفسي، والتفكير بمفهوم النزعة الإنسانية. وعندما يصور لنا القرآن الكريم احد الاسرار وراء انتصار الدعوة الإسلامية وامتدادها الشوك والكفر هو التفكير الإنساني المجموعي والخروج من دائرة الذات والانانية. قال تعالى: {فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (٢٤)

إن معظم مشاكل الإنسان وأزماته النفسية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وحالات الصراع والخلافات في المجتمع والأسر والجماعات البشرية تعود إلى الأنانية وعبادة الذات، يقول تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} (٢٥) وهنا في الآية يتحدث القرآن الكريم عن قضية نفسية هي من أهم وأخطر القضايا في حياة الإنسان وهي أزمة الأنانية وعبادة الذات عندما يصلها الانسان ولذا جاء في تفسير الآية: (ان اتباع الهوى ليس من الدين وليس من العقل، وليس عاقبة اتباع الهوى إلا التعاسة والمحن والبلاء، ولا يثمر إلا المسكنة والشقاء والفساد) (٢٦) إن ثقافة القرآن تُربي وتدفع بالإنسان المسلم على التوازن بين حُب الذات وحُب الخير للآخرين والشعور بهم، إنها تسعى لتحرير الإنسان من الأنانية والرجسية، وربط هذا التوازن بالإيمان. إن الرسول محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) يُعبر عن ذلك بقوله: (لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه) (٢٧) وقوله: (خيرُ الناس مَنْ نفع الناس) (٢٨). بل ويدعو القرآن، ويُثقف على الإيثار، وهو تقديم الغير على النفس نقرأ هذه الدعوة في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ



حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٩). وبذا تجد الذات التعبير السليم عن ذاتها فكل ما يفعله الإنسان من خير للآخرين، وتنازل عن مكاسب الذات الدنيوية، سيعود على الذات بالنفع الأعظم يوم القيامة وبذا يحصل التوفيق بين الأنا والآخر ذلك لأن التنازل عن الذات هو لصالح الذات.

المطلب الرابع: العواطف والتفاعلات الاجتماعية في القرآن: إن الشخصية الإنسانية التي خلقها الله تعالى وحدة متكاملة، يؤثر كل جانب منها وكل جزء في الجانب الآخر والأجزاء الأخرى، فليس من الممكن للإسلام أن يحكم السلوك الاجتماعي للناس، دون أن يُغيّر من مضمونهم العاطفي، والانفعالي، والوجداني، ودون أن يُغيّر من مفاهيمهم الحياتية ورؤاهم الفكرية حول الكون والحياة، العاطفة أو الشعور العاطفي ليس بالظاهرة السلبية في طبيعة الإنسان إنما هي سمة إيجابية تجعل من ذلك الشخص إنساناً يعيش ويتفاعل مع مجتمعه وهي مهمة في حياة المجتمعات البشرية. أن العيش بدون عاطفة يجعل الإنسان المجتمع ينحدر إلى درجة لا تحمد عقباها، وقد اعتبر الله تعالى التفاعل العاطفي بين المجتمع من النعم العظيمة التي امتن بها عليهم ويذكرهم بها باستمرار، ويدعوهم لتقديرها والسعي لتقويتها، قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (٣٠) والملفت للنظر هنا في الآية إن كلمة (نعمة) قد تكررت مرتين وما ذلك إلا إشارة من القرآن وإشعار إلى المجتمع بأهمية العاطفة التي تؤكد الوحدة بينهم والشعور بعضهم ببعض، هذه الموهبة الإلهية التي وهبها الله تعالى للبشر. يقول السعدي في تفسير الآية: (ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياههم وبالا اجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها) (٣١)

ولهذا الأمر حث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على التوadd والتعاطف والتراحم، إذ قال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ

فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ، دَعَا إِلَىٰ سَائِرِ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى) (٣٢) فيؤكد رسول الإسلام هنا على التعاطف بين المؤمنين والمجتمع. وفي آية أخرى يقول تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ أَنْفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٣٣) يقول أبو حيان في تفسيره: (أن العَرَبَ لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْحَمِيَّةِ وَالْعَصِيَّةِ وَالْإِنطواءِ عَلَى الصَّغِيَةِ فِي أَدْنَى شَيْءٍ وَإِلْقَائِهِ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ إِلَى أَنْ يَنْتَقِمُوا لَا يَكَادُ يَأْتَلِفُ مِنْهُمْ قَلْبَانِ، ثُمَّ اتَّكَلَفَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ وَاتَّحَدُوا، وَذَلِكَ لِمَا تَنَظَّمَ اللَّهُ مِنْ أَلْفَتِهِمْ، وَجَمَعَ مِنْ كَلِمَتِهِمْ، وَأَحَدَتْ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّحَابِّ وَالتَّوَادُّ، وَأَمَاطَ عَنْهُمْ مِنَ التَّبَاغُضِ، وَكَلَفَهُمْ مِنَ الْحُبِّ فِي اللَّهِ وَالبُغْضِ فِي اللَّهِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يَمْلِكُ الْقُلُوبَ، فَهُوَ يَقْلِبُهَا كَمَا يَشَاءُ) (٣٤) وهناك أيضا آيات أخرى تشيد بالمجتمع المسلم على التعاطف والرحمة، خصوصا تلك العاطفة التي دعتهم للتعاون بينهم منها قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)} (٣٥).

المبحث الثاني: القيم المرتبطة بعلاقة الانسان بالآخرين في القرآن الكريم:

المطلب الأول: اسباب التعامل السليبي مع الآخرين
لقد جاءت الآيات بالنهي عن أفعال مذمومة وسلوك سلبية، وهذه السلوكيات هي السبب وراء الخلافات والصراع في المجتمع، فتمنع الانسان من الإحساس بالشعور الإنساني النبيل وتقتل في داخله روح المبادرات الجميلة والإنسانية، وقد ذكر القرآن الكريم سببان أساسيان لمنشأ هذا الامر الخطير وهما: طبيعة نظرة الانسان لنفسه، والأخرى، طبيعة نظرة الانسان للآخرين. فمثلا عندما ينظر الانسان لنفسه على أساس التفضيل وذلك بان يعتبر ذاته أفضل من الجميع وارقاها، فهذا يدعو الى عدة اعمال وسلوكيات تجاه الآخرين، منها:
أولاً:

السخرية والاستهزاء: فيقوم بتحقيق الآخرين واستصغارهم ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ

يتبنها الإنسان لتحديد رؤيته عن الآخرين، بأنها نابعة من روح مشككة وعديمة الثقة تميل إلى الظن السيء بالآخر، فهي تفترض أن يقوم الناس بالسوء دائماً ولا تأمل ولا تتفال بالخير يجاههم، وهذا هو سوء الظن، وهو المنشأ الأساس في بداية سلسلة الأفعال الأخرى، ومن هذا المنطلق جاءت الأحاديث الشريفة حول سوء الظن، فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال:

(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، لَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) (٤٣)

المطلب الثاني: أهمية الحوار مع الآخرين والقيم المتعلقة به: لعل من أهم الحقائق التي تحتاج إلى استيعاب وإدراك، هي حقيقة التعدد والتنوع في هذه الحياة فهي قاعدة تكوينية شاملة، وناموس كوني ثابت، والصراعات والنزاعات الدائمة، لا تنشأ من وجود الاختلاف والتنوع، وإما تنشأ من العجز عن إقامة نسق مشترك يجمع الناس. والحوار بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتشكل ثقافة الحوار اللبنة الأولى من لبنات إحترام الرأي والرأي الآخر بإعتبارها ضرورة إنسانية وحضارية، فالحوار في معناه الصحيح لا يقوم ولا يؤدي إلى الهدف المنشود إلا إذا كان هناك إحترام متبادل بين الأطراف المتحاور، من حيث احترام كل جانب لوجهة نظر الجانب الآخر، سواء كان داخل الجماعة الصغيرة وهي الأسرة أو الجماعة الكبيرة وهو المجتمع فقد وضع الإسلام المنهج الصحيح للكلام والحوار والافناع، وأول من أسس لهذا المنهج هو الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم حيث أعطى الحرية للملائكة في الحديث والكلام والاستفسار من غير اعتراض، والإسلام أكد أكثر من أي دين آخر على الحوار، ولأجل توعية الناس والوصول إلى الحقائق وكذلك التوصل إلى تفاهات معينة، وكانت أكبر معجزة جاء بها خاتم

الأنبياء محمد (صلى الله عليه وآله) لتعريف الناس بحقيقة الحضارة الإسلامية هي (الكلام)، ومن هنا فإن النكتة التي تسترعي الانتباه في ما يخص الحوار مع الآخرين هي النزعة العقلية في الإسلام، وكيف ينمي ويديم عملية التعقل والتفكير والانطلاقة من العقل وتفعيل دوره في الحياة لتأسيس مجتمع عقلائي منطقي متماسك، ولا شك في أن النهج الذي طرحه الإسلام للحياة والحضارة لو لم يكن مرتكزاً على أسس علمية لما كان يدعو بني الإنسان إلى التعقل والتدبر والحوار بشأن

مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٣٦) قال السعدي في تفسير الآية: (وهذا أيضاً، من حقوق المؤمنين، بعضهم على بعض، أن لا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ بِكَلِمَاتٍ، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام، لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيراً من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية، لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متحل بكل خلق ذميم) (٣٧) نعم وهذا السلوك لا يولد الا العداء من الأطراف التي تقع عليها السخرية.

اللمز والتعير بالحركة او القول: وهي من افرازات استحقر الآخرين. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٣٨) ثانياً:

السبب الآخر لمنشأ موت الشعور الإنساني بالآخرين هو طبيعة نظرة الانسان للآخرين ، وهي القامة على سوء الظن، وهو ما عبر القرآن الكريم عنه بقوله:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (٣٩) قال السيوطي (قال: نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن سوءاً) (٤٠) وهو اجتناب سوء الظن بالآخرين، وكذلك عدم اجتراح خصوصيات الآخرين وتتبعها بالتجسس، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (٤١) وكذلك النهي عن إشاعة عثرات الناس بفعل الغيبة وهي ان يتحدث احدهم عن الآخر في غيابه بما يكره. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (٤٢) والملاحظ في طبيعة هذه النظرة التي



أصوله العقائدية، بل كان يركن إلى الاستبداد الفكري والديني والتقليد الاعمى ويدافع عنه، بيد ان القرآن الكريم يدين في موارد كثيرة ظاهرة التقليد في الأصول الفكرية ويعلن صراحة {وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} (٤٤) وقال تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} (٤٥) (وليس المراد من الصم والبكم في هذه الآية الكريمة الفاقدين لحاسة السمع، أو الذين لا يستطيعون الكلام، وإنما المراد أولئك الذين ورد وصفهم بعبارة (لا يعقلون) أي: الذين لا يفكرون في اختيار نهج الحياة) (٤٦) ولهذا نجد إن قيم الحوار مهمة جداً في إدارة الحديث والحوار منها النظر القول لا إلى القول: قال تعالى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} (١٨) (٤٧) جاء في تفسير الآية الكريمة: () والذين ينتخبون أفضل الكلام من خلال قوة العقل والإدراك، إذ لا تعصب ولا لجاجة في أعمالهم، ولا تحديد وجمود في فكرهم وتفكيرهم، إنهم يبحثون عن الحقيقة وهم متعطشون لها، فأينما وجدوها استقبلوها بصدور رحبة، ليشربوا من نبعها الصافي) (٤٨) من هنا حث الإسلام في أخذ الحكمة من أي كان من دون اللحاح إلى القائل، ورد عن النبي محمد قوله: (خذ الحكمة، ولا يضرك من أي وعاء خرجت) (٤٩) وجاء أيضاً عن ابن عباس (رض) قوله: (خُذِ الْحِكْمَةَ مِمَّنْ سَمِعْتَ فَإِنَّ الرَّجُلَ، يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ وَلَيْسَ بِحَكِيمٍ فَتَكُونُ كَالرَّمِيَةِ خَرَجَتْ مِنْ غَيْرِ رَامٍ) (٥٠) ومن قيم الحوار اتباع البرهان والدليل، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (مَنْ أَعَانَ عَلَىٰ خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ، أَوْ يُعِينُ عَلَىٰ ظُلْمٍ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْزِعَ) (٥١) (المسؤوليات على عاتق الإنسان في هذه الدنيا كثيرة وتمثل أشكالاً مختلفة، والقرآن الكريم ينمي شعور الإنسان وإحساسه بالآخرين، إذ يتألم لألامهم، ويفرح لفرحهم، ويسعد لسعادتهم ومن الأساليب القرآنية في التعبير عن هذا الإحساس أن جعل قتل الرجل لغيره قتلاً لنفسه، وجعل إخراج الرجل من داره إخراجاً لنفسه، وجعل ظن السوء بالغير ظناً بنفسه، وجعل لمز الغير لمزاً لنفسه ، والسلام على الغير سلاماً على نفسه؛ وكل ذلك ذكره القرآن. قال الله تعالى:

{إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ

وَتُخْرِجُونَ قَرِيْبًا مِّنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوتِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْذَرُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (٨٥) (٥٢) فجعل دم كل فرد من أفرادهم كأنه دم الآخر عينه حتى إذا سفكه كان كأنه قتل نفسه وانتحر ذاته. جاء في تفسير الآية (ولما كانت ملتهم واحدة وأمرهم واحدا وكانوا في الأمم كالشخص الواحد، جعل قتل بعضهم لبعض ونفي بعضهم بعضا قتلا لأنفسهم ونفيا لها، وكذلك حكم كل جماعة تخاطب بهذا اللف في القول) (٥٣) وكما عبر الحافظ بن كثير (أَنَّ أَهْلَ الْمِلَّةِ الْوَاحِدَةِ بِمَنْزِلَةِ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ) (٥٤) إن تنمية الشعور بالآخرين من اعظم الأسس التي ركزها القرآن الكريم في نفوس وعقول المسلمين، حيث جعل المسلمين جسداً واحداً وروح واحدة ووجود واحد، ومن تعبيرات القرآن الكريم في مجال الحث على الشعور بالآخر وإنه يجعل الآخرين بمنزلة نفس الإنسان قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقُسُوفُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٥٥) الإنسان عادة لا يلمز ولا يعيب نفسه، وإنما الذي يلمز يلمز غيره، إشارة لطيفة من القرآن الكريم إلى أن من عاب أخاه المسلم فكأنما عاب نفسه، فنزل البعض الملموز منزلة نفس الإنسان لتقرير معنى الإحساس بالآخرين وتقوية الشعور بهم. وكذلك ما جاء في القرآن الكريم في أهمية الشعور بالمسؤولية اتجاه الآخرين قوله تعالى: {وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ} (٥٦) جاء في تفسير الآية: () والمراد بأنفسهم هنا إخوانهم في الدين والعقيدة. أي: هلا وقت أن سمعتم- أيها المؤمنون والمؤمنات- حديث الإفك هذا ظننتم بأنفسكم. أي: بإخوانكم وبأخواتكم ظنا حسنا جميلاً، وقتلتم: هذا الحديث الذي أذاعه المنافقون كذب شنيع وبهتان واضح لا يصدق عقل أو نقل. وفي التعبير عن إخوانهم وأخواتهم في الدين بأنفسهم، أسمى ألوان الدعوة إلى غرس روح المحبة والمودة والإخاء الصادق بين المؤمنين، حتى لكان الذي يظن السوء بغيره إنما ظنه بنفسه) (٥٧). وقال الرازي أيضاً حول الآية المباركة: (أَنَّهُ جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ كَالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ فِيمَا يَجْرِي عَلَيْهَا مِنَ الْأُمُورِ

فَإِذَا جَرَى عَلَى أَحَدِهِمْ مَكْرُوهٌ فَكَأَنَّهُ جَرَى عَلَى جَمِيعِهِمْ (٥٨)

فهذا الأسلوب القرآني، وهذا الخطاب الرباني يؤكد معنى وحدة الإنسانية والبشرية، ويُحَدِّث في النفس أثراً وإحساساً يبعثها على الامتثال؛ فالمسلم الذي يُربِّي نفسه على التعمق في هذه المعاني، وهذه الدقائق القرآنية، لا ريب في أنها ستؤثر فيه وتغرس في روحه وأعماقه هذا الإحساس وهذا الشعور النبيل. ومن تدبر في هذا الأسلوب القرآني العظيم علم أنه لا قوام لهذه الأمة إلا بمثل هذا الشعور وهذا الإحساس الراقي، وشعور كل فرد من أفرادها بأن نفسه نفس الآخرين ودمه دم الآخرين.

المطلب الرابع: التكافل الاجتماعي:

لقد عمل الإسلام على تقوية وبناء علاقات طيبة بين الناس تقوم على أساس الأخوة والألفة والشعور بهم، ولذا نقرأ في علم الاجتماع إنه يهتم قبل كل شيء بالظواهر الاجتماعية ويعتني بها، فإن ظاهرة الأخوة التي أوجدها الإسلام الحنيف بين أفرادها تستحق الدراسة والتأمل، فقد كان العرب في الجاهلية على شفا حفرة من نار الخلاف والاختلاف والتمزق والتقاتل، ولكنهم بعد حلت بساحتهم ثقافة الإسلام أصبحوا أمة متحدة، ومتحابية ومرهوبة الجانب تمتلك أسباب التمدن والرقى. وهذه النقلة الحضارية يشير إليها القرآن بصورة واضحة، في قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (٥٩)

ومن الآيات الجامعة في سياق الترابط بين أفراد المجتمع، قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجَلَوْا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٦٠) قال القرطبي:

(وَأَمْرٌ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ بِالْعَوَانِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى؛ أَيْ لِيُعِين بَعْضُهُمْ بَعْضًا) (٦١) قال الماوردي: «ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبرِّ وَفَرَّقَهُ بالتقوى له؛ لَأَنَّ فِي التَّقْوَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي الْبِرِّ رِضَا النَّاسِ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَا النَّاسِ فَقَدْ تَمَّتْ سَعَادَتُهُ وَعَمَّتْ نِعْمَتُهُ» (٦٢) وكان للسنة النبوية الأثر البالغ في تأكيدها على مبدأ الأخوة وما يستلزمه

من التزامات اجتماعية كقضاء حوائج الإخوان وإعانتهم ، قال رسول الله:

(من سعى في حاجة أخيه المؤمن، فكأنما عبد الله تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله) (٦٣) إنَّ قيمة التكافل بين الناس، وَخُلِقَ إِيَّاهُ الْمَلْهُوفُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَقُومُ الْمَجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ إِلَّا بِهَا، إِنَّهَا قِيَمٌ إِنْسَانِيَّةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ رَاقِيَّةٌ، وَهِيَ تَرَبَّى فِي وَجُودِ الْإِنْسَانِ الشُّعُورَ النَّبِيلَ بِالْآخَرِينَ وَالتَّحَسُّسَ بِأَلَمِهِمْ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ عَوَامِلِ التَّكَامُلِ الْإِنْسَانِيِّ وَالسُّمُوِّ وَالرَّقِيِّ الرُّوحِيِّ ، وَلَقَدْ وَضَعَ الْقُرْآنُ أُسُسًا نَفْسِيَّةً وَأُخْرَى مَادِيَّةً، لِإِقَامَةِ التَّكَاثُلِ الْاِقْتِسَادِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ. وَلَعَلَّ مِنْ أَمِّمِ الْأَسْوَاقِ النَّفْسِيَّةِ هُوَ إِقَامَةُ الْعِلَاقَاتِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ عَلَى أُسَاسِ الْأَخُوَّةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {٦٤} وَرَبَطَ الْإِيمَانَ بِاسْتِشْعَارِ حَقُوقِ الْأَخِ، كَمَا رَتَّبَ عَلَى رَابِطَةِ الْأَخُوَّةِ الْحُبَّ؛ فَلَا يُؤْمِنُ الْإِنْسَانُ الْمُسْلِمُ، وَلَا يَنْجُو بِإِيمَانِهِ، مَا لَمْ يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَعِشَ مَعَهُ كَالْبَنِيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَأَيْضًا مِنْ زَاوِيَةِ أُخْرَى نَجِدُ أَنَّهُ مِنَ الْأَسْوَاقِ النَّفْسِيَّةِ الْإِيْثَارُ، وَهُوَ عَكْسُ الْأَثَرِ وَالْأَنْأَانِيَّةِ. وَالْإِيْثَارُ تَفْضِيلُ الْآخَرِ عَلَى النَّفْسِ، مِنْ أَجْلِ إِشَاعَةِ جَوْ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَهِيَ الْغَايَةُ الَّتِي جَاءَتْ مِنْ أَجْلِهَا الشَّرِيعَةُ. وَالتَّكَاثُلُ الْاجْتِمَاعِيُّ هُوَ تَغْيِيرُ عَنِ الْاِخُوَّةِ وَالْمُحَبَّةِ وَالتَّوَاصُلِ، (وبذلك أصبحت الاخوة الإسلامية تشتمل على طاقات هائلة من القوة تمد المجتمع الإسلامي بالوحدة والتفاهم والايثار والتعاون وتخلق له اتمودجا فريدا من التكافل الاجتماعي) (٦٥) وقد بلغت الاخوة الإسلامية في باب التكافل الاجتماعي وتنمية الشعور بالآخر روعتها وعظمتها، ويظهر ذلك جليا حينما نقرأ قول النبي محمد : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ - أَوْ قَالَ لِجَارِهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (٦٦) وفي هذا الحديث الشريف قد ضرب لنا النبيُّ مثلاً رائعاً للتكافل والتعاون بين أفراد المجتمع المسلم.

الهوامش :

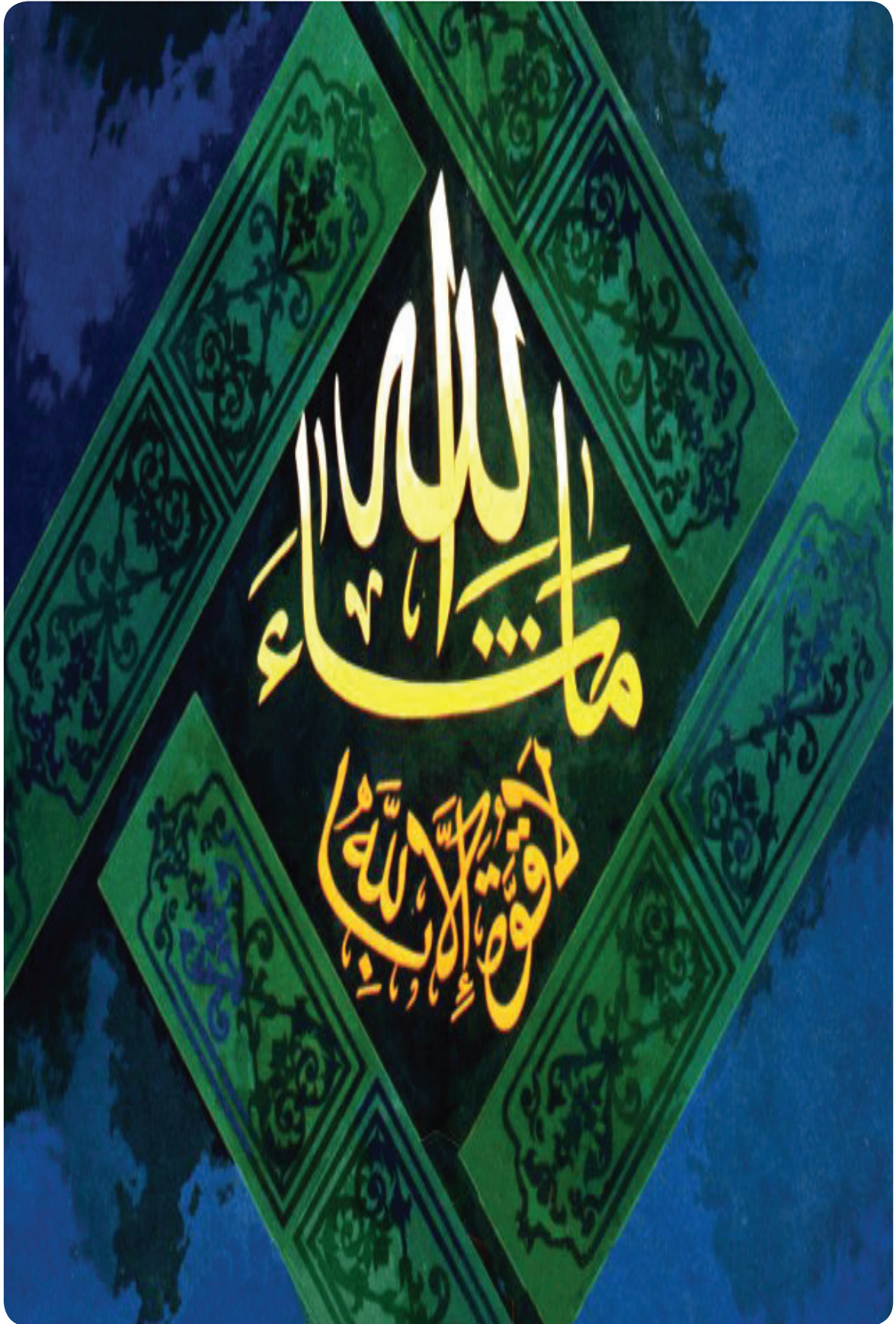
- (١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الناشر: مجمع اللغة العربية، سنة الطبع: ١٤١٥ هـ — ١٩٩٤ م، جمهورية مصر العربية، ص ٣٤٤.
- (٢) معجم الرائد، جبران مسعود، الناشر: دار العلم للملايين/ لبنان بيروت، ط ٧ ١٩٩٢ م ص ٤٧٤.
- (٣) التعريفات، الشريف الجرجاني، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع/ لبنان — بيروت، ط ١ ١٤٠٥ هـ، ص ١٤٦.
- (٤) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص ٨.
- (٥) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى — احمد حسن الزيات — حامد عبد القادر — محمد علي النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية ، الناشر: مجمع اللغة العربية/ مصر — القاهرة ، ط ١ ص ١٨.

- (٦) سورة النساء الآية : ١
- (٧) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٥١٢/٧.
- (٨) المصدر نفسه: ٥١٤ / ٧.
- (٩) سورة الحجرات الآية: ١٣.
- (١٠) من هدى القرآن: السيد محمد تقي المدرسي، ط١ ١٤١٩ هـ، الناشر: دار محبي الحسين (ع)، ٤٣٣ / ١٣.
- (١١) سورة الاسراء الآية: ٧٠.
- (١٢) مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى : ٢٤١هـ)، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري، الناشر : عالم الكتب - بيروت
- ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٤٣٢/٦.
- (١٣) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون (المتوفى: ٨٠٨هـ) تحقيق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ٥٤/١.
- (١٤) سورة غافر الآية: ٦١.
- (١٥) مفاتيح الغيب، الفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ط٣ ١٤٢٠ هـ ٥٢٨ / ٢٧.
- (١٦) سورة الأعراف الآية: ١٨٩.
- (١٧) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ ١٨٦.
- (١٨) سورة الحجرات الآية: ١٣.
- (١٩) سورة المائدة الآية: ٢.
- (٢٠) سورة الحجرات الآية: ١٠.
- (٢١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، (المتوفى ١٠٣١هـ)، تحقيق: تصحيح أحمد عبد السلام، ط١ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ٦ / ٣٢٨.
- (٢٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.
- (٢٣) سورة المائدة الآية: ٨.
- (٢٤) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.
- (٢٥) سورة الفرقان الآية: ٤٣.
- (٢٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١ ١٤٣٤ هـ — ٢٠١٣ م، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات. ١٧ / ١٩٠.
- (٢٧) سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي
- تحقيق: مكتب تحقيق التراث، الناشر : دار المعرفة ببيروت، ط٥ ١٤٢٠ هـ / ٨ / ٤٨٩.
- (٢٨) شعب الإيمان، البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- ط١، ١٤١٠ هـ، ١١٧ / ٦.
- (٢٩) سورة الحشر الآية: ٩.
- (٣٠) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.
- (٣١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١ / ١٤١.
- (٣٢) مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر: عالم الكتب - بيروت
- ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٤ / ٢٧٠.
- (٣٣) سورة الانفال الآية: ٦٣.
- (٣٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت ١٤٢٠ هـ ٣٤٧ / ٥.
- (٣٥) سورة الحشر الايتان: ٩ و ١٠.
- (٣٦) سورة الحجرات الآية: ١١.
- (٣٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ١ / ٨٠١.
- (٣٨) سورة الحجرات الآية: ١١.
- (٣٩) سورة الحجرات الآية: ١٢.
- (٤٠) الدر المنثور في التفسير بالماثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر - مصر، ١٣ / ٥٦٠.
- (٤١) سورة الحجرات الآية: ١٢.
- (٤٢) المصدر نفسه.
- (٤٣) مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: ٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- (٤٤) سورة الاسراء الآية: ٣٢.
- (٤٥) سورة الانفال الآية: ٢٢.
- (٤٦) الحوار بين الحضارات في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، المساعد: رضا برنجانكار، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، الناشر: دار الحديث ط١ ص ١٩.
- (٤٧) سورة الزمر الآية: ١٧ — ١٨.
- (٤٨) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مدرسة الامام علي بن أبي طالب (ع) إيران — قم، ط١ ١٤٠٤ هـ، ١٥ / ٤٩.
- (٤٩) العلم والحكمة في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، تحقيق: مؤسسة دار الحديث الثقافية، الناشر: دار الحديث الثقافية ط١ ص ٢٤٥.
- (٥٠) المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُصْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت. ١ / ٤٤٧.

٣. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت ١٤٢٠ هـ.
٤. التعريفات، الشريف الجرجاني، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع/ لبنان — بيروت، ط ١٤٠٥ هـ.
٥. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط ١٤١٩ هـ.
٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط ١.
٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٩. الحوار بين الحضارات في الكتاب والسنة، محمد الرشدي، المساعد: رضا برنجكار، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، الناشر: دار الحديث ط ١.
١٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر - مصر.
١١. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون (المتوفى: ٨٠٨هـ) تحقيق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٢. سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٣. سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تحقيق: مكتب تحقيق التراث، الناشر: دار المعرفة ببيروت، ط ٥ ١٤٢٠ هـ.

- (٥١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، ٧٧٨/٢.
- (٥٢) سورة البقرة الآية: ٨٤ - ٨٥.
- (٥٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١٤٢٢ هـ ١٧٣/١.
- (٥٤) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط ١٤١٩ هـ، ٢١١/١.
- (٥٥) سورة الحجرات الآية: ١١.
- (٥٦) سورة النور الآية: ١٢.
- (٥٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط ١، ٩٥/١٠.
- (٥٨) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ط ٣ ١٤٢٠ هـ ٣٤١/٢٣.
- (٥٩) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.
- (٦٠) سورة المائدة الآية: ٢.
- (٦١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٤٦/١٨.
- (٦٢) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٩٦ — ١٩٧.
- (٦٣) بحار الانوار، العلامة المجلسي، (الوفاة: ١١١١هـ)، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، ط ٢ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ٣١٥/٧١.
- (٦٤) سورة الحجرات الآية: ١٠.
- (٦٥) النظام السياسي في الإسلام، باقر شريف القرشي، الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت ط ٢ ١٣٩٨ هـ، ص ٢١٨.
- (٦٦) سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، ٢٦/١.
- المصادر:
١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط ١ ١٤٣٤ هـ — ٢٠١٣ م، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.
٢. بحار الانوار، العلامة المجلسي، (الوفاة: ١١١١هـ)، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، ط ٢ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٤. شعب الإيمان، البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤١٠ هـ .
١٥. العلم والحكمة في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، تحقيق: مؤسسة دار الحديث الثقافية، الناشر: دار الحديث الثقافية ط١.
١٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، (المتوفي ١٠٣١هـ)، تحقيق: تصحيح أحمد عبد السلام، ط١ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
١٧. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
١٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ ١٤٢٢ هـ.
١٩. المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.
٢٠. مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: ٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٢١. مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر: عالم الكتب - بيروت ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٢٢. معجم الرائد، جبران مسعود، الناشر: دار العلم للملايين/ لبنان — بيروت، ط٧ ١٩٩٢ م.
٢٣. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الناشر: مجمع اللغة العربية، سنة الطبع: ١٤١٥ هـ — ١٩٩٤ م، جمهورية مصر العربية.
٢٤. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى — احمد حسن الزيات — حامد عبد القادر — محمد علي النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية، الناشر: مجمع اللغة العربية/ مصر — القاهرة، ط١.
٢٥. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر:
- دار إحياء التراث العربي - بيروت ط٣ ١٤٢٠ هـ.
٢٦. من هدى القرآن: السيد محمد تقي المدرسي، ط١ ١٤١٩ هـ، الناشر: دار محبي الحسين (ع).
٢٧. النظام السياسي في الإسلام، باقر شريف القرشي، الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت ط٢ ١٣٩٨ هـ.



قام

**الحركة العلمية في زمن الخليفة
الحاكم بأمر الله الفاطمي (ت 411 هـ / 1020م)**

أ.م.د. سناء شندي عوان
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

and others. Mosques were the most important centers of culture in the era of the Fatimid state, such as Al-Azhar and the house of wisdom, Which was established by Al Hakim bi-Amr Allah who attached with them many pro fissures of jurisprudence, interpretation, natural and mental science, etc. Mosques were not only centers of religious, scientific, and social radiation.

المقدمة:

قام التعليم عند الفاطميين على رؤية دينية وتأسس عليها من خلال الدعوة الاسماعيلية، ويتضح لنا ذلك في ضوء ممارسات الخلفاء في هذه الفترة لاسيما الحاكم بأمر الله، إذ نراه يشجع العلم والثقافة ويسعى إلى أنشاء مراكز علمية كان لها الدور الاكبر في نشر المذهب الاسماعيلي بين الناس.

وعلى الرغم من شخصية الحاكم بأمر الله الفاطمي كانت بمثابة لغز إذ نظر بعضهم اليه على أنه امام ووارث للنبوّة وخليفة للمسلمين فرفعوا من شأنه حتى وصل إلى ذروة المجد، والبعض الآخر يرونه طاغية وظالم ومجنون فتناولوا سيرته بالنقد والتجريح والطعن في نسبه وسيرته وسلوكه لذا جاء اختيارنا لموضوع التعليم في ظل هذه الشخصية الغريبة الأطوار سيما وأن عصر الحاكم بأمر الله الفاطمي امتاز بالإحداث الغريبة والعجيبة إلا أن أهم ما يميز عصره وعلى الرغم مما تمتاز به شخصيته من الأطوار والخواص إلا أنه اهتم بالنواحي الفلسفية مما يسبغ على تلك المرحلة أهمية خاصة. والبحث هذا يتتبع الأعمال الثقافية التي شجعها الحاكم من أجل الوصول إلى غايته والتي تمثلت بتأسيس دار العلم، هذه الدار التي كان لها الفضل الأكبر في نشر دعائم العلم والثقافة في مصر وإن تركز دورها في بداية تأسيسها على نشر المذهب الاسماعيلي إلا أنها مع ذلك تعد من أقدم المدارس العلمية التي عرفها التاريخ.

الحاكم بأمر الله (حياته) :

أبو علي المنصور الملقب بالحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب مصر، وتولى الحاكم المذكور عهد أبيه في حياته، ولد في القاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م(١)،

المستخلص:

لقد حقق الفاطميون إسهامات مهمة في الحضارة الإسلامية لاسيما في جانب التعليم إذ أن الفترة الفاطمية تعد العصر الذهبي للفكر والأدب الاسماعيلي، فظهر الدعاة الاسماعيليون كمعلمين، وكان التعليم والتعلم هو جوهر الدعوة الإسلامية. وإذا كان للعصر الفاطمي سحره الخاص، فإن عصر الحاكم بأمر الله هو أغرب مراحلها وأعجبها نظراً لما تمتاز به شخصية الحاكم من الغموض والغربة، ومع ذلك فإن التعليم في عصره قد انتشر انتشاراً يدعو إلى الإعجاب بفضل تشجيعه لرجال العلم والأدب فراجت الثقافة ونشطت الحركة الفكرية وزخر بلاط الدولة بالعلماء والشعراء والأدباء وغيرهم. وكانت أهم مراكز الثقافة في عهد الدولة الفاطمية المساجد، كالأزهر، ودار الحكمة التي أسسها الحاكم بأمر الله وألحق بها عدداً من اساتذة علوم الفقه والتفسير والعلوم الطبيعية والعقلية، وغيرها من الجوامع والتي لم تقتصر على أداء العبادات فقط وإنما كانت مراكز اشعاع ديني وعلمي واجتماعي.

Abstract

The Fatimids made important contributions to Islamic Civilization, especially in the Field of education as the Fatimid period was considered the golden age of Ismaili though and literature.

The Ismaili preaches appeared as teachers, and education and learning were the essence of the Islamic Call. IF the Fatimid era had it charm, then the era of «AlHakim bi Amr Allah» was the Strangest and most impressive of it phases, due to the ambiguity and strangeness of his personality – However, education in his time spread admiralty thanks to the encouragement of men of science and literature culture flourished, the intellectuall movement became active, and the state court was filled with scholars, poest, writers,



وعهد إليه أبوه بالخلافة من بعده في سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م، ثم بويح له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه أبوه وذلك في رمضان ٣٨٦هـ/٩٩٦م وله إحدى عشرة سنة ونصف سنة، وتولى الوصاية عليه مربيه استاذة برجوان (٢) الخادم، ويمكن تقسيم عهد الحاكم إلى أربعة أقسام، بحسب الدكتور حسن إبراهيم حسن (٣): الأول من سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م إلى سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م وكان الحاكم في هذه المدة لا يملك من أمور السلطان شيئاً، إذ كانت كل السلطة في يد ابن عمار (ت ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م)، ثم في يد برجوان. الثاني من سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م إلى سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، وفيها كان للحاكم على حداثة سنة سلطة كبيرة أظهر فيها تعصباً شديداً للمذهب الفاطمي وبذلك اضطهد أهل الذمة من ناحية والمسلمين من غير الشيعة من ناحية أخرى. الثالث : من سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م إلى سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م وفي هذه الفترة بدل الحاكم سياسة التعصب مدفوعاً بعاملين هما تحديد حدود مصر من ناحية الغرب والعامل الثاني هو ما قامت به مصر من جراء انخفاض النيل مدة ثلاث سنين (٣٩٨هـ/١٠٠٧م - ٤٠١هـ/١٠١٠م). الرابع من سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م إلى سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م وفيها كانت سياسة الحاكم تمتاز مع رعاياه على اختلاف اديانهم ومذاهبهم بعنف كثير، كما كانت تمتاز بشيء من التذبذب والاضطراب. وبذلك تعد سيرة الحاكم عجيبية، فحين تقرأ في كتب التاريخ تجد النصوص متضاربة، ففي حين تقرأ نص بأنه جواداً بالمال كريماً، متسامحاً، تقرأ في نص آخر بأنه سفاكاً للدماء رديء السيرة مضطرب عقلياً (٤).

توفي الحاكم في شوال في سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م وله ست وثلاثون سنة، جهزت اخته ست الملك عليه من قتله لأنه أوحشها بمراسلات قبيحة (٥)... ووفقاً للعديد من المؤرخين فإن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله هي من أمرت بقتل أخيها، مع أن هناك من يميل إلى تبرئتها من هذه التهمة، لكن الجميع يتفق على أنها اشتهرت بسداد الرأي وحسن السياسة، ففي مدة حكمها أصلحت ما أفسده أخوها وألغت القوانين التعسفية والمجنونة التي حكم بها العباد (٦). ويقال أيضاً إن سبب وفاة الحاكم إنه أراد أن يدعي الألوهية وساعده على ذلك جماعة من الجهال فكانوا إذا لقوه قالوا : ((السلام عليك يا واحد يا أحد يا محيي يا مميث)) (٧)، ويذكر أن رجلاً يعرف بالدرزي قدم مصر واجتمع بالحاكم وساعده على ادعاء الربوبية (٨) وصنف له كتاباً ذكر فيه أن روح آدم عليه السلام انتقلت إلى

علي بن أبي طالب وأن روح علي انتقلت إلى أبي الحاكم، ثم انتقلت إلى الحاكم، فقربه الحاكم اليه، وأظهر الدرزي الكتاب الذي فعله وقرأه بجامعة القاهرة، فثار الناس عليه وقصدوا قتله، فهرب منهم، وأنكر الحاكم أمره خوفاً من الرعية (٩). ويقال أن أعيان دولته كلموه وخوفوه بخروج الناس كلهم عليه فأنتهى (١٠). وهناك أدلة أخرى على ادعاء الحاكم للألوهية منها تصرفات الحاكم نفسه فقد ذكر الباحثون انه أغلق المكان وأمر أن لا يدخل عليه أحد فيه وكان يوقد الشموع ليلاً ونهاراً أو يجلس في الظلمة كما أنه كان يخرج هائماً على وجهه ويخلو إلى جبل المقطم ثم ترك شعره حتى طال وتدل على اكتافه وأطلق أظافره وأخذ يلبس الصوف لمدة طويلة حتى تتلبد وتتمزق (١١).

وفضلاً عن ذلك، هناك مجموعة من الرسائل في أربعة مجلدات وهي ما زالت مخطوطة بدار الكتب المصرية تثبت ادعاء الحاكم للألوهية عنوانها رسائل الحاكم بأمر الله والقائمين بدعوته وهذه الرسائل تنادي بضرورة الاعتقاد بوحداية الخليفة الحاكم بأمر الله وأنه علام الغيوب وهو الحق والرزاق وإلى غير ذلك من الصفات الإلهية (١٢). ويمكن القول بأن قتل الحاكم الذي تم في الخفاء يعزى إلى الثورة التي قام بها الشعب الغاضب كنتيجة لطغيانه (١٣). ويعتقد الدروز بأنه اختفى وسيعود إذا زالت المفاسد المنتشرة في العالم (١٤)، وكان قتل الحاكم ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م (١٥).

الحاكم بأمر الله والتعليم :

اهتم الخلفاء الفاطميون بالنهضة الفكرية، وكان الكثير منهم على جانب كبير من العلم والثقافة، واهتموا بالمؤسسات التعليمية والفكرية وأصبحت قصورهم مراكز فكر وثقافة، وضمت تلك القصور مكتبات ضخمة بذلوا المال والجهد في جمع كتبها من أرجاء العالم (١٦).

وأهتم الحاكم بأمر الله بالعمل على نشر الثقافة العلمية والأدبية فضلاً عن الثقافة المذهبية (١٧)، ولذلك يعد عهد الحاكم بأمر الله عهد ازدهار للعلوم والشعر والنثر الذي تميز بروعته وبراعته وافتنانه، ولقد تعددت في عهد الحاكم قيادات الحركات الفكرية والعلمية وكان على رأسهم الحاكم بأمر الله نفسه وغيره كثيرون (١٨).

فوجد في سيرة الحاكم وفي الفترة الأولى من ولايته بأنه كان له مقدرة في تذوق الشعر ويميز الجيد منه إذا أنشد الشعراء وقرأوا القصائد فكان الحاكم له من الحذف في ذلك ما ليس غيره، فإذا أنشده الشاعر ومر بالبيت النادر أو المعنى الحسن نبه برجوان عليه واستعاده مراراً ثم يوقع لكل واحد منهم بعدد استحقاقه ومبلغه من صناعته وتخرج صلاتهم وفقاً لذلك (١٩). فالحاكم أولى الحركة الفكرية والعلمية والأدبية جل رعايته واجزل العطايا وعقد المجالس للمناظرة العلمية والأدبية (٢٠).

لقد أنشأ الحاكم دار العلم سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م وسماها دار الحكمة، ونقل إليها الكتب العظيمة (٢١)، وتسمى أيضاً دار الدعوة وزخرفت وفرشت بأجمل الفرش وعلق على أبوابها وممراتها الستور الحريرية، وجلس الفقهاء فيها، ودخلها الناس للنسخ من كتبها وللقرأة، وانتصب فيها الفقهاء والقراء والنحاة وغيرهم من أرباب العلوم وفرشت وأقيم فيها خدام لخدمتها، وأجريت الارزاق على من بها من فقيه وغيره وجعل فيها ما يحتاج إليه من الحبر والأوراق والأقلام (٢٢)، وقد بقيت هذه المواد جزءاً من قصر الحاكم، وكانت دار العلم مكتبة عامة بجانب كونها جامعة علمية للتعليم وكثيراً ما كانت تقام المناظرات بين علماء (٢٣)، فقد أمر الحاكم سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م بإحضار جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء والاطباء إلى حضرته للمناظرة بين يديه، وكانت كل طائفة تحضر على انفراد ثم يخلع الحاكم على الجميع ويصلهم (٢٤).

وقد وصف ابن أبي طي دار العلم بأنه «من عجائب الدنيا ويقال إنها لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي بالقاهرة في القصر ... ويقال أنها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة وإن من عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري» (٢٥)، وهناك نقطة هامة ذكرت عن دار العلم بأنها ((دار العلم التي بناها المصريون لأنهم لم يكونوا يعرفون المدارس، وكان بها جماعة يقرؤون العلم والطب وغير ذلك)) (٢٦)، وهذا معناه أن دار العلم كانت بمثابة مدرسة انتشرت فيها الثقافة ونمت فيها العلوم والآداب والفنون.

وبما أن الفاطميين أقاموا دولتهم على أسس مذهبية بحتة تتلخص في أن آل بيت رسول الله ' من علي وفاطمة أحق

الناس بزعامة المسلمين، وكان هذا من عقائد الاسماعيلية، فكان لا بد من إيصال هذه العقائد إلى الناس، ولا يتم ذلك إلا عن طريق المجالس التي تعقد في دار العلم (٢٧)، أي إن الغرض من انشاء دار العلم، نشر تعاليم المذهب الاسماعيلي وهو مذهب الدولة الرسمي في مصر.

لقد كان لدى الفاطميون رغبة واندفاع شديدين في مجال العلوم والثقافة، وكانوا يعتقدون بأن كل نهضة علمية لا يمكن لها أن تصل إلى مستوى السبق والازدهار إلا إذا تولتها أيدي أحفاد الرسول الكريم محمد (٢٨).

ومن جهة أخرى فإن الاسماعيليين كانوا يعتقدون بأن الإمام هو مصدر العلم والعرفان وأنه هو المعلم (٢٩)، وبذلك نرى أن الحاكم بأمر الله تولى أمر الدعوة وقرأة ما يقرأ في القصر من مجالس الدعوة وكتبها (٣٠)، وهذا يقودنا للحديث عن الدعوة، وكان أساسها أن العقيدة الفاطمية هي وحدها الصحيحة، وأن غيرها تعتبر مزيفة ، فالدعوة إذن وسيلة لنشر الدين الصحيح (٣١)، والشخص الذي يقوم بالدعوة يطلق عليه داعي الدعاة، وتلقب به لأول مرة في عهد الحاكم، الحسين بن علي بن النعمان (٣٢)، فكان أول قاض يتلقب به (٣٣).

كان عمل داعي الدعاة الأساسي الدعوة التثقيفية والتعليمية على الأخص بين موظفي الدولة الذين كانوا جميعهم من مستجبي المذهب، وهي ثقافة كانت تمتد إلى عامة الناس وتشمل النساء أيضاً، كذلك كان على داعي الدعاة تثقيف هيئة الدعاة، وبذل كل عناية في اعدادهم، لأنه على عاتقهم يتوقف نجاح الدعوة الفاطمية (٣٤).

وكان هؤلاء الدعاة يتميزون بمميزات خاصة تجعل منهم الرجال الذين يمكن الركون إلى مقدرتهم في نشر الدعوة واستمالة القلوب اليهم، وكان على رأس هؤلاء الدعاة جميعاً، داعي الدعاة الذي يعتبر الصلة بين الخليفة وبين معتنقي المذهب، وكان داعي الدعاة يعتمد المجلس ليقراً على الناس ما أعدة من محاضرات وما ألفه من مصنفات، ولذلك اهتم الخلفاء الفاطميون باختيار داعي الدعاة (٣٥).

وهناك نص يوضح اهتمام الفاطميين بداعي الدعاة وذلك عن طريق ترتيب هيئته ولبسه الخاص، ففي سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م ((في يوم الجمعة سادس عشر رجب ولي مالك بن سعدي الفارقي (ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م) القضاء وخلع عليه في بيت المال قميص مصمت وعمامة مذهبة وطيلسان محشى مذهب وقلد

مجالس الحكمة، أو مجالس الدعوة(٤٥)، إذ يجتمع الناس لحضور القصر لسماع ما يقرأ من كتب مجالس الدعوة(٤٦).

وكان من ضمن عمل داعي الدعوة ومساعديه أيضاً جمع مال الدعوة، فالدولة الفاطمية كانت تلجأ إلى مصادر اختيارية يدفعها المؤمنون كرمز على الطاعة للمذهب الشيعي(٤٧)، وكانت هذه الأموال التي يدفعها جميع المؤمنين إنثاءً وذكوراً تجمع من جميع البلاد وتسمى الفطرة والنجوى(٤٨)، وقد ذكر المقرئ بأن الحاكم بأمر الله كتب سجل يأمر فيه بأخذ الفطرة والنجوى وحضور المجلس بالقصر وأخذ الدعوة على الناس وقراءة ما يقرأ على من دخل الدعوة(٤٩).

إن الجهد الواضح للحاكم بأمر الله في مجالي الثقافة والتعليم كان قد تركز في دار العلم (الحكمة) التي أنشأها وأراد عند تأسيسها أن تكون شبيهة بيت الحكمة الذي أقامه الخليفة المأمون العباسي في بغداد، وعندما أنشأ الحاكم هذه الدار كان بقصد إظهار حماسه وتقربه إلى أهل السنة وتشجيع العلوم على إطلاقها(٥٠)، ومن ذلك أنه أسكنها من شيوخ السنة شيخين يعرف أحدهما بأبي بكر الانطاكي، وخلع عليهما وقربهما ورسم لهما بحضور مجلسه وملازمته وجمع الفقهاء والمحدثين إليها وأمر أن يقرأ بها فضائل الصحابة ورفع عنهم الاعتراض في ذلك(٥١)، إلا أن الحاكم المعروف بميله المتقلبة، فقد بدا له بعد ذلك وفي عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م أن يقتل الفقيه أبا بكر الانطاكي والشيخ الآخر وخلقاً كثيراً آخر من أهل السنة(٥٢). وأصبحت دار العلم بذلك مركزاً للدعاية الاسماعيلية كما بينا سابقاً.

وربما كان قصد الحاكم في البداية، حين أراد كسب حماس أهل السنة، ربما قصد من وراء ذلك أن يسحب من جامع عمرو، الواقع في قلب الأحياء التجارية للفسطاط، دوره المميز في صنع الفكر الديني(٥٣).

ولسنا هنا بصدد الحديث عن أمر الدعوة الفاطمية، لكن الجانب التعليمي هنا نراه مرتبطاً بالجانب الديني لذا تطرقنا إلى أمر الدعوة. وكما ذكرنا سابقاً أن دار العلم أو دار الحكمة التحق بها عدد من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة، كما ألحق بها مكتبة كبيرة ضمت ما يزيد على مائة ألف مجلد تشمل على أنواع العلوم ومن بينها كتب نادرة ونفيسة(٥٤).

بسيف ... ثم عاد إلى داره بالقاهرة وتسلم كتب الدعوة التي تقرأ بالقصر على الأولياء(٣٦)، وهنا يتضح أيضاً أن منصب داعي الدعوة كان منوطاً بالقاضي.

كان الحاكم من أنشط الخلفاء في بث الدعوة المذهبية ونشرها في الخارج وكان له جماعة من الدعاة الأقوياء في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، لاسيما في المشرق يعملون لنشر الدعوة واستمالة الناس إليها ويبعث بالمال الوفير إلى مختلف الدعاة للأنفاق على شؤون الدعوة وبذل الصلات للمستجيبين وكان من بين أولئك الدعاة من الطراز الأول، حميد الدين الكرمانى (ت ٤١٢هـ/١٠٢٠م) داعية العرافين بفارس(٣٧). وكان هؤلاء الدعاة يقيمون مجالس خاصة لتعليم الدعوة الإسماعيلية يتولون فيها شرح ما غمض من كتب الباطن والتأويل والفلسفة، حتى أن هذه المجالس كانت جزءاً من مخططات الدولة وكان لها الأثر البارز في سير الدعوة في الاقطار الاسلامية، لذلك كان يختار للاضطلاع بها دعاة من العلماء الاذكياء(٣٨).

لقد وضع الفاطميون نظام دقيق لدعوتهم وطريقة تعلمها، وذكر المقرئ انهم جعلوها تتألف من تسع مراتب منها : أن الإيمان مبني على العقل لا النقل في نظرهم، وأن النبي' بعث للكافة والفيلسوف للخاصة، وإن التكاليف فرضت على العامة لتشاغل الخاصة عنها بما هو أسمى منها وهو معرفة الأسرار الخفية التي اختص بها العالم العلوي دون السفلي(٣٩)، ولقد عهدوا في شرح هذه العلوم إلى فئة خاصة من علمائهم من الدعاة فكان يعاونهم في هذه المهمة الوزراء، وكان الخليفة هو المرجع الأول والأخير لأنه الشخص الذي ورث العلم الإلهي كله عن آبائه واجداده من لدن علي بن أبي طالب(٤٠).

كانت الدعوة تقرأ في أماكن متعددة : في الجامع الأزهر، وهو أول مكان أنشأه الحاكم بأمر الله في سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، وكان قد شرع فيه والده العزيز بالله

(٤١)، كما أنشأ عدة مساجد وحمل إلى الجوامع من المصاحف والآلات الفضية والحصص السامان ما له قيمة طائلة(٤٢)، كما أنه ابنتى المدارس(٤٣) وجعل فيها الفقهاء والمشايخ(٤٤).

كانت المحاضرات التي تقرأ على الناس تسمى

في الصدر الأول من أيام الفاطميين (٦٢).

لقد استطاعت دار الحكمة بفضل هؤلاء الاساتذة وما كان لها من مناهج متنوعة جمعت بين الدراسات العلمية والفقهية أن تجعل الطلاب يتلقون فيها إلى جانب علوم آل البيت وفقه الشيعة الكثير من علوم اللغة والفلك والطب والرياضة والفلسفة والمنطق والتنجيم (٦٣).

ولم تكن دار الحكمة المكان الوحيد لتلقي العلم فقد كانت قصور الخلفاء مفتوحة للعلماء والطلاب، وقد أباح لهم الخليفة الاطلاع على الكتب المختلفة بمكتبة القصر، فصاروا يعقدون المجالس العلمية والأدبية بقصورهم ويدعون إليها الفقهاء والعلماء والأدباء فيتناظرون بحضرتهم (٦٤)، وذكرنا سابقاً النص الذي يبين أن الحاكم بأمر الله أمر بإحضار جماعة من دار العلم للتناظر بين يديه (٦٥)، ولم تكن هذه المجالس تقل في قيمتها التعليمية عن الدروس التي تلقى في الجامع الأزهر أو بدار الحكمة (٦٦).

ولا يقتصر التعليم في زمن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي على دار الحكمة وجامع الأزهر، فقد اهتم الحاكم كثيراً ببناء الجوامع وتعمير ما تهدم منها، وهذا يعد من إيجابياته، ومن أنشائه :

١- جامع الحاكم، إذ عرف عن هذا المسجد بأنه مركز اشعاع ديني وعلمي واجتماعي يعتبره كل مسلم بيت الله لذا نرى الخلفاء والحكام في مختلف أرجاء العالم الإسلامي يهتفون ببناء الجوامع والمساجد (٦٧)، بني هذا الجامع خارج باب الفتوح (٦٨)، وذكر أن الخليفة العزيز بالله (٣٦٥هـ-٣٨٦هـ/٩٧٥م-٩٩٦م) هو الذي أمر ببنائه سنة ٣٨٠/٩٩٠م، إذ تم افتتاحه قبل اتمام بنائه سنة ٣٨١هـ/٩٩١م وصلى به الخليفة وخطب فيه لذا سمي في البدء بجامع الخطبة وبعد وفاة الخليفة العزيز بالله قام الخليفة الحاكم بأمر الله بإكمال بنائه إذ بوشر البناء سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م وقد اكتمل بنائه سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م فكتب الخليفة الحاكم اسمه عليه لذا نسب اليه ويسمى أيضاً بالجامع الأنور (٦٩).

٢- جامع راشدة : يقع هذا الجامع بين الفسطاط ودير الطين وسمي بهذا الاسم لأنه يقع في خطة راشدة، وراشدة بطن من لخم (٧٠). ابتدأ العمل بهذا الجامع في السابع عشر من ربيع الآخر في سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م واكتمل بناؤه سنة

والذي يهمننا هو أنه في عهد الحاكم بأمر الله أرتقت العلوم والآداب والفنون ولعب الجامع الأزهر الدور الأول في نمو الحركة الثقافية، لأن العلماء والفقهاء اتخذوا منه جامعة علمية، ففي هذا المسجد اتخذت الدعوة الفاطمية مكاناً لها بين أماكن أخرى واتخذوا من المسجد الجامع (الجامع الأزهر) مركزاً من مراكز دعوتهم ومهداً تلقى فيه علوم آل البيت (٥٥)، لاسيما إن معظم مجالس الحكمة، التي كانت مركزاً حياً للاجتهاد الفكري ولتأهيل الدعاة الاسماعيليين واطلاقهم إلى أرجاء المعمورة، كانت تعقد في جامع الأزهر الذي بناه الفاطميون ليتحول فيما بعد إلى أحد أهم معادل تدريس الفقه الإسلامي.

لقد أمر الحاكم بأمر الله بنقل الكتب التي كانت بدار الحكمة إلى مساجد الأزهر فخص الأزهر منها ما يقرب من النصف (٥٦)، وتعتبر دار الحكمة من المراكز الثقافية بمصر وأطلقت عليها هذه التسمية رمزاً إلى الدعوة الشيعية، لأن مجالس الدعوة كانت تسمى مجالس الحكمة، وقد زود الحاكم هذه الدار بمكتبة دار العلم، كما ذكرنا أعلاه، والتي حوت الكثير من الكتب في سائر العلوم والآداب من فقه ونحو ولغة وكيمياء وطب (٥٧).

وشجع الحاكم العلماء وقربهم وأجرى عليهم الأموال والارزاق وبذلك فقد ضرب بسهم وافر في تنظيم شؤون الدعوة، فنمت، كما أنه شجع المجالس العلمية والندوات الثقافية التي كان يحضرها رجال الدولة والعلماء والأدباء فيظهرون مقدرتهم والمأمهم بالفلسفة وعلم التأويل والفقه والحديث والطب والهندسة وعلم الفلك (٥٨).

ومن العلوم التي اشتغل بها الفاطميون : اللغة والنحو، وممن اشتهر بالنحو أبو طاهر النحوي، وكان يتولى ديوان الشام في عهد الحاكم، ومن شعراء الحاكم، أبو القاسم عبد الغفار (٥٩)، وفي الفلسفة حميد الدين أحمد بن عبد الكرماني، كان من دعاة الفاطميين في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، وفي الرياضيات أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم نشأ في البصرة ثم انتقل إلى مصر وأقام بها واتصل بالحاكم (٦٠).

كما اهتم الحاكم بعلم النجوم حتى أنه أنشأ رصداً أطلق عليه الزيج الحاكمي وهو زيج كبير مبسوط (٦١). وفي التاريخ كان المسيحي عز الملك محمد بن أبي القاسم اتصل بخدمة الخليفة الحاكم وتقلد في أيامه القيس والبهنسا من أعمال الصعيد ثم تقلد ديوان الترتيب، ويعد المسيحي حجة دامغة في تاريخ مصر

٣٩٥ هـ/١٠٠٤م فصلى به الخليفة لأول مرة في رمضان سنة ٣٩٨ هـ/١٠٠٧م (٧١).

٣- جامع المقس: بنى الخليفة الحاكم بأمر الله جامع المقس على شاطئ النيل وذكر إن سنة بناء هذا الجامع كانت في ٣٩٣ هـ/١٠٠٢م (٧٢).

٤- مسجد اللؤلؤة: هذا المسجد أصلاً كان مسجد قد تداعى فأمر الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٦ هـ/١٠١٥م بإعادة بناؤه وسماه اللؤلؤة (٧٣).

٥- مصلى للعيد ومسجد في الاسكندرية: لقد أشير أن الحاكم بأمر الله بنى مصلى للعيد على سفح جبل المقطم وأنه قام سنة ٤٠٤ هـ/١٠١٣م ببناء جامع في مدينة الاسكندرية لم يذكر اسمه (٧٤).

لم يكتف الخليفة الحاكم ببناء الجوامع والمساجد بل قام أيضاً بتجديد واصلاح ما أفسده الدهر على بعض الجوامع، فقد أشار بعض المقربين أنه قام في سنة ٤٠٠ هـ/١٠٠٩م بتجديد وترميم بعض جوانب الجامع الأزهر (٧٥) وزاد في بناءه (٧٦).

وكل هذه المعالم العمرانية التي تعد من الاعمال الخالدة لهذا الخليفة المتناقض الرأي كانت قد ساهمت مساهمة كبيرة في ازدهار التعليم في دولة مصر.

الخاتمة:

إنَّ سيرة الحاكم بأمر الله الفاطمي المليئة بالتناقضات جعلت من اهتمامه بالتعليم، هو أحد الملامح الرئيسة التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار، لأنه على الرغم من أن الكثير من المؤلفات قد بينت سوء سيرته إلا أنها مع ذلك ركزت على اهتمامه بالتعليم وكيف أنه ساهم مساهمة كبيرة في ايجاد مراكز ثقافية، وعلى هذا يمكن القول أن سيرة الحاكم الفاطمي لم تكن مجرد مجموعة من التناقضات والتي يأخذ الكثير من الناس بها، من القتل والذبح ومجموعة الأحكام الجائرة بحق الناس، ولكن أيضاً هناك محاولة ما زال يحفظها التاريخ، وهو اسهامه في اثراء العلوم الإنسانية من خلال اهتمامه بالمؤسسات التعليمية.

الهوامش:

(١) ابن الاثير: عز الدين أبي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٦)، ج ٨، ص ١١٨؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق: د. احسان عباس، (بيروت: دار صادر، بيروت)، ج ٥، ص ٢٩٢؛ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧م)، العبر في خبر من غير، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، (مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٦م)، ج ٣، ص ١٠٤؛ القلقشندي: أبو العباس بن

احمد (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق: د. يوسف علي الطويل، ط ١، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧م)، ج ٣، ص ٤٩٤.

(٢) برجوان: الاستاذ برجوان أبو الفتوح كان من خدام العزيز صاحب مصر ومديري دولته، ونظر في أيام الحاكم في ديار مصر والحجاز والشام والمغرب، قتل سنة ٣٩٠ هـ/٩٩٩م بأمر من الحاكم. ينظر: ابن الصيرفي: علي بن منجب بن سليمان (ت ٥٥٠ هـ/١١٥٥م)، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، (القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٢٤)، ص ٢٧-٢٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٧٠-٢٧١؛ السخاوي: أبو الحسن نور الدين علي بن احمد (ت ٩٠٢ هـ/١٤٩٦م)، تحفة الأحيان وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، تصحيح: جماعة من العلماء، ط ٢، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م)، ص ٥٦.

(٣) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ت)، ج ٣، ص ١٥٣.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٩٢؛ ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتاكي (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مصر: المؤسسة المصرية العامة، د.ت)، ج ١، ص ٤٦٣؛ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (مصر: مطبوعات الموسوعات، د.ت)، ج ٢، ص ١٤٠.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٩٦-٢٩٧؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ١٠٥.

(٦) عنان: محمد عبد الله، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٣)، ص ٢١٤-٢١٦.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٤٤٩.

(٨) المقرئزي: تقي الدين أبي العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م)، اتعاط الحنف باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٣)، ج ٢، ص ١١٣؛ كاهن: كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة د. بدر الدين القاسم، ط ١، (بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٢)، ص ٣٢٠؛ الانصاري: ناصر، المجلد في تاريخ مصر النظم السياسية والادارية، ط ١، (دار الشروق، ١٩٩٣)، ص ١٢٨.

(٩) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٥.

(١٠) الذهبي، العبر، ج ١، ص ١٠٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٤٤٩.

(١١) عاصم: هيفاء، الحاكم بأمر الله الفاطمي بين الإيجابيات والسلبيات، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد ٤، ٢٠٠٧، ص ٥٢١.

(١٢) بدوي: عبد الرحمن، مذاهب الإسلامية الإسماعيلية القرامطة النصرية الدروز، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٥١٤-٥٤٩.

(١٣) سليمان: أحمد السعيد، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، (مصر: دار المعارف، د.ت)، ج ١، ص ١٣.

(١٤) الانصاري، المجلد في تاريخ مصر، ص ١٢٨.

(١٥) المقرئزي، اتعاط الحنف، ج ١، ص ٣٩٩.

(١٦) عطا الله: خضير أحمد، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، ط ١، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ص ٧.

(١٧) الفقي: عصام الدين عبد الرؤوف، معالم تاريخ الإسلام، ط ١، (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٩٠)، ص ٢٦٥.

(١٨) نصر: سوسن محمد، صور حضارية من التاريخ الإسلامي، (مصر: القاهرة الحديثة للطباعة، ١٩٨٢)، ص ٧٢.

(١٩) عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدولة الفاطمية، ص ٩٢.

(٢٠) نصر، صور حضارية في التاريخ الإسلامي، ص ٧١.

(٢١) المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٨١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٤٦٣.

(٢٢) المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٨١.

(٢٣) عطا الله، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، ص ١٧.

- (٢٤) المقرئزي، الخطط، ج٢، ص٨١.
- (٢٥) سيد : ايمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، (الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧)، ص٥٩٤.
- (٢٦) ابن عبد الظاهر : محيي الدين أبو الفضل عبد الله المصري (ت٧٩٢هـ/١٢٩٢م)، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق : د. ايمن فؤاد سيد، ط١، (القاهرة : مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٦)، ص٤٥.
- (٢٧) عطا الله، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، ص١٠٥.
- (٢٨) ثامر : عارف، الحاكم بأمر الله خليفة وامام ومصلح، ط١، (بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢)، ص٧٠.
- (٢٩) المصدر نفسه، ص٧١.
- (٣٠) المقرئزي، اتعاظ الحنف، ج٢، ص١٠١.
- قائمة المراجع والمصادر :
- ابن الاثير : عز الدين أبي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).
- الكامل في التاريخ، (بيروت : دار صادر، ١٩٦٦).
- ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) :
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مصر : المؤسسة المصرية العامة، د.ت).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : د. احسان عباس، (بيروت : دار صادر، د.ت).
- ابن دقماق : إبراهيم بن محمد العلاني (ت٨٠٩هـ/١٤٠٧م).
- الانتصار لواقعة عقد الامصار، (بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر، د.ت).
- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
- العبر في خبر من غير، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد، (مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٦م).
- ابن زيات : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الانصاري (ت٨١٤هـ/١٤١١م).
- الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرامتين الكبرى والصغرى، (مصر : المطبعة الأميرية، ١٩٠٧م).
- السخاوي : أبو الحسن نور الدين علي بن احمد (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م).
- تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، تصحيح : جماعة من العلماء، ط٢، (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م).
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (مصر : مطبوعات الموسوعات، د.ت).
- ابن الصيرفي : علي بن منجب بن سليمان (ت٥٥٥هـ/١١٥٥م).
- الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، (القاهرة : مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٢٤).
- ابن عبد الظاهر : محيي الدين أبو الفضل عبد الله المصري (ت٧٩٢هـ/١٢٩٢م).
- الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق : د. ايمن فؤاد سيد، ط١، (القاهرة : مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٦م).
- الفلقشندي : أبو العباس بن احمد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م).
- صبح الأعشى في صناعة الانشاء، تحقيق : د. يوسف علي الطويل، ط١، (دمشق : دار الفكر، ١٩٨٧م).
- ابن كثير : اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
- البداية والنهاية، (بيروت : مكتبة المعارف، د.ت).
- المقرئزي : تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م).
- اتعاظ الحنف باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق : جمال الدين الشبال، (القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٣م).
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، (القاهرة : مطبعة بولاق، ١٩٧٠م).
- المصادر الحديثة :
- الانصاري : ناصر.
- المجلد في تاريخ مصر النظم السياسية والادارية، ط١، (دار الشروق، ١٩٩٣).
- بدوي : عبد الرحمن.
- مذاهب الإسلامية الإسماعيلية القرامطة النصرية الدورز، (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٧٣م).
- ثامر : عارف.
- الحاكم بأمر الله خليفة وامام ومصلح، ط١، (بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢م).
- حسن : حسن إبراهيم.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، د.ت).
- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، ط٢، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨م).
- سرور : محمد جمال الدين .
- تاريخ الدولة الفاطمية، (مصر : دار الفكر العربي، د.ت).
- سليمان : أحمد السعيد.
- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، (مصر : دار المعارف، د.ت).
- سيد : ايمن فؤاد.
- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، (الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧م).
- الصبحي : محمد إبراهيم.
- الفن والعمارة عند العرب، (القاهرة : مكتبة نهضة مصر، د.ت).
- عاصم : هيفاء.
- الحاكم بأمر الله الفاطمي بين الإيجابيات والسلبيات، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد ٤، ٢٠٠٧م.
- عطا الله : خضير أحمد.
- الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، ط١، (القاهرة : دار الفكر العربي، د.ت).
- عنان : محمد عبد الله.
- الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، (القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٨٣م).
- الفقي : عصام الدين عبد الرؤوف.
- معالم تاريخ الإسلام، ط١، (الكويت : مكتبة الفلاح، ١٩٩٠م).
- كاهن : كلود.
- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة د. بدر الدين القاسم، ط١، (بيروت : دار ص٧ الحقيقة، ١٩٧٢م).
- ماجد : عبد المنعم.
- ٢٩- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، (مصر : مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٣م).
- نصر : سوسن محمد.
- ٣٠- صور حضارية من التاريخ الإسلامي، (مصر : القاهرة الحديثة للطباعة، ١٩٨٢م).

**المباحث الأخلاقية في كتاب مواهب الرحمن
(قراءة تحليلية)**

م.د. زينة علي كاظم

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

ily). Through the Qur'anic verses, the Book of Rahman's Talents was selected for Sebswari and presented the most important ethical concepts and moral virtues and studied them analytically, and the research section in light of this was divided into investigations: The first is the general theoretical framework and the biography of the Sbzori. The second is ethics in Islamic and missionary thought. The third topic: moral and customary detectives in the talents of Rahman.

المبحث الأول

الإطار النظري العام والسيرة الذاتية للسبزواري

المطلب الأول: الإطار النظري العام:

أولاً. حقيقة الأخلاق:

١- لغة:

هو جمع خلق وهو ما خلق عليه من الطبع أي الطبيعة التي بها يخلق الإنسان (١)، ويعرف أيضاً بالدين والطبع والسجية (٢).

٢- اصطلاحاً:

وردت الكثير من التعريفات الاصطلاحية واتفقت على أنها ملكة للنفس وأغلب الذين اتفقوا عليها العلماء والفلاسفة والمتكلمين بأنها «عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية» (٣) ومن جهة يعرفها الشيرازي بأنها «ملكة يصدر بها عن النفس أفعال بسهولة من غير تقدم ورؤية، وليس الخلق عبارة عن نفس الفعل؛ لأنه عبارة عن كون النفس بحال يصدر عنها الصناعة من غير رؤية كمن يكتب شيئاً» (٤)، فالأخلاق جمع خلف وهو حسن المعاشرة والتعامل مع الخلق وبها يسمو الإنسان إيماناً وخلقاً بين الناس (٥)، فالفعل الأخلاقي يحصل من غير رؤية فتصدر الأفعال مباشرة.

ثانياً. الألفاظ ذات الصلة: وقد وردت الكثير من الألفاظ التي لها صلة بالأخلاق ومن جملة تلك الألفاظ كما يأتي:

الملخص:

إن القيم الأخلاقية هي نواة قيام الدولة الإسلامية التي قادها الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وانطلاقاً من القيم الأخلاقية للقرآن الكريم وطريق السعادة الذي رسمه للعباد، فضلاً عن أنها القيم والفضائل أساس بناء المجتمعات الصالحة وازدهارها في شتى حقول الحياة سواء كانت السياسية أم الاجتماعية والاقتصادية وتربوية، لأنها تقود المجتمع إلى السعادة والكمال، ولها الدور الأكبر في الحياة الفردية والاجتماعية، فكانت صورة معبرة لشخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن خلال الآيات القرآنية فقد تم اختيار كتاب مواهب الرحمن لسبزواري (ت : ٢٧ صفر سنة ١٤١٤ هـ) وعرض أهم المفاهيم الأخلاقية والفضائل الأخلاقية ودراستها بصورة تحليلية، وقسم البحث على ضوء ذلك على مباحث:

١-المبحث الأول: الإطار النظري العام والسيرة الذاتية للسبزواري.

٢-المبحث الثاني: الأخلاق في الفكر الإسلامي والرسالي.

٣-المبحث الثالث: المباحث الأخلاقية والعرفانية في مواهب الرحمن.

Abstract

Moral values are the nucleus of the establishment of the Islamic State, which was led by the Holy Prophet Muhammad (peace be upon him and his God), and based on the moral values of the Qur'an and the path of happiness he drew for the servants, as well as the values and virtues that are the basis for building good societies and their prosperity in various fields of life, whether political, social, economic and educational, because they lead society to happiness and perfection, and have the greatest role in individual and social life, it was an expressive image of the personality of the Holy Prophet (peace be upon him and his fam-



١. ولادته:

ولد الفقيه الكبير في الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٩هـ وفي مدينة سبزوار تحديداً مما لقب بالسبزواري، إذ نشأ وترعرع في ظل والده ورعايته، فتعلم على يده القراءة والكتابة وهو في سن مبكرة (٢١).

٢- نشأته:

نشأ المفسر الكبير في كنف والده الذي كان له دور كبير في بناء شخصيته الفكرية إذ درسه الأوليات التي ساعدت في تهيئة الأفكار الأساسية له كالنحو والصرف والمنطق، وبعد ذلك أرسله والده إلى مشهد في الحوزة العلمية لإكمال الدراسة، فزاه قد لازم حلقات المشايخ ودروسهم (٢٢)، هاجر إلى العراق عام ١٣٤٩هـ إلى مدينة النجف الأشرف التي احتضنت الآلاف من طلبة العلم والدين من كل أنحاء العالم، وشرع في البحث وتدريس الفقه والأصول ولا سيما بعد وفاة أبي الحسن الأصفهاني عام ١٣٦٥هـ واستمر بحلقاته ودوراته الدينية والمعرفية والبحثية لمدة خمسة وأربعين عاماً أي من سنة (١٣٦٥-١٤١٠هـ). إذ مال إلى الدراسة والبحث والتفسير وافنى حياته في ميادينها العلمية وطلب العلم وتشبع الروح معرفياً ودينياً وصل بها إلى أعلى المراتب المعرفية (٢٣). وسار على خطى العلم والمعرفة إلى أن توفي في صباح يوم السادس والعشرين من صفر عام ١٤١٤هـ ودفن في النجف الأشرف فكان قبره في المسجد الذي يصلي ويدرس فيه (٢٤).

٣- أسرته:

هو عبد الأعلى بن علي رضا بن عبد العلي بن عبد الغني محمد السبزواري من أسرة عريقة تمتعت بالعلم والمعرفة والتفقه الديني وترجع في نسبها إلى محمد العابدين بن موسى بن جعفر الكاظم، وتمتع اسرته بالتدين والمعرفة فوالده كان رجلاً من رجال الدين في سبزوار، فضلاً عن عمه عبد الله كان خطيباً حسينياً ولقب أخوه فخر الدين بـ(آية الله) (٢٥).

ثانياً. السيرة العلمية للسبزواري:

١. أساتذته:

درس السبزواري علي يد كبار الأساتذة والمشايخ الذين كانوا السبب الرئيس في بناء شخصيته المعرفية ونذكر من جملتهم:

١- والده السيد علي رضا السبزواري+.

٢- الأديب النيسابوري+.

٣- الشيخ حسن علي الأصفهاني+.

١- السلوك: هو معرفة النفس ما لها وما عليها أو هو ما يقوم به الكائن الحي من ردود فعل مترتبة على تجارب السابقة (٦).

٢- الخير والشر: الخير هو وجدان كمالات اللائقة أما الشر فهو به ما يفقد جميع كمالاته (٧).

٣- الواجب: هو ما تقتضي ذاته وجوده اقتضاء تاماً، أو هو ما يستغني في وجوده الفعلي عن غيره (٨).

٤- المسؤولية: هو وجود قانون بأمر بالفعل أو تركه أو حد الالتزام بالقانون الأخلاقي (٩).

٥- الحرية: هو التخلص من كل الأمور التي تميل به من الشوائب أو الرق أو اللؤم (١٠).

٦- العمل: هو كل فعل حادث عن الفعل نفسه من غير أي تدخل خارجي (١١).

٧- الجهد: هو نوع من الفعل يتغلب به الكائن الواعي على ما يعترض طريقه من عقبات (١٢).

٨- الاعتقاد: الحكم الذهبي الحازم الذي لا يقابله شك أو تشكيك (١٣).

٩- الإرادة: هو الاستعداد الخلقي له سواء كان عام أو خاص (١٤).

١٠- القيمة: هي الصفة التي تجعل منه مطلوباً ومرغوباً (١٥).

١١- الجزاء: هو الثواب مقابلة بالعقاب أي المكافأة على الشيء (١٦).

١٢- ملكة: صفة راسخة يكون وجودها في النفس، ويمكن التعبير عنها بأنها استعداد عقلي خاص (١٧).

١٣- النية: هي لغة انبعاث القلب نحو ما يجده موافقاً لجلب المنفعة أو دفع الضرر (١٨).

١٤- الزهد: هو ترك الميل إلى الشيء، أو بعض الدنيا والأعراض عن شهواتها (١٩).

١٥- العفة: هو هيئة للقوة الشهوانية متوسطة بين الفجور والخمود (أي بين الإفراط والتفريط) (٢٠). والكثير من الألفاظ التي اختصرناها بهذا الشكل المختصر لإعطاء صورة بسيطة عنها.

المطلب الثاني

المكون المعرفي للسيد عبد الأعلى السبزواري

أولاً. السيرة الذاتية للسبزواري:

الكمال الحقيقي (٢٩)، إذ إن الهدف الأساس من بعثة الأنبياء وانزال الكتب السماوية هو تعليم الناس الأخلاق والفضائل الإسلامية متمثلة بشخص الرسول الأكرم : «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» (٣٠)، فضلاً عن أن كل التشريعات والعبادات تصب في الأخلاق الحسنة وحسن التعامل والتي ترفع من درجة ومكانة الإنسان في الدارين (٣١)، وعليه فإن سعادة الإنسان متوقفة على حسن خلقه يوم القيامة كما قال : «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق» (٣٢)، فضلاً عن أنه يبحث على محبة الناس والمجتمع والرفعة في الآخرة (٣٣).

لقد هيمن القرآن على كل الأديان والرسالات السماوية لما يحويه من قيم أخلاقية اكتملت برسول الأكرم ' وأهل بيته^٨، فضلاً عن احتواء القيم الإنسانية ، فالقرآن ذاته هو المنطلق الذي يحث البشر على الالتزام بالقيم الإنسانية والأخلاقية وعليه يكافئ البشر بالجنة يوم القيامة (٣٤)، فالقرآن هو القانون الأخلاقي الذي يحدد مستوى الخلق الإنساني لذا أكرم الرسول ' في قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (٣٥) فضلاً عن الآيات الإرشادية والوصايا التي تؤكد على القيم الأخلاقية. ومنها: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} (٣٦) و

{وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} (٣٧) و{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}

(٣٨)، والكثير من الوصايا التي تدعو إلى الأخلاق الحسنة وترشد البشر إلى الطريق الصحيح والابتعاد عن الطريق الخاطئ، فكان هو الأساس والقانوني والدستوري والأخلاقي أي القرآن الكريم كما في قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} (٣٩).

إن النص الديني يضع القواعد الأساسية في الإرشاد من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبغي كما يقول تعالى: ﴿يُتَبَيَّنُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٤٠) ومنها تنطلق فلسفة إصلاح المجتمع من تلك القاعدتين فضلاً عن أن القرآن هو البيان الحقيقي والدليل الأخلاقي في آياته التي ترسم طريق المعاملة الحسنة بين الناس، فقوانينه ليست بشرية بل إلهية مطلقة، حتى يرتقي بالنفس الإنسانية إلى السعادة المطلقة (٤١). فضلاً عن أنه يرسم الطريق الديني والعلمي لتربية وتهيئة الإنسان حتى يصبح فاضلاً يستطيع محاكاة المجتمع وساعد في بنائه ليصبح مجتمع أخلاقياً قوياً ومتيناً (٤٢)، خلال الاقتداء بالرسول محمد (صلى الله عليه

٤- المحدث الشيخ عباس القمي.

٥- العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني، وغيرهم من كبار الفقهاء والمفسرين الذين هم من أشبهوا روحه العلمية والروحية (٢٦).

٢. تلامذته:

١- الشيخ محمد علي التبريزي.

٢- الشيخ محمد صادق السعدي.

٣- الشيخ محمد الأصفهاني.

٤- السيد نور الدين السبزواري.

٥- الشيخ مهدي الكرمانی، وغيرهم من طلبة العلم وحلقات المعرفة الذين استفادوا من علم الفقيه والمفسر عبد الأعلى السبزواري (٢٧).

٣. مؤلفاته وآثاره العلمية:

تمتع السبزواري بمنظومة فكرية عالية مبنية على أساس قوي ومتين وكان واضحاً جداً في كتاباته ومؤلفاته ومدى الرصانة العلمية التي يتمتع بها من مقام علمي ومعرفي فضلاً عن المقام الديني والروحي الذي غرس فيه منذ صغر سنه مما جعله عارفاً بتفسير القرآن الكريم والإحاطة بكل علوم الدينية، ومن أهم تلك الآثار العلمية:

١- تهذيب الأصول.

٢- مواهب الرحمن.

٣- مناسك الحج.

٤- الأخلاق في القرآن.

٥- التوحيد في القرآن.

٦- المعاد في القرآن، وبعض الحواشي على الكتب الفقهية، وكتب الأحاديث كالبحار والوافي وغيرها من المؤلفات التي لها صدى واسع في العالم الإسلامي والفكر التبعية الإمامي (٢٨).

المبحث الثاني

الأخلاق في الفكر الإسلامي والرسالي

المطلب الأول: ضرورة الأخلاق في النص الديني مؤسساً:

إن الرسالة الإسلامية التي جاء بها الرسول الأكرم ' هي رسالة أخلاق وإنسانية قبل أن تكون رسالة دينية تدعو إلى عبادة الله الواحد، فكل جوانبها هو أخلاقي مطلق وهي من أهم خصائص الفكر الرسالي الإسلامي التي ترسم السعادة الحقيقية للفرد في الدنيا والآخرة وتحريره من كل أنواع العبودية ورق والاستبعاد، ومن خلال المعايير الأخلاقية التي توصل الإنسان إلى

وجمالية البحث وتفاصيل الأخلاق وأن المتعلم ما لم يهذب أخلاقه لا تنفعه مسائل العلوم (٤٨)، فضلاً عن النفس غير النقية عن الأخلاق الذميمة لا تزيد التعلم إلا فساداً، ولذلك يذكر النزقي أن الأشخاص الذين تشبهوا بزّي العلماء هم أسوأ حال من العامة المقصرين عن وظائف الإيمان، والذين لم يتمثلوا لقول الله ورسوله (٤٩).

أكد النزقي أن الأخلاق وكل ما فيها من فضائل تنجي الإنسان وتوصله إلى السعادة الأبدية في عكس الرذائل التي تهلك الإنسان وتحول بينه وبين الكمال والسعادة الحقيقية وتوصله إلى الشقاء الأبدي إذ لا بد للإنسان العاقل أن يجهد في سبيل اكتساب الفضائل الأخلاق بالأوساط التي ثبتت قواعدها صاحب الشريعة الإسلامية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (٥٠)، والابتعاد عن الأخلاق المذمومة التي تحجب المعارف الإلهية والنفحات القدسية فتشكل غطاءً وحاجزاً يحجب عن الرؤية الحقيقية للتحالف من خلال الإنسان ومعرفته والمؤانسته بالله تعالى، فلا بد أن يطهر الإنسان من كل هذه الرذائل ويتخلص منها حتى يدخل النور الإلهي إلى قلبه لكي يسعد في الدارين ويلقى المطلق (الله) (٥١). وعليه أن يجتهد في تزكية النفس وحمايتها حتى تصل إلى السعادة وإلى سبيل المعرفة الحقّة والهداية الإلهية كما يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٥٢)، وإن تطهير القلب والبدن ليصل إلى رب الأرباب وتلاشى كل الحواجز والموانع والحجب فترسم صورة كل الموجودات كما هي حتى يصل إلى الذات الحقيقية والابتهاجات الفعلية بعد زوال الشوائب عنها ويظهر قلبه من المعاصي حتى تتم له الطاعات الظاهرة (٥٣).

يقسم النزقي القوى في الإنسان على أربعة أقسام: نظرية عقلية، وهمية خيالية، وقوة سجية غضبية، وبهيمية شهوانية، وأن الصورة المعتدلة لها هي الفضيلة وأن الانحراف عن الوسط إما يكون أفرطاً أو تفريطاً فتكون لكل فضيلة جنسان من الرذيلة (٥٤)، وأن يؤكّد فكرة الحد الوسط أو الاعتدال مستمد من المشرع الأعظم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والنص القرآني في تحقيق نظرية الوسط والاعتدال الأخلاقي اللذان لم يتأثرا بنظرية أرسطو طاليس في الاعتدال إذ تنص نظرية الاعتدال عند النزقي على قوله «خير الأمور أوسطها» (٥٥)، إشارة لصحة نسبة هذا القول للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن من علماء الشيعة من نسب هذا

وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) للوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: النظرية الأخلاقية الإسلامية:

إن أول النظريات الأخلاقية بدأت مع الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن بعده الأئمة (عليهم السلام) فكانوا هم المؤيدون للنظريات الأخلاقية الإسلامية وهم مقر الوحي وهدي الكتاب والعترة المباركة التي أخذت كل علمها من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان شخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) متمثلة بهم، منه وإليه، وقد شهد الفكر الإسلامي الشيعي الإمامي من الكتب الكثيرة والنظريات الأخلاقية التي تدعو إلى التمسك بشخص الرسول وأهل بيته (عليهم السلام) السل والكتاب المقدس وهنا اخترنا بعض النظريات الأخلاقية لشخصيات تبعية من علماء المتأخرين ونذكر منهم:

أولاً. محمد مهدي النزقي (١١٢٨-١٢٠٩هـ) (٤٣):

عرف النزقي الأخلاق أو الخلق بأن: «ملكة للنفس مقتفية لصدور الأفعال بسهولة من دون احتياج إلى فكر ورؤية، والملكة كيفية نفسانية بطيئة الزوال» (٤٤)، من ذلك نلاحظ أنه ينفع على التعريف الاصطلاحي الشائع عن الأخلاق، فضلاً عن تفسيره له بأن ملكة: كيفية نفسانية بطبيعتها سريعة الزوال يختلف عن المزاج الذي يفعل الفعل بروية حتى يصبر ليصبح ملكة للخلق ويصدر عنه حتى لو مخالف للمزاج (٤٥).

أكد النزقي على الأخلاق، لأنها أشرف العلوم لما تحمله من الموضوعات فضلاً عن غايتها الأخلاقية، ويقصد به النفس الناطقة التي هي موضوع الأخلاق، وهي حقيقة الإنسان الذي هو أشرف الأنواع التي خلقها الله - عز وجل - (٤٦)، فضلاً عن أن الإنسان عرض عريض متصل أوله بأفق البهائم، وآخره بأفق الملائكة، وهنا يحدث التفاوت بين البشر فيكون من هو آخر الموجودات ومن هو أشرف الكائنات، إذ يرجع هذا التفاوت إلى تفاوت الأخلاق بين البشر وصفات الأخلاقية، فالكل متشابهون ومشترون في الجسمانية لكنهم مختلفون بالدرجات الأخلاقية الإسلامية (٤٧).

فالنزقي يؤكد على الحكمة الحقيقية التي هي بتمسك بالنواميس الإلهية والشرائع الثبوتية لأن العلم بدون العمل هو ضلال وعليه أن كل علم بدون عمل لا يرفع الإتيان فكان السلف من الحكماء بنصب جهودهم وعملهم على تعلم الأخلاق وبيالغون في تدوينه وتعليمه



القول إلى أرسطو طاليس لا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد أتبعنا بأقوال الأئمة (عليهم السلام) في تحديد الوسط فقد ذكر الإمام علي (عليه السلام): «خير الأمور النمط الأوسط إليه يرجع العالي ومنه يلحق التالي» (٥٦)، ذكر عن الإمام الكاظم (عليه السلام): «خير الأمور أوسطها» (٥٧). مما يدل على أنهم أتبعوا الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في صيغة الحد الوسط في الأمور، فضلاً عن أن هذا القول يرجع إلى الإمام الكاظم (عليه السلام)؛ لأنه قال به.

ثانياً. علي القاضي الطباطبائي (١٢٨٥ هـ - ١٣٦٦ هـ) (٥٨):

يعد من أبرز علماء العرفان والأخلاق تتركز نظريته الأخلاقية على المبادئ الأساسية للإسلام كالالتزام بتعاليم الإلهية وتمسك بالقرآن الكريم وشريعة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام)، فضلاً عن عمله بالسلوك الإنساني العرفاني والأخلاقي، فقد أوصى طلابه بحسن السلوك الأخلاقي الذي يقود الإنسان إلى السعادة الكاملة مستنداً إلى القرآن الكريم وسنن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأخذ يتلقى التربية الروحية والسلوكية على أيدي أكبر علماء السلوك أحمد الحائري ومحمد البهاري (قدس سره) (٥٩). إن الأستاذ الكامل الذي يؤكد القاضي على دوره في السلوك العرفاني الصحيح وأثره في إرشاد السالك وتهذيب سلوكه، فإن السير في طريق السلوك الأخلاقي والعرفاني لا يخلو من الصعاب والمطبات كما يقول القاضي «إن أهم ما يحتاجه السالك في الطريق هو الأستاذ الخبير، المتحرر من الأهواء، والإنسان الكامل المتبحر في المعارف الإلهية والذي طوى أفاقه إلى سيره إلى الله ثلاث أسفار أخرى وكانت سياحته في عالم الخلق بالحق» (٦٠).

أرسل القاضي العديد من الرسائل إلى أصحابه في السلوك الصحيح فيشير إلى الغفلة التي منشئها الفساد النفسي الذي يرجع إلى عدم الطمأنينة ووساوس الشياطين فضلاً عن أن الغفلة هي الإغفال عن أوامر الله - تعالى - وغفلة الموت وتمسك الإنسان بالحياة وهنا يؤكد على الدور الديني في تصحيح سلوك الإنسان بالتمسك بكل الأوامر الإلهية (٦١). فقد أخذ الأخلاق من أخلاقه وعرفانه وإدراك أن الكمال الحقيقي هو ذلك الكمال الذي يكون في جمع كافة الصفات الجميلة، فالمعرفة تتعمق وتتسع بحسن الخلق وكلما كانت جذور الأخلاق ثابتة ومتجذرة في الإنسان كلما وصل إلى اكتمال المعرفة (٦٢)، فإن قيل الأخلاق شيء صعب جداً فإن حال الإنسان الخلق الذي يجتهد في نيل الفضائل الأخلاقية

ويكون من ذوي الحكم والرحمة يعيش حياة مطمئنة آمنة، عكس ذلك الإنسان الانفعالي الذي يعيش في حياة مرتبكة لسوء خلقه ولا يعرف للسعادة طعم ولا سكينه فهو يخسر الدنيا والآخرة (٦٣). فضلاً عن الإخلاق العرفانية التي تمد من الله الذي هو أصل الوجود الحقيقي فالتواضع إلى الله هو أسمى الأخلاق العرفانية ويشهد القاضي بقول الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفه: «التي من كانت محاسنه مساوى فكيف تكون مساوئه مساوى، ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى» (٦٤)، إذ عقيدة الإمام ليست من باب التعليم بل من باب الحاجة إلى وجود الله - تعالى - وهو في مقام الإمام وذو شأن عظيم يرى نفسه محتاجة إلى الله تعالى على الرغم من مقامة الرفيع يعيش الخضوع المطلق لله - تعالى - (٦٥).

ثالثاً. محمد حسين الطباطبائي (١٣٣١-١٤٠٢ هـ) (٦٦):

عرف الطباطبائي الأخلاق على أنها فن كما جاء في الميزان «هو فن باحث عن الملكات الإنسانية المتعلقة بقواه النباتية والحيوانية والإنسانية يميز الفضائل منها عن الرذائل، ليستكمل الإنسان بالتحلي - والاتصاف بها - سعادته العملية، فيصدر عنه من الأفعال ما يجلب الحمد العام والثناء الجميل من المجتمع الإنساني» (٦٧)، ويؤكد على الآداب إذ يعدها منشأة الأخلاق فالآداب ليست أخلاق كما يوضح ذلك؛ لأن الآداب هيئات حسنة في الأفعال الاختيارية على عكس الأخلاق التي هي ملكة روحية راسخة تتلبس بها الأنفس. فالآداب هي عبارة عن مرآة تحاكي خصوصيات الأخلاقية المجتمع العامة، فأكد على أن الآداب من منشآت الأخلاق والأخلاق بدورها مقتضيات الاجتماع بحسب غايته الخاصة (٦٨)، فضلاً عن الغاية الأساسية من خلال تأدب بأخلاق الله والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام) وتأدب بأدبهم وأخلاقهم (٦٩).

يؤكد الطباطبائي على أن الأخلاق الإنسانية تنتهي إلى قوى ثلاثة الباعثة للنفس في اتخاذ العلوم العملية التي تستند لها الأفعال كالشهوية، والغضبية، والمنطقية الفكرية، إذ أن جميع الأفعال التي تصدر من الإنسان كالأفعال النفعية كالأكل والشرب أو مشوبة لدفع الضرر كدفاع عن النفس التي هي غضبية إما تصور الفكري كالقياس وإقامة الحجة وعليه فإن الإنسان مكون من ثلاث قوى عند اتحادها تحصل الوحدة التركيبية، فضلاً عن أن الإنسان يجب أن يحرص على هذه الوحدة

لوجودها وهنا يؤكد الطباطبائي بأنه لا يوجد حسن مطلق أو قبح مطلق، بل بسبب نسبين ومختلفان على حسب اختلاف المجتمعات واختلاف الأمكنة والأزقة فهما متمولين إذ يدل على وجوب التغير في الأخلاق (٧٥)، فيستنتج الطباطبائي إن الأخلاق تابعة للمرام القومي الذي يعد وسيلة إلى نيل جميع الكمالات المدنية والغايات الاجتماعية الذي يتبعه الحسن والقبح للتقدم والوصول (٧٦). إن المسلك الأخلاقي الذي سار عليه الطباطبائي مختلف تماماً عن المسالك الأخرى لأن منهجه الأخلاقي منبثق من الباطن ومترشح من داخله من يعبره ضميره على خلاف الآخر الذي يقوم على تصحيح الظاهر مع رعاية الأمور الشرعية والرقابة فتكون الغاية أن يضيء لنفسه نافذة من الباطن على عكس الطباطبائي الذي يعد حقيقة السلوك مكانها في القلب الكامن في الذهن للوصول إلى عالم الملكوت الإلهي (٧٧)، وقد أنشأ الطباطبائي شجرة الأخلاق كخلاصه إصلاح النفس وتعديل ملكاتها لغرض الصفة المحددة وإذ أن هذه الشجرة تبين الأصول والفروع إذ أن علم الأخلاق بين ذلك الحد الذي منه ما يميز الإفراط والتفريط وبعد ذلك يبين الحسن الجميل وبعدها يشير إلى كيفية اتخاذها ملكة في النفس عن طريق العلم والعمل من خلال الإذعان ، بأنها حسنة وفي المقابل تكرار العمل حتى تصبح راسخة في النفس (٧٨). فضلاً عن أنه عد العفة والشجاعة والحكمة والعدالة هي الأصول الأخلاقية ليعلم الأخلاق في المقابل الحياء والغيرة والنصيحة وغيرها هي فروع للأخلاق حسب تقسم الطباطبائي (٧٩) .

المبحث الثالث

المباحث الأخلاقية والعرفانية في مواهب الرحمن
يعد القرآن الدستور الأول في دراسة المنهجيات الأخلاقية خلال آيات القرآنية التي توجه أفكارها نحو الدين والأخلاق، فيحوي على الجزء الأكبر من تلك الإرشادات الأخلاقية والسلوكية التي ترسم طريق الإنسان منذ ولادته إلى وفاته وطرق تحقيق السعادة في الدارين، وقد شملت ووسعت تلك الإرشادات إلى الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كافة ، فأساس هذا هو تجسيد الأخلاق الإسلامية والدينية بالله تعالى وتكتمل بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) وكيفية الاقتداء بهم وتملي بأخلاقهم (عليهم السلام) وعلى غرار ذلك إقامة دولة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وزرع الآداب الإسلامية، إن كتاب مواهب الرحمن من أهم كتب السيد السبزواري التي عرض فيها الموضوعات المختلفة فتميز

وكل قوى منها وأن تعتدل ولا تسلك مسلك الإفراط، والتفريط وتكون متوسطة بدون زيادة أو نقصان، فالاعتدال ضروري جداً لتحقيق السعادة (٧٠).

وقد تطرق الطباطبائي إلى الاعتدال كما أكدته قبله النراقي فقد أكد حد الاعتدال في القوة الشهوية إلى العفة وإما الغضب إلى الشجاعة، وفكرية الحكمة وبعد أن تجمع هذه الملكات الثلاث تنتج ملكة رابعة هي العدالة أي المزاج من الممتزج أي الاعتدال في القوى الثلاث (٧١)، إذ يعبر عنها بأنها الأصول الأخلاقية الفاضلة كالقناعة والصبر والشهامة وعلى غرارها تنشأ الفروع المتمثلة بالنصح والكرامة والتواضع، فضلاً أنه يحدد ثلاث مسالك الأول في اعتدال القوى الثلاث والغاية منها هو إصلاح النفس وتعديل ملكتها حتى تحصل على الحمد والثناء الجميل، والثاني: هو مسلك الأنبياء فتكون غايته السعادة الحقيقية للإنسان وهو الاستكمال بالإيمان بالله وآياته والسعادة في الآخرة؛ لأنه غايته تحقيق الفضيلة الإنسانية من حيث العمل والجهد، وإما الثالث فهو خالص لوجه لله -تعالى- أي والتفكير في ربه وصفاته الجميلة ويزداد انجذاباً إلى الخالق ورفع مقام ربه حتى أصبح يعبد الله كأنه يراه والله يراه وأصبح مفطوراً على حب الله -تعالى-، وأصبح يتبع الله وحدة (٧٢)، وهنا أصبح العبد يتبع الرسول وكل حركاته والرسول هو من تجليات الله تعالى وآياته ، وعندها يشذ حب الله أكثر وأكثر حتى يفنى الإنسان في حب ربه ونبذ ما سواه في الوجود، فهكذا بتولي حب الله على قلب عباده بالحب الإلهي (٧٣).

تحدث الطباطبائي عن المسارات الثلاثة التي تبحث عن الفضيلة لكن المسار الثالث يرتفع فيه الفضيلة والغرض إذ أنه يوجد لوجه الله - تعالى خالصة- فأصبح هذا المسلك من غيره فضيلة رذيلة والعكس صحيح (٧٤)، وهنا يؤكد الطباطبائي نظرية جديدة للأخلاق وهي أن الأخلاق تختلف أصلاً وفرعاً باختلاف المجتمعات وبدوره إلى اختلاف الحسن والقبح من غير الرجوع إلى اصل ثابت قائم وعرضها بنظرية التحول والتكامل في المادة، وأن الطبيعة محكومة بقانون التحول في المقابل أن الاجتماع متغير أيضاً في نفسه؛ لأنه يرتقي إلى الكمال والرفي والتقدم، فضلاً عن الحسن والقبح الموافقين للعمل للوصول إلى الكمال، وأن عدم موافقته لهما لا معنى

فهو ينكر المادة في جميع تفاصيلها ويركيز على الفضائل وترك ملذات الدنيا للوصول إلى إدراك الحقائق فيكون اتجاهه نحو الخير فقط، واكد السبزواري إخفاق هذه المذاهب في إيجاد حل جذري لمشكلات الإنسان نظرياً أو عملياً فالقرآن يختلف اختلافاً جذرياً عن هذه المذاهب فهو ليس إشباعاً عقلياً بل عملياً لتصنع وحدة خاصة تتبع جميع الحواس إلا وهي الحاسة الأخلاقية فالمفهوم القرآني هو وحدة القادر على تلبية جميع متطلبات الإنسان؛ لأنه يبدأ من الفرد ويخاطبه ثم ينتقل إلى المجتمع فيضمن للإنسان الحق الشرعي في المجتمع على عكس تلك المذاهب التي أخفقت في توفير حاجة الإنسان (٨٣).

إن المسار الذي أكد السبزواري وأكد قبله العلماء والمفكرين الشيعة.

ينطلق المفهوم الأخلاقي من النص الديني متجه نحو الالتزام بالتعاليم الدينية والقرآنية والسير على خطى أهل البيت (عليه السلام) وتأکید الصلة بين الخالق والمخلوق كما أكد ذلك الإمام علي (عليه السلام) بقوله: «إن الله عز وجل جعل محاسن الأخلاق وصله بينه وبين عبادته، فحسب أحكم أن يتمسك بخُلُق متصل بالله تعالى» (٨٤).

تناول السبزواري الخصائص الأخلاقية في القرآن ونراه يركز على عده خصائص منها: الأخلاق هو انبعاث فطري وليس مكتسب بغض النظر عن العادات والتقاليد وكل مشاغل الحياة التي تمنع هذا الانبعاثات أن تكبر وتتطور، وكذلك أن جميع القواعد الأخلاقية تخاطب الضمير الإنساني، وتلزم الإنسان على طاعة القوانين وتنفيذها، وكذلك يؤكد السبزواري أن القرآن يؤكد الإنسان مسؤول عن عمله من خلال تلك المسؤولية التي تقع على الفرد والمجتمع فهو المسؤول عن أعماله التي يقوم بها، فضلاً عنه أنه يؤكد الإنسان حربي الاختيار أفعاله وفق إرادته هو فلا يستطيع أحد إرغامه على أي فعل سواء كان خارجي أم داخلي فهو يمتلك الإرادة الكاملة في اختيار أفعاله، فالقرآن يسلط الضوء على أمور تخص في الآخرة كالجاء والنية والاعتقاد فالجاء هو كل عمل له جزاء يوافقه، فكل عمل يقابله جزاء سواء كان خيراً أم شراً، والحال مع النية الصادقة مع الله والمجتمع والعمل به، كذلك أن العمل يحتاج هو الآخر إلى إيمان واعتقاد من خلال العمل الصالح (٨٥).

لقد قسم السبزواري القوى الموجودة في الإنسان على ثلاث قوى

بالأسلوب الرصين والعبارات الواضحة فعلاً عن البحث والتحليل الموضوعي للفلسفة والكلام وضعه وغيرها من الموضوعات الأخلاقية والعرفانية كالخلق الحسن وتهذيب النفس فجميعها تلتقي في مسار الأخلاق والعرفان، فيختصر السبزواري جانباً مهماً من كتابه في الأخلاق في القرآن الموجود في الجزء الثاني الذي يعرض الآيات القرآنية التي تبين الأخلاق والخلق الحسن فضلاً عن أن السبزواري قد انقد بكتاب عنوانه (الأخلاق في القرآن) المستمد والمأخوذ من المواهب، فهو جزء من المواهب وأن الكتاب يتناول الأخلاق من مفهومها القرآني من خلال الآيات القرآنية التي ترشد الإنسان إلى طريق الفضائل وتهذيب النفس ليصل إلى الغاية الحققة والسعادة في الدارين (٨٠)، فقد أكد السبزواري على التمسك بالإيمان والأعمال الصالحة التي ترفع مستوى الإنسان الديني وكذلك الاجتماعي والثقافي، وأكد السبزواري في كتابه على الإيمان من خلال تحليل الآيات القرآنية وما جاء في سورة البقرة كقوله تعالى:

{لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ}، وعليه بوضع دور الإيمان من خلال جوانب عديدة يضعه في كتابه الذي يؤكد أن للإيمان دوراً فعالاً في تخلق الإنسان والأخلاق لاسيما ما يترتب على حقيقته الإيمان؛ لأن له دوراً في كل الاحتياجات الفرد الأخلاقية كالعمل الصالح، واتباع الأنبياء، وما يشكله من راحة ويبعث للإنسان الراحة والطمأنينة الفلسفية والعلمية فضلاً عن الروحية (٨١)، والإيمان يعزز العلاقة بين الإنسان وربّه وأنبيائه فتسقط كل الحواجز والحواجز ويصبح اتصالاً مباشرة بالله عز وجل، كذلك فالإيمان يعزز القوة للإنسان في تحمل المصاعب والابتلاءات وتزيد من صبره وثباته مما يجعل الإنسان راضياً بالقضاء والقدر فضلاً عن ذلك اجتناب المحارم من خلال تهئية النفس ومراقبتها ومحاسبتها إذا أخطئت مما يزيد من ارتقاها وتخلقها فتكون مهينة لسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة (٨٢).

فالأساس الذي يقوم عليه الأخلاق هو القرآن الكريم فهو مختلف عن المذاهب الأخلاقية كما بينه السبزواري كالعقلي والصوفي، والمادي فكل مذهب اعتمد على نمط أو أسلوب معين فالعقلي تمسك بالعقل أو الشرع الذي يحدد الغاية من حياة الإنسان وتمييزه عن سائر المخلوقات، أما المادي فهو يرفض كل القيم التي تسبق إطارها السلوكي مما تحدد سلوكه وتأثر في حياته، فهو يعتمد على النفعة والخير الأقصى، أما الصوفي

الفضائل، فيستشهد السبزواري بعدة آيات تؤكد كلامه هذا كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٩٠) وحدد التقوى بـاعداها كمالات إنسانية، فضلاً عن أن التقوى في القرآن هو الجهد الحاصل من الفرد أي أن مستمر في خدمة التكليف مما تتحسن علاقته بنفسه وبالله من خلال إتيان الواجبات وترك المحرمات، ومن جهة أخرى أن الوسط العادل هو الارتباط بالعمل بالنية فلا قيمة للعمل من غير النية والعكس صحيح، فضلاً عن الإنسان الذي يتمتع بالتقوى سيكون متهيئاً لاستقبال الفضائل فيصبح الإنسان عادلاً وفق الرغبات ورفض الرذائل وهذا ما أكدته السبزواري في كتابه أو بحثه الأخلاقي (٩١). وأما بالنسبة إلى اكتساب الأخلاق فقد تطرق السبزواري إلى أن الأخلاق الفاضلة تكتسب تهذيب النفس، فالغاية هي الله تعالى والتخلق بأخلاقه من خلال جعل العمل خالصاً لوجه الله تعالى وتنزيهه.

وقد أكد السبزواري أن هذا المسلك لم يكن معروفاً إلا بعد نزول القرآن الكريم فهو ذو نمط مختلف عن باقي المسارات أو الاتجاهات العقلية؛ لأنه يحدد الإنسان ويعده إلى قبول جميع الأخلاق الفاضلة إذ لا محل للرذائل فيه (٩٢)، فضلاً عن أن الفعل يكون منطلقاً من العبودية والحب الإلهي فيكون الإنسان متوجه في فعله أو عمله لله تعالى فقط، لأنه جزء أساسي للتوحيد الخالص المرتبط بالله تعالى، مما يجعله متخلق بأخلاق الله تعالى لكي يضمن السعادة في الآخرة التي هي دار القرار.

فالأخلاق تبدأ من الله ثم القرآن ثم الأنبياء والأولياء ثم إلى الناس التي تحمل على الفضائل تتجه التمسك والاستناد إلى تلك الأسس الثلاثة، فضلاً عن أن الغاية من أفعال الإنسان سواء كانت لجلب المنفعة أو دفع الضرر فهي في حد ذاتها نقص في مقابل الكمال المطلق الذي هو (الله) من خلال التقوى التي هي أساس الأخلاق (٩٣)، فكانت أفكار السبزواري تطابق علماء الشيعة كالطباطبائي وعلي القاضي الذين يرجحان تهذيب النفس إلى الإيمان بالله والتقوى والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإكثار من الصوم والصلاة والاعتماد بها وعدم ترك الصلاة؛ لأنها تنهى على الفحشاء والمنكر، وكما في قوله تعالى:

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٩٤)؛ فالصلاة هي إحدى الطرق التي تلزم الإنسان الابتعاد

واتفق عليه علماء الشيعة كالشهوية والغضبية، والعاقلة، فقد انفردت كل قوة بآثار وخصائص تختلف الوحدة عن الأخرى وأكد السبزواري أن اتحادها ينشئ وحدة تركيبية من تلك القوى يستطيع بها الإنسان تحقيق سعادته ويقصد السبزواري بالوحدة أن لا تخرج هذه القوى عن حد الاعتدال فتحصيل السعادة متوقف على اعتدالها لذلك نلاحظ السبزواري يلقب الإنسان بأنه كائن أخلاقي؛ لأن الله أولاً قد كرم الإنسان وصوره في أحسن صورة وثانياً لكونه عاقل يمتلك العقل الذي يميزه عن سائر الكائنات الحية الأخرى، فهو كائن أخلاقي وظيفته المحافظة على الاعتدال أي (الحد الوسط) (٨٦)، وهذا ما تطرق إليه العلماء الشيعة كالزراقي والطباطبائي في تأكيد فكرة (الحد الوسط) ومن قبلهم الأئمة (عليهم السلام) في تأكيد على الحد الأوسط في الكثير من الأحاديث التي تنسب لهم (عليهم السلام)، فالسبزواري يؤكد أن (الحد الأوسط) أو (النمط الأوسط) مستمد من القرآن الكريم جملة وتفصيلاً إذ استشهد السبزواري ببعض الآيات القرآنية التي توضح تأثير الحد الوسط هو قانون خدمة القرآن الكريم كي يعيش الإنسان في استقرار نفسي وقلبي ويحصل على السعادة في الدنيا والآخرة كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨٧)، فيكون الإنسان منبع الفضائل الأخلاقية ويجتنب الرذائل من الأفعال التي تخرج الإنسان عن حد الاعتدال مما تختل الوحدة التركيبية ويخرج الإنسان عن السيطرة الأخلاقية (٨٨). فعلم الأخلاق حسب رأي السبزواري يبحث في المحافظة على الحد الوسط والتمسك بالفضيلة التي جاء بها القرآن الكريم والابتعاد عن الرذائل من الأفعال، وتحديد مسار القوى الثلاث لتحقيق السعادة، وحدد السبزواري الاعتدال في القوى عند العلماء الذين نهجوا منهجاً أو مسلكاً أرسطو فساروا على هذا النمط في الاعتدال فقد مثلوا القوة الشهوانية في حد الاعتدال هي العفة التي تتوسط الشره والخمول، والغضبة الشجاعة التي هي بين التهور والجبن، وإما الفكرية فتمثل الحكمة التي تتوسط الجريزة والبلاهة، وأن في اجتماع تلك القوى سوف تنشأ ملكة العدالة التي هي أساس كل شيء فيستطيع بها الإنسان أن يوازن عنده القوى الثلاث (٨٩). وهنا يبين السبزواري كيف أن الاعتدال الذي يتبعه في الأخلاق ليس نمطاً أرسطو طاليس، بل هو نظرية قرآنية في الوسط، إذ يعتمد على القرآن في الاعتدال، فالقرآن يختلف اختلافاً جذرياً في الحد الوسط أو الاعتدال إلا وهي نظرية (التقوى) فاعتبر السبزواري أن التقوى هي التي تحدد الاعتدال ومعيار



عن المحرمات والأفعال السيئة، فكلما ارتبط الإنسان بربه كلما زاد كمالات وأخلاقاً ومال إلى الأخلاق الفاضلة وعدم السماح بالأفعال السيئة والأخلاق الرذيلة على جوهره المرتبط بالله لكي يصل إلى السعادة الحقة عندما يرتبط قلباً وقالباً بالله تعالى.

يذكر السبزواري العديد من المفاهيم الأخلاقية والعرفانية؛ لأن هناك مفاهيم تحمل على كونها أخلاقية وعرفانية اهتم السبزواري في طرحها في كتابه (مواهب الرحمن) ومن أبرز ما طرحه وشرحه ما يأتي:

أولاً. الإيمان:

يعد السبزواري الإيمان هو انقياد النفس وخضوعها خضوعاً مطلقاً لله -تعالى- من خلال الالتزام بالقوانين والتشريعات التي أمر الله سبحانه بها (٩٥)، فتتصب حقيقة هذا الإيمان الارتباط الخاص بين الله والعبد فيعبر عن الله بصفاته الجلالية والجمالية والكمالية إذ إن العالم كما يرى السبزواري والعلماء الشيعة هو مظهر من مظاهر جمال الله سبحانه وتعالى فهو الأثر والمؤثر على العالم؛ فضلاً عن أن السبزواري يؤكد أن الإيمان هو ارتباط عالم الشهادة وعالم الغيب ارتباطاً خاصاً اختيارياً واعدده جوهر نوراني؛ الذي يلتجئ إليه عند كل الشدائد فيكون هذا الارتباط قوي مما يؤدي إلى الارتباط المطلق بالله تعالى أو ضعيف حسب درجات الإيمان التي عند الإنسان (٩٦).

وقد تطرق السبزواري إلى درجات الإيمان من خلال الآيات القرآنية التي تدل على الإيمان الذي يقوي الإنسان، وهنا يؤكد أن الإيمان الذي يكون معتمداً على الآيات هو مختلف تماماً عن ذاك الذي يحصل عن العقيدة وبرهان، فيكون متركزاً في القلب ومسيطر على جميع المشاعر الإنسانية وكان هذا هو طلب الحوارين من نبي الله عيسى (عليه السلام) بنزول المائدة حتى يزيد إيمانهم ويحصل الاطمئنان النفسي والعقلي على الرغم من الآيات الكثيرة التي تكفي على صدق نبوة عيسى (عليه السلام) فهم أخلص أصحابه وأقربهم وأرادوا الاطمئنان فكيف مع الآخرين الذين ليس منهم، فقد رفض عيسى (عليه السلام) هذا الأمر أي نزول المائدة من السماء التي كانت حسب رأي السبزواري تلبية الحاجات والغايات المادية كالأكل ونقص القدرات البشرية وعجزها في تلبية الحاجات الذاتية، بالرغم من محاولات السيد المسيح عيسى (عليه السلام) في هدايتهم إلى طريق الله تعالى في مقابل تحمله الأذى المستمر، فالأشياء عندهم مجرد تلبية حاجات عاجزة أنفسهم عن توفيرها، فضلاً عن الأخلاق التي تربى عليها الأنبياء من اللغة والآداب العظيمة

في التحوار مع الخالق ولاسيما في طلبهم الذي وجد فيه عدم اللباقة في مواجهة عظمة الله -تعالى-، وقد بين السبزواري بأن الاطمئنان القلبي من طلبهم المائدة هو آخر شيء في درجات الإيمان وبعدها يستحقوا العقوبة لكفرهم بعد العلم الشهودي على كل هذه المعجزات (٩٧)، فضلاً عن أن السبزواري ركز على آثار الإيمان من خلال الزجر والجذب، فالأولى هو الانتهاء من الأعمال القبيحة الشيطانية والأخلاق الفاسدة التي تعرقل المؤمن وتبعده عن الله تعالى كالرياء، والبغي وغيرها من الرذائل لذلك نرى علماء السير والسلوك ومنهم السبزواري يؤكدون على أن أول مقام للسالك هو الخروج من الدنيا وما فيها وثانياً الخروج من النفس وصفاتها (٩٨)، أما بالنسبة للثانية أي الجذب فهو تلك القابلية على نيل جميع المقامات التي تحصل بالعبودية المحضة فيكون الإنسان عبداً طائعاً لله تعالى ومنتهى التقرب به سبحانه لذلك فالمؤمن في هذه الحالة يفنى في حب الله عما سواه ويستغني عن العالمين لتحصل على القرب من الله، وهنا يحدد السبزواري نقطة جميلة جداً بأن الزجر والجذب يحققان الإيمان فإن الابتعاد عن الصفات الذميمة والتخلق بالأخلاق الخبيثة هو كافر، فيرتب عليه اتصافه بالحسن ويترتب عليه الصفات الحسنة، لكن لا يترتب عليه الإيمان بالله تعالى فيقوم الإيمان على الاثنين وأن اتصف بالحسن (٩٩)، وأن الوصول إلى الجزية يصل العبد إلى مقام الاصطفاء فيحصل التجاذب التام بين العبد والرب فيحصل العبد على الفضل والعطايا من الله -تعالى- التي لا تعد ولا تحصى، ومن خلال الاصطفاء يظهر السر الأعظم في العبودية، وتشرف الأرض بالإنسان الكامل فيتبناها الله به بين ملائكته، فتخلق درجة الاصطفاء بحسب اختلاف الفضل، فكان الإنسان الكامل هو سيد الكون محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أشرف خلق الله وأعظمهم الذي خصه الله بالمرتبة والدرجة الرفيعة والأخلاق العالية وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠٠)، فيركز السبزواري على مقام الرسول الأكرم ' والمكانة التي وصل إليها في المعراج السماوي فقد وصل إلى حدود عجز الوصول لها جبرائيل (عليه السلام) وهو أمين وحي الله فكان قاب قوسين أو أدنى، لبينه وبين الله ففسح شعاع العشق عشق العبد للخالق فالتقى العاشق بالمعشوق ونالت قرب الله سيدة نساء العالمين الزهراء -فكانت بنفس مقام أبيها عند الله، فأصبحت الزهراء هي السر المستودع لعلم الرسول' وأخلاقه لتربي ذريتها على نهجها ونهج أبيها مستثنى من الخلق ذريتها المعصومون^٨ خلقاً وخلقاً عظيمة أخلاقهم

به في أكثر من آية فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) أحد أولي العزم والتوكل (١١١). وقد ذكر الله تعالى آيات كثيرة تؤكد على معنى التوكل ومدحه والدرجة التي يصل إليها الإنسان عن طريق التوكل على الله كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (١١٢) وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١١٣) والكثير من تلك الآيات الموجودة في القرآن وذكرها السبزواري في كتابه المواهب، فالله تعالى ذكر أن التوكل هو عمدة صفات الأنبياء ومن سيرتهم الرسالية ظهر مدى تمسكهم وتوكلهم وعزمه بالله -تعالى- فهو فضيلة سامية ويعد من مقامات التوحيد بالله -تعالى- إذ يكشف درجات الإيمان التي يصل إليها المؤمنون، فالإنسان المؤمن يعتمد على الله دون سواه فهو علامة على تأكيد عقيدة المؤمن بالله ويصل إلى مرتبة لا ينتظر شيء من أحد؛ لأنه قد اكتفى بالله فلا يستطيع أحد أن يسمه بالسوء، ويذكر السبزواري محاورة بين الله -تعالى- والشیطان في إغواء بني آدم يؤكد أنه لا يملك تلك السلطة التي تتزعزع إيمان الإنسان وقوته بالله ولا سيما العباد المؤمنين والمتوكلين على الله كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (١١٤)، وهنا يبين السلطة بيد الله تعالى وهو الحامي والمدافع عن العباد الصالحين، فالمؤمن توكله ينال أعلى مراتب الكمال والقرب من الله رب العالمين (١١٥).

يشارك كلاً من التوكل والتقويض في تسلّم الأمر إلى الله عز وجل والاكتفاء بالله؛ لكنه يزيد على التقويض كما يذكر السبزواري بأن يضمن طلب النصرة مع الوثوق بأن الله - سوف يعطيه مع الرضا الكامل والمطلق بفعل الله تعالى بعد الاعتراف بالعجز إمام عظمة وقدرة الله سبحانه وتعالى، وأكد السبزواري ارتباط التوكل بالتوحيد فلا يجوز الواحد دون الآخر فمن لا توحيد له لا توكل له متلازمان معاً، إذ أن المعرفة الحقّة تكمل بالتوكل ومعرفة الله تعالى ذلك الخالق العظيم الذي جميع ما في الكون هو نحت قوته وقدرته ومشيتته سبحانه (١١٦).

نستخلص مما تقدم بأن الإنسان يقوى بالتوكل على الله في تحقيق السعادة من خلال توفر شروط منها: الاعتقاد التام بالله تعالى دون سواه، وأنه الفاعل فيه والمؤثر، وكذلك أن هذا العالم الكبير وكل ما فيه من موجودات خاضع لقانون إلهي، يمكن تفسيره من قبل البشر، وأيضاً حسن الظن بالله تعالى وبأنه قادر على دفع كل العوائق، وكذلك التوكل وتقويض الأمر كله لله -تعالى- وأنه سوف تتحقق بقدرة الله -تعالى- كل

التي تعد مظهراً من مظاهر صفات الله -تعالى-، ويمكن أن نستشهد بالآية الكريمة {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} (١٠١) فهي ذو معنى كبير في تطهير أهل البيت^٨ من كل سوء وفاحشة والتطهير القلبي والجسدي والمعنوي (١٠٢).

ثانياً. الصبر:

يعد الصبر من المفاهيم الأخلاقية والعرفانية، التي بحثها السبزواري في الجزء الثاني من كتاب المواهب استناداً إلى الآية الكريمة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْعَيْنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (١٠٣)، إن كل الآيات التي تشير إلى كمال الإنسان ونشر الحق وردع الباطل وكل ما يحصل للإنسان من ابتلاء أو منحه سواء كانت بالنفس أم بالمال فلا غنى له عن الصبر؛ لأنه الوحيد الذي به تتخطى الصعوبات والأزمات، فالله حسب قول وتفسير السبزواري هو لطيف خير بعبادة ورحيم بهم عمن سواه فكمن من إنسان حلت به مصيبة أو نزل به بلاء وتوجه إلى الله -تعالى- ليجده بجانبه ويخفف عنه مصائب ووعدهم بالبخشارة على إيمانهم وصبرهم أجراً من عنده سبحانه (١٠٤)، فالله تعالى يأمر بالصبر على كل الأمور؛ لأن الصبر هو مفتاح النجاة ومقاومة الأذى في كل شيء، فيعرفه السبزواري بأنه أم الفضائل والجامع لجميع اتجاهات التي تكمل الإنسان، فالصابر هو المراعي لتكاليف الله -تعالى-، وقد أكد الله تعالى على الصبر بقوله ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (١٠٥) وقمّسك بالصبر في احتمال المكاره وتحصيل السعادة في الدنيا والآخرة (١٠٦).

فالله كما يؤكد السبزواري مع العبد كقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٠٧)، فيحل الصابر على كون الله ونصرته وتوفيقه وعنايته (١٠٨).

ثالثاً. التوكل:

هو مفهوم أخلاقي وعرفاني، وقد عرفه السبزواري في المواهب بأنه «فضيلة من الفضائل السامية، وخلق كريم من مكارم الأخلاق وخصلة جيدة» (١٠٩) من المفهوم الأخلاقي ومن المفهوم العرفاني هو «مقام رفيع من مقامات الموقنين» (١١٠)، وقد عبر عنه بأنه أفضل المقامات الإنسانية الكاملة؛ لأنه به يظهر صدق المؤمن من ناحية إيمانه وقوة اعتقاده، فزاه يجمع تحته كل الصفات الحميدة التي تنظم أحوال البشر ويقرّبهم إلى الله تعالى، فالتوكل على الله هي أحد خصال الأنبياء العظام، فقد أمر الله نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتحلي



هذه الأمور التي تحصل لتحقيق التوكل تعطي للإنسان تلك الطاقة الإيجابية وتتلاشى الطاقة السلبية فيحصل الاطمئنان القلبي والعقلي فيعيش حالة من الانتعاش القلبي والرحمي من خلال التوكل على الله رب العالمين (١١٧).

رابعاً. الرجاء:

بين السبزواري معناه بأنه «فضيلة عالية، وله منزلة كريمة سامية» (١١٨)، وهو من الأخلاق الفاضلة التي أوجب على الالتزام بها فضلاً عن أنه يورث المجاهدة والمواضبة على الطاعات، إذ به يثبت دعائم وأركان الإيمان وقد اعتبره علماء الأخلاق كما يقول السبزواري من جملة المقامات للمسالك، فيه يكون الإنسان سعيداً ويظفر بحياة هنية، وبالرجاء يكافح الإنسان في سبيل البقاء والعيش الرغيد، فأن له الأثر الأكبر في تغير حياة الإنسان على كل الأصعدة سواء العلمية أو التربوية فضلاً عن الدينية، فهو متعلق بالله -تعالى- ليحصل على درجات الأخلاق والفضيلة خلال العبودية المطلقة والخوق من الله -تعالى- وحسن الظن بالله، فهو يضاعف عزيمة الإنسان ويحفزه على اكتساب الأعمال الصالحة بالصبر والخير كما هو في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْوَكَ بِالْعَمَلِ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٩)، فالرجاء هنا ليس للإسلام فقط باعتباره ركناً أخلاقياً، بل جاءت به الكتب السماوية الأخرى كالمسيحية التي تؤكد على القضية الرجاء كما ذكره السبزواري إذ يعتبر الركن الثاني من الفضائل ويتوسط الأمانة والمحبة فعندهم فضلة عظمى لتحقيق السعادة في الدارين (١٢٠).

فالرجاء كما عرفه السبزواري هو «تعلق النفس بما هو المحبوب عند تحقق أكثر أسبابه» (١٢١)؛ لأن الإنسان بدوره يشترك في الحصول على نتيجة عمله؛ لذلك اعتبره علماء الأخلاق من العوامل الداعية إلى العمل، فيجعل منه ذو عزيمة وصبر وتفائل مما كانت نوع المشقة فيه لذلك يؤكد علماء الأخلاق كما ذكره السبزواري أن الرجاء والخوف دخل في أصول الأعمال فهو متقابلان في الوجود والعدم أي أن أحدهما يكمل الآخر فأن الخوف عند عدمه يلزم الرجاء وجوداً فهما بمثابة الجناحين اللذين يطير بهما المؤمن إلى كل مقام من مقامات الفضيلة والسلوكية، فيبقى الإنسان بين الخوف والرجاء فيعيش في وسطهما بالأمان والاطمئنان القلبي والتعلق بالله -تعالى- (١٢٢). ولو دققنا النظر في هذا المفهوم لوجدناه يحمل كل السمات الأخلاقية العظمى من خلال حقيقة الرجاء التي

تعبّر عن إرادة الإنسان التي هيئة أفعاله لتصبح ذو قيمة أخلاقية، فضلاً عنه رفع كل الموانع التي تحول بينه وبين حصول الفعل أو تحقق الهدف من خلال الرجاء، فيكون رجاء الإنسان محموداً ومتهيئاً لدخول في طاعة الله -تعالى- فيطهر قلبه في كل شوائب الرذائل والذنوب وتحلي بأخلاق الله ورسوله وأهل البيت (عليهم السلام) وتمسك بالطاعات وترك المعاصي والآثام، فيثق حب وعشق الله تعالى والخوف منه فحق على الله أن يقرّبهم منه ويرحمهم ويحقق أمانهم كما يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ (١٢٣) فيحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة ومحبة الناس لهم واحترامهم (١٢٤). خامساً. التوبة:

هي الرجوع إلى الله -تعالى- بحل عقدة الأحرار عن القلب، ثم القيام بحقوق الرب. كما عرفه علماء الأخلاق وذكره السبزواري فضلاً عن أن الإنسان هو مزيج من قوى مخالفة، فعليه الاعتدال فيما بينهما، فالقوة العاقلة تميل إلى الفضيلة وتمتّع الرذيلة فيكون الإنسان هو المتحكم بهذه القوى ويحاول التوفيق بينهما فيكون في طريق الاستكمال في ردع المعاصي عن طريق الشعور بالندم، إذ تنكر هذه الحالة أي حالة الندم عقيب كل ارتكاب لذنوب أو المعصية فتجعله يترك الذنوب في المستقبل (١٢٥). فالتوبة في تعرفها أقرب إلى الندم، والارتداد عن المعصية، فيصحبه حرقة القلب والحياة والخجل من الله -تعالى- وهي من الواجبات على الإنسان كما جاءت في القرآن والسنة، وقد ذكر مفهوم التوبة في الكثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٢٦)، فقد وصف الله -تعالى- نفسه بالرحمة دوال توبة على العباد فتقبل الإنسان في رجوعه إلى الله رب العالمين، فضلاً عن أن القرآن قد بين حقيقة وشروط وآثار التوبة، فالتوبة تصلح النفوس الفاسدة فتحاسبها وتهذبها وتزكيها لتخرج زكية فتصلح مسار المجتمع فهي فضيلة أخلاقية وأجل مكارم الأخلاق (١٢٧)، فضلاً أن العبد عند رجوعه إلى الله نادماً سوق تحصل له التوبة بتوبتين الأولى التوفيق في تحصيل التوبة، والثانية هي قبول العبد وغفران المعاصي والذنوب، فيقترب إلى ربه من جديد ويفنى فيه، ومن صفاته الرحمة لعباده وقبولهم ورجوعهم إليه، فتورث تلك التوبة أثراً كبيراً جداً من خلال الصلاح والتقوى، فتجلب السعادة للإنسان وتبعد عنه التعب والشقاء، فتنزّل عن القلب وتتلاشى كل الموانع والحواجز عن طريق سير

العقل ويقرره الشرع من أصناف الجميل وأنواع البر ومكارم الأخلاق» (١٣٤)، وهو ما يترتب عليه من الصلاح والإصلاح بغض النظر على ما ترتب عليه من ناحية الفرد أو المجتمع، ويتفق الجميع على أن المعروف هو الجميل ومدح فاعله وكل ما يترتب عليه من أعمال وأفعال حسنة وجميلة تشكل أحلاماً للمجتمع وخدمته، فقد حثت جميع الأديان والمجموعات إلى ترغيب لفعل المعروف والعمل الصالح فلا تتحقق أي غاية لسعادة ما لم تقرن بالمعروف الإصلاح الأهداف (١٣٥).

وقد قسم السبزواري المعروف على قسمين:

- ١- الحاجة الشخصية أو الفردية أي من المكملات المعنوية.
- ٢- الحاجة نوعية عامة، أي يكون المعروف حلياً وقولياً، على أساس هذا التقسيم يصدر المعروف من الإنسان على شكل شعور واختيار بغض النظر عن أنه ديني أو إلهام سماوي، فالنتيجة واحدة هي الحسنة (١٣٦).

إن للمعروف آثاراً تترتب عليه سواء ما ذكره الله تعالى ماورد في قول أهل البيت (عليهم السلام) في مدحه ومدى أثره على صاحبه، فتترتب عليه الأثر على المقتضى التام، فالأفعال الحسنة تصدر عن الإنسان تخلف في نفس عملها آثاراً وحالات خاصة، فالأفعال الحسنة تورث ارتياح النفس وبعيدة عن القلق النفسي على خلاف الأفعال السيئة التي تورث القلق المصاحب لتأنيب النفس وأكدوا أن الإنسان الصادق دائماً يكون في راحة نفسية تامة ويعيد كل البعد عن الضيف والتوتر والهم والأمراض النفسية، لأن آثار المعروف تظهر على صاحبه كما تظهر آثار المنكر والعمل القبيح فكلاهما سوف يتحقق في الدنيا قبل الآخرة (١٣٧). وإن العوائق التي تعيق المعروف هي الذنوب فهي قادرة على ابتعاد العبد عن ربه فضلاً أنها تطمس نور الفطرة، فتكون حاجزاً أمام استكمال والكمال؛ لأن الفطرة السليمة الأولية قابلة للتزقي والتربية من خلال الالتزام بالمعروف وترك المنكر والنهي عنه وفق الإرادة والاختيار، ونفس الوقت قابلة للنزول من خلال الانحراف كحب البقاء والجهل وحب المال وغيرها، فتزل الفطرة تدريجياً عن الاستقامة (١٣٨). وعليه فإن السبزواري حدد تلك الموانع التي تعيق المعروف وتؤثر على استقامة الفطرة، وفي مقابل تلك المفاهيم الأخلاقية التي تسمى (الفضائل) طبعاً توجد الرذائل وأشار السبزواري في كتاب (المواهب) وهي:

أولاً. حب الثناء والمحمدة:

يعبر عنها السبزواري وعلماء الأخلاق كما يذكره بأنها أم الفساد

الإنسان، فتخلص الناس من فساد الذنب والمعصية وعدم لها مطلقاً (١٣٨)، فضلاً عن أنها تورث التعلق بالله -تعالى- ورحمته، فتمحو كل سلبات الحياة الهيئية من سيرته كما يذكر السبزواري ليست قاصرة فقط على دين الإسلامي بل أن كل الأديان أكدت على تلك الفضيلة، وأن اختلفت في أحد الشروط كما ذكره القرآن الكريم، في توبة آدم، وموسى، وغيرهم من الأنبياء (١٣٩).

فالتوبة الرجوع لله فقد من الله عليهم بالرحمة والمغفرة، فعندما يرجع العبد من ذنب ما وصاحبه ندم مع العزم على تكراره، فيتوب الله عنهم وكل ما تقدم من ذنبهم، فالله هو عالم بعباده ويعلم ما تخفي الأنفس، فالله يريد بالعباد السير والرحمة وأن الإصلاح الذي يتبعه أصحاب الحق يكون من رحمة الله وعنايته كما في قوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ (١٣٠)، وأن الإرادة التشريعية هي جزء من نظام التكوين فالتوبة هي التي تمت هداية الإنسان إلى العمل (١٣١).

إن اتباع الشهوات وعدم التحكم بها من جهة العقل واتباع الهوى والرضوخ لها، مما يجعل التورط بالأعمال القبيحة ورذائل، فيسميه السبزواري الميل العظيم لهتك الحدود الإلهية التي رسمها الله تعالى لعباده فضلاً عن الخروج عن الشريعة وقوانينها وارتكاب الحرام الذي نهى عنه الله تعالى، فيترب عليه الخروج عن صراط الفطرة التي نادى به جميع الشرائع الإلهية؛ لأن الشريعة الإلهية تفرض على كل فرد كبح الشهوة ونبذها، والاستجابة إلى الفطرة السليمة المستقيمة التي تجعل الإنسان يسير بخطى مستقيمة وصحيحة (١٣٢)، فالله يريد أن يهذب العباد أنفسهم من خلال مراقبة النفس والتزكيتها وتربيتها لاسيما النفس الإمارة ليجعل منها منهلًا لتكسب الفضائل وجمع القيم الأخلاقية، ويعطي فرصة للعباد للرجوع له وتحقق الأحكام التشريعية ليحقق عن عبادة الأوزار والمعاصي وعدم ارتكاب الآثام وفتح لهم باب التوبة ليرجعوا إلى الله تعالى، فقد سن لهم قوانين لتسير حياتهم على وفق الشريعة الحقة من خلال النكاح وتكوين الأسرة وتهذيب النسل فكانت هذه القوانين حصراً على الدين الإسلامي، في المقابل حرم كل أنواع الزنا والمحارم ليجعل الإنسان سعيداً وبعيداً عن المحرمات وتكوين المجتمع الصالح من خلال التمسك بالأخلاق الحقة والفضائل والقيم الأخلاقية (١٣٣).

سادساً. المعروف:

قد تطرف السبزواري إلى المعروف بأنه: «كل ما يستحسنه



وهي أصل المهلكات للإنسان؛ لأن مدح الإنسان المنكر يوجب الغرور والتعالي فيقف حاجزاً أمام نيل الكمال المطلق فينفر الإنسان ويهلك بسبب المدح المتكرر (١٣٩).
ثانياً. الخمر والميسر:

هي ضمن الرذائل والمهلكات كما أوردها القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلُمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (١٤٠) فقد أمر القرآن الكريم الابتعاد منه، فقد اهتم الإسلام بتحريم ذلك ونهى عنه بشتى الأساليب والطرق فقد وصفها السبزواري بأنها شر الرذائل وأخبت الأمور وأرجعوها إلى عمل الشيطان الذي يحاول إيقاع الناس في المحرمات والآثام عندما وصفها القرآن بأنها (رجس) من عمل الشيطان، ولما لها من أثم كبير أكثر من نفعهما فقد حرمة حتى على الصلاة كما يقول ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ (١٤١)، فهذا دليل على أنها من الكبائر ولا يمكن أن يقدم الإنسان على الصلاة وهو مخمر حتى يفقه ما يقول؛ لأنه في حالة الخروج عن اللاوعي والعقل، فرض جميع المنافع التي به في مقابل الإثم الكبير الذي يترتب عليه فضلاً عن الآثار التي يسببها على الفرد والمجتمع فهو يؤثر تأثيراً قوياً على صحة الإنسان والآثار النفسية التي تؤدي إلى الموت، فله أضرار مادية ومعنوية ونفسية وعقلية للإنسان فنذهب بصفاته الأخلاقية إلى الرذائل (١٤٢).

وإن الخمر لا يذهب فقط بالصفات الأخلاقية بل يذهب الإيمان أيضاً ويتلاشى نوره، فيستولي على قلبه الحجب والظلام فيكون جاهلاً في معرفة الله -عز وجل-، فيجسر على ارتكاب المحرمات والذنوب من غير تردد ولا تفكير، فهو يورث الندامة ويجعل الإنسان في اضطراب عقلي فتأمره النفس في فعل الأفعال القبيحة ويصد الإنسان عن عبادة الله تعالى مما ثورته سوء العاقبة والعقاب الذي ينظره في يوم القيامة ، مما يدل على التحريم الكامل للخمر وخطره على الإنسان وخسارة الدنيا والآخرة (١٤٣).

ثالثاً. الغرور:

يعد من الرذائل الأخلاقية وهو «استعظام النفس أو عمل من أعمالها أو صفة من صفاتها» (١٤٤) فهو رذيلة من الرذائل الخلقية ولقبها أيضاً بـ أم الرذائل والخبائث فهي من صفات الكفار والشياطين عندما يزينون الحياة للبشر، وقد سلط القرآن الكريم الضوء على مفهوم رذيلة الغرور كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ﴾ (١٤٥) فإن أعظم أنواع الكفران هو كفر المنعم ونسيان النعمة والانهيال في الهاوية،

فهو مرض يصيب الإنسان فيتكبر وينغر ويرى نفسه هو إلا فضل بين أبناء جنسه، وقد بين السبزواري علاج هذا الداء من خلال الذي يهلك صاحبه هو التأمل وتفكر في عظمة الخالق، وأن الدنيا كلها فانية إلا وجه الله الكريم، لأنه باقى لأنه الخالق، فعندما يتأمل الإنسان كل هذه الأمور سوف يتعظ عنه هذا المرض فيزول ويرجع الإنسان إلى صفه أمام عظمة الخالق وقوته، ويرى مدى صفه وحضارته أمام الله. فيخجل من غروره فهو من طين وهو خلق الله وليس خالق (١٤٦).

رابعاً. النفاق:

هو من الصفات الذميمة ويعتبرها السبزواري أم الرذائل، لأن النفاق يوجب على صاحبه تأنيب النفس في الدنيا ويعدها جحيم الأبد في الآخرة فتطبق عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (١٤٧)، فقد ذم الله تعالى هذه الرذيلة لما فيها من سلبات تؤثر على الحياة المجتمع والنظام الاجتماعي؛ لأنها تلوث استقامة الفطرة فهي صفة خبيثة أشد من الكفر، لما فيه من مصاديق كالكذب والمكر الموجودة في الناس، وما عدا الأنبياء والرسل والمعصومين (عليهم السلام)، وأن هذه الصفة لم تظهر عبثاً، بل أسباب أدت إليه كحب النفس حب الجاه والدنيا حب التملك والسيطرة كلها أسباب كافية لتجعل من الإنسان منافقاً، وواجب القرآن هو إصلاح من هؤلاء بالوعظ والإرشاد لكي نحاول إصلاح آثار النفاق وإصلاح الأخلاق الفاسدة وحل محلها أخرى فاضلة هذه والمرحلة أولى: هي الأعراض عنها؛ لأنها نتج عن إغواء الشيطان، وبعدها مرحلة ثالثة تكون بالقتل أو القتال معهم (١٤٨).

فإن المنافق قادر على الحقد والظلم؛ لأنه ضعف العقيدة وخاصة المعاد، فلو كان ذو دراية بها لما صدر منه كل هذه الرذائل الأخلاقية، فالإنسان الذي يزداد إيمانه بوجود إله يراقب تحركاته أول بأول لما نشأت عنده رذيلة النفاق فكلما زاد تعلق بالعقيدة والدين كلما ضعف النفاق، فالمنافق يستطيع أن ينافق بقلبه وهذا ما نطلق عليه اسم الرياء، ومن صفاتهم الفساد في الأرض والاستهزاء بالمسلمين والمؤمنين حتى يصل بهم الحال إلى عدم الشعور بسفاهتهم وجهلهم، فقد توعده الله تعالى المنافقين إلى نار وعذاب جهنم يوم القيامة ، فقد وصفهم الله تعالى بالمرض الذي في قلوبهم وسوف يزيدهم الله تعالى عقاباً منه على نفاقهم كما في قوله تعالى:

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ (١٤٩) وقوله ﴿فَرَّادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (١٥٠) فهو من صفات المنافقين، وخاصة بعد بعثة الرسول الأكرم



(صلى الله عليه وآله) دليلاً على حسدهم واستكبارهم فزاد الله تعالى مرضهم مرضاً حسب إخلاصهم الفاسدة عندما حاولوا تكذيب الرسل والأنبياء (١٥١).

الخاتمة

في ختام هذا البحث تم الوصول إلى نتائج كثيرة وأهمها ما يأتي:

١- إن الأخلاق هي أساس قيام المجتمعات وازدهارها فضلاً على أنها تقوم شخصية الإنسان لتوصله إلى الاستكمال الأخلاقي.

٢- أهمية الأخلاق وتداخلها في شتى جوانب حياة الإنسان كالاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

٣- تأصيل القيم الأخلاقية في القرآن الكريم لتوجب السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة.

٤- الالتزام بالفضائل الأخلاقية والإرشاد الديني ينطلق من عبارتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- التحلي بالأخلاق الحسنة والاقتداء بأخلاق الله تعالى والقرآن الكريم والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).

٦- النظريات الأخلاقية الإسلامية كانت هي السابقة في نشر التعاليم والقيم الأخلاقية التي تبدأ بشخص الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) وتطبيق أسلوبه الأخلاقي والإنساني.

٧- اختلفت النظريات الإسلامية عن بقية النظريات لما فيها تطبق الجوانب العلمية والعملية التي تستند على القرآن الكريم من خلال تطبيق الآيات في الواقع والمجتمع.

٨- اتفق العلماء أن الأخلاق هي القادرة على أن تنجي الإنسان من المهالك وتوصله إلى السعادة والكمال واكتساب الفضائل ويترك الرذائل المذمومة.

٩- الاجتهاد في تزكية النفس من خلال المحاسبة والمراقبة والعقاب حتى تصل إلى السعادة وتفتح لها أبواب المعرفة الحققة فضلاً عن الهداية الإلهية فتلاشى كل الحواجز والحجب فتصبح المعرفة الحققة.

١٠- أكد كلاً من النزاقى وعلى القاضي والطباطبائي على الالتزام بالقوانين العبادات هي كفيلاً لقويم النفس من خلال الالتزام بالصلاة والصوم والعبادات فكلما قرب الإنسان من ربه ومن عبادته كلما زاد اكتسابه للفضائل وترك الرذائل.

١١- فكرة الاعتدال الأخلاقي كما أثبتها العلماء الشيعة هي من قوانين القرآن الكريم وقد أكدها أهل البيت (عليهم السلام) وسمي بالحد الوسط أو النمط الأوسط، وليس كما قسمه علماء

الأخلاق حسب تقيم أرسطو طاليس.

١٢- عرض السبزواري الكثير من المفاهيم الأخلاقية في كتابه مواهب الرحمن فضلاً عن العرفانية والعقائدية، فكانت المفاهيم الأخلاقية ترسم طريق الإنسان من خلال إرشاد النص القرآني حول سبيل السعادة والكمال للإنسان.

١٣- اعتمد السبزواري على النص القرآني في توضيح المفاهيم الأخلاقية كما عرضها القرآن الكريم والآيات الكريمة التي ثبت مكانة كل فضيلة ونهذ كل رذيلة.

١٤- أكد السبزواري على الخصائص الأخلاقية في القرآن بأن الأخلاق انبعاثت من فطري وليس مكتسب بغض النظر عن العادات والتقاليد. وبعيدة عن مشاغل الحياة.

١٥- يؤكد السبزواري أن جميع القواعد الأخلاقية تخاطب الضمير الإنساني إذ تلزمه إطاعتها وتفيدها.

١٦- تأكيد السبزواري كما أكد من قبله عدد من العلماء الشيعة كالنراقي والطباطبائي أن الحد الوسط والنمط الوسط هي نظرية قرآنية وليست نظرية أرسطية.

١٧- أكد على أن جميع المفاهيم الأخلاقية (الإيمان، والصبر، والتوكل، الرجاء، والتوبة، والمعروف) متعلقة بالله تعالى وهي من الفضائل الأخلاقية التي تنبع من صميم القرآن الكريم، فهي تبدأ مع الله وتنتهي مع الله.

١٨- عد السبزواري (الخمر والميسر، وحسب الثناء، والغرور والنفاق) من أشد الرذائل بل عبر عنها بأنها أم الرذائل لما فيها من سلبيات على الفرد والمجتمع فهي تجعل من الإنسان مضطرباً نفسياً وعقلياً وجسدياً وتحيرا مع تأنيب الضمير والشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة.

الهوامش:

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار الصادر، بيروت، د. ت، ج ١٠، ص ٨٦، وكذلك: السيد محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، دار العدالة، بيروت، ج ٢، ص ٢٥٧، وكذلك: ينظر: مسكويه: تهذيب الأخلاق، تحقيق: عماد أطلالي، مطبعة النور، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٦٠.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ٨٥.

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج ٣، ص ٥٣.

(٤) صدر الدين الشيرازي: الأسفار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ج ٤، ص ١١٤.

(٥) السيد حسين نجيب محمد: المحاضرات الأخلاقية، دار المجتبى، النجف الأشرف، ٢٠١١، ص ٤٥٤.

(٦) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مطبعة ذوي القربى، قم، ج ١، ط ١، ١٣٨٥ هـ، ص ٦٧١.

(٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٤٨.

- (٤٤) محمد مهدي التراقي: جامع السعادات، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر، تعليق: السيد محمد كلانتر، مطبعة ثامن الحجج، قم، ط١، ١٣٢٤هـ، ص٣٠.
- (٤٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٠.
- (٤٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٣١.
- (٤٧) ينظر: المصدر نفسه، ص٣١.
- (٤٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٣.
- (٤٩) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٣.
- (٥٠) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٥.
- (٥١) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٦.
- (٥٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٩.
- (٥٣) التراقي: جامع السعادات، ص٢٤.
- (٥٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٥٠.
- (٥٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٤.
- (٥٦) الرشدي: ميزان الحكمة، ج١، ص٨٤٦، وكذلك الشيخ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٧٤٠، ٣٦٠، ٤.
- (٥٧) المصدر نفسه، ج١، ص٨٤٦، وكذلك المجلسي: بحار الأنوار، ٢٩٢/٧٦.
- (٥٨) هو عارف وفيلسوف ومفسر ومرجع شيعي أصله من تبريز، وقد عاش مدة من حياته في النجف الأشرف كان أستاذاً في الأخلاق واليسر والسلوك درس على يد كبار العلماء منهم أحمد الكربلائي ومحمد الهادي درس في الحوزة العلمية، وتوفي في النجف ودفن هناك من أبرز آثاره قصائد في كتاب (صفحات من تاريخ الأعلام في النجف) فضلاً عن الوسائل الأخلاقية والعرفانية. للمزيد من التفاصيل يراجع: السيد محمد حسن القاضي ابن الحق، ت: سيد محمد علي القاضي، منشورات حكمت، ج١، ص١٤٢٨هـ-١٥٢-١٤٩، وكذلك ينظر: السيد محمد حسين الحسيني الطهراني: مطلع الأنوار، مكتب الوحي، طهران، ج٢، ١٤٣١هـ-٤٠-٤٩، وكذلك ينظر: السيد محمد حسين الطهراني: الروح المجردة، تعريب: عبد الرحيم مبارك، دار المحجة البيضاء، ط٢، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٥٥-١٥٦.
- (٥٩) الشيخ صادق حسن زادة، أسوة العرفاء، الناشر: أحمد مطهري-آل علي، ط١، ١٤٢٤هـ-١-٢.
- (٦٠) السيد مهدي بن السيد مرتضى الطباطبائي النجفي: رسالة السير والسلوك، شرح السيد محمد الحسين الحسن الطهراني، دار الحجة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص١٤٧.
- (٦١) الشيخ صادق حسن زادة، أسوة العرفاء، ص١١١.
- (٦٢) السيد علي القاضي: العطش العرفاني، تعريب: عبد الرحيم الحمزاني، دار الحجة، لبنان، ط١، ٢٠١٣، ص٧٣.
- (٦٣) المصدر نفسه، ص٧٣-٧٤.
- (٦٤) الشيخ عباس القمي: مفاتيح الجنان، منشورات الفجر، بيروت، ط٢، ٢٠١٨، دعاء يوم عرفة، ص٣١٢.
- (٦٥) السيد علي القاضي: العطش العرفاني، ص٧٧.
- (٦٦) مفكر إسلامي من علماء الشيعة البارزين في القرن العشرين ولد في إيران من أسرة عريقة النسب ترجع إلى الإمام الكاظم (عليه السلام)، أشتهر بكتاب بالميزان، فضلاً عن كتب الفلسفية والعرفانية له الكثير من المناظرات مع الخصم. للمزيد يراجع السيد كمال الحيدري: العلامة الطباطبائي، مكتبة عروج، بغداد، ب. د، ص٣٣-٤٨.

- (٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٤١.
- (٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٦٩-٣٧٠.
- (١٠) المصدر نفسه، ج١، ص٤٦١.
- (١١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٤.
- (١٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٢١.
- (١٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٤.
- (١٤) المصدر نفسه، ج١، ص٥٨.
- (١٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٢.
- (١٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٩٨.
- (١٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٢٠.
- (١٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٥١٣.
- (١٩) المصدر نفسه، ج١، ص٦٤٠.
- (٢٠) ينظر: السيد محمد حسن الطالقاني: صفحة من حياة الإمام السبزواري، مطبعة الكوثر، النجف الأشرف، ط١، ١٤٢٥هـ، ص٤٠.
- (٢١) ينظر: محمد تقي الحجار: مع المقدس السبزواري، مكتبة المهذب، النجف الأشرف، ص١٤٢٠هـ-٤٣٠.
- (٢٢) ينظر: السيد حسين نجيب محمد: جمال السالكين، دار التفسير، قم، ط١، ١٣٨٥هـ-١٨.
- (٢٣) المصدر نفسه، ص١٨.
- (٢٤) المصدر نفسه، ص١٨.
- (٢٥) ينظر: السيد حسن نجيب محمد: جمال السالكين، ص٢٠.
- (٢٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٠-٢١.
- (٢٧) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٥.
- (٢٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٥.
- (٢٩) ينظر: السيد حسين نجيب محمد: المحاضرات الأخلاقية، دار المجتبى، النجف الأشرف، ٢٠١١، ص٤٥٦.
- (٣٠) رضي الدين أبي نصر الحسن الطبرسي: مكارم الأخلاق، ت: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٤، ص٣٠.
- (٣١) ينظر: السيد حسين نجيب محمد: محاضرات الأخلاقية، ص٤٥٤.
- (٣٢) الشيخ محمد الدبشيري: ميزان الحكمة، تحقيق: دار الحديث، إيران، ط١، ١٤١٦هـ-١، ص٧٩٩.
- (٣٣) ينظر: حسين نجيب محمد: محاضرات الأخلاقية، ص٤٥٨-٤٥٩.
- (٣٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٥٨-٤٥٩.
- (٣٥) سورة القلم، الآية: ٤.
- (٣٦) سورة النساء، الآية: ٢٩.
- (٣٧) سورة الحج، الآية: ٣٠.
- (٣٨) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
- (٣٩) سورة المائدة، الآية: ٤٨.
- (٤٠) سورة لقمان، الآية: ١٧.
- (٤١) مصطفى حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العالمية، بيروت، ط١، ص٢٠٠٤، ص٩٣.
- (٤٢) المصدر نفسه، ص٩٣.
- (٤٣) هو علم من أعلام المفكرين الشيعة القرنين الثاني عشر- والثالث عشر ولد في (نراق) إحدى قرى كاشان درس العلوم الإسلامية والأخلاقية واحد من مؤسسي الحوزة العلمية في كاشان درس على أيدي علماء الشيعة في النجف الأشرف ودرس اللغات كثيرة منها العبرية واللاتينية من أشهر مؤلفاته جامع السعادات الذي هو أهم كتبه الأخلاقية. للمزيد من التفاصيل يراجع:

- (٦٧) محمد حسين الطباطبائي: الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٢، ج ١، ص ٣٧.
- (٦٨) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢١٢.
- (٦٩) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢١٣.
- (٧٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٨.
- (٧١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٠.
- (٧٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١١.
- (٧٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١١.
- (٧٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٢.
- (٧٥) ينظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٢.
- (٧٦) ينظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٢.
- (٧٧) السيد كمال الحيدري: العلامة الطباطبائي، ص ٤٤.
- (٧٨) الطباطبائي: تفسير الميزان، ج ١، ص ٣٠٩.
- (٧٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٩.
- (٨٠) السيد عبد الأعلى السبزواري: الأخلاق في القرآن، إعداد السيد إبراهيم سرور، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ٢٠١١، ص ٨.
- (٨١) المصدر نفسه، ج ٨-٩.
- (٨٢) المصدر نفسه، ص ٩.
- (٨٣) المصدر نفسه، ص ١١-١٥.
- (٨٤) الشيخ محمد باقر المحمودي: مستدرک نهج البلاغة، مطبعة الآداب، النجف، ط ١، ١٩٨٦٩، ج ١٠، ص ٤١٨.
- (٨٥) المصدر نفسه، ص ١٦-١٩.
- (٨٦) المصدر نفسه، ص ١٩-٢٠.
- (٨٧) سورة الشمس، الآية: ٨.
- (٨٨) الطباطبائي: الخلاف في القرآن، ص ٢٠.
- (٨٩) المصدر نفسه، ص ٢٠-٢١.
- (٩٠) سورة الشمس، الآية: ٨.
- (٩١) الطباطبائي: الأخلاق في القرآن، ص ٢١-٢٢.
- (٩٢) المصدر نفسه، ص ٢٢.
- (٩٣) المصدر نفسه، ص ٢٣-٢٤.
- (٩٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.
- (٩٥) السبزواري: مواهب الرحمن، مطبعة نكن، قم، ط ٥، ٢٠١٠، ج ٩، ص ١٧٥.
- (٩٦) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٢٤-٣٢٥.
- (٩٧) المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٤٣٠-٤٣١.
- (٩٨) المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٧٥.
- (٩٩) المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٧٦.
- (١٠٠) سورة القلم، الآية: ٤.
- (١٠١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
- (١٠٢) ينظر: السبزواري، مواهب الرحمن، ج ٩، ص ٣٢٥-٣٢٦.
- (١٠٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.
- (١٠٤) السبزواري: مواهب الرحمن، ج ٢، ص ٢١٠.
- (١٠٥) سورة البقرة، الآية: ٤٥.
- (١٠٦) ينظر: السبزواري: مواهب الرحمن، ج ٢، ص ٢١١.
- (١٠٧) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.
- (١٠٨) ينظر: السبزواري: مواهب الرحمن، ج ٢، ص ٢١٢.
- (١٠٩) ينظر: السبزواري، مواهب الرحمن، ج ٧، ص ١٦.
- (١١٠) ينظر: المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٧.
- (١١١) ينظر: المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٧.
- (١١٢) سورة الطلاق، الآية: ٣.
- (١١٣) سورة إبراهيم، الآية: ١٢.
- (١١٤) سورة النحل، الآية: ٩٩.
- (١١٥) السبزواري، المواهب، ج ٧، ص ١٨.
- (١١٦) ينظر: المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٨.
- (١١٧) ينظر: المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٩.
- (١١٨) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣٤.
- (١١٩) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
- (١٢٠) ينظر: السبزواري: المواهب، ج ٣، ص ٣٣٦.
- (١٢١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣٧.
- (١٢٢) ينظر: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣٨.
- (١٢٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.
- (١٢٤) ينظر: السبزواري: المواهب، ج ٣، ص ٣٤٠-٣٤١.
- (١٢٥) ينظر: السبزواري: المواهب، ج ٢، ص ٢٦٦.
- (١٢٦) سورة النور، الآية: ٣١.
- (١٢٧) ينظر: السبزواري، المواهب، ج ٢، ص ٣٧١.
- (١٢٨) ينظر: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٧٣.
- (١٢٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٧٦.
- (١٣٠) سورة النساء، الآية: ٢٧.
- (١٣١) السبزواري: المواهب، ج ٨، ص ٨٨.
- (١٣٢) ينظر: المصدر نفسه، ج ٨، ص ٨٥-٨٦.
- (١٣٣) ينظر: المصدر نفسه، ج ٨، ص ٨٧.
- (١٣٤) السبزواري: المواهب، ج ٩، ص ٢٩١.
- (١٣٥) ينظر: السبزواري: المواهب، ج ٩، ص ٢٩٢.
- (١٣٦) ينظر: المصدر نفسه، ج ٩، ص ٢٩٣.
- (١٣٧) ينظر: السبزواري: المواهب، ج ٩، ص ٢٩٣-٢٩٤.
- (١٣٨) ينظر: المصدر نفسه، ج ٩، ص ٢٩٤-٢٩٥.
- (١٣٩) ينظر: المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٦٤.
- (١٤٠) سورة المائدة، الآية: ٩٠.
- (١٤٢) سورة النساء، الآية: ٤٣.
- (١٤٢) ينظر: السبزواري: المواهب، ج ٣، ص ٣٦٠-٣٦١.
- (١٤٣) ينظر: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٦٣-٣٦٤.
- (١٤٤) ينظر: المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٠١.
- (١٤٥) سورة الحديد، الآية: ٢٠.
- (١٤٦) ينظر: السبزواري، المواهب، ج ٥، ص ٢٠٣.
- (١٤٧) سورة النساء، الآية: ١٤٥.
- (١٤٨) ينظر: السبزواري: المواهب، ج ٨، ص ٣٩١.
- (١٤٩) سورة البقرة، الآية: ٩.
- (١٥٠) سورة البقرة، الآية: ٩.
- (١٥١) السبزواري: الأخلاق في القرآن، ص ٢٨-٢٩.
- قائمة المصادر والمراجع
- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، د. ت.
- ٣- السيد محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس، تحقيق: مصطفى



- حجازي، دار العدالة، بيروت، د.ت.
- ٤- مسكوية: تهذيب الأخلاق، تحقيق: عماد إطلالي، مطبعة النور، ط٥، ٢٠٠٥.
- ٥- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- ٦- صدر الدين الشيرازي: الأسفار، دار إحياء تراث العربي، بيروت، ط١، د.ت.
- ٧- السيد حسين نجيب محمد: المحاضرات الأخلاقية، دار المجتبى، النجف الأشرف، ٢٠١١.
- ٨- جيل صليبا: المعجم الفلسفي، ذوي القربى، قم، ط١، ١٣٨٥ هـ.
- ٩- السيد محمد حسن الطالقاني: صفحة من حياة السبزواري، مطبعة الكوثر، النجف الأشرف، ط١، ١٤٢٥ هـ.
- ١٠- محمد تقي الحجاز: مع المقدس السبزواري، مكتبة المذهب، النجف الأشرف، ١٤٢٠ هـ.
- ١١- السيد حسن نجيب محمد: جمال السالكين، دار التفسير، قم، ط١، ١٣٨٥ هـ.
- ١٢- رضي الدين أبي نصر الحسن الطبرسي: مكارم الأخلاق، تحقيق: الشيخ الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٤.
- ١٣- الشيخ محمد الدبشمري: ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٦ هـ.
- ١٤- مصطفى حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العالمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- ١٥- محمد مهدي الزاقي، جامع السعادات، تقديم: محمد رضا المظفر، تعليق: سيد محمد كلانتر، مطبعة ثامن الحجج، قم، ط١، ١٤٢٤ هـ.
- ١٦- محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨ م.
- ١٧- السيد محمد حسن القاضي: ابن الحق، تحقيق: السيد محمد علي القاضي، منشورات حكمة، ١٤٢٨ هـ.
- ١٨- السيد محمد حسن الطهراني: مطلع الأنوار، مكتبة الوحي، طهران، ١٤٣١ هـ.
- ١٩- السيد محمد حسين الطهراني: الروح المجردة، تعريب: عبد الرحيم مبارك، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٢.
- ٢٠- الشيخ صادق حسن زادة: أسوة العرفاء، أحمد المطيري، ١٤٢٤ هـ.
- ٢١- السيد مهدي ابن السيد مرتضى الطباطبائي النجفي، مسألة السير والسلوك، شرح: محمد حسين الطهراني، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠١.
- ٢٢- السيد علي القاضي: العطش العرفاني، تعريب: عبد الرحيم الحمراي، دار الحجة، لبنان، ط١، ٢٠١٣.
- ٢٣- الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، منشورات الفجر، بيروت، ط٢، ٢٠١٨.
- ٢٤- السيد كمال الحيدري: العلامة الطباطبائي، مكتبة عروج، بغداد، د.ت.
- ٢٥- الطباطبائي: الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ت.

علم أصول الدين بين الأصالة والتجديد (دراسة استقرائية)

أ.م. عامر ضاحي سلمان
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

المستخلص

في بحثنا الموسوم: علم أصول الدين بين الأصالة والتجديد (دراسة استقرائية)، بيّنا فيه جوانب التجديد في علم أصول الدين، وجاء البحث على مبحثين تناولت في المبحث الأول: تعريفات مفردات البحث، وضرورة التجديد في علم الكلام، أما المبحث الثاني: فكان فيتجديد علم الكلام، فقد ذكرت فيه ثلاث محاور أساسية: التجديد في العلم لا في المعلوم، وبيان المقصود بتجديد علم الكلام، وجوانب التجديد في علم الكلام وتشمل: بث الحياة وإحياء الروح، والنظرة الجزئية في النصوص العقدية. الكلمات المفتاحية: علم أصول الدين، علم الكلام، التجديد، الأصالة، العقيدة.

Abstract

In our research tagged: Theology of the origins of religion between originality and renewal (inductive study), we explained the aspects of renewal in the science of the principles of religion. Kalam, in which I mentioned three main axes: renewal in knowledge, not in the known, and an explanation of what is meant by renewal of theology, and aspects of renewal in theology, including: spreading life, reviving the soul, reviving the branches of faith that reside in the soul, and a partial look at the doctrinal texts. Keywords: Theology of the origins of religion, theology, renewal, authenticity, creed.

المقدمة

الحمد لله نُحمده ونستعينه ونستغفريه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

علم أصول الدين أو ما يطلق عليه أيضاً علم الكلام، دار حوله جدل كبير ووقع فيه اختلاف كبير، إذ أن هذا العلم لم يكن نتيجة علم وتتنظير فكري، بل كان بسبب فرض نفسه آنذاك. وحتى ينهض علم الكلام بالمهمة التي انتصب لها ويبقى قادراً على مواكبة تطورات الحياة بحيوية وفاعلية فلا مناص من تحديثه، ليلبي حاجات ومتطلبات الزمن والواقع المعاصر له، إذ يلعب علم أصول الدين دوراً أساسياً في النظام المعرفي لأي دين، فضلاً عن احتلاله مركزاً حساساً فيه، ووفق هذه المكانة التي يمتاز بها علم أصول الدين يعد العصب الرئيسي الذي يبتني عليه أي دين، ومن ذلك أخص به أصول الدين الإسلامي أي القواعد التي يرتكز عليها من معرفة الله تعالى وصفاته وأدلتها وجوده، والنبوات ومستلزماتها، فضلاً عن اليوم الآخر وأحوال هذا اليوم.

وقد قسّمت بحثي هذا على مبحثين:

المبحث الأول: تناولت فيه تعريفات مفردات البحث، وضرورة التجديد في علم الكلام. إذ بينت فيه جانبين: الجانب الأول: تعريف مفردات البحث في اللغة والاصطلاح وهذه المفردات: علم أصول الدين، والاصالة، التجديد، والاستقرار.

الجانب الثاني: التجديد الكلامي وضرورة قراءة التجربة الكلامية القديمة، فمن الضروري الأخذ بعين الاعتبار تجربة الكلام القديم وقراءتها قراءة موضوعية فاحصة؛ لتحديد مواطن القوة والضعف قدر الإمكان؛ وتناولنا في ذلك أربعة نماذج هي: الدقة والشمولية في معالجة الأفكار، والمواكبة الدائمة للمستجدات الفكرية في المجتمع الإسلامي، وتميز علم الكلام بإجاباته الحاسمة والمطمئنة في تلك الفترة، وأخيراً خصوصية الأصالة التي تمتّع بها علم الكلام القديم.

أما المبحث الثاني: تجديد علم الكلام، فقد ذكرت فيه ثلاث محاور أساسية: التجديد في العلم لا في المعلوم، وبيان المقصود بتجديد علم الكلام، وجوانب التجديد في علم الكلام وتشمل: بث الحياة وإحياء الروح وبعث شباب الإيمان الساكنة في النفوس، والنظرة الجزئية في النصوص العقدية.

وختاماً نرجو من الباري عزّ وجل أن نوفّق في بحثنا هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

التجربة الكلامية القديمة

في إطار هندسة سائلة إلى حد كبير للكلام الجديد، من الضروري الأخذ بعين الاعتبار تجربة الكلام القديم وقراءتها قراءة موضوعية فاحصة؛ لتحديد عناصر القوة والضعف قدر الإمكان؛ بغية المحافظة على عناصر القوة وتفعيلها وتفادي المشكلات والآثار الناجمة عن عناصر الضعف، وهذا بحث - بطبعه اللائق به - طويل، لكن نشير هنا إلى نماذج من عناصر القوة، ونذكر على سبيل المثال - لا الحصر - نماذج أربعة هي:

أولاً: الدقة والشمولية التي قد يصح التعبير عنها باللامتناهية في معالجة الأفكار، فالمتكلم القديم عندما يشتغل بمسألة كلامية نراه يتفحصها تفحصاً دقيقاً ويعالجها معالجة فاحصة، والتراث الكلامي المدون شاهد ناطق عندنا اليوم على حجم الجهود التي بذلها المتكلمون في دراساتهم المدونة إن في نفس المصنفات الكلامية أو في علم الأصول (٧)، وطريقة الفنقلة «مختصر فإن قيل عند القدماء» واحدة من أبرز الطرق الشاهدة على هذا الأمر.

ثانياً: المواكبة الدائمة للمستجدات الفكرية في المجتمع الإسلامي، وهذه ميزة مهمة في علم الكلام (٨)، فلا تكاد تسمع بطرح أو كتاب أو نقد أو نظرية.. صدرت وتناقلتها الألسن في المحافل العلمية حتى ينبري المتكلمون لتقييمها والرد عليها أو تأييدها.. وعلى كل حال لإبداء رأي فيها، وهذا امتياز يطالب الكلام الجديد اليوم بإعادة تمثله وبصورة أفضل، فدراسات كثيرة اليوم مضى عليها قرن أو قرون تصنف لدى البعض بالحديثة جداً أو الأحدث، وكأنها آخر ما تمخض عن العقل البشري، في حين أنه مع ضرورة قراءتها بعمق وجديّة سيما الدراسات التأسيسية الغربية وغير الغربية، لابد من التوجّه إلى الدراسات الواسعة المعاصرة سيما في العقود الثلاثة الأخيرة على مستوى الساحة العربية والغربية.

ثالثاً: اتسم علم الكلام بإجاباته الحاسمة والمطمئنة في تلك الآونة ليس لميزة خاصة به، بل لأن العقل البشري قبل عصر النهضة كان كذلك، أمّا اليوم فإن علم الكلام الجديد يُخشى عليه من النزعة التشكيكية الشاملة والمدمرة، وهذا يفقد علم الكلام دوره الحضاري في إشاعة الطمأنينة والاستقرار في نفوس المناصرين للاتجاهات الكلامية.

رابعاً: خصوصية الأصالة التي تمتع بها علم الكلام القديم

المبحث الأول: تعريفات مفردات البحث، وضرورة التجديد في علم الكلام

لمطلب الاول تعريفات مفردات البحث:

أولاً: معنى علم اصول الدين.

عرف عضد الدين الأيجي (ت٧٥٦هـ) علم الكلام بأنه: «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج، ودفع الشبه، والمراد بالعقائد: ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فإن الخصم، وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام» (١).

ثانياً: معنى الأصالة .

هو « أصل الشيء أصالة: ثبت وقوي.... والأصالة في الرأي: جودته، وفي الأسلوب: ابتكاره، وفي النسب: عراقته. وأصل الشيء: أساسه الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي ينبت منه . ولا يخرج معناه اللغوي عن الاصطلاحي (٢).

ثالثاً: معنى التجديد في اللغة والاصطلاح.

التجديد في اللغة: صيغة تفعيل من الجديد، وتعني الحث على إحداث الجدة، ومنه الجديدان: الليل والنهار؛ لأنهما يتجددان. وجدد الشيء: صيره جديداً، ومنه جدد وضوءه، وجدد عهده يعني أعاده وكرره وأكدّه (٣).

التجديد في الاصطلاح: «إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها» (٤).

فالتجديد ينحصر في أمرين: إحياء ما درس من معالم الدين وترميم ما توهن من لبناته بسوء الاستعمال، وإزاحة ما أُقيم في طريق مسيرته البناءة للحياة البشرية الصحيحة الكريمة من عوائق. أي إعادة الدين إلى رونقه الأصلي وحالته النفسية فكراً وعملاً كما كان جديداً في أوله» (٥).

بناء على ذلك فإن التجديد المقبول في الدين لا يعني التمييز أو التحول عن أصول الدين وفروعه، لأن هذا لا يسمى تجديداً بل يسمى انحلالاً وتفككاً وذوباناً وموتاً (٦).

رابعاً: الاستقرار :

الاستقرار في اللغة: التتبع أو التفحص ويقال: استقرأ بمعنى: أخذ القراءة.

وفي المفهوم العام هو نوع من الاستدلال في الأحكام، وضابطه هو: الحصول على حكم كلي من تتبع جزئياته. وهو أحد الطرق المستخدمة في مناهج البحث العلمي.

المطلب الثاني: التجديد الكلامي وضرورة قراءة

والمقصود بالشبهات جميع الشبهات العصرية المتعلقة بفلسفة الدين وفلسفة النصوص الدينية بصورة منظمة ومرتبة ومستوعبة، فبعد أن يرتب المدارس الغربية التي نشأت منها الشبهات على أصناف يقوم بالجواب عليها بتعمق وتحليل في المطالب، وهذه من اهم مراحل وظائف لعلم الكلام الجديد (١٠).

المبحث الثاني: تجديد علم الكلام

الذي يبدو - وكما صرح به بعض الباحثين المتبعين- أن تسمية «علم الكلام الجديد» تسمية إسلامية، لم تعدها الدراسات الكلامية الغربية لا اليهودية ولا المسيحية، وقد جرى استخدام هذه التسمية للمرة الأولى من قبل الباحث الهندي شبلي النعماني (ت ١٣٣٢هـ) في كتابه «علم الكلام الجديد» وإن كان يبدو منه أن هذا الاستعمال كان موجوداً في تلك الفترة في بلاد مصر والشام وغيرها أيضاً، وقد طرح الشهيد مرتضى مطهري هذه التسمية أيضاً وترك طرحه لها أثراً في تكون هذا

المشروع؛ إذ تم تداول هذا المصطلح في العقد الميلادي الأخير، كما استخدم الدكتور حسن حنفي أيضاً مصطلح علم أصول الدين الجديد في إطار مشروعه الشامل واعتبر مشروعه في هذا الكتاب ونحوه علم كلام جديد. (١١) وسنذكر محاور التجديد على النحو الآتي:

المطلب الأول: التجديد في العلم لا في المعلوم.

لقد اتضح لنا فيما سبق أن علم الكلام يتناول عرض العقيدة الإسلامية، والدفاع عن أصولها ومبادئها، والرد عن حياضها، والتجديد في هذا العلم لا يعني بحال المساس بالعقيدة؛ فهي هدى أزلي، وحقائق ثابتة، لا مكان فيها للتجديد، بل الذي يتجدد ويتقدم هو الفكر الإسلامي، وطريقة العرض، وطريقة التفاعل بين عقول المسلمين وثوابت الدين الخالدة (١٢). فالخطاب وطريقة الدفاع والإقناع هو الذي يتغير ويتجدد.

فالتجديد إذاً منصب على الخطاب العقدي لا على العقيدة، ومن أبرز ما ينه الأمة الإسلامية على ضرورة التجديد والعمل عليه قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): «ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها» (١٣).

فالتجديد إذاً ليس منحصرًا في علم الفقه أو علوم الحديث، بل يمكن أن يكون التجديد في فهمنا لأصول الدين الإسلامي

لأسباب عديدة، فعلم الكلام من العلوم الإسلامية الأصلية؛ لأنه ولد قبل عصر الترجمة أي أنه لم يكن متأثرًا في انطلاقه بالثقافة والفلسفة اليونانية، بل إن التاريخ الكلامي يؤكد أن هذا العلم قد وقف موقفًا حذرًا إلى حد بعيد من التوجهات الفلسفية التي استقت من الفكر اليوناني بالخصوص أسسها ومنطلقاتها وبنائها التحتية، وهو ما سبب - أو كان على الأقل أحد أسباب - الخلاف الفلسفي الكلامي في التاريخ الإسلامي، سيما القرون الخمسة الأولى.

المطلوب من الكلام الجديد اليوم هو التماشي مع هذا النمط الكلامي القديم، أي الانطلاق في التفكير بصورة أصيلة غير مثقلة بالحمولات الأخرى، من دون أن يعني ذلك سد باب التفاعل الطبيعي بين العلوم كلها بما فيها علم الكلام، والذي يستدعي أن يقوم هذا العلم بإنشاء علاقة وطيدة مع العلوم الأخرى سيما التي تلتقي معه في طبيعة التخصص والمنهجية، كعلم الفلسفة وغيره، سواء كانت هذه العلوم ذات نتاج داخلي حضاري أو نتاج خارجي من هذه الناحية.

المطلب الثالث: وظائف الكلام الجديد أو مسؤوليات المنهج المعاصر

إن الوظائف الرئيسية التي يمارسها علم الكلام تتمثل - وفق ملاحظات جملة من الباحثين (٩) في أمور ثلاثة:

أ- محاولة شرح وتبيين المفاهيم العقدية بالصورة المناسبة القادرة على احتواء واستيعاب المضمون إلى أبعد الحدود ونقله بأمانة ودقة، وبالتالي تحجيم وتقليص الأخطاء والاشتباكات التي يمكن أن يسببها سوء أو قصور الخطاب والعرض الكلامي، ويأتي هنا دور تحديد المصطلح السليم الذي يبعد عن حدوث التداخلات والاختلاطات؛ بحيث يعكس بوضوح ما يريد أن يحكي عنه بأقل قدر ممكن من الانفلات والتضييق.

ب- محاولة إثبات المفاهيم العقدية وإقامة الأدلة والبراهين عليها من خلال توظيف مختلف أنواع الإثبات المنطقية والمعتبرة قياساً واستقراءً.. على المستوى العقلي أو النصي أو التاريخي أو التجريبي.

ت- محاولة ردّ ودفع الإشكالات والشبهات الموجهة إلى المعتقدات الدينية والمذهبية.

ويعتقد هؤلاء الباحثين أنه لو قبلنا بعلم الكلام الجديد أو رفضناه فإن الوظائف المتوجبة على علم الكلام اليوم هي نفسها الوظائف التقليدية الثلاث المتقدمة.

مدونات علم الكلام في صورتها الأخيرة من الاهتمام بسلوك المسلم النابع من تصوراته العقيدية، وتمحضت للقضايا النظرية (٢٠).

وأضحى علم العقيدة « في كثير من مؤسساتنا التعليمية وأوساطنا العلمية في كثير من الأحيان لا يبعث على اطمئنان القلب، وسكينة النفس وشفافية الروح، فمادة العقيدة عبارة عن جدل ونقاش لا يكاد ينتهي، ثم أجوبة واعتراضات، وأجوبة تلك الاعتراضات واعتراضات لتلك الأجوبة، وأجوبتها، وهكذا دواليك» (٢١).

وقد بالغ الشيخ طنطاوي جوهري أثناء ملاحظته لهذا القصور فاعتبر كتب التوحيد أول مصيبة حلت بالأمة الإسلامية، لأنها كما يقول: «لا تعطي اليقين ولا ترقى بالعلوم» (٢٢).

وبين المفكر المسلم محمد إقبال أن المطلوب ليس هو « العلم بالله» أي بوجوده وإنما الاتصال به، وتجديد الصلة به عن طريق توفير الدافع الداخلي الذي يجعل قلب المؤمن ينتفض ويسترد الحياة، فينتصر على الخمول والجمود والبطالة» (٢٣).

الجانب الثاني: النظرة الجزئية في النصوص العقيدية:

إن لمنهج القرآني في عرض العقيدة التي تتعلق بالله تعالى وصفاته لا يركز على الماهية؛ لأنها فوق العقل والإدراك، وإنما كان يوجه النظر إلى أثارها المشهودة في عالم الشهادة كي نحقق العبودية بما تستلزمه تلك الصفات.

ومن الأخطاء في فهم الأسماء والصفات فصلها عن سياقها الذي وردت فيه وعرضها في سياق الجدال الكلامي من خلال شبهات الطوائف المنحرفة، بل هو توحيد عملي عن طريق تحقيق الأسماء التسعة والتسعين في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، فالاعتقاد وظيفة سلوكية (٢٤).

وقال ابن عاشور: « وكان السلف في القرن الأول ومنصف القرن الثاني يسكنون عن هذه المتشابهات لما رأوا في ذلك الإمساك من مصلحة الاشتغال بإقامة الأعمال التي هي مراد الشرع من الناس» (٢٥).

الجانب الثالث: التجديد في الموضوع:

ومما يمكن أن يذكر كمثال على ذلك: مشكلة خلق القرآن وما أثارته من فتن، وما سببته من محن، ومشكلة العلاقة بين الإرادة الإلهية والإرادة البشرية، وتأويل الصفات الخيرية، والمفاضلة بين الأنبياء والملائكة وغيرها من المواضيع، إذ لا جدوى من إعادة بحثها سوى إعادة شقة الخلاف، الأمر الذي يلهي عن المشاكل الحقيقية التي ترهق العالم الإسلامي.

- بالمعنى الوارد في الحديث- فإنها يتصور فيها الاندراست شرعاً وعقلاً ويمكن أن يصير الناس إلى حالة يغيب فيها بعض أصول الدين عن بعضهم كما ينسون فروعهم، حتى أن يوم القيامة يأتي وليس أحد يقول الله الله، كما ورد في الحديث { لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ } (١٤).

« فالمجددون في الدين هم الذين يحيون عقائد الإسلام في نفس الأمة، ويدودون عن حيائها، بدفع الشبه والسهام التي تتناوشها، في كل زمان، وهي عملية مستمرة لا تنقطع حتى يتقطع أصل التكليف وذلك عند قيام الساعة» (١٥).

المطلب الثاني: بيان المقصود بتجديد علم الكلام.

المقصود بتجديد علم الكلام تطويره وتكييفه لطور جديد من أطوار التاريخ بحيث يستجيب لمتطلبات الحياة المتغيرة ويجب عن الأسئلة الجديدة والإشكالات المعاصرة التي تقتحم عالمنا الإسلامي، ونحن نرى أن معتنقي كل الأيدولوجيات يكرسون الجهود، ويرصدون الأموال، وينفقون الأوقات، من أجل تطوير منهجيات وأساليب وصيغ لفرعهم ومذاهبهم حتى تكتسب قوة القدرة على النفاذ إلى القلوب، والاستحواذ على العقول، ويستعينون بالعلوم الإنسانية المختلفة لترويج سلعهم وأفكارهم وإحياءاتهم؛ وقد نجحوا في تحقيق أهدافهم نجاحاً مكنهم من إحداث غزو ثقافي شديد التأثير على العقول والنفوس (١٦).

ففي أمريكا وحدها حوالي عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات، القسم الكبير منها متخصص بشؤون العالم الإسلامي، ووظيفة هذه المراكز تتبع ورصد كل ما يجري في العالم الإسلامي، ومن ثم دراسته وتحليله مقارنة مع أصوله التراثية التاريخية، ومنابعه العقيدية لئلا يبنى على أساسه الخطط، وتوضع الاستراتيجيات الثقافية والسياسية، وتحدد وسائل التنفيذ لتحطيم العقيدة وتخريب الأفكار، للقضاء على الشخصية الحضارية التاريخية (١٧).

المطلب الثالث: جوانب التجديد في علم الكلام.

الجانب الأول: بث الحياة وإحياء الروح وبعث شعاب الإيمان الساكنة في النفوس:

من المقرر أن أعمال العاملين تجري على حسب معتقداتهم ... ولذلك كان أسلوب الإسلام في الأمر بالأعمال الصالحة، والنهي عن أضرارها أن يبتدئ بإصلاح العقيدة حتى تكون حية فاعلة (١٨)، «ولا يكون الإيمان بالشيء عقيدة حتى يصبح محرراً للعواطف وموجهاً للسلوك» (١٩)، وقد خلت

المعتقدات الدينية والمذهبية.

٥. المطلوب من الكلام الجديد اليوم هو التماشي مع هذا النمط الكلامي القديم، أي الانطلاق في التفكير بصورة أصيلة غير مثقلة بالحمولات الأخرى، من دون أن يعني ذلك سد باب التفاعل الطبيعي بين العلوم كلها بما فيها علم الكلام.

٦. من المواضيع المهمة التي يمكن أن تدرج في نطاق الفكر العقدي الحديث «مبدأ الإنسان، وقيمه الذاتية، ومنزلته في الكون، وغاية وجوده ومصيره فهذه المسائل لم تزل الاهتمام في الفكر الكلامي الموروث، إلا أن تكون جزئيات متفرقة في ثنايا موضوعات أخرى.

الهوامش :

(١) المواقف في علم الكلام، عضد الدين الأبيجي، عالم الكتب، بيروت: ص٧.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، القاهرة، ط١، ١٤٠٠ هـ، ص٤٣.

(٣) يُنظر: لسان العرب، أبو الفصل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المعروف بابن منظور الأفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر للنشر بيروت ١٩٨٩م: ٨٣-٨٢/٤ ؛ تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت: ٢/ ٤٥٤.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م: ص٣٥٧.

(٥) الإسلام وتطور المجتمعات، مصطفى الزرقا، مجلة كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عدد (١)، ١٩٧٢م: ص٥٣.

(٦) يُنظر: الاجتهاد والتجديد في التشريع الإسلامي، مصطفى التارزي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٥م: ص٥١.

(٧) مجلة قضايا إسلامية معاصرة، الدكتور حسن حنفي، العدد ١٤: ١٧، الاتجاهات الجديدة في علم الكلام.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) مجلة التوحيد، العدد ٩٦ : ٣٣، «الاتجاهات الجديدة في علم الكلام مدخل تاريخي»، عبد الجبار الرفاعي، العدد ٢: ٢١٤، وغيرهم.

(١٠) الاجتهاد والتجديد في التشريع الإسلامي، مصطفى التارزي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٥م: ص٥١.

(١١) يُنظر: علم الكلام الجديد نشأته وتطوره، إبراهيم بدوي، دار المحجة البيضاء، ط٣، ١٤٣٠هـ: ص٩٥.

(١٢) يُنظر: الفكر الإسلامي هل يتجدد، حسن الترابي، مكتبة الجديد، تونس، ص٢٣.

(١٣) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت: ١٠/٤ برقم (٤٢٩١).

(١٤) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م: ١٣١/١ برقم (١٤٨).

وأحسن الإمام محمد عبده حين امتنع عن الدخول في مسائل سيطرت على علم الكلام كالسؤال عن الصفات وعلاقتها بالذات، وغيرها من المسائل، وسبك رسالته في قالب أكثر تمشياً مع طرائق التفكير الحديث، ومن الباحثين من عد رسالته صيغة مركزة لتجديد علم الكلام في نسق جامع بين دليلي العقل والنقل (٢٦).

أما «الشبهات التي يوردها كل يوم ملاحدة العصر والأفكار التي يفتنون بها المثقفين فضلا عن العوام، فغالبية المناهج عنها في منأى، فكانت تلك المناهج أي القديمة أشبه ما تكون بجهد مع غير عدو، وقد انجلى نفعها المثار عن غير فتح ولا غنيمة، والمتخرج على تلك المناهج يعيش في القرن الحادي والعشرين بعقلية القرن الحادي عشر» (٢٧).

ومن المواضيع المهمة التي يمكن أن تدرج في نطاق الفكر العقدي الحديث «مبدأ الإنسان، وقيمه الذاتية، ومنزلته في الكون، وغاية وجوده ومصيره فهذه المسائل لم تزل الاهتمام في الفكر الكلامي الموروث، إلا أن تكون جزئيات متفرقة في ثنايا موضوعات أخرى (٢٨).

الخاتمة:

١. التجديد ينحصر في أمرين: إحياء ما درس من معالم الدين وترميم ما توهن من لبناته بسوء الاستعمال، وإزاحة ما أُقيم في طريق مسيرته البناءة للحياة البشرية الصحيحة الكريمة من عوائق. أي إعادة الدين إلى رونقه الأصلي وحالته النفسية فكراً وعملاً كما كان جديداً في أوله.

٢. إن التجديد المقبول في الدين لا يعني التمييز أو التحول عن أصول الدين وفروعه، لأن هذا لا يسمى تجديداً بل يسمى انحلالاً وتفككاً وذوباناً وموتاً.

٣. من الضروري الأخذ بعين الاعتبار تجربة الكلام القديم وقراءتها قراءة موضوعية فاحصة؛ لتحديد مواطن القوة والضعف قدر الإمكان؛ وتناولنا في ذلك أربعة نماذج هي: الدقة والشمولية في معالجة الأفكار، والمواكبة الدائمة للمستجدات الفكرية في المجتمع الإسلامي، وتميز علم الكلام بإجاباته الحاسمة والمطمئنة في تلك الفترة، وأخيراً خصوصية الأسئلة التي تتمتع بها علم الكلام القديم.

٤. يعتقد أكثر الباحثين أنه لو قبلنا بعلم الكلام الجديد أو رفضناه فإن الوظائف المتوجبة على علم الكلام اليوم هي نفسها الوظائف التقليدية الثلاث وهي: محاولة شرح وتبيين المفاهيم العقدية، ومحاولة إثبات المفاهيم العقدية وإقامة الأدلة والبراهين عليها، محاولة دفع الإشكالات والشبهات الموجهة إلى

٨. مجلة قضايا إسلامية معاصرة، الدكتور حسن حنفي، العدد ١٤: ١٧، الاتجاهات الجديدة في علم الكلام.
٩. مجلة التوحيد، «الاتجاهات الجديدة في علم الكلام مدخل تاريخي»، عبد الجبار الرفاعي، العدد ٢.
١٠. الاجتهاد والتجديد في التشريع الإسلامي، مصطفى التازي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٥م.
١١. علم الكلام الجديد نشأته وتطوره، إبراهيم بدوي، دار المحجة البيضاء، ط٣، ١٤٣٠هـ.
١٢. الفكر الإسلامي هل يتجدد، حسن الترابي، مكتبة الجديد، تونس.
١٣. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
١٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
١٥. الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
١٦. حوار لا مواجهة من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد، أحمد كمال أبو المجد، دار الشروق، ١٩٨٨م.
١٧. مقدمة كتاب الأمة، عمر عبيد حسنة، رقم (٢٧)، قطر.
١٨. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع.
١٩. العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار العلم، دمشق، ط٩، ٢٠٠٠م.
٢٠. الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مؤسسة، الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٨٥م.
٢١. رسالة الأزهري بين الأمل واليوم والغد، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبه، مصر، ط١، ١٩٨٤م.
٢٢. الجواهر في تفسير القرآن، طنطاوي جوهري، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط٤، ١٣٥٠هـ.
٢٣. تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد اقبال، ترجمة: عباس محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.
٢٤. من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٢٥. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٦. جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي، محمد الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٧. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- (١٥) الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م: ٤/٤٦٣.
 - (١٦) حوار لا مواجهة من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد، أحمد كمال أبو المجد، دار الشروق، ١٩٨٨م: ص٢٤٤.
 - (١٧) يُنظر: مقدمة كتاب الأمة، عمر عبيد حسنة، رقم (٢٧)، قطر، ص ٢٢.
 - (١٨) يُنظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، ص٦٣.
 - (١٩) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار العلم، دمشق، ط٩، ٢٠٠٠م: ص٣.
 - (٢٠) يُنظر: الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مؤسسة، الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٨٥م: ص٢٢.
 - (٢١) رسالة الأزهري بين الأمل واليوم والغد، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبه، مصر، ط١، ١٩٨٤م: ص١٣.
 - (٢٢) الجواهر في تفسير القرآن، طنطاوي جوهري، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط٤، ١٣٥٠هـ: ص ٦٥.
 - (٢٣) تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد اقبال، ترجمة: عباس محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م: ص٦٧.
 - (٢٤) يُنظر: من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م: ٦٠٩/٢.
 - (٢٥) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م: ١٩٧/١.
 - (٢٦) يُنظر: جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي، محمد الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م: ١٧١/٢.
 - (٢٧) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب، بيروت، ط١، ١٩٩٧م: ١٦٦/١.
 - (٢٨) يُنظر: فقه التدين: ص١٦٠.
- المصادر والمراجع:
١. الموافق في علم الكلام، عضد الدين الأيجي، عالم الكتب، بيروت.
 ٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ.
 ٣. لسان العرب، أبو الفصل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المعروف بابن منظور الأفرريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر للنشر بيروت، ١٩٨٩م.
 ٤. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت.
 ٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
 ٦. الإسلام وتطور المجتمعات، مصطفى الزرقا، مجلة كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عدد (١)، ١٩٧٢م.
 ٧. الاجتهاد والتجديد في التشريع الإسلامي، مصطفى التازي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٥م.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
وَعَلَى آلهِ وَسَلَّمَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ
وَرَفَعَهُ الْغَلِيظَ
وَجَعَلَ الْكَلِمَ الْفَرِيضَ
وَعَلَّمَ الْقُرْآنَ
الْعَظِيمَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي جَعَلَ الْقُرْآنَ
أَمْرًا مُبِينًا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي جَعَلَ الْقُرْآنَ
أَمْرًا مُبِينًا



مسألة الصلاة المنذورة
مستلة من مخطوطة [نفائس المسائل]
للسيد حسن صدر الدين بن حسن هادي الموسوي الكاظمي
(1272هـ - 1354هـ)

م . د . د . كريمة عبود جبر
آيه عزيز معن
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية



his name and lineage, The second requirement: his titles and his family, the third requirement: his birth and death, the fourth requirement: his journeys, the fifth requirement: his sheikhs and his disciples, the sixth requirement: his journeys and the second topic: the verified text, the first requirement: a description of the manuscript copies, the second requirement: the name of the manuscript and documenting its relation to its author, The reason for writing it, and the third requirement: a methodology in investigation, and the third topic: it is the verified text, from the manuscript (Valuable issues), the issue of (the vowed prayer).

المقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، والحمد لله رب العالمين، نحمده و نستعينه ونستهديه ونستغفره، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا تجمد له ولياً مرشداً، اما بعد.

في هذا البحث الديني الذي أضعه بين أيدي حضراتكم، أقوم بالحديث حول مسألة فقهية دينية هامة في عقيدة المسلمين وحياتهم هي (الصلاة المنذورة) ، وما تتضمنها من بعض الاحكام توفرها فيها من حيث كيفية الاداء ، وغيرها من الاحكام المتعلقة بها الواردة في المسألة ، والتي لا بد لكل مسلم ومسلمة أن يحرصوا على تعلمها، وقد استندت في بحثي هذا على امهات الكتب الفقهية للمذهب الامامي ، في تحقيق المسألة ، اما عن حياة المؤلف فقد استندت في كتابة حياته على بعض اثاره العلمية المطبوعة ، وقد اقتضت كتابة البحث على ان ارتبه على مقدمة وقسم الدراسة وقسم التحقيق ، حيث جعلت عملي فيه مؤلف من قسمين كما سيأتي : قسم الدراسة وهو مؤلف من مبحث ، المبحث الاول : التعريف بحياة المؤلف ، وقد اشتمل على ست مطالب ، المطلب الاول :اسمه ونسبه ،

المستخلص

في هذا بحثنا بينا مسألة فقهية دينية هامة في عقيدة المسلمين وحياتهم هي (الصلاة المنذورة) ، وما تتضمنها من بعض الاحكام كالشروط الواجب توفرها فيها من حيث كيفية الاداء، وغيرها من الأحكام المتعلقة بها الواردة في المسألة، وقد اقتضت طبيعة البحث أن نرتبه على مقدمة وقسم الدراسة وقسم التحقيق، حيث جعلت عملي فيه مؤلف من قسمين كما سيأتي : قسم الدراسة وهو مؤلف من مبحث، المبحث الأول: التعريف بحياة المؤلف، وقد اشتمل على ستة مطالب، المطلب الاول: اسمه ونسبه،

المطلب الثاني: ألقابه وأسرته، المطلب الثالث: ولادته ووفاته، المطلب الرابع: رحلاته، المطلب الخامس شيوخه وتلاميذه، المطلب السادس: رحلاته والمبحث الثاني: النص المحقق، المطلب الاول: وصف النسخ الخطية للمخطوط، المطلب الثاني: اسم المخطوط وتوثيق نسبته الى مؤلفه، والسبب في تأليفه، والمطلب الثالث: منهجي في التحقيق، والمبحث الثالث: هو النص المحقق، من مخطوطة (نفائس المسائل) ، مسألة (الصلاة المنذورة)

Abstract:

In this research, we have clarified an important religious jurisprudence issue in the belief and life of Muslims, which is (the vowed prayer), and what it contains of some provisions such as the conditions that must be met in it in terms of how to perform it, and other provisions related to it mentioned in the issue, and the nature of the research necessitated that we arrange it on an introduction and a section The study and the investigation section, where I made my work in it consist of two parts as will come: the study section, which is composed of a chapter, the first topic: the definition of the author's life, and it included six demands, the first requirement:

ابي السعادات بن ابي الحرث محمد بن محمد المحدث بن ابي الطيب طاهر بن الحسين القطعي بن موسى ابي سبحة بن ابراهيم الاصغر الملقب بالمرتضى بن الامام موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب x

المطلب الثاني : القابه واسرته

كنى السيد الصدر كعادة اهل العلم والعلماء بكنى والقاب متعددة ، اذ ما اخذنا بعين الاعتبار النسب والاسم ، وعلاوة على ذلك موطن السكن ، ولقب بألقاب كثيرة منها: (الموسوي) نسبة الى الامام الكاظم x، و(العاملي) نسبة الى موطن العائلة الاصيلي جبل عامل في لبنان ، ولقب ايضاً (بالكاظمي) نسبة الى مدينة الكاظمية التي ولد فيها ، واشتهر بالسيد (حسن صدر الدين) نسبة الى والده ، وكني، (ابا محمد) (الفقيه والمحدث والمؤرخ ، الثقة العدل الامين ، ذو الفضل الواسع والعلم الغزير، صاحب التأليف والتصنيف ، من اسرة علمية عربية علوية تدعى (آل الصدر) وهي من اشهر العوائل العربية العلوية خرج منها كبار علماء الاجلاء ، في لبنان والعراق وايران.

كذلك يرجع نسب السيد حسن الصدر ، الى بيت (آل شرف الدين)، واشتهر بالصدر نسبة الى عم والده (السيد صدر الدين) ، واصلهم من جبل عامل في لبنان

المطلب الثالث : ولادته ووفاته

أولاً: ولادته:

ولد السيد حسن في مدينة الكاظمية المقدسة ، ونشأ في بيئة علمية جلييلة ، تتلمذ منذ نعومة اظفاره على يد والده السيد العلامة (هادي بن محمد) ، الذي كان من رجال الدين المعروفين حينذاك في مدينة الكاظمية ، ولم يكد يتجاوز السنين الست الاولى من عمره حتى اشتعلت في نفسه حب العلم وجذور المعرفة والتحصيل ، فلم يكتفي بالعلوم الشرعية ، بل قد ضم اليها الكثير من العلوم المتنوعة ، لم يكن مألوف الاحاطة بها ، وبذل الجهد في سبيل تحصيلها ، فتمكن في مراحل مبكرة من عمره من دراسة والاحاطة ب: النحو والصرف ، والمنطق والمعاني ، والبيان والبديع ، والهيئة والحساب ، والتفسير والرجال ، والتأريخ ، والحكمة ، والكلام ، والاخلاق ، والحديث ، والفقه ، واصول الفقه.

ثانياً: وفاته

-توفي السيد حسن الصدر (قدس سره) ، ليلة الخميس بعد غروب الشمس ١١ / ربيع الاول / ١٣٥٤ ، عن عمر ناهز

المطلب الثاني : القابه واسرته ،المطلب الثالث : ولادته ووفاته ، المطلب الرابع : رحلاته ، المطلب الخامس شيوخه وتلاميذه، المطلب السادس : رحلاته والمبحث الثاني : النص المحقق ، المطلب الاول : وصف النسخ الخطية للمخطوط ،المطلب الثاني : اسم المخطوط وتوثيق نسبه الى مؤلفه ، والسبب في تأليفه ، والمطلب الثالث : منهجي في التحقيق . ، والمبحث الثالث : هو النص المحقق ، من مخطوطة (نفائس المسائل) ، مسألة (الصلاة المنذورة) .

(ب)

والغاية من بحثي هو أن يعرف المسلم كيفية عبادته الصحيحة، متبعاً سنة النبي -صلى الله عليه و والده سلم- ولا أخفي عليكم أن الخوص في المسائل الدينية أمرٌ واسع، وبحرٌ مترامي الأطراف، ومن واجبنا بصفتنا مسلمين وباحثين ، أن نلّم بأطرافه وأن نتعلّم أصول ديننا، ومن هذه الفكرة أتيت بفكرة بحثي لتصل رسالتي لكل من يريد الاستفادة والتّعلم أكثر حول دينه، أسأل الله أن يكون بحثي ذا نفع ، وأن يفيد كل من يطلع عليه باحثاً كان او غيره، وأن يكتب لنا ولكم ربّنا الأجر والثواب.

(ج)

- المبحث الاول -

التعريف بحياة المؤلف حسن صدر الدين بن حسن بن

هادي الموسوي الكاظمي

المطلب الاول: اسمه ونسبه

المطلب الثاني: ألقابه واسرته

المطلب الثالث: ولادته ووفاته

المطلب الرابع: شيوخه وتلاميذه

المطلب الخامس: رحلاته

المطلب السادس: اثاره العلمية

المطلب الاول : اسمه ونسبه

يرجع نسبه الى الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهو السيد حسن بن السيد هادي بن محمد بن علي بن صالح بن محمد بن ابراهيم الشهير ب(شرف الدين) بن زين العابدين بن نور الدين بن علي بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن ابي الحسن وهو عباس بن محمد بن عبدالله بن احمد بن حمزة الاصغر بن سعد الله بن حمزة الاكبر بن محمد

وقام على التصنيف في العلوم الاسلامية، وصارت له مرجعية في العلم، والفضل وصار الكثير من طلاب البحث، والعلم يلتفون حوله، ليأخذوا من علمه، ورؤياه.

المطلب الخامس:

اساتذته وشيوخه وتلاميذه

أولاً- اساتذته وشيوخه:

أ- في مدينة الكاظمية منهم:

• والده السيد هادي وقد قرأ عليه بواكير العلوم .

• الشيخ احمد المعروف بالعارف المتوفى سنة ١٢٩٩ هجرية ، قرأ عليه علوم البلاغة ، و المعاني ، والبيان ، والبديع .

• السيد باقر بن حيدر الحسني الكاظمي ، صاحب (كتاب الالغاز) ، المتوفى ١٢٩٠ هجرية ، قرأ عليه النحو والصرف .

• العالم الميرزا باقر بن زين العابدين السلماسي، المتوفى ١٣٠١ هجرية ، قرأ عليه المنطق.

• الشيخ العلامة الثقة باقر بن حجة الاسلام محمد حسن آل ياسين ، المتوفى ١٢٩٠ هجرية ، قرأ عليه النحو والصرف.

ب- اما في النجف

• الشيخ الحكيم باقر الشكي المتوفى سنة ١٢٩٠، قرأ عليه الحكمة والكلام .

• العالم الجليل الميرزا حبيب الله الرشتي ، المتوفى ١٣١٢، الفقيه البار الذي انتهت اليه رئاسة البحث والتدريس ، في النجف الاشرف .

• الشيخ العالم استاذ العلوم العقلية ، محمد تقي الكلبيكاني النجفي ، المتوفى ١٣٠٦، قرأ عليه الحكمة والكلام .

• الفاضل المتبحر المولى محمد الايرواني النجفي ، المتوفى ١٣٠٦ ، قرأ عليه الفقه .

ج- اما في سامراء فقد تتلمذ و رافق المجدد الشيرازي حتى صاحبه طوال خمس عشرة سنة

ثانياً: تلاميذه.

من تلاميذه:

• اية الله العظمى السيد ابو الحسن الاصفهاني ، صاحب (الحاشية على الكافية)

• الشيخ محمد كاظم الشيرازي

• الشيخ هادي آل كاشف الغطاء

• الشيخ محمد رضا آل ياسين

• السيد الميرزا هادي الخرساني

اما- تلاميذ السيد المجازون منه منهم.

٧٩ عاماً، بعد مسيرة علمية طويلة ، ومواجهة الصعاب في سبيل التحصيل العلمي ، وحمل نعشه ضحوة يوم الخميس ، على الرؤوس الى الكاظمية ، وقد دفن في مقبرة والده ، في حجرة من حجرات صحن الكاظمية ، وشيعه خلق كثير من الكاظمية وخارجها ، من بغداد وغيرها ، الى مثواه الاخير ، من الاشراف و العلماء و الاعيان، منهم رئيس الوزراء و سائر الوزراء وممثل الملك.

المطلب الرابع : رحلاته

ارتحل السيد حسن الى المحطة الاكثر اهمية في حياته ، المتمثلة بمدينة النجف الاشرف ، مهوى افئدة العارفين وملاذ العلماء الراغبين بزيادة نصيبهم من علوم اهل البيت (عليهم السلام) ، فقهلاً واصلاً ، فبعد ان اتم السيد حسن الصدر من علوم الشريعة ، كالفقه المقارن والقوانين في الاصول ، وهو ما يزال ابن ثمانية عشر عاماً، ارتحل الى النجف برغبة من والده ، السيد (هادي الصدر) ، للالتحاق بحوزة النجف الاشرف فتتلمذ على يد علمائها ، ما لاقى في نفسه الغبطة والسرور والرضا ، كونه قد وضع قدمه اخيراً على طريق الكمال العلمي. واجتهد فيها واخذ من افواه الرجال والمجتهدين قائماً مدرساً ومؤلفاً ومحاضراً ومناظراً. وكان السيد الصدر من الكواكب اللمعة والمصابيح الساطعة في النجف الاشرف، حيث درس الفقه والاصول وسائر العلوم الشرعية على يد العلماء والمجتهدين، الذين كان لهم دور كبير في سقل موهبته، وحبه للبحث والدراسة.

-وبعدها ارتحل السيد الصدر في سنة سبع وتسعين ومائتين بعد الالف الهجرية، الى سامراء، وكان ذلك بسبب سماع رحيل المرجع الشيعي المجدد الميرزا الشيرازي، من النجف الى سامراء، هو ونخبة من اعلام حوزته ، حيث التقى و لازم درس استاذ المعظم الميرزا الشيرازي ، وتأثر به واخذ عنه جميع الفنون والعلوم ، وحضر حلقات دراسته ، التي ارتقت بسببه الحوزة العلمية ، ثم عاد بعد سنتين الى النجف الاشرف وبقي حينه الى حوزة المجدد الشيرازي.

بعد ان توفي الله تعالى الميرزا الشيرازي (قدس سره) ، عاد السيد حسن الصدر الى الكاظمية ، سنة ١٣١٤/١٨٩٧ م ، هو وجماعة اخرين ناوياً الذهاب الى النجف لكنه رجع الى الكاظمية ، برغبة واصرار من والده.

حيث كانت اوقاته مقسمة بين الحراب، والمكتبة، والدرس، والكتابة والبحث والارشاد، واشتغل بالعلم بحثاً وتدریسا،

• انتخاب القريب عن التقريب لابن حجر

سابعاً: في علم الاخلاق منها :

• احياء النفوس بأدب السيد ابن طاووس

• سبيل الصالحين في سلوك وبيان طريق العبودية

المبحث الثاني : النص المحقق

المطلب الاول : وصف النسخ الخطية للمخطوط

ان للمخطوط المستل منه مسألة (الصلاة المندورة) ثلاثة نسخ

خطية ، النسخة الاولى وهي نسخة الاصل موجودة في مكتبة

السيد حسن الصدر - الكاظمية المقدسة ، وهي بخط المؤلف

، ويرمز لها ب(أ) ، اما النسخة الثانية من العتبة العباسية

- كربلاء المقدسة ، ويرمز لها ب(ب) ، والنسخة الثالثة من

مؤسسة كاشف الغطاء - النجف الاشرف ، ويرمز لها ب(ج)

مواصفات مسخة الاصل (أ)

١. عدد الصفحات : ٣٦

٢. طول الصفحة : ٢٢.١

٣. عرض الصفحة : ١٦.٣

٤. عدد الاسطر: من ١٤-١٩

مواصفات نسخة (ب)

١. اسم الناسخ : احمد بن سلطان الشوشري

٢. طول الصفحة : ٣٢.٤

٣. عرض الصفحة : ١٦.٥

٤. عدد الاسطر: ١٦-١٨

مواصفات نسخة (ج)

١. اسم الناسخ : السيد علي بن السيد حسن بن هادي الصدر

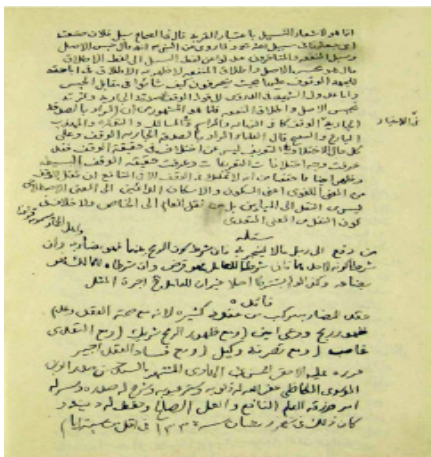
٢. عدد الصفحات : ٥١

٣. طول الصفحة : ١٨.٤

٤. عرض الصفحة : ١٦.٤

الصفحة الاولى والاخيرة من نسخة (أ)

الصفحة الاولى والاخيرة من نسخة (ب)



• اغا بزرك الطهراني وسمى اجازته (الاجازة الكبيرة) .

• الشيخ محمد مرتضى الجنفوري الهندي ، وقد سمي السيد

حسن الصدر (قدس الله سره) ، اجازته له ، (بغية الوعاة في

طرق طبقات مشايخ الاجازات) .

• الشيخ مهدي بن الشيخ محمد علي الاصفهاني ، وقد سمي

اجازته له ، (اللمعة المهدية في الطرق العلية) .

المطلب السادس:

آثاره العلمية

أولاً: في الفقه منها :

• سبيل الرشاد في شرح نجات العباد

• سبيل النجاة في فقه المعاملات

• الدر النظيم

• تبين مدارك السداد للحواشي والمتمن والتفريغ لعمل

المقلدين.

• رسالة الغرر في قاعدة نفي الضرر (فارسية)

• مجموع الرسائل

ثانياً: في اصول الفقه :

• رسالة في تعارض الاستصحابين

• الباب في شرح رسالة الاستصحاب للشيخ العلامة المرتضى

(رحمه الله)

• كتاب الحواشي على فرائد الاصول للشيخ المرتضى (رحمه

الله)

• حقائق الوصول الى علم الاصول

ثالثاً: في الاصول الدينية:

• الدرر الموسوية في شرح العقائد الجعفرية، ضمنها جميع

اصول الدين .

رابعاً: في التأريخ منها:

• تأسيس الشيعة الكرام لسائر فنون الاسلام

• الشيعة وفنون الاسلام (مختصر الاول)

• نزهة الحرمين في تواريخ تعمير المشهدين - اي كربلاء

والنجف

خامساً: في علم الرجال منها:

• الحواشي في علم تلخيص الرجال

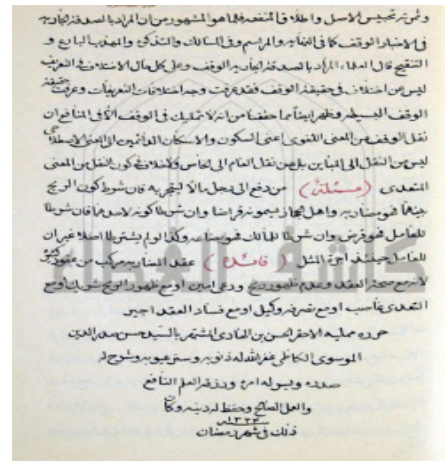
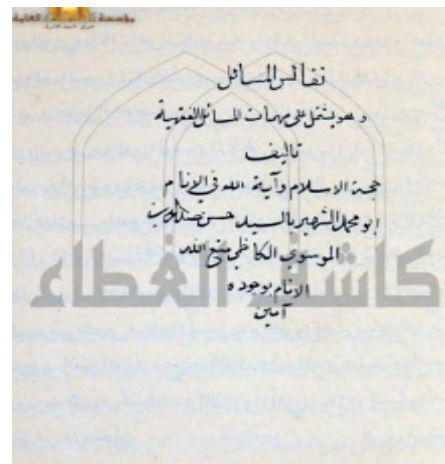
• الحواشي على امل الامل

• نكت الرجال

• حاشية على رجال ابي علي الحائري

• بغية الوعاة في طبقات مشايخ الاجازات





المطلب الثاني: اسم المخطوط وتوثيق نسبته الى مؤلفه وسبب تأليفه،

اسم مخطوط وتوثيق نسبته الى المؤلف وسبب تأليفه

اولاً: اسم المخطوط وتوثيق نسبته

المسألة التي نحن بصدد تحقيقها مستل من مخطوطة بعنوان (نفائس المسائل)، وقد اتفق كل من ترجم سيرة السيد حسن صدر الدين الكاظمي، انها منسوبة اليه، ويمكننا الاستدلال على صحة نسبة هذه المخطوطة له بعدة ادلة منها:

١- ما ذكره في مقدمة المخطوط قال : (اما بعد: فيقول الراجي فضل ربه ذي المنن بن العلامة السيد هادي حسن المشتهر بالسيد صدر الدين الكاظمي ، قد خطر ببالي ان اكتب طرائف المسائل في أوقات فراغي ترويحاً للخاطر واسميتها ((بنفائس المسائل)) وان يكون ذلك في المسائل الفقهية والفروع الخفية التي للفكر مسرحاً فيها والله ولي التوفيق والتسديد).

٢- ما صرح به نسخا الذين نسخوا هذا المخطوط في بداية كل نسخة .

٣- ما صرح به أصحاب التراجم والفهارس من نسبة هذا الكتاب الى السيد -قدس سره -

المطلب الثالث: منهجي في التحقيق

يتلخص منهجي في التحقيق بالخطوات الآتية:

١- قمت بنسخ المخطوطة من نسخة الأصل التي اعتمدتها، وهي نسخة مكتبة العتبة العباسية في كربلاء. وقد نسختها على حسب قواعد الاملاء الحديثة وذلك تسهيلاً على القارئ.

٢- قابلت نسخ المخطوطة التي تمكنت من الحصول

شَيْءٍ مِمَّا يُعْتَبَرُ وَجُودُهُ فِي الصَّلَاةِ الْوَاجِبَةِ بِالْأَصْلِ، أَوْ
بُجُودَ مَا يُتَابَعُ فِي فِعْلِ الْفَرِيضَةِ.

وَأُخْرَى فِيهَا: -لَوْ نَذَرَ الْمُقَيَّدُ بِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ.

أَمَّا الْكَلَامُ فِيهَا: لَوْ نَذَرَ الْمُطْلَقُ، فَظَاهِرُ إِطْلَاقِ جَمَاعَةٍ وَصَرَّحَ
آخَرِينَ أَنَّ حُكْمَهَا حُكْمُ الْفَرِيضَةِ يَشْتَرِطُ فِيهَا مَا يُشْتَرِطُ
فِي الْفَرِيضَةِ، بَلْ عَنِ الْعَلَّامَةِ دَعَاؤِ الْجَمَاعِ عَلَى ذَلِكَ
فِي (النَّهَائَةِ) وَرُجْمَا يُسْتَفَادُ ذَلِكَ مِنَ (التَّذَكُّرَةِ) حَيْثُ قَالَ:

«وَلَا يُصَلِّي الْمُنْدُورَةُ عَلَى الرَّاحِلَةِ؛ لِأَنَّهُا قَرُضٌ عِنْدَنَا»

وَمَنْعَ الْفَاضِلِ فِي (كشف اللثام) مِنَ الْجَمَاعِ.

قَالَ: «وَعِنْدِي أَنَّهُ يُشْتَرِطُ فِيهَا مَا يُشْتَرِطُ فِي النَافِلَةِ؛ لِمَنْعِ
الْجَمَاعِ، وَأَصَالَةِ الْبَرَاءَةِ»

وَرُجْمَا تَمَسَّكُوا بِدَعَاؤِ الْإِنْصِرَافِ فِي النَذْرِ، إِلَى الصَّلَاةِ
الْجَامِعَةِ لِسَائِرِ الشَّرَائِطِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ.

وَبِإِطْلَاقِ أَدَلَّةِ الشَّرُوطِ لِلْوَاجِبِ بِالْأَصْلِ، أَوْ بِالْعَارِضِ،
وَالْكُلِّ لَا يَخْلُو مِنْ نَظَرٍ، بَلْ مَنْعٍ، فَإِطْلَاقُ ادِّلِيلِ الْوَفَاءِ
بِالنَّذْرِ بِحَالِهِ، فَإِنَّ الْوَفَاءَ مَوْضُوعَةُ النَّذْرِ، وَلَيْسَ هُوَ إِلَّا
طَبِيعَةُ الصَّلَاةِ الْمُرْسَلَةِ، فَأَيُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهَا تَحَقَّقَ فِي
الْخَارِجِ فَقَدْ تَحَقَّقَ الْمُنْدُورُ.

فَالْمُكَلَّفُ مُخَيَّرٌ بِأَيِّ فَرْدٍ شَاءَ امْتَثَلَ الْأَمْرَ بِالْوَفَاءِ، وَإِلْزَامُهُ
بِالْفَرْدِ الْجَامِعِ لِلْقِيَامِ وَالِاسْتِقْبَالِ وَأَمْتَالُ ذَلِكَ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ،
إِذِ الْمُزْمِ فِي النَّذْرِ لَيْسَ فِيهِ تَقْيِيدٌ بِذَلِكَ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا
الِإِثْبَاتُ بِمَا تَزَمَّ وَالْمُلْتَزِمُ هُوَ الْأَعْمُ مِمَّا فِيهِ الْقِيَامُ وَالْفَائِدُ لَهُ؛ إِذْ
هُوَ الطَّبِيعَةُ فَتَنْفَسُ الْإِلْتِزَامَ أَعْنَى الْمُلْتَزِمِ.

الَّذِي هُوَ مَوْضُوعُ الْأَمْرِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يُوجِبُ ذَلِكَ، لَا
يُقَالُ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْوَفَاءِ يُمَكِّنُ أَنْ يُوجِبَ شَيْءٌ زَائِدٌ عَلَى الْمُلْتَزِمِ؛
لِأَنَّا نَقُولُ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ وَجُوبَ لَا يَثْبِتُ هُوَ مَوْضُوعُهُ، بَلْ
لَا يَدُّ مِنْ تَقَدَّمَ مَوْضُوعُهُ عَلَيْهِ.

وَمَا تَقَدَّمَ عَلَى وَجُوبِ، وَالْوَفَاءِ، لَيْسَ فِيهِ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ
الْمُلْتَزِمُ، فَلَوْ أُريدَ إِنْثَابُ شَرْطِيَّةِ الْقِيَامِ فِيهِ، لَزِمَ مَا ذَكَرَ مِنَ
إِنْثَابِ مَوْضُوعَةٍ بَعْدَ فَرَضِ كَوْنِ الْمُلْتَزِمِ لَيْسَ فِيهِ الْقِيَامُ بَلْ
الْقِيَامُ يَجِبُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ فَيَكُونُ الْوُجُوبُ أَثْبَتَ
مَوْضُوعَةٍ وَتَأَخَّرَ الشَّرْطُ أَوْ الْجُزْءُ عَلَى الْمَشْرُوطِ غَيْرِ مَعْقُولٍ.

فَإِنْ قُلْتُ: لَيْسَ لِرُزْمِ الْقِيَامِ فِي الْمَقَامِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ
حَتَّى يَلْزَمَ ذِكْرُ، بَلْ لِقَوْلِهِ (عليه السلام)

« لَا تُصَلِّي شَيْءٌ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَى الرَّاحِلَةِ »، بِنَاءً عَلَى
تَعْمِيمِ الْمَفْرُوضِ لِلْوَاجِبِ بِالْعَرَضِ، فَيَدُلُّ عَلَى اِغْتِبَارِ
الْقِيَامِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ وَاجِبَةٍ، فَيَقْيِيدُ إِطْلَاقِ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ

عليها، وعند حصول اختلاف في الجمل، أو الكلمات،
أختر اللفظ الاصح وأثبتته في متن الكتاب؛ ثم أشرت
إلى المخالف منها في الهامش ذاكراً رمز النسخة.

٣-صححت الفاظ النص التي وردت مخالفة لقواعد الرسم،
وكتبتها على قواعد الرسم المتعارف عليها اليوم .

٥-ترجمت للأعلام الموجودة في النص عند ذكر العلم
أول مرة.

٧-وضعت اسماً للمسألة بناءً على موضوعها، وأما ترتيب
المسائل وتسلسلها وفق ما جاءت في نسخة الأصل وهذه
المسألة هي الثامنة عشر حسب ترتيب المسائل في المخطوط.

٩-احلت أقوال الفقهاء إلى أهم المصادر التي وردت أقوالهم
فيها.

١٠-عزوت المسائل الفقهية الواردة في النص والمنسوبة
إلى أحد العلماء أو المنقولة عن كتاب فقهية وذلك
قدر الإمكان مع تعليل بعض الأحكام الفقهية حسب ما
يقتضيه الحال.

١١-وضعت بين القوسين المعكوفتين [] الزيادة في المتن.

١٣-اعتمدت في تحقيق النص وكتابته على قواعد
الخط المتعارفة من استخدام علامات الترقيم، كالنقطة
والفازرة والفازرة المنقوطة وعلامة الاستفهام ونحوها،

١٤-ختمت النص المحقق بجدول فهرست فيها الأمور التالية:

١٥-الاعلام على حسب حروف الهجاء.

١٦-مصادر الدراسة والتحقيق على حسب حروف الهجاء.

هذا وقد بذلت قصارى جهدي من أجل الوصول إلى
الأفضل خدمة للدين والعلم، والله أسأل أن يجعل عملي
هذا خالصاً لوجهه وينفعني به يوم العرض عليه. ولله
الحمد أولاً وآخراً.

المبحث الثالث

النص المحقق

من مخطوطة نفائس المسائل

(الصلاة المندورة)

مسألة نفيسة

[الصلاة المندورة]

[سؤال]: -

هَلْ يُعْتَبَرُ فِي الصَّلَاةِ الْمُنْدُورَةِ مَا يُعْتَبَرُ فِي الْوَاجِبَةِ بِالْأَصْلِ
مِنَ الْقِيَامِ وَالِاسْتِقْبَالِ وَأَمْتَالُ ذَلِكَ أَمْ لَا؟

وَالْكَلَامُ تَارَةً فِيهَا: -لَوْ نَذَرَ الصَّلَاةَ وَلَمْ يَقْيِدْ نَذْرَهُ بِعَدَمِ

بِالنَّذْرِ وَيَتَحَصَّرُ الْإِمْتِنَالُ بِالْأَفْرَادِ الَّتِي فِيهَا الْقِيَامُ مِنْ أَفْرَادٍ طَبِيعَةِ الصَّلَاةِ دُونَ الْفَاقِدَةِ . . قُلْتُ: لَوْ سَلَّمَ كَوْنُ الْفَرَضِ فِي الرِّوَايَةِ أَعْمَ مِنَ الْوَاجِبِ بِالْأَصْلِ، لَا يَلْزَمُ مِنْهُ التَّقْيِيدُ الْمَذْكُورُ الْمَوْجِبُ لِلْكَفَّارَةِ إِذَا لَمْ يَفْعَلِ الْقِيَامُ فِي الْمُنْذُورَةِ؛ لِأَنَّ دَلِيلَ اعْتِبَارِ الْقِيَامِ إِنَّمَا جَاءَ بَعْدَ تَحَقُّقِ الْإِلْتِزَامِ، وَانْعِقَادِ النَّذْرِ، وَبَعْدَ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ، فَهُوَ أَمْرٌ مَوْضُوعَةٌ الْوَاجِبِ بِالنَّذْرِ، فَلَا يَصِيرُ شَرْطًا، أَوْ جُزْءًا مِنْ مَوْضُوعٍ وَجُوبِ الْوَفَاءِ، فَإِنْ لَمْ يُمَثَّلْهُ وَفَعَلَ الْمُلْتَزِمُ النَّذَرَ يَلْزَمُ أَنْ لَا يَحْتِثَ؛ لِأَنَّ الْحِثَّ عَدَمُ الْإِثْنَانِ بِمَا تَزَمَّ الْمَوْجِبُ؛ لِمُخَالَفَةِ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ، وَلَيْسَ الْقِيَامُ فِي الْمُلْتَزِمِ كَمَا هُوَ الْمَفْرُوضُ، فَلَا حِثَّ بِنَاءً عَلَى هَذَا. وَإِذَا: فَلَا يَصِيرُ شَرْطًا فِي الْوَاجِبِ بِالنَّذْرِ؛ لِتَأْخِرِهِ كَمَا عَرَفْتَ، إِذْ هُوَ أَمَّا وَجِبَ بَعْدَ النَّذْرِ

فَكَيْفَ يَصِيرُ شَرْطًا لَهُ؟ وَإِلَّا لَزِمَ تَأَخُّرُ الشَّرْطِ عَلَى الْمَشْرُوطِ، فَتَحْصُلُ بَعْدَ تَسَلُّمِ كَوْنِ الْمُلْتَزِمِ بِالنَّذْرِ لَيْسَ فِيهِ الْقِيَامُ مَثَلًا. لَا يُمَكِّنُ دَعْوَى كَوْنِهِ جُزْءًا مِنْ مَوْضُوعِ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ؛ لِتَأَخُّرِ اعْتِبَارِهِ عَنْ وَجُوبِ الْوَفَاءِ كَمَا هُوَ الْمَفْرُوضُ سَوَاءً قُلْنَا إِنَّ اعْتِبَارَهُ يَجِيءُ مِنْ نَفْسِ وَجُوبِ الْوَفَاءِ، أَوْ مِنْ دَلِيلٍ آخَرَ. أَمَّا عَلَى الْأَوَّلِ: فَلِكُونِ الْوَاجِبِ لَا يَتَبَيَّنُ هُوَ مَوْضُوعُهُ. وَأَمَّا بِنَاءً عَلَى الثَّانِي: فَلِلزُّومِ تَأَخُّرِ الْمَوْضُوعِ عَنِ الْحُكْمِ وَهُوَ غَيْرُ مَعْقُولٍ.

نعم، لَوْ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى لُزُومِ الْإِثْنَانِ بِهِ فِي الصَّلَاةِ الْمُنْذُورَةِ كَانَ دَلِيلًا مُسْتَقْلَلًا، لَا أَنَّهُ قَيَّدَ فِي مَوْضُوعِ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِحَيْثُ، لَوْ لَمْ يَأْتِ بِهِ الْمُكَلِّفُ كَانَ قَدْ حِثَّ؛ لِأَنَّ الْحِثَّ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِتَرَكِ الْإِثْنَانِ بِالْمُلْتَزِمِ أَعْنَى الْمُنْذُورِ، وَالْمَفْرُوضِ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ اعْتِبَارُ الْقِيَامِ فَلَا حِثَّ حِينَئِذٍ، وَإِنْ كَانَ قَدْ عَصَى الْمُكَلِّفُ؛ بِتَرَكِهِ لِمُخَالَفَتِهِ الْأَمْرَ بِهِ.

نعم، يُمَكِّنُ أَنْ يُوَجَّهَ لُزُومُ الْإِثْنَانِ عَلَى وَجْهِهِ يَدْخُلُ فِي مَفْرُوضِ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ، بِحَيْثُ لَوْ لَمْ يَأْتِ بِهِ، كَانَ حِثًّا لِلنَّذْرِ، بِأَنْ يُقَالَ يُمَكِّنُ أَنْ يَدُلَّ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ مِنْ لَوَائِمِ الْإِجَابِ فِي الصَّلَاةِ وَإِنْ الشَّارِعُ لَا يُوجِبُ الصَّلَاةَ الْمُطْلَقَةَ الْأَعْمَ مِنَ الْجَامِعَةِ لِلْآدَابِ وَالْفَاقِدَةِ لَهَا. نعم، يُنْدَبُ إِلَيْهَا وَأَمَّا لَوْ أَوْجَبَهَا، فَلَا بُدَّ مِنْ إِنْتِائِهَا جَامِعَةً لِلْآدَابِ، فَلَا زَمَّ الْإِجَابِ هُوَ الْآدَابُ؛ لِأَنَّ الْفَاقِدَةَ لِلْآدَابِ، لَيْسَ فِيهَا مَصْلَحَةُ الْوُجُوبِ.

فَأَيْنَ مَا أَوْجَبَ الشَّارِعُ صَلَاةً فَلَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ مَعَ الطَّهَارَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِقْبَالَ وَالْقِيَامَ وَغَيْرَ ذَلِكَ. فَإِذَا عَلِمَ مِنَ الْخَارِجِ

ذَلِكَ، فَإِذَا أَمَرَ الشَّارِعُ بِلُزُومِ الْوَفَاءِ بِالْمُنْذُورَةِ كَانَ مَوْضُوعُ هَذَا الْأَمْرِ، الْإِثْنَانُ بِالْفَرْدِ الْجَامِعِ لِلْآدَابِ مِنَ الطَّبِيعَةِ، عَلَى مَا هُوَ الْمَعْهُودُ، دُونَ الْفَاقِدِ لَهَا، وَإِنْ كَانَ الْمُلْتَزِمُ بِالنَّذْرِ هُوَ الْمُطْلَقُ، فَالِلْتِزَامِ مِنَ النَّاذِرِ، لَيْسَ فِيهِ مَوْضُوعُ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ. مِنْ قَبْلِ الشَّارِعِ مُطْلَقًا (٣١) بَلِ الَّذِي أَمَّاهُ الشَّارِعُ، وَأَمَرَ بِالْوَفَاءِ بِهِ، هُوَ الْفَرْدُ الْجَامِعُ لِلْآدَابِ فَيَكُونُ مَوْضُوعُ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ، هُوَ الْمُلْتَزِمُ الْمُقَيَّدُ بِالِاسْتِغْفَارِ وَأَمْتَالِهِ، لَا الْمُطْلَقُ بِأَيِّ فَرْدٍ حَصَلَ، فَيَكُونُ الدَّلِيلُ الدَّالُّ عَلَى ذَلِكَ مُقَيَّدًا لِإِطْلَاقِ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ، وَيَلْزَمُ الْحِثَّ بَعْدَ امْتِنَالِهِ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ الدَّلِيلِ الْمَذْكُورِ، يَكُونُ الْإِمْتِنَالُ فِي النَّذْرِ، مُنْحَصِرًا فِي خُصُوصِ الْفَرْدِ الْجَامِعِ، دُونَ الْفَاقِدِ، وَحَيْثُ إِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ لَيْسَ بِذَلِكَ الْبَيِّنِ فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ الْمَحْكِيَّ فِي (النِّهَاةِ)، وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَدُلُّ، لَكِنَّهُ مَوْهُونٌ بِمُخَالَفَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ.

وَأَمَّا دَعْوَى إِطْلَاقِ أدَلَّةِ الشَّرْطِ، فَفِي غَايَةِ الْمَنَعِ إِذْ الظَّاهِرُ أَنَّهَا فِي الْوَاجِبِ بِالْأَصْلِ؛ إِذْ لَمْ تَكُنْ مُنْصَرَفَةً إِلَى خُصُوصِ الْيَوْمِيَّةِ كَمَا ادَّعَاهُ جَمَاعَةٌ، وَأَمَّا دَعْوَى الْإِثْنَانِ إِلَى الصَّلَاةِ الْجَامِعَةِ فِي النَّذْرِ، فَلَوْ سَلَّمَ لَمْ يَنْفَعِ فِي الْمَقَامِ، فَلَيْسَ بِأَيْدِينَا مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ صَرِيحًا وَالْمَرْجِعُ عَدَمُ الدَّلِيلِ هُوَ الْأَصْلُ فِي الْمَسْأَلَةِ.

فَقَدْ يُقَالُ: هُوَ الْإِسْتِصْحَابُ الْجَارِي فِي الْمَوْضُوعِ وَالْحُكْمِ. أَمَّا الْأَوَّلُ: فِيمَا لَوْ نَذَرَ نَافِلَةَ الطَّهْرِ مَثَلًا؛ فَإِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ قَبْلَ النَّذْرِ كَانَتْ صَحِيحَةً بِدُونِ الْقِيَامِ مَثَلًا فَلْأَصْلُ بِقَائِهَا عَلَى مَا كَانَتْ أَوْ يُقَالُ كَانَتْ هَذِهِ الصَّلَاةُ مَقْرَبَةً بِدُونِ الْقِيَامِ، وَالْأَصْلُ بِقَائِهَا عَلَى مَا كَانَتْ أَوْ يُقَالُ كَانَ يَجُوزُ لِي الْجُلُوسِ فِيهَا، فَلْأَصْلُ بِقَائِهَا عَلَى مَا كَانَتْ. وَفِيهِ:

أولاً: أَنَّ الْمَوْضُوعَ فِي هَذَا الْإِسْتِصْحَابِ غَيْرُ مَعْلُومٍ لِأَنَّا لَا نَعْلَمُ أَنَّ مَا ذُكِرَ كَانَ لِذَاتِ الصَّلَاةِ أَوْ لَهَا بِوَصْفِ النَّدْبِ.

وَأَمَّا ثَانِيًا: فَلَيْسَ الْمَقَامُ مِنْ مَوَارِدِ الْإِسْتِصْحَابِ لِأَنَّا لَا نَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْضُوعَ لِلْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ، هَلْ هُوَ عَيْنُ الْمَوْضُوعِ لِلْأَمْرِ النَّدْبِيِّ أَوْ غَيْرِهِ؟

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: لَا نَدْرِي أَنَّ الْمَوْضُوعَ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ مَثَلًا أَوْ تِسْعَةً، وَعَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهِ عَشْرَةَ يَكُونُ غَيْرُ الْمَوْضُوعِ فِي الْأَمْرِ النَّدْبِيِّ بَلْ هُمَا نَوْعَانِ، وَلَوْ سَلَّمْنَا عَدَمَ الشُّكِّ فِي الْمَوْضُوعِ أَيْضًا لَا يَنْفَعُنَا لِأَنَّ اسْتِصْحَابَ

بَقَاءِ جَوَازِ الْجُلُوسِ لَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْإِجَابَ لَيْسَ لَهُ لَوَائِمُ فِي الْمَقَامِ فَإِنَّ شُكْنَا فِي الْمَقَامِ فِي أَنَّ الْإِجَابَ هَلْ جَاءَ بِلَوَائِمِ

أَمْ لَا؟

فأصالة بقاء جواز الجُلُوسِ لَا يَنْبُتُ عَدَمَ اللّوْازِمِ لِلْإِجَابِ
الْإِبْتَاءِ عَلَى التَّعْوِيلِ عَلَى الْأَصْلِ الْمُثْبِتِ، فَالشُّكُّ فِي أَنَّ
الْإِجَابَ هَلْ جَاءَ بِلَوَازِمِ أَمْ لَا بَاقٍ بِحَالِهِ؟ .

فَإِنْ قُلْتُ أَنَا نَجْرِي أَصَالَهُ عَدَمَ اللّازِمِ قُلْتُ أَصَالَهُ عَدَمَ الشَّرْطِ
أَوْ الْجُزْءِ مِنَ الْأَصُولِ الَّتِي لَمْ نَعْتَرِهَا لِعَدَمِ الْحَالَةِ السَّابِقَةِ
فِيهَا، أَمَّا الْعَدَمُ الْأَزْلِي فَقَدْ انْقَلَبَ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَلَيْسَ لَهُ حَالَةٌ
سَابِقَةٌ حَتَّى يَجْرِيَ فِيهَا الْإِسْتِصْحَابُ، وَرُبَّمَا يُقَالُ بِصِحَّةِ
اسْتِصْحَابِ كَوْنِهَا مَقَرَّةً أَوْ ذَاتَ مَصْلَحَةٍ، فَيُقَالُ إِنْ أُريدَ
الْمَصْلَحَةُ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا حِينَ وَصَفَهَا الْإِسْتِصْحَابُ وَالْقَرِيبَةُ
الَّتِي كَانَتْ بِفِعْلِهَا قَبْلَ النَّذْرِ فَالآنَ بَعْدَ ارْتِفَاعِ الْأَمْرِ لَمْ تَبْقَ
تِلْكَ الْمَصْلَحَةُ، وَالْقَرِيبَةُ وَإِنْ أُريدَ الْمَصْلَحَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي
ذَاتِهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ فَلَيْسَتْ مَشْكُوكَةً، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ إِنْ
مَنْ مُفْتَضِيَاتٍ نَافِلَةِ الظُّهْرِ، الْمَصْلَحَةُ الْمُوجِبَةُ لِلْقُرْبِ بِفِعْلِهَا
لَوْ لَمْ يَعْضُ مَانِعٌ لَهَا مِنْ ذَلِكَ، كَمَا لَوْ عَلِمَ أَنَّهَا مُقَيَّدَةٌ بِالْقِيَامِ،
أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ. فَإِنَّهَا لَا تَخْرُجُ عَنْ مُفْتَضَاهَا إِلَّا بِالتَّقْيِيدِ الْمَذْكُورِ،
فَإِذَا شُكَّ فِي أَنَّهَا هَلْ عَرَضَ لَهَا مَانِعٌ عَنْ مُفْتَضَاهَا فَالْأَصْلُ
عَدَمُ الْمَانِعِ.

وَالْأَصْلُ بَقَائُهَا عَلَى مَا كَانَتْ، فَتَصِحَّ لَوْ فَعَلْتَ بِدُونِ الْقِيَامِ،
كَذَا أَفَادَهُ سَيِّدُنَا الْأُسْتَاذُ (قدس سره)، وَفِي النَّفْسِ مِنْهُ شَيْءٌ
فَإِنَّ هَذَا الْأَصْلَ أَيْضاً مُثْبِتٌ، وَلَا يَرْفَعُ شُكْنَا فِي أَنَّ الْإِجَابَ
هَلْ جَاءَ بِلَوَازِمِ أَمْ لَا؟ اللَّهُمَّ إِلَّا

أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ غَيْرَ مَبْنِيٍّ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ الشُّكُّ، لَيْسَ
فِي أَنَّ الْإِجَابَ هَلْ لَهُ لَوَازِمٌ فِي الْمَقَامِ أَمْ لَا؟ بَلْ الشُّكُّ فِي
أَنَّهُ هَلْ حَدَثَ مَا يَمْنَعُ مِنْ صِحَّةِ إِبْتِئَانِ. النَّافِلَةِ الَّتِي كَانَتْ
قَبْلَ النَّذْرِ، صِحَّتِهَا مَعْلُومَةٌ عِنْدَ فِعْلِهَا مُطْلَقَةً، ثُمَّ لَا يَخْفَى أَنَّهُ لَوْ
شُكَّ فِي تَحَقُّقِ الْوَفَاءِ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَرْجِعُ عِنْدَ الشُّكِّ فِي
الْمَقَامِ الْبَرَاءَةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَاعِدَةُ الْإِسْتِغَالِ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَإِنْ قُلْنَا: بِإِحْمَالِ مَفْهُومِ الْوَفَاءِ فَتَأْخُذُ بِالْقَدَرِ
الْمُتَيَقِّنِ وَيَنْفِي اخْتِمَالَ الرَّائِدِ بِأَصَالَةِ الْبَرَاءَةِ.

وَإِنْ قُلْنَا: أَنَّهُ مَفْهُومٌ عُرْفِيٌّ مَعْلُومٌ بَيْنَ الْمَفْهُومِ وَشَكْكُنَا فِي
مُحْصَلِهِ وَصَدَقَهُ، كَانَ الْمَرْجِعُ قَاعِدَةُ الْإِسْتِغَالِ، وَرُبَّمَا يُقَالُ بِنَاءً
عَلَى مَشِينَا السَّابِقِ أَنَّ لَا مَجَالَ لِلتَّمَسُّكِ بِالْبَرَاءَةِ فِي الْمَقَامِ؛
لِأَنَّ الْوَفَاءَ لَا بُدَّ مِنْ إِحْرَازِهِ لِيَتَحَقَّقَ الْإِمْتِثَالُ، وَأَصَالَةُ الْبَرَاءَةِ
لَا تَحَقُّقُ عُنْوَانِ الْوَفَاءِ الْمَأْمُورِ بِهِ فِي الْمَقَامِ، فَإِنَّ الْمَقَامَ لَيْسَ
نَظِيرَ دَوْرَانِ الْأَمْرِ بَيْنَ الْأَقْلِّ وَالْأَكْثَرِ؛ لِأَنَّ الْبَرَاءَةَ هُنَاكَ لَا
يُرَادُ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنْ رَفْعِ الْعِقَابِ عَنْ تَرْكِ السُّورَةِ مَثَلًا، وَإِمَّا

إِبْتِئَانُ كَوْنِ الْأَقْلِّ صَلَاةً، فَغَيْرُ لَازِمٍ بِخِلَافِ الْمَقَامِ فَإِنَّ الْوَفَاءَ
وَعُنْوَانِ الْأَمْرِ لَا بُدَّ مِنْ إِحْرَازِهِ.

وَإِحْرَازُهُ لَيْسَ مِنْ شَتَائِنِ الْبَرَاءَةِ؛ لِأَنَّهَا لِرَفْعِ الْعِقَابِ لَا غَيْرٍ،
فَإِذَا لَمْ تُحَرِّزْ الْوَفَاءَ لَمْ يَحْصُلِ الْإِمْتِثَالُ؛ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ
الْصَّلَاةُ الْفَاقِدَةُ لِلْقِيَامِ مَثَلًا فِي النَّذْرِ غَيْرَ رَاجِحِهِ فِعْلًا، فَلَا
يَكُونُ فِعْلُهَا مَقَرَّةً، فَلَا يَتَحَقَّقُ الْإِمْتِثَالُ

قُلْتُ: يُمْكِنُ إِحْرَازُ الْعُنْوَانِ بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَوْنِ
هَذِهِ الصَّلَاةِ طَاعَةً غَايَةُ الْأَمْرِ يَكُونُ وَفَاءً وَامْتِثَالًا ضَاهِي
مُسْتَفَادًا بِالْأَدِلَّةِ، وَلَوْ بِأَصْلِ الْبَرَاءَةِ، وَلَا بَأْسَ بِهِ.

نَعَمْ، الْمَرْجِعُ أَصَالَةُ الْإِسْتِغَالِ، لَوْ شَكَّكْنَا فِي صَدَقِ الْوَفَاءِ
وَمُحْصَلِهِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَفْهُومَهُ عُرْفِيٌّ مُبَيَّنٌ، فَإِذَا شُكَّ فِي صَدَقَةِ
مِنْ جِهَةِ احْتِمَالِ اعْتِبَارِ الشَّارِعِ قِيَدًا فِي الْمُتَلَتِّمِ، يَتَعَيَّنُ
الرُّجُوعُ إِلَى قَاعِدَةِ الْإِسْتِغَالِ.

إِمَّا نَذَرُ الْمُقَيَّدَ، كَانَ يَنْذِرُ الصَّلَاةَ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَوْ جَالِسًا
أَوْ بِدُونِ السُّورَةِ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، مِمَّا يَسُوعُ فِي النَّفْلِ فَالظَّاهِرُ
أَنَّهُ لَا شُبْهَةَ فِي انْعِقَادِ النَّذْرِ عِنْدَ الْأَكْثَرِ وَنَفْيِ عَنْهُ الْإِشْكَالِ
فِي (المسالك)، وَصَحَّحَهُ كُلُّ مَنْ اشْتَرَطَ فِي الْمُطْلَقِ مَا يُشْتَرَطُ
فِي الْفَرِيضَةِ، وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي أَنَّ الْقَيْدَ يُلْغَوُ أَوْ يَلْزَمُ فَعَلَهُ.

إِلَّا الْمُحَقِّقُ الثَّانِي فِي (جامع المقاصد) فَإِنَّهُ اسْتَشْكَلَ الْإِنْعِقَادَ
هُنَا، قَالَ عِنْدَ قَوْلِ الْعَلَامَةِ: «انْعَقَدَ الْمُطْلَقُ لَا الْمُقَيَّدُ» مَا
لَفْظُهُ يُشْكِلُ الْإِنْعِقَادَ بَلْ، يَنْبَغِي الْبُطْلَانُ. وَهُوَ إِشْكَالٌ فِي مَحَلِّهِ،
لَوْ قَامَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْوَاجِبَ مُطْلَقًا، يُشْتَرَطُ فِيهِ مَا يُشْتَرَطُ فِي
الْفَرِيضَةِ؛ لِأَنَّا قَدْ قَرَّبْنَا إِمْكَانَهُ كَمَا سَمِعْتَهُ فِي الْمُطْلَقِ.

إِلَّا أَنَّ الدَّلِيلَ الْمَذْكُورَ هُنَا لَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، بِحَيْثُ يَشْتَمِلُ
الْمُقَيَّدُ أَيْضاً؛ لِأَنَّهُ إِمَّا الْإِجْمَاعُ الْمُحَيِّي عَنْ (النهاية)

فَقِي الْمُطْلَقِ. لَا فِيمَا لَوْ قَيَّدَ. كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي (الذخيرة) قَالَ:
«بَعْدَ نَقْلِ الْإِجْمَاعِ وَهَذَا فِي الْمُطْلَقِ لَا فِي الْمُقَيَّدِ وَإِنْ اخْتَارَ
هُنَا أَنَّ الْقَيْدَ يُلْغَوُ ١، بَلْ كُلُّ مَنْ وَجَدْتُهُ اشْتَرَطَ فِي الْمُطْلَقِ
شُرُوطَ الْوَاجِبِ قَالَ هُنَا: بِالْإِنْعِقَادِ بِالْجُمْلَةِ الْإِجْمَاعُ الْمُدَّعِي لَا
يَنْفَعُ هُنَا، وَأَمَّا الْإِنْصِرَافُ الْمُدَّعَى هُنَاكَ، فَلَا مَسْرَحَ لَهُ هُنَا
كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ، كَمَا لَا يَنْفَعُ قَوْلُهُ: «لَا تُصَلِّي شَيْئًا مِنَ الْفُرُوضِ
عَلَى الرَّاحِلَةِ؛ لِأَنَّ دُخُولَ الْمُقَيَّدِ فِيهِ مَعْلُومٌ الْعَدَمُ، وَلَا أَقْلَ
مِنَ الشُّكِّ؛ لِوَهْنِ اعْتِبَارِ دُخُولِهِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ حِينَئِذٍ يَكُونُ لَا
تُصَلِّي شَيْئًا مِنَ الْفُرُوضِ رَاكِبًا عَلَى الرَّاحِلَةِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ
الْبُعْدِ، بَلْ يَقْطَعُ بَعْدَمِهِ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَقَامِ مَا يَصْلُحُ لِلْمَنْعِ أَوْ

الشيعة .

٥- تذكرة الفقهاء / تأليف العلامة الحلي الحسن بن يوسف (٦٤٨- ٧٢٦ هـ)

٦- تكملة أمل الامل، السيد حسن الصدر، تحقيق حسين علي محفوظ واخرين، دار المؤرخ العربي بيروت - لبنان، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم الطبعة الأولى - ربيع الثاني ١٤٢٣ هـ، المطبعة: ستارة - قم

٧- جامع المقاصد في شرح القواعد ، الشيخ علي بن الحسين الكركي (المحقق الثاني) ت ٩٤٠ هـ ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث _ قم ، ط ١ .

٨- الذريعة الى تصانيف الشيعة، العلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني، ط ٢، دار الأضواء، بيروت

٩- عدد المخرجين لقتال الحسين (عليه السلام) ، السيد حسن الصدر، تحقيق: حسين آل وتوت ، الناشر : مؤسسة وارث الانبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية ، ط ١

١٠- فهرس وسائل الشيعة، لمحمد بن الحسن الحر العاملي، (١٠٣٣-١١٠٤) هـ تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم ١٤١٤ هـ.

١١- كشف الظنون عن خيانة المأمون ، السيد حسن الصدر ، تحقيق : مهدي الرجاني.

١٢- كشف اللثام عن قواعد الاحكام /تأليف بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني ت ١١٣٧ هـ، منشورات مكتبة اية الله العظمى المرعشي /قم- إيران.

١٣- المسلسلات في الاجازات ، شهاب الدين المرعشي النجفي ، محمود المرعشي ، الناشر : مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي - قم .

١٤- مسالك الافهام الى تنقيح شرائع الإسلام /تأليف زين الدين بن علي العاملي (قدس سره) تحقيق ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية ، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩ هـ، مطبعة عترة - قم .

١٥- مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الاذهان/تأليف الشيخ احمد بن محمد الاربيلي [المقدس الاردبيلي]، تحقيق: الشيخ مجتبى العراقي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم (ب-ط).

١٦- مصابيح الايمان في معرفة حقوق الاخوان ، السيد حسن الصدر، تحقيق: هادي الشيخ طه ، الناشر : دار البدر .

١٧- نزهة اهل الحرمين في عمارة المشهدين ، السيد حسن الصدر ، تحقيق مهدي الرجاني .

١٨- النهاية في مجرد الفقه والفتوى / لشيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥-٤٦٠ هـ) قم .

١٩- وفيات الاعلام ، السيد حسن الصدر ، دراسة وتحقيق ، ثامر كاظم الخفاجي ، الناشر : الغدير للطباعة والنشر ، ط ١.

التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُطْلَقِ فَيَكُونُ انْعِقَادُهُ لِعُمُومِ أُدْلِيَةِ الْوَقْفِ بِالْإِذْرِ مُضَافًا إِلَى الشُّهُرَةِ الْمُحَقَّقَةِ بَلْ ، رُجْمًا يَسْتَظْهِرُ مِنْ بَعْضِ الْعِبَائِرِ الْإِجْمَاعَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا النَّذْرِ ، هَذَا مَعَ أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ عَدَمَ نُهْوِ الْأُدْلِيَةِ عَلَى مَسَاوَةِ الْمُطْلَقِ لِلْقَرِيضَةِ ، وَإِنْ أَقْتَى بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَجَلَةِ فَلَاخْتِيَاظَ لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ فِي الْجَمِيعِ .
وَأَلَّهِ الْهَادِي.

فهرست الكتب الواردة في متن المسألة

رقم الصفحة	اسم الكتاب	ت
١٢	تذكرة الفقهاء	١
١٩	جامع المقاصد في شرح القواعد	٢
١٣	كشف اللثام عن قواعد الاحكام	٣
١٩	مسالك الافهام الى تنقيح شرائع الإسلام	٤
١٢، ١٦، ٢٠	النهاية في مجرد الفقه والفتوى	٥

فهرس الاعلام الواردة في متن المسألة

رقم الصفحة	الاعلام	ت
١٢	ابن المطهر الحلي : الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٦٤٨-٧٢٦ هـ) المعروف بالعلامة الحلي .	١
١٣	أبو الفضل :بهاء الدين محمد بن الحسين بن محمد الاصفهاني (١٠٦٢-١١٣٧ هـ) المعروف بالفاضل الهندي (قدس سره) .	٢
١٩	علي بن الحسين بن علي الكركي العاملي (٩٤٠ هـ)	٣
١٧	الميرزا مجدد الدين (قدس سره) السيد محمد حسن الحسيني الشيرازي (١٢٣٠-١٣١٢ هـ)	٤

المصادر والمراجع

١- اعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١ هـ)، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات (ب. ط)، بيروت -لبنان، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م.

٢- الاثار العلمية للسيد حسن الصدر، (بحث منشور) ، ثامر كاظم الخفاجي .

٣- الانتخاب القريب من التقريب ، السيد حسن الصدر ، دراسة وتحقيق : ثامر كاظم الخفاجي ، الناشر ، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي ، ط ١.

٤- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ، السيد حسن الصدر ، شبكة كتب

الحوارية في القرآن الكريم

م. هدى سليم رسول
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

المستخلص:

تدل كلمة الحوار والحوارية على التفاهم والتفاوض والتجانس. والحوار هو لغة الإسلام، وقد قضى الله سبحانه أن تكون علاقته بمخلوقاته قائمة على أساس الحوار وليس على أساس القهر والإكراه، وأن القرآن الكريم وهو دستور المسلمين قد وجهنا إلى أن الحوار هو الأسلوب الذي يجب على المسلمين إتباعه عند بحث القضايا والمشكلات. وقد استعمل القرآن الكريم منهج الحوار ليعلمنا استعماله في جميع مجالات حياتنا، من أجل الوصول إلى الحق بقناعة عقلية، وارتياح نفسي؛ لكي يعيش المجتمع الإنساني في إخاء وتواصل، وأمن وأمان، وحب وسلام

Abstract:

Dialogue signify understanding, negotiation and homogeneity. Dialogue is the language of Islam, and Allah Almighty has ruled that his relationship with his creatures should be based on dialogue and not on the basis of coercion. The Koran used the dialogue method to teach us to use it in all areas of our lives, in order to reach the right with mental conviction, and psychological satisfaction, For the human community to live in brotherhood and communication, security and safety, love and peace.

المقدمة:

الحمد لله والحمد حقّه كما يستحقّه حمداً كثيراً دائماً لا تحصى له الخلائق عدداً، وصلاته وسلامه على خير خلقه أحمداً، وعلى آله الغر الميامين صلاةً وسلاماً دائماً سرمداً

أما بعد:

الحوار: هو النقاش، وجدال. والحوارية: مصدر صناعي من حوار: وهو حالة من التناغم والتلاؤم بين الأشياء، وإمكانية تبادل الآراء والأفكار.

وكلمة الحوار كلمة جميلة رقيقة، تدل على التفاهم والتفاوض

والتجانس، وإذا رجعنا إلى كتب اللغة العربية ومعاجمها فإننا نجد فيها مصطلحات تتفق في جانب من مفاهيمها ومعانيها مع مصطلح الحوار. إن من أبرز الأساليب الحكيمة والبليغة التي استعملها القرآن الكريم، في إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى، وعلى صدق الرسل الكرام (عليهم السلام) فيما يبلغون عن ربهم عز وجل أسلوب الحوار من أجل الوصول إلى الحق عن اقتناع عقلي، وارتياح نفسي، ويجعل صاحبه يعيش حياته وهو ثابت على ما آمن به ثباتاً لا ينزعه ريب، ولا يخالطه شك. وقد استعمل القرآن الكريم أقوى البراهين في حوارهِ للوصول إلى معرفة الحق.

وإن كثيراً من المشاكل والصدامات الدامية التي تدفع البشرية ثمنها كان ممكناً أن تتجنب أصلاً أو يخفف أثرها أو تقلّ سلبياتها لو لجئ إلى الحوار، واستنفذت أغراضه ووسائله. إن الحوار هو لغة الإسلام وقد قضى الله سبحانه أن تكون علاقته بمخلوقاته قائمة على أساس الحوار الإقناعي وليس على أساس القهر والإكراه، وأن القرآن الكريم وهو دستور المسلمين، ومصدر عقيدتهم وشريعتهم قد وجهنا إلى أن الحوار هو الأسلوب الذي يجب على المسلمين إتباعه عند بحث القضايا والمشكلات. ومن مستلزمات الحوار الاعتراف بالآخر وبحقه في الوجود وبحقه في التعبير عن رأيه وبحقه في الاختلاف مع الآخر.

والحوار والحوارية يمكن أن يقعا بين مختلف مكونات المجتمع المدني وتوجهاته الاجتماعية والسياسية، ومنها تنزل إلى مستوى الأسرة، فيرى أثرهما فيما بين الزوج والزوجة وما بين الزوجين والأولاد. فهما ممر استراتيجي لحل الأزمات الكبيرة والصغيرة.

وقد استعمل القرآن الكريم منهج الحوار ليعلمنا استعماله في جميع مجالات حياتنا، من أجل الوصول إلى الحق بقناعة عقلية، وارتياح نفسي، واطمئنان وجداني، لكي يعيش المجتمع الإنساني في إخاء وتواصل، وأمن وأمان، وحب وسلام.

يُعد هذا موضوع من الموضوعات الهامة التي تدور أساساً على الإيمان بالله ورسله، وعلى وحدانيته، وأحقّيته بالعبادة دون غيره، والإيمان بالبعث والجزاء، وهذه العناصر الثلاثة من أهم قضايا القرآن الكريم، ولهذا كانت موضع جدل وحوار. وإن القرآن الكريم وضع القواعد وأصل الأصول لحل جميع القضايا، ومن أهمها الحوار القائم على العقل لا على القوة كوسيلة إلى التعامل مع المخالفين، مع أن القرآن يعترف بها كعقوبة للمصرين على الباطل بعد وضوح الحق، وهي وسيلة



نهايته لإعادتهم إليه.

ختامًا إن كان لي من إضافة في هذا المجال، فهو جهد المقل الذي لا يكاد يذكر. وأدعو الله عز وجل أن أكون قد وفقت في جهدي العلمي المتواضع، ومنه العون والتوفيق.

المبحث الأول: مفهوم الحوار (لغة، واصطلاحًا):

أولًا: الحوار في اللغة:

اشتقاق لفظ (الحوار) في اللغة من مادة (حور) التي تحمل من الدلالات الكثير، وذكر علماء اللغة أنَّ له معاني متعددة تبعًا لتفعيلاتها الصرفية. فقد جاء فيما يأتي: «المحاورَة المجابوبة. والتحاوَر: التجاوب. ويقال: كلمته فما أحرار إلى جوابا، وما رجع إلى حويرة، ولا حويرة، ولا محورة، ولا حوارا. (بفتح الحاء وكسرها). أي ما رد جوابا» (١).

وورد أيضًا: «الحويرة كأمير والحوار بالفتح، ويكسر... كلمته فما رجع إلى حوارا، وحوارة، ومحورة، وحويرة، ومحورة. وإنه لضعيف الحوار، أي المحورة» (٢).

وأيضًا: «أن الحَوْر: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، يقال حَارَ إلى الشيء وعنه حَوْرًا ومَحَارًا ومَحَارَةً رجع عنه وإليه. وكل شيء تغير من حال إلى حال، فقد حَارَ يُحَوِّر حَوْرًا، قال لبيد:

وما المرء إلا كالشَّهَابِ وَضُوئِهِ

يَحْوِرُ رَمَادًا بعد إذ هو ساطِعٌ» (٣).

وورد أيضًا: «المحاورَة والحوار: المرادة في الكلام ومنه التحاور، و: حوارية: اسم مؤنث منسوب إلى حوار، مصدر صناعي من حوار: حالة من التناغم والتلاؤم بين الأشياء استمتع إمكانية تبادل الآراء والأفكار» (٤).

أذا الحوار في اللغة من الحَوْر: وهو الرجوع والتردد بين شيئين، والتحاوَر من التجاوب والمحاورَة، وحاوَرته: راجعته في الكلام، وكلمته فما رد على محورة، وما أحرار جوابًا: أي ما رجع. والمحاورَة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. وكلمة (الحوار) هي أوسع مدلولًا من كلمة الجدل، باعتبار تضمّن الجدل معنى الصراع (٥)، بينما نجد الحوار يتسع له ولغيره، مما يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب (٦).

ثانيًا: الحوار في الاصطلاح:

يمكن أن نحدد المعنى الاصطلاحي للحوار بأنه: «نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب» (٧).

وقيل: «هو مناقشة بين شخصين أو مجموعتين -أو أشخاص أو مجموعات- بقصد تصحيح الكلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي» (٨). يتضح في ضوء ما سبق أن الحوار أسلوب يجري بين جهتين، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الآخر في منطق وفكره قاصدًا بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره.

ومما لا شك فيه فإن كل واحد من المتحاورين في الحوار لا يقتصر على عرض الأفكار القديمة التي يؤمن بها وإنما يقوم بتوليد الأفكار في ذهنه، ويعتمد إلى توضيح المعاني المتولدة من خلال عرض الفكرة وتأطيرها وتقديمها بأسلوب علمي مقنع للآخر، بحيث يظل العقل واعيًا طوال فترة المحاورَة ليستطيع إصدار الحكم عليها، سلبًا أو إيجابًا (٩).

وبعد هذا العرض الذي قدمناه لمدلولات المصطلحات المتداخلة (الجدل، والمناظرة، والحوار)، يتضح لنا أن الحوار وإن كان مناوبة الحديث بين طرفين إلا أنه لا يشمل على الخصومة والمنازعة والمرء كما هو الجدل، وإنما هو أداة أسلوبية تستخدم لمعالجة موضوع من الموضوعات المتخصصة في حقل من حقول العلم والمعرفة أو جانب من جوانب الفكر والعقيدة، للوصول إلى حقيقة معينة بهذا الشكل من أشكال الأسلوب والمحادثة، وهو عملية تتضمن (عرضًا) من جهة، يتمثله (الآخر) ويجب عليه فيحدث (تجاوب) يولد عند كل منهما (مراجعة) لما عرضه (الآخر)، وهذه العملية هي التي يطلق عليها الحوار أو المحاورَة (١٠).

المبحث الثاني: أسلوب الحوار في القرآن الكريم:

أولًا: مفهوم الحوار في القرآن الكريم:

عُنِيَ القرآن الكريم عناية بالغة بالحوار، وذلك أمر لا غرابة فيه أبدًا، فالحوار هو الطريق الأمثل للإقناع، الذي ينبع من أعماق صاحبه، والاقتران هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يفرض وإنما ينبع من داخل الإنسان، وقدم لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار، منها ما دار بين إبراهيم (عليه السلام) وبين الرجل الذي آتاه الله الملك (١١)، وقصة موسى (عليه السلام) إذ طلب من ربه أن يسمح له برويته (١٢)، وقصة عيسى (عليه السلام) إذ سأله ربه عما إذا كان طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله تعالى (١٣)، وقصة أصحاب الجنتين (١٤)، وقصة قارون مع قومه (١٥)، وقصة داود (عليه السلام) مع الخصمين (١٥)، وقصة نوح (عليه

كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ (٢٥)، وهناك حوار يدور حول إثبات وجود الله جل شأنه ووحدانيته، وحول الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، وثواب وعقاب، وهناك حوار حول القرآن الكريم وإعجازه، ما ورد في القرآن الكريم من حوارات في موضوعات كثيرة (٢٦).

ثانيًا: أساليب الحوار في القرآن الكريم:

من أساليب الحوار في القرآن الكريم الأسلوب (الوصفي التصويري)، يعرض قصصا ومشاهد حوارية واقعية. بقصد تبسيط فكرة وتقريبها للمستمع من خلال الحوار الجاري، وحمله على تبني موقف صحيح (٢٧). ومثال ذلك حوار موسى (عليه السلام) مع فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالُوا لِمَنْ حَوْلُهُ أَلَّا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨).

ومن أساليب الحوار في القرآن الكريم الأسلوب (الحجاجي البرهاني) الذي يعتمد الحجة والبرهان لدحض ادعاءات المنكرين للتوحيد، والبعث بأسئلة تتوخى زعزعة تقاليدهم ومعتقداتهم الباطلة. وتهدف إلى توجيههم للنظر والتفكير في آيات الله من أجل بناء قناعات ومواقف صحيحة (٢٩). ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٠).

ثالثًا: أصول الحوار في القرآن الكريم:

هناك تداخلًا بينًا، وتقاربًا بين الأصول والآداب، فقد يكون في الأصول ما هو أدب يساعد في إنجاح الحوار (٣١). ومن أصول الحوار الهامة:

١. أن يراد بالحوار وجه الله تعالى، أي إظهار الحق والوصول إليه، وهذه الرغبة يجب أن تكون موجودة عند الطرفين لا أن تكون الغاية مجرد الغلبة والظهور. والمقصود في ذلك أن يكون الحوار بريئًا من التعصب، خالصًا لطلب الحق، خاليًا من العنف والانفعال، بعيدًا عما يفسد القلوب ويهيج النفوس (٣٢).

٢. العلم، لابد للمحاور أن يكون عالمًا بالمسألة التي يريد أن يحاور فيها، فلا يجوز للإنسان أن يدخل ساحة الحوار قبل أن يستكمل أدواته العلمية والعقلية. فموضوع الحوار والعلم بتفاصيله، والتسلح بالحجج والبراهين المؤيدة له سلاح فعال

(السلام) مع قومه (١٦)، وقصة ابني آدم (١٧)، وقصة موسى (عليه السلام) مع العبد الصالح (١٨).

ومن اطلع على هذه النماذج وغيرها يتأكد له أن القرآن الكريم يعتمد اعتمادًا كبيرًا على أسلوب الحوار في توضيح المواقف، وجلاء الحقائق، وهداية العقل وتحريك الوجدان، والتدرج بالحجة احترامًا لكرامة الإنسان وإعلاء لشأن عقله الذي ينبغي أن يقتنع على بينة (١٩).

ويتسم أسلوب الحوار والجدال وعرض الآراء والمناقشة في القرآن الكريم باتساع دائرته وتعدد قضاياها، وشموله لما لا يحصى من الموضوعات. فهناك محاورات بين الخالق عظم قدرته وبين مخلوقاته من الرسل الكرام ومن الملائكة المقربين، بل ومن الشيطان الرجيم. وهناك حوار بين الرسل وأقوامهم، أو بين المؤمن والكافر (٢٠). وأشار القرآن الكريم إلى الحوار الذي دار بين الرجلين: رجل مؤمن، ورجل كافر في قوله تعالى:

﴿وَكَانَ لَهُ تَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا، وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا، لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٢١)، والحوار الدائر في هذا السياق بقصد تصحيح مفهوم وتصورات ومعتقدات خاطئة منشؤها إنكار البعث، والإيمان ببقاء القيم المادية وثباتها (٢٢).

أو الحوار بين الأخيار فيما بينهم، أو بين الأشرار فيما بينهم. وهناك حوار مع أهل الكتاب، أو مع المنافقين، أو مع المقلدين لسابقيهم في الباطل والضلال، أو مع السائلين للرسول (صل الله عليه وآله). وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَهُمْ (٢٣)، يوم أن تحاور عليه الصلاة والسلام مع المرأة الضعيفة المسكينة التي تشكو من زوجها، فسمع الله هذا الحوار. وهذا الحوار داخل في دائرة الفئة المؤمنة، وموضوع الحوار هنا مرتبط بالتشريعات والأحكام، وهذا يعني أن كل الموضوعات العقدية والتشريعية خاضعة للحوار. ونحن بحاجة إلى الحوار؛ ليفهم بعضنا بعضًا، نحاور بعضنا بعضًا، ونتحاور مع الآخرين، فنتحاور مع أبنائنا: وذكر الله سبحانه وتعالى عن لسان لقمان عليه السلام، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (٢٤)، ونتحاور مع أهل الكتاب ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى

فلا يدر حقًا، بل عليه أن يبدي إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة والمعلومات الجديدة التي يوردها محاوره، وهذا الإنصاف له أثر عظيم في قبول الحق، كما تضيء على المحاور روح الموضوعية، والتعصب وعدم قبول الحق من الصفات الذميمة في كتاب الله، فإن الله أمرنا بالإنصاف حتى مع الأعداء فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٤٠).
٥. الحلم والصبر، فالمحاور يجب أن يكون حليماً صبوراً، فلا يغضب لأتفه سبب، فإن ذلك يؤدي إلى النفرة منه، والابتعاد عنه، والغضب لا يوصل إلى إقناع الخصم وهدايته، وإنما يكون ذلك بالحلم والصبر، والحلم من صفات المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤١)، ومن أعلى مراتب الصبر مقابلة الإساءة بالإحسان، فإن ذلك له أثر عظيم على المحاور، وكثير من الذين اهتموا لم يهتموا لعلم المحاور واستخدامه أساليب الجدل، وإنما لأدبه وحسن خلقه واحتماله للأذى، ومقابلته بالإحسان (٤٢).

٦. الحوار الإيجابي الصحي هو الحوار الموضوعي الذي يرى الحسنات والسلبيات في ذات الوقت، ويرى العقبات ويرى أيضاً إمكانيات التغلب عليها، وهو حوار صادق عميق وواضح الكلمات ومدلولاتها وهو الحوار المتكافئ الذي يعطى لكل الطرفين فرصة التعبير والإبداع الحقيقي ويحترم الرأي الآخر ويعرف حتمية الخلاف في الرأي بين البشر وآداب الخلاف وتقبله (٤٣).

المبحث الثالث: محاور الحوار في القرآن الكريم:

من أبرز محاور الحوار في القرآن الكريم:

أولاً: حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة:

إن أول من بدأ الحوار في إطار القرآن الكريم هم الملائكة (عليهم السلام)، وبدأ هذا الحوار في اللحظة التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل في الأرض خليفة، فأراد أن يخلق الإنسان لكي تناط به هذه المهمة الصعبة، فقال سبحانه:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ

في يد المحاور الناجح، يمكنه من الوقوف على أرض ثابتة، وليس رمال متحركة (٣٣).

٣. أن يكون هناك تكافؤ بين المتحاورين، أي أن يكونا متقاربين من الناحية العلمية والثقافية، وفي العقل والفهم، وإلا فإن الغلبة ستكون للجاهل (٣٤).

٤. تحديد موضوع الحوار ونقطة الاختلاف، فقد يختلف المتحاوران في مسائل عديدة، وليس على مسألة واحدة، ثم يحدث الحوار في مسألة أخرى، بدون أن يتفق على المسألة الأولى، فيتشعب الحوار ويطول في أمر فرعية بعيدة عن موضوع المحاور، ولهذا يكون الحوار عائماً لا زمام له، سائلاً لا ينتهي إلى نتيجة (٣٥).

٥. قطعية النتائج ونسبيتها، من المهم أن نعرف في هذا الأصل إدراك أن الرأي الفكري نسبي الدلالة على الصواب أو الخطأ، وما عدا ذلك فيندرج تحت المشهورة: (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب). وبناءً عليه فليس شرط التنازع الناجح أن ينتهي أحد الطرفين إلى قول الآخر، فإن تحقق هذا واتفقا على رأي فنعم المقصود، وهو منتهى الغاية، وإن لم يكن فالحوار ناجح (٣٦).

رابعاً: آداب الحوار في القرآن الكريم:

أهتم الإسلام بالحوار اهتماماً كبيراً، وذلك لأن الإسلام يرى بأن الطبيعة الإنسانية ميالة بطبعها وفطرتها إلى الحوار، ويدعو الإسلام إلى الالتزام بالآداب المرعية على من يريد المشاركة في أي حوار؛ لينجح بحول الله تعالى في تحقيق الأهداف المطلوبة، ومن آداب الحوار:

١. المحاورة بالحسنى، إن من أهم ما يتوجه إليه المحاور في حواراته التزام الحسنى في القول، والمجادلة، ففي محكم التنزيل يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣٧).

٢. التواضع بالقول والفعل، فيجب تجنب ما يدل على العجب والغرور والكبرياء، ومن التواضع في الحوار ترك استخدام الألفاظ الدالة على التعالي والكبر كأن يقول: نرى كذا، وعندي كذا، وأنا، وقلت، ونحو هذه الألفاظ (٣٨).

٣. حسن الاستماع، إن كثيراً من الناس يخفقون في تبرك أثر طيب في نفوس من يقابلونهم لأول مرة، لأنهم لا يصغون إليهم باهتمام، إنهم يحصرون همهم فيما يقولونه لمستمعهم، فإن تكلم المستمع لم يلقوا له بالاً، علماً بأن أكثر الناس يفضلون المستمع الجيد على المتكلم الجيد (٣٩).

٤. العدل والإنصاف، يجب على المحاور أن يكون منصفاً،



وَإِذَا تُنْذِرُهُمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا انْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥١﴾.

استعمل القرآن الكريم في ردِّهم حجة العناية والاختراع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾.

ولقد وجه الله سبحانه وتعالى أنظارهم إلى أجزاء هذا الكون لكي يفهموا عظمة خالق الكون من خلاله. وأمَّا الآيات الدالة على الاختراع والعناية فهي كثيرة. وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٣﴾.

رابعًا: حوار الله سبحانه وتعالى مع الأنبياء:

إن من أبرز محاور الحوار التي تحدَّث عنها القرآن الكريم وفصل في ذكرها، إيجازًا وإطنابًا إجمالًا وتفصيلًا في العديد من سوره، هو ما وقع بين الأنبياء وأقوامهم من حوار ومناقشات في مواضيع تتعلق بالعقيدة تصحيحًا وترسيخًا، ونشرًا لها بعد ذلك، لأنه لا يمكن إرجاع الناس إلى جادة الصواب وعبادة الله ونبد الشرك عنه إلا بالتنبيه والإقناع الذين يقتضيان الحوار (٥٤).

ونقصد هنا، حوار الأنبياء والرسل الذين كان الله يرسلهم لأقوامهم، سواء كان معهم كتاب سماوي، أو بعض الصحف والألواح، وأذكر بهذا الصدد نموذج حوار.

خامسًا: حوار الله سبحانه وتعالى مع العزيز (٥٥):

سجل القرآن هذا الحوار، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٦﴾.

سادسًا: حوار نوح (عليه السلام) مع ابنه (٥٧):

في هذا النموذج سنعرض مرحلتين في الطريقة الحوارية، في المرحلة الأولى (بين المرحلة الثانية)، كان الحوار بين نوح (عليه السلام) مع ابنه، حيث قال الله سبحانه: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَكَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا

الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٤٤﴾.

سؤال الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ هو تعجبهم من أن يكون خليفة الله في أرضه عاص ومفسد ومسفك للدماء، واستبعادهم من أن حكمة الله تقتضي ذلك (٤٥)، ولا تعد همزة الاستفهام للإنكار بل يراد بها استكشاف عن الحكمة الخفية وعما يزيل الشبهة (٤٦).

﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ هو جواب لسؤالهم، أي أعلم ما في البشر من صفات الصلاح ومن صفات الفساد، وأعلم أن صلاحه يحصل منه المقصد من تعمير الأرض وأن فساده لا يأتي على المقصد بالإبطال، وأن في ذلك مصالح عظيمة ومظاهر لتفاوت البشر في المراتب وكان قول الله تعالى هذا إنهاءً للمحاورة وإجمالاً للحجة على الملائكة بأن سعة علم الله تحيط بما لم يحيط به علمهم (٤٧).

ثانيًا: حوار الله سبحانه وتعالى مع إبليس:

يُعدُّ هذا النموذج من أخطر النماذج الحوارية في القرآن الكريم، حيث أن هذا النموذج والذي يمثل فيه سبحانه وتعالى الحق المطلق والخير المطلق فيحاور رمز الشر المطلق والباطل المطلق؛ ألا وهو إبليس عليه لعنة الله وكان الله سبحانه أراد أن يضع لنا فلسفة مهمة، تقضي إلى إمكانية الحوار، ولو كان الحوار مع أشد الأعداء وأفظعهم (٤٨)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ. قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ. قَالَ فَانْظُرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. قَالَ فِيمَا أَعُوذْتُ لَأَفْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَا تَبْقَى لَهُمْ مَنَافِعُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ. قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾.

ثالثًا: حوار الله مع الدهريين (٥٠):

هذا الحوار جرى بين الله سبحانه وتعالى وبين الملاحدة الذين يعتقدون بأن الكون يسير بلا إله، يقول القرآن مظهرًا عقيدة هؤلاء: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا مَمُوتٌ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ

من الله.

٢. في حوارهِ مع آزر حينما قال له: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (٦٦)، تهديد من الأب بالرجم والهجر الطويل فبم رد خليل الرحمن: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (٦٧)، إنه أدب الحوار، ورد نية الإساءة بالإحسان.

٣. في حوارهِ مع الملائكة مع جهله بحقيقتهم في بداية الأمر فقد ظنهم ضيوفاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (٦٨)، يبين أدب المعاملة وكرم الضيافة حتى مع الغرباء.

٤. في حوارهِ مع أبنائه عندما وُصَّاهم بالتمسك بالدين، في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٦٩)، ويظهر ما في لهجته مع أبنائه من تحبب وتقرب يدلان على أدب رفيع في الحوار مع الآخرين.

٥. في حوارهِ مع الكفار والنمرود الذي ادَّعى الألوهية وهو واحد منهم، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧٠).

وبعد فليس غريباً أن يقول الله سبحانه وتعالى في سيدنا إبراهيم (عليه السلام): ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧١).

• الخاتمة وعرض الاستنتاجات:

القرآن الكريم بشموليته لم يترك لنا باباً إلا وقد تناوله بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي حاج بها خصومه في صورة جليلة واضحة يدركها الداني والقاصي، الجاهل والمتعلم، العام والخاص، معطلاً كل شبهة، بأسلوب واضح وتركيب سليم لا يحتاج إلى إعمال الذهن في المسألة المطروحة، لأنه يذكر لنا الحقائق ويقررها بوضوح فيلمسها الإنسان بنفسه دون عناء.

والقرآن الكريم ما جاء في الحقيقة إلاً لهداية الناس لكي يحتكموا إلى الصوت والحق، وإلى أن ينتهوا ويسلكوا الطريق السوي الصحيح، ألا وهو طريق الحوار العقلي المجرد عن اتباع الهوى؛ لأنه أقرب طريق يوصل إلى الحق ويبعدهم عن طريق التعصب واستخدام القوة في تسوية الخلافات

بُنِيَ ارْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾

(٥٨). وقال عز وجل: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٥٩).

سابعاً: الحوار بين نوح (عليه السلام) وقومه (٦٠):

أخبرنا الله عز وجل أنه بعث نوحاً رسولاً إلى قومه، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٦١).

ونرى بأن حوارهِ صيغ بصياغة واضحة بالفاظ دقيقة ومحددة الدلالات، لأن الكلمات الفضفاضة والتعابير المطاطة تلقى بالناس في متاهات لا صلة لها بالواقع.

فلما دعا سيدنا نوح عليه السلام قومه إلى عبادة الله كان ردِّهم ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٦٢).

بعد أن سمعهم سيدنا نوح وتأمل في أدلتهم وما اشتملت عليه من شبهات، رد عليهم بأسلوب رقيق وجذاب بأدلة تُقنِّد مزاعمهم: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٣).

نرى بأن سيدنا نوح ردَّ على كل شبهة على حده، وحاول أن يرجعهم إلى الموضوع الرئيسي وهو عبادة الله.

ثامناً: حوار سيدنا إبراهيم (عليه السلام) مع قومه (٦٤):

أظهر سيدنا إبراهيم (عليه السلام) أسمى معاني الأدب في حوارهِ مع الآخرين، ويتضح ذلك من خلال ما يأتي:

١. في كلامهِ الموجه إلى رب العالمين والذي يظهر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ (٦٥)، أسند المرض إلى نفسه تأدباً في كلامهِ الموجه إلى الله. وأسند الشفاء إلى الله، وإنما المرض والشفاء كلاهما



العقائدية والاجتماعية.

كما إن القرآن الكريم وضع القواعد وأصل الأصول لحل جميع القضايا، ومن أهمها الحوار القائم على العقل لا على القوة كوسيلة إلى التعامل مع المخالفين، مع أن القرآن يعترف بها كعقوبة للمصرين على الباطل بعد وضوح الحق، وهي وسيلة نهايته لإعادتهم إليه.

وقد حكى لنا القرآن الكريم صوراً مختلفة للحوار، كحوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة والبشر وهو الجبار المنتقم ذو القوة المتين القادر على إنهاء الخلاف كما يجب وكما يريد، ولكنه سبحانه وتعالى حاورهم وتقبل منهم ما حاوروا فيه، وإن كان فيه ما يشبه الإنكار والاعتراض أحياناً على الله في ظاهر اللفظ.

كما اتخذ القرآن الكريم أسلوباً بعيداً عن التسلط، والعنف، أو التكفير في الحوار. ونحن نحتاج أن نعود إلى القرآن الكريم؛ لتتعلم منه كيف يكون الحوار، ولابتعادنا عنه وهجره أصبح كل منا يتهم الآخر، ومع كل حوار نقول: إن الاختلاف لا يفسد للود قضية - وهو فقط لا يفسد قضية الود بل يتعدها أحياناً ليصل إلى التهديد وما بعده.

وإن الدعوة أو الحوار والحوارية تكون بالحكمة والموعظة الحسنة بدون اتهامات أو تهديد أو تكفير ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مِمَّنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)، ثم يكون الاحتكام لله تعالى في النهاية.

وإن القرآن يستعرض الرأي الآخر، على الرغم من أنه باطل وضلال وخطأ، ولا يملك أي حظ من الصواب. فتجد في القرآن كلام الملحنين الذين ينكرون وجود الله، قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا مَمُوتٌ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الباقية: الآية ٢٤)، وكلام اليهود ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ (المائدة: الآية ٦٤)، وكلام النصارى ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ (المائدة: الآية ٧٣)، وكلام المنافقين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يس: الآية ٤٧).

كما يستحضر القرآن الكريم الرأي المقابل رغم فساد، دون أن يبتز كلامه ويشوّهه ويقطعه. فالقرآن الكريم يستحضر الآخر استحضاراً كاملاً يعطيه الفرصة الكاملة لكي يتم جملة مفيدة لكي يتم نصاً كاملاً ليتم فكرة واضحة بكل قوتها.

فعندما نقرأ في القرآن وينتقل الكلام من كلام الله بأسلوبه العالي الرفيع لا يحكي عن الآخر بلغة ركيكة وأداء رديء وبيان ضعيف، بل يجعل أداء الجمال البياني على الجميع فتجد تعبير القرآن الكريم عن الدهريين ويقول: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا مَمُوتٌ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الباقية: الآية ٢٤).

والأمر مسلم به أن القوة الذاتية في الحق حيث دار والضعف الذاتي في الباطل حيث صار ولهذا لا خوف من الحوار ولا إظهار كلام الخصم، بل في ذاته أكثر دفعا لإظهار الحق. فالحق قوي بما يأتي به من أدلة وما يعرضه من أفكار وقوي بتهافت الرأي الآخر.

وبعد الوقوف على بعض صور الحوارات القرآنية يتضح لنا أهم الاستنتاجات الآتية:

١- الحوار القرآني مع أصحاب الملل المختلفة يدفع كل مسلم صادق في إيمانه إلى أن يسلك سبيل القرآن في الدعوة بكل الوسائل الخطابية والجدلية والبرهانية.

٢- الإسلام هو دين الحوار ولكنه الحوار المتكافئ القائم على إرادة الفهم، وإرادة العلم، وإرادة التعايش بعيداً عن مختلف الإكراهات السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية.

٣- إن حوارات القرآن الكريم كلها دروس وعبر، ومنها مناشدة المخالفين لبيان سر مخالفتهم حتى توضح لهم الطريق الذي حادوا عنه، وأول حوار مع إبليس عن سر رفضه الامتثال لأمر ربه جل وعلا للسجود لآدم عليه السلام وفيه دعوة للحوار مع المخالفين حتى وإن كانوا غير مسلمين.

الهوامش:

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١: ٢٦٩.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، بيروت: طبعة دار مكتبة الحياة، ١٣٠٦هـ: ١٦٢/٣.

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ج ٤، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ: ٢١٨/٤؛ ينظر أيضاً: الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم. دراسة دلالية بيانية، هالا سعيد محمد مقبل، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم-جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٠: ١٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين محمد (الراغب الأصفهاني)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، (د.ت):

١٣٥. (٣٣) ينظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام: ٢٠.
- (٣٤) أصول الحوار وآدابه في الإسلام: ٤٢.
- (٣٥) الحوار في القرآن: قواعده - أساليبه - معانيه: ٢٤.
- (٣٦) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية: ٦٤.
- (٣٧) ينظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام: ٢٣.
- (٣٨) الإسراء / الآية ٥٣.
- (٣٩) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية: ٦٥.
- (٤٠) ينظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام: ٢٥.
- (٤١) المائدة / الآية ٨.
- (٤٢) آل عمران / الآية ١٣٤.
- (٤٣) ينظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام: ٢٦.
- (٤٤) ينظر: الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية: ٦٧.
- (٤٥) البقرة: الآية ٣٠-٣٣.
- (٤٦) الكشف، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧ هـ: ١ / ١٢٩.
- (٤٧) روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ: ١ / ٣٥٢.
- (٤٨) في ظلال القرآن، سيد قطب، ط ٨، القاهرة: دار الشروق، ١٣٩٩ هـ: ١ / ٥٥.
- (٤٩) المصدر نفسه: ١ / ٥٦.
- (٥٠) الأعراف: الآية ١١-١٨.
- (٥١) ينظر: في ظلال القرآن: ١ / ٥٥-٥٦.
- (٥٢) الجاثية: الآية ٢٤-٢٥.
- (٥٣) البقرة: الآية ٢٢-٢١.
- (٥٤) النور: الآية ٤٥.
- (٥٥) المنطق الفطري في القرآن الكريم، محمود يعقوبي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٠: ٥.
- (٥٦) ينظر: في ظلال القرآن: ١ / ٩٧.
- (٥٧) البقرة: الآية ٢٥٩.
- (٥٨) ينظر: في ظلال القرآن: ١ / ٦٠.
- (٥٩) هود: الآية ٤٢-٤٥.
- (٦٠) هود: الآية ٤٦-٤٧.
- (٦١) ينظر: في ظلال القرآن: ١ / ٥٦-٥٧.
- (٦٢) الأعراف: الآية ٥٩.
- (٦٣) هود: الآية ٢٧.
- (٥) حوار بين المسلمين وأهل الكتاب في القرون الثلاثة الأولى، ريم الصيادي، رسالة الماجستير (غير منشورة)، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، ٢٠٠٣: ١٥.
- (٦) الحوار في القرآن: قواعده - أساليبه - معانيه، محمد حسين فضل الله، بيروت: دار الملاك، ٢٠٠١: ٥٢.
- (٧) فنون الحوار والإقناع، محمد راشد ديماس، الرياض: دار ابن حزم، ١٩٩٩: ١١. للتفاصيل عن الحوار اصطلاحاً ينظر: بنية اللغة الحوارية في روايات محمد فلاح، زاوي أحمد، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب-جامعة وهران، ٢٠١٤: ١٥-١٨.
- (٨) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد، جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٩٩٩: ٢١٢.
- (٩) الحوار ضوابطه المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، ط ١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٣ هـ: ١٧.
- (١٠) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد زمزمي، ط ١، مكة المكرمة: دار التربية والتراث، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤: ٢٢.
- (١١) ينظر: البقرة: الآية ٢٥٨-٢٥٩.
- (١٢) ينظر: الأعراف: الآية ١٤٣.
- (١٣) ينظر: المائدة: الآية ١١٦.
- (١٤) ينظر: الكهف: الآية ١٨.
- (١٥) ينظر: القصص: الآية ٧٦.
- (١٦) ينظر: ص / الآية ٢١.
- (١٧) ينظر: الأعراف: الآية ٥٩.
- (١٨) ينظر: المائدة: الآية ٢٧.
- (١٩) ينظر: الكهف: الآية ٦٥.
- (٢٠) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه: ٣٢.
- (٢١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣.
- (٢٢) الكهف: الآية ٣٧.
- (٢٣) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه: ٢٣.
- (٢٤) المجادلة: الآية ١.
- (٢٥) لقمان: الآية ١٣.
- (٢٦) آل عمران: الآية ٦٤.
- (٢٧) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه: ٢٤.
- (٢٨) ينظر: الحوار ضوابطه المنهجية وآدابه السلوكية: ١٨.
- (٢٩) الشعراء: الآية ٢٨-٢٣.
- (٣٠) ينظر: الحوار ضوابطه المنهجية وآدابه السلوكية: ٢٠.
- (٣١) الأنبياء: الآية ٦٧-٦٦.
- (٣٢) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه: ٥٦.

- (٦٤) هود: الآية ٣٠-٢٨.
- (٦٥) ينظر: في ظلال القرآن: ١/ ٢٩٧- ٢٩٨.
- (٦٦) الشعراء: الآية ٨٠-٧٩.
- (٦٧) مريم: الآية ٤٦.
- (٦٨) مريم: الآية ٤٧.
- (٦٩) هود: الآية ٦٩.
- (٧٠) البقرة: الآية ١٣٢.
- (٧١) البقرة: الآية ٢٥٨.
- (٧٢) النحل: الآية ١٢٠.
- قائمة المصادر والمراجع:
- القرآن الكريم.
١. أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، ط ١، الرياض: دار المنارة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤.
٢. بنية اللغة الحوارية في روايات محمد فلاح، زاوي أحمد، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب- جامعة وهران، ٢٠١٤.
٣. تاج العروس من جوهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ج ٣، بيروت: طبعة دار مكتبة الحياة، ١٣٠٦هـ.
٤. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد زمزمي، ط ١، مكة المكرمة: دار التربية والتراث، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤.
٥. الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، ط ١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٣هـ.
٦. حوار بين المسلمين وأهل الكتاب في القرون الثلاثة الأولى، رمة الصيادي، رسالة الماجستير (غير منشورة)، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، ٢٠٠٣.
٧. الحوار ضوابطه المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، ط ١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٣هـ.
٨. الحوار في القرآن: قواعده- أساليبه- معطياته، محمد حسين فضل الله، بيروت: دار الملاك، ٢٠٠١.
٩. الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم. دراسة دلالية بيانية، هالا سعيد محمد مقبل، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب والعلوم- جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٠.
١٠. روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، ج ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
١١. فنون الحوار والإقناع، محمد راشد ديماس، الرياض: دار ابن حزم، ١٩٩٩.
١٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ١، ط ٨، القاهرة: دار الشروق، ١٣٩٩هـ.
١٣. الكشف، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، ج ١، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ.
١٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ج ٤، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ.
١٥. معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد، جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٩٩٩.
١٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١.
١٧. معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد الغزالي. تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦١.
١٨. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين محمد (الراغب الأصفهاني)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، (د.ت).
١٩. المنطق الفطري في القرآن الكريم، محمود يعقوبي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٠.



التفسير بالمأثور
بين تفسيري حسن البيان في تفسير القرآن
للباليساني (ت1415هـ) وتقريب القرآن إلى الأذهان
للشيرازي (ت1422هـ)

أ.م.د. عقيل عباس ريكان
زهراء علي قحطان
كلية التربية الأساسية / الجامعة المستنصرية

ملخص البحث

في بحثنا الموسوم (التفسير بالمأثور بين تفسيري حسن البيان في تفسير القرآن للباليساني وتقريب القرآن إلى الالذهان للشيرازي) بيّنا فيه ما يأتي: مفهوم التفسير بالمأثور، وقسمناه على مبحثين، المبحث الأول تفسير القرآن بالقرآن والسنة، وجاء المبحث على مطلبين، المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن، أما المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة، وخصصنا المبحث الثاني لبيان تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وكان على مطلبين، المطلب الأول: تفسير القرآن بأقوال الصحابة، والمطلب الثاني: تفسير القرآن بأقوال التابعين.

Abstract:

In our research tagged (Tafsir according to the aforementioned between my interpretation of Hasan al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an by al-Baylisani and bringing the Qur'an to mind by al-Shirazi) we clarified the following: the concept of tafsir with the maxim, and we divided it into two sections. The Qur'an, and the second requirement: the interpretation of the Qur'an according to the Sunnah

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد ان محمد عبده ورسوله (صلى الله عليه واله وسلم)، وصحبه الابرار المنتجبين.

إنّ الدوافع من وراء كتابة هذا الموضوع، أهميه هذا العلم وما يتصل به وهو القرآن الكريم رغبتنا في التعرف على كبار المفسرين السيد محمد الشيرازي والشيخ محمد الباليساني، وأيضاً من أجل عمل موازنة منهجية بين تفسيري مهمين (حسن البيان للباليساني وتقريب القرآن للشيرازي) من جانب التفسير بالمأثور، ومعرفة مدى اعتماد المفسرين في تفسيريهما على المأثور، فقد قسمنا بحثنا هذا على مبحثين، المبحث

الأول تفسير القرآن بالقرآن والسنة، وجاء المبحث بمطلبين، المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن، أما المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة، وخصصنا المبحث الثاني لبيان تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وكان على مطلبين، المطلب الأول: تفسير القرآن بأقوال الصحابة، والمطلب الثاني: تفسير القرآن بأقوال التابعين.

وختاماً نسأله تعالى التوفيق الدائم لخدمة الدين، آملاً أن أكون قد وفّقنا في بحثنا هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن والسنة

هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة والتابعين بياناً لمراد الله تعالى من كتابه(١).

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن (المنهج القرآني)

تفسير القرآن بالقرآن، وهو الأساس عند المفسرين، فتفسير القرآن بالقرآن يبين مراد الله تعالى من قرآنه وذلك عن طريق مقابلة النص بالنص، والآية بالآية، ليُستدل على هذه بهذه، وهو أصح طرق تفسير القرآن الكريم، وكثيراً ما نجد العام بعد التأمل مخصّصاً بآية أو آيات، وكذلك نرى المطلق قد قيّد بآية أخرى(٢).

إنّ طريق الوصول إلى هذا النوع من التفسير، إمّا أن يكون طريقه النقل، ويطلق عليه (التفسير بالمأثور)، أو أن يكون طريقه الاستدلال، ويُطلق عليه (التفسير بالرأي).

فالتفسير الوارد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو من قبيل التفسير بالمأثور، أمّا ما عداه فيعدّ اجتهاداً يحتمل الخطأ والصواب، لأنّ التفسير القائم على الاجتهاد معرّض للخطأ، وقد تطرّق الشيرازي إلى ذلك النوع من التفسير في كتابه (التقريب) مثل تفسيره لقوله تعالى: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» (٣) أنه تفسير لـ (الصراط المستقيم) أي أنّ الصراط المستقيم أنعمت عليهم بهدايتهم من النبيين والأئمة والصالحين(٤).

اما العلامة الباليساني فيقول في كتابه (حسن البيان) في تفسير «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» (٥) «قال (صراطاً)، أي المنهج وطريقه الاشخاص يا الله، وقد ذكر الله تعالى هؤلاء الاشخاص، فقال تعالى «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا» (٦)، وظهر من هذا ان

الوارد عن المعصومين (عليهم السلام) في فهم معاني الآيات وكشف مضامينها، وباعتماده المطلق على ما ورد منهم (عليهم السلام) كان مسلماً لهم منقاداً إليهم فيما يقولون ويعملون ويهذبون وهذه سمة لا ينالها إلا الفائزون الناجحون والعاملون الصادقون، لأنهم (صلوات الله عليهم) باب الله الذي منه يؤتى وهم ورثة علمه وحبله المتين وصراطه المستقيم وعندهم جوامع الكلم والعلم (٢٦).

الباليساني لم يكن منهجه يختلف عن الشيرازي فقد كانا يميلا كثيراً إلى تفسير القرآن بالقرآن لذلك يلاحظ اكثارهما من ذكر الآيات القرآنية والمقارنة بينهما للوصول إلى حقيقة ما تفيدته الآيات.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة:

وهي المرتبة الثانية في التفسير ومنه جل جلاله الأمر الواضح بقوله تعالى: (مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (٢٧) وغيرها من الآيات .

فكما اشترك المفسران في أن القرآن مصدر للتشريع، فكذلك اشتركا في الاعتماد على السنة، في بيان القرآن الكريم وشرحه ومثال على ذلك تفسير النبي محمد (صلى الله عليه وآله) للقوة في قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (٢٨) بانها الرمي، فقد ورد عنه (صلى الله عليه وآله) انه تلا على المنبر قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...) ثم قال: (الا ان القوة الرمي، الا ان القوة الرمي، الا ان القوة الرمي) (٢٩) فمثلاً جاء في تفسير، قوله تعالى: (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (٣٠) يرى الشيرازي ان لوط لو تمكن ان استعين بقوة عشيرة أو ما أشبهها لدفعتمكم ومنعتكم، أو ألجا إلى ركن شديد يمنعني منكم (٣١).

وفي الحديث: ان جبرائيل قال: حين قال لوط ذلك: (لو يعلم آية قوة له؟) (٣٢).

كما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال: (رحم الله اخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد) (٣٣) .

وبالباليساني يقول في تفسيره (نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم اني شئتم وقدموا لأنفسكم) (٣٤) الكلام هنا عن من ذكر الله تعالى ونبيه الولد الصالح كما في الحديث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الانبياء يوم القيامة) (٣٥). (٣٦)

وكذلك ذكر الشيرازي في تفسيره لقوله تعالى: (ادع لنا ربك يبين لنا ماهي) (٣٧) قال لما بين الله سننها سالوا موسى عن

الاسلام هو منهج وطريقه النبيين والمرسلين جميعا ودلت على ذلك آيات كثيرة» (٧)

أما في قوله تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) (٨)

قال الشيرازي « فسرهما الله تعالى فالخاشعين

(هم الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (٩) الظن اما بمعنى اليقين او بمعنى الرجحان (١٠) .

اما الباليساني: قال (الا على الخاشعين) (١١)، قد فسر تعالى الخاشعين بقوله جل وعلا: (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (١٢) أي يؤمنون ويوقنون (١٣)

وكذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) قال الشيرازي « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) (١٤) وكان السبب في الخلق (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) اي خلقكم للتقوى والعبادة (١٥)، فسر تعالى هذا بقوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (١٦)

اما في قوله تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (١٧) قال الباليساني «ذكروا هذه الكلمات التي دعا بها ادم وزوجه كثيرا من الاقوال الا ان القرآن ينبذ كل هذه الاقوال الا قول وافق القرآن، حيث يذكر القرآن تلك الكلمات (١٨) بقوله تعالى: (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (١٩)

وكذلك قوله تعالى: (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا) (٢٠) قال الشيرازي « قد كان امرا تكوينيا (٢١)، نحو قوله تعالى: (فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) (٢٢) أما في قوله تعالى: « (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) (٢٣) قال الباليساني «سبب الامتناع بينه (٢٤) قوله تعالى: (قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (٢٥)

يميل الباليساني كثيراً إلى تفسير القرآن بالقرآن لذلك يلاحظ اكثاره من ذكر الآيات القرآنية والمقارنة بينها للوصول إلى الحقيقة ما تفيدته الآيات واذا لم يمكن ذلك يلجأ إلى السنة فيفسر القرآن بيها وارى أن التفسير بالمأثور أفضل أنواع التفسير وأكمله وأدقه لما له من خصوصية فهم القرآن في أصل معناه أو حدوده أو مصداقه الأكمل على ميزان أهل البيت (عليهم السلام) ورؤيتهم، وقد وجدته كثيراً في تفسير السيد الشيرازي (رحمه الله) إذ كان أكثر اعتماداً على النقل



صفتها ا تكون البقرة من العوامل او السوائم التي لا تعمل)
(٣٨)، جاء في الحديث عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) :
(انهم لما شددوا على انفسهم شدد الله عليهم)، ولو لم يستثنوا
ما بينت لهم إلى اخر الابد (٣٩) .

اما الباليساني فقد قال في تفسيره لقوله تعالى: (وليخش الذين
لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله
وليقيموا قولا سديدا) (٤٠) فالمعنى: ان يواسوهم بالمال والمقال
واعطائهم حقهم كما يحبون ان يفعل ذلك مع ذريتهم وهذه
اشاره إلى الحكم بقياس النفس والعمل (٤١) بقول الرسول
(صلى الله عليه وآله) (لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما
يحب لنفسه) (٤٢) وكذلك قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي
وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) (٤٣) قال الشيرازي
«وعبارة (لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ) يراد به الناس، لا حتى الانبياء
(عليهم السلام)، فان مثل هذا التعبير شائع (٤٤)، قال
الرسول (صلى الله عليه وآله) (ما اقلت الغبراء ولا اظلت
الخصراء على ذي لهجه، اصدق من ابي ذر) (٤٥)

اما قوله تعالى: (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ
تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٤٦)
قال الباليساني « لم تشتمل الآية الوسواس وحديث النفس
بالمعاصي فأنها مغفوة، لقوله (صلى الله عليه وآله) «ان الله
تجاوز عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به
(٤٧) ». فحديث النفس لا يعاقب به بالاتفاق (٤٨) .

اما قوله تعالى: (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ) (٤٩) قال الشيرازي نرى في
القرآن الحكيم القسم من الله سبحانه، بأصناف وانواع مختلفة
من الخلق، دلالة لعظمتها في انفسها، وان كان لا يصح لنا ان
نحلف الا باسمه الكريم (٥٠)، كما قال النبي (صلى الله عليه
وآله) : من كان حالفا، فليحلف بالله، او يسكت (٥١) .

وكذلك قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (٥٢) قال الباليساني «فنعتقد ان لهم حق
التشريع. حينما نزلت هذه الآية قال عدي بن حاتم وقد كان
نصرانيا قبل قال: اتيت النبي (صلى الله عليه وآله) مع
عنقي صليب من ذهب، قال: قلت: يا رسول الله، انهم لم
يكونوا يعبدونهم قال: اجل، ولكن يحلون لهم ما حرم الله،
فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما احل الله، فيحرمونه فتلك

عبادتهم لهم (٥٣) ، اي فالإطاعة في ذلك عبادتهم واتخاذهم
اربابا (٥٤)

ان الباليساني اورد كثيرا من الاحاديث مستدلا بها ومستشهدا
بها في شتى نقله، وقد قال الباليساني: اذا قيل ان الحكم
والتشريع لله وحده وليس لاحد ان يشرع فكيف نأخذ الحكم
من احاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد قال تعالى
(ان الحكم الا لله) (٥٥) ؟: قلنا نأخذ الحكم من رسول الله
(صلى الله عليه وآله) لا من حيث ذاته، بل من حيث ان
كلامه كلام الله تعالى ، وان حكمه حكم الله.

اما الشيرازي فقد استعان في الأحاديث النبوية الشريفة
لتفسير آيات القرآن الكريم وهذا دليل على التزامه بالتفسير
المأثور، فخير الهدي هدي سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)
ووظيفته البيان والشرح (٥٦) ومع اننا نقطع بعصمته وتوفيقه.
المبحث الثاني لبيان تفسير القرآن بأقوال الصحابة
والتابعين

المطلب الأول: تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

وهي المرتبة الثالثة بعد القرآن والسنة في بيان القرآن بما
صح ورودُه عن الصحابة (رضوان الله عليهم) ويعد تفسيرهم
من الحكم المرفوع اذ انهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا
وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معاني
الكتاب ولهم من الفصاحة والبيان وسلامة فطرتهم وصفاء
نفوسهم ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله وما يجعلهم
يوقنون بمراده من تنزيله وهده (٥٧)، وقول الصحابة إذا كان
باجتهاد أو استنباط قائم على أساس من الكتاب والسنة،
فإن ذلك من التفسير بالمأثور على وجه من الوجوه (٥٨) .

وقد اشار السيد الشيرازي إلى تفسير الصحابة (٥٩) ومن
ذلك تفسير لقوله تعالى: (قَدْ نَعَلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ
فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)

(٦٠)، يقول: روي عن الامام امير المؤمنين معنى للآية
« انهم لا يكذبونك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت
به من برهان » (٦١) .

اما الباليساني فقد ذكر في تفسير الصحابة لقوله تعالى:
(وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين) (٦٢) اثر عن
الامام علي (عليه السلام) (لا تكرهوا الفتن ان فيها حصاد
المنافقين) (٦٣) اي بلفظ «لا تستعينوا من الفتن فان فيها
حصاد المنافقين» وفي قوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا
يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ



أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِذَا نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ { (٦٤) يقول الشيرازي (٦٥) : قد روي ان رؤساء من مكة من قريش أتوا رسول الله فقالوا: يا محمد ان كنت رسولا فحول لنا جبال مكة ذهباً، أو ائتنا بملائكة يشهدون لك بالنبوة (٦٦) .

وفي التأويل ورد عن الامام الصادق (عليه السلام): (ان رسول الله قال لعلي اني سألت ربي أن يؤاخي بيني وبينك ففعل ان وسألت ربي ان يجعلك وصيي ففعل، فقال بعض القوم: ولله لصاع من تمر في شن بال أحب إلينا مما سأل محمد ربه، فهلا سأله ملكاً يعضده على عدوه أو كنزاً يستعين به على فاقتته (٦٧) .

اما الباليساني فقد ذكر في تفسيره لقوله تعالى: (ولتجزى كل نفس بما تسعى) (٦٨) يقول: هذا سر القدر فقد سال رجل عليا ابن ابي طالب (عليه السلام) عن القدر، فقال: طريق مظلم فلا تسلكه، اعاد السؤال، فقال: بحر عميق فلا تلجه، فأعاد السؤال، فقال: سر الله قد خفي عليك فلا تفشيه، هذا والله في خلقه شؤون والله عليم حكيم (٦٩).

وكذلك قوله تعالى: (وَلْيَتُوبُوا فِي كَغَفَاهُمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْدَاؤُا تِسْعًا) (٧٠) قال الشيرازي «(ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ) هذه المدة الطويلة بقو هناك احياء، نيام، بدون ان يصيبهم شيء (وَارْدَاؤُا) اي زاد بعض الناس على هذه المدة (تِسْعًا) اي تسع سنين، فقال: ان مدة لبثهم ثلاثمائة وتسع سنوات (٧١)، روي عن الامام علي (عليه السلام) انه قال في تفسير الآية، عند اهل الكتاب: انهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية، والله تعالى ذكر السنه القمرية، والتفاوت بينهما في كل مائه سنة ثلاث سنين، فيكون العدد ثلاثمائة وتسع سنين» (٧٢) .

اما قوله تعالى: (وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (٧٣) قال الباليساني «وقد وردت احاديث في الحث على بر الوالدين والنهي عن عقوقهما (٧٤)، منها عن ابي هريره (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول من احق الناس بحسن الصحبة؟ قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك (٥٧) .

وكذلك قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (٧٦) قال الشيرازي «فان الانسان وان ظن طول المدة في الدنيا وانه بعيد جزاؤه، لكن لا تمض الا مدة يسيره واذا به يرى نفسه امام الحساب (٧٧). قال امير المؤمنين (عليه

السلام) «فكأنهم لم يكونوا للدنيا عمارا وكان الآخرة لم تزل لهم دارا» (٧٨). اما الباليساني فقد ذكر في قوله تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (٧٩) ذكر انه روي عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول (صلى الله عليه وآله وسلم) اليه فحن الجذع فاته فمسح بيده عليه فسكن (٨٠). (٨١).

الشيرازي والباليساني عدوا ما ورد من اقوال عن الصحابة هو من قبيل المأثور الا ان الشيرازي و اقتصر في اكثر تفسيره على روايات اهل البيت (عليهم السلام) بينما الباليساني فانه ذكر اقوال اهل البيت وغيره.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بأقوال التابعين

هو المرتبة الأخيرة من التفسير، بعد الصحابة جاء التابعون الذين أخذوا علمهم عن الصحابة، وقد اشتهر منهم بالتفسير كثيرون، كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وعكرمة مولى ابن عباس، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب (٨٢) .

فإذا لم يُجَدُ التفسير في القرآن ولا في السنة ولا عند الصحابة فقد يرجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين (٨٣) .، وقد قال العلماء في التفسير المروي عنهم (رضوان الله عليهم) : أن التابعين إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم (٨٤) .

ومن أمثلته تفسير مجاهد لقوله تعالى: (وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ) (٨٥)، يقول: (لا تبدلوا الحرام من أموال اليتامى بالحلال من أموالكم) (٨٦) .

أما عن الشيرازي فهو لم يُعرف التفسير بالمأثور ولكنه أتمد عليه كثيراً في تفسيره فقد كان عنده القاعدة الأساسية التي ينطلق منها في التفسير وان الروايات التي ملئت تفسيره خير إثبات ودليل.

قوله تعالى: (يس) (٨٧) اسم للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما ورد عن الباقر (عليه السلام)، قال (ان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة اسماء في القرآن، محمد، واحمد، وعبد الله، ويس، ونون) (٨٨) . (٨٩)

اما الباليساني فقد ذكر في تفسير قوله تعالى: (وكان وعد ربي حق) (٩٠) قال: روى الامام احمد عن سفيان الثوري

يؤتى وهم ورثة علمه وحبله المتين وصراطه المستقيم وعندهم جوامع الكلم والعلم (١٠٤) كما ورد عن ابن عباس أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (أعطني الله خمساً وأعطي علياً خمساً: أعطني جوامع الكلم وأعطي علياً جوامع العلم) (١٠٥).

الخاتمة:

ان التفسير بالمأثور هو من اشرف انواع التفاسير واجلها فهو يشمل تفسير القرآن بالقرآن وبوجوده تبطل الحاجة إلى كلمة التفسير لان الله تعالى اعلم بمراد من كتابه ، فضلاً عن عدّه اصح طرق التفسير وقد وجدنا ان الباليساني لم يكن منهجه يختلف عن الشيرازي فقد كانا ميلا كثيرا إلى تفسير القرآن بالقرآن لذلك يلاحظ اكتارهما من ذكر الآيات القرآنية والمقارنة بينهما للوصول إلى حقيقة ما تفيدته الآيات، اما تفسير القرآن بالسنة وهي المرتبة الثانية في التفسير ومنه جل جلاله الأمر الواضح واتضح لنا ان الباليساني اورد كثيرا من الاحاديث مستدلا بها ومستشهدا بها في شتى نقله، وقد قال الباليساني: اذا قيل ان الحكم والتشريع لله وحده وليس لاحد ان يشرع فكيف نأخذ الحكم من احاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد قال تعالى (ان الحكم الا لله) (١٠٦) ؟: قلنا نأخذ الحكم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا من حيث ذاته، بل من حيث ان كلامه كلام الله تعالى ، وان حكمه حكم الله.

اما الشيرازي فقد استعان في الأحاديث النبوية الشريفة لتفسير آيات القرآن الكريم وهذا دليل على التزامه التفسير بالمأثور، فخير الهدى هدى سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ووظيفته البيان والشرح (١٠٧) ومع اننا نقطع بعصمته وتوفيقة، اما تفسير القرآن بأقوال الصحابة له المرتبة الثالثة بعد القرآن والسنة وهو بيان القرآن بما صح ورودّه عن الصحابة (رضوان الله عليهم) وتبين لنا في هذه المرتبة ان الشيرازي والباليساني عدوا ما ورد من اقوال الصحابة هو من قبيل المأثور الا ان الشيرازي اقتصر في اكثر تفسيره على روايات اهل البيت (عليهم السلام) بينما نجد الباليساني ذكر اقوال اهل البيت وغيرهم، اما تفسير القرآن بأقوال التابعين فهو المرتبة الأخيرة من التفسير، بعد الصحابة جاء التابعون، وجدنا ان الشيرازي كان أكثر اعتماداً على النقل الوارد عن المعصومين (عليهم السلام) في فهم معاني الآيات وكشف مضامينها، وباعتماده المطلق على ما ورد منهم (عليهم السلام) كان مسلماً لهم منقاداً إليهم فيما يقولون ويعملون ويهذبون وهذه سمة لا ينالها إلا الفائزون الناجحون والعاملون الصادقون، لأنهم (صلوات الله عليهم) باب الله الذي منه

عن عدوه عن زينب بنت جحش زوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت استيقظ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من نومه وهو محمر الوجه ويقول ويل للعرب من شر قد اقترب قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم اذا كثر الخبث .

اما قوله تعالى: (وَمَا أَكَلِ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ) (٩١) قال الشيرازي روي عن الباقرين (عليهم السلام) حيث قال «ان ادنى ما يدرك به الذكاة ان تدركه يتحرك اذنه او ذنبه او تطرف عينه (٩٢)» (٩٣)

وكذلك قوله تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (٩٥) قال الشيرازي « (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) اما اتى بالجمع العاقل لان السجود من صفات العقلاء (٩٦) روي عن الباقر (عليه السلام) في تأويل هذه الرؤيا: انه سيملك مصر يدخل عليه ابواه واخواته، اما الشمس فام يوسف راحيل، والقمر يعقوب، واما الاحد عشر كوكبا فأخواته. فلما دخلوا عليه سجدوا شكرا لله وحده حين نظروا اليه. وكذلك السجود لله تعالى (٩٧) .

وكذلك قوله تعالى: (كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٩٨) قال الشيرازي « (الرين) في الاصل بمعنى الغلبة، اي غلب عليها (ما كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الذنوب والآثام، حتى ان عصيانهم سبب تحجر قلوبهم، فلا يرون الحق الا باطلا، والآيات الا اساطير (٩٩) . قال الصادق (عليه السلام) : يصدا القلب، فاذا ذكرته بالله انجلي (١٠٠) .

وكذلك في قوله تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) (١٠١) قال الشيرازي « (كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) اذا وعد وفى، ولو طال المدة (١٠٢)، فقد ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) انه اما سمي صادق الوعد، لأنه وعد رجلا في مكان، فانتظره في ذلك المكان سنة، فسماه الله عز وجل صادق الوعد ثم ان الرجل اتاه بعد ذلك، فقال له اسماعيل ما زلت منتظرا لك» (١٠٣).

وقد كان الشيرازي أكثر اعتماداً على النقل الوارد عن المعصومين (عليهم السلام) في فهم معاني الآيات وكشف مضامينها، وباعتماده المطلق على ما ورد منهم (عليهم السلام) كان مسلماً لهم منقاداً إليهم فيما يقولون ويعملون ويهذبون وهذه سمة لا ينالها إلا الفائزون الناجحون والعاملون الصادقون، لأنهم (صلوات الله عليهم) باب الله الذي منه

- (٣٤) سورة البقرة: ٢٢٣
(٣٥) مسند احمد ١٥٨/٣ برقم ١٢٦٣٤. سنن البيهقي ٨١/٧ برقم ١٣٢٥٤
(٣٦) حسن البيان: ٤٦٥/٢
(٣٧) سورة البقرة: ٧١
(٣٨) تقريب القرآن: ١٤٢/١
(٣٩) مستدرک الوسائل: ٥٤/١٦، باب حكم الحلف على ترك الطبيات
(٤٠) سورة النساء: ٩
(٤١) حسن البيان: ٤٧٣/٢
(٤٢) صحيح البخاري: ١٤/١ برقم ١٣.
(٤٣) ص: ٣٥
(٤٤) تقريب القرآن: ٥٢٨/٤
(٤٥) بحار الانوار: ٤٢٦/٢٢
(٤٦) البقرة: ٢٨٤
(٤٧) الجامع الصحيح المختصر، محمد ابن اسماعيل ابو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة-بيروت، ط ٣، ١٤٠-١٩٨٧، تحقيق د. مصطفى ديب البغا استاذ الحديث وعلومه ي كليه الشريعة-جامعه دمشق، (٢٠٢٠/٥) برقم (٤٩٦٨).
(٤٨) حسن البيان: ٣٣٥/١
(٤٩) الصافات: ٤
(٥٠) تقريب القرآن: ٤٦٧/٤
(٥١) متشابه القرآن: ١٩٨/٢
(٥٢) ال عمران: ٦٤
(٥٣) السنن الكبرى، احمد بن الحسن بن علي بن موسى الخسروجري، ابو كر البيهقي(ت: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (١٩٨/١٠) برقم (٢٠٣٥٠)
(٥٤) حسن البيان: ٣٧٧/١
(٥٥) الانعام: ٥٧
(٥٦) مناهل العرفان، الزرقاني: ١٣/٢.
(٥٧) مناهل العرفان، الزرقاني: ١٣/٢، وينظر: منهج الامام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل احمد صقر، الناشر: الدار المصرية - القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م: ٦٦/١.
(٥٨) يُنظر: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، للدكتور محمد حسين الصغير: ٩٠.
(٥٩) تقريب القرآن: ٦٢/٢.
(٦٠) سورة الانعام: ٣٣
(٦١) بحار الانوار: ٨٦/٩.
(٦٢) سورة ال عمران: ١٤١
(٦٣) حسن البيان: ٤٢٥/١
(٦٤) سورة هود: ١٢
(٦٥) تقريب القرآن، الشيرازي: ٥٨٠/٢ - ٥٨١.
(٦٦) بحار الانوار: ١٣/٩.
(٦٧) الكافي: ٣٧٨/٨.
(٦٨) طه: ١٥
(٦٩) حسن البيان: ٣٠٩/١

السلام) كان مسلماً لهم منقاداً إليهم فيما يقولون ويعملون ويهذبون وهذه سمّة لا ينالها إلا الفائزون الناجحون والعاملون الصادقون، اما الباليساني فلم اجد ان تطرق إلى التابعين في تفسيره فقد كان اكثر اعتماده على المنهج القرآني في تفسيره وعلى السنة النبوية .

الهوامش

- (١) مناهل العرفان، الزرقاني: ١٢/٢؛ وينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م: ٨٦/١.
(٢) وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ١ / ٧، والمبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، للدكتور محمد حسين الصغير: ٨.
(٣) سورة الفاتحة: ٦-٧
(٤) تقريب القرآن: ١٠١/١.
(٥) سورة الفاتحة: ٦-٧
(٦) سورة النساء: ٩٦
(٧) حسن البيان: ٥٣/١
(٨) البقرة: ٤٥
(٩) البقرة: ٤٦
(١٠) تقريب القرآن: ١٢٨/١
(١١) البقرة: ٤٥
(١٢) البقرة: ٤٦
(١٣) حسن البيان: ١١٥/١
(١٤) البقرة: ٢٢
(١٥) تقريب القرآن: ١١٢/١
(١٦) الذاريات: ٥٧
(١٧) البقرة: ٣٧
(١٨) حسن البيان: ١٠١/١
(١٩) الاعراف: ٢٣
(٢٠) الانبياء: ٦٩
(٢١) تقريب القرآن: ٥٥٦/٣
(٢٢) البقرة: ٦٥
(٢٣) الكهف: ٥٠
(٢٤) حسن البيان: ١٠٥/١
(٢٥) الاعراف: ١٢
(٢٦) ينظر: تقريب القرآن: ٥٦/١، مقدمة فاضل الصفار .
(٢٧) سورة الحشر: ٧.
(٢٨) سورة الانفال: ٦٠.
(٢٩) صحيح مسلم، مسلمة بن الحجاج النيسابوري: ٥٢/٦ برقم (٤٩٨٤)، كتاب الجهاد، باب (الا ان القوة الرمي).
(٣٠) سورة هود: ٨٠.
(٣١) تقريب القرآن، الشيرازي: ٦٣٤/٢.
(٣٢) الكافي: ٥٤٦.
(٣٣) مسند الامام احمد بن حنبل: ٧٥/١٤ برقم (٨٣٢٩).

- المجلسي (ت ١٠٣٧هـ)، دار احياء العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.
٤. تفسير مجاهد، ابو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام ابو النيل، الناشر: دار الفكر الاسلامي الحديثة، مصر، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
٥. تقريب القرآن إلى الأذهان، السيد محمد الحسيني الشيرازي (ت : ١٤٢٢هـ)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
٦. الجامع الصحيح المختصر، محمد ابن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة-بيروت، ط ٣، ١٤٠-١٩٨٧، تحقيق د. مصطفى ديب البغا.
٧. حسن البيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد طه الباليساني، (ت ١٩٩٥/١٤١٥م)، جمع وتحقيق ومراجعته الدكتور احمد بن محمد الشيخ الباليساني والدكتور حسين بن محمد الشيخ الباليساني، ط ١، بيروت-لبنان، ٢٠١٢م.
٨. السنن الكبرى، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٩. شرح أصول الكافي، لمحمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
١٠. شرح نهج البلاغة، لأبي ابي الحديد، دار الكتاب العربي، بغداد-العراق، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
١١. صحيح مسلم، مسلمة بن الحجاج النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
١٢. مباحث في علم التفسير، د. عبد الستار حامد، بغداد، ١٤١١هـ/١٩٩٠
١٣. المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق للدكتور محمد حسين علي الصغير.
١٤. متشابه القرآن ومختلفه، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت: ٥٨٨هـ)، الناشر: مكتبة البوذرجمهري - طهران، د. ط، ١٣٢٨هـ.
١٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ)، دار المرتضى، بيروت-لبنان، ١٤٣٠هـ.
١٦. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، للميرزا حسين النوري المعروف بـ المحدث النوري (ت ١٣٣٠هـ)، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم-إيران.
١٧. مسند الامام احمد بن حنبل، احمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الارنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، دار السلام للطباعة والنشر.
١٩. منهج الامام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل احمد صقر، الناشر: الدار المصرية - القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- (٧٠) الكهف: ٢٥
 - (٧١) تقريب القرآن: ٣/٣٧٦
 - (٧٢) مجمع البيان: ٦/٣٣٤
 - (٧٣) الاسراء: ٢٤
 - (٧٤) حسن البيان: ٤/١٤٦٨
 - (٧٥) صحيح مسلم ١٩٧٤/١ برقم ١٥١٠.
 - (٧٦) المائدة: ٤.
 - (٧٧) تقريب القرآن: ١/٦٠٦
 - (٧٨) نهج البلاغة: خطبه ١٨٦، ص ٣٨٥
 - (٧٩) الاسراء: ٤٤
 - (٨٠) صحيح البخاري: ٣/١٣١٣ برقم ٣٣٨٦
 - (٨١) حسن البيان: ٤١٤٧٦
 - (٨٢) يُنظر: مباحث في علم التفسير، للدكتور عبد الستار حامد: ٧٩ وما بعدها.
 - (٨٣) سورة النساء: ٢.
 - (٨٤) تفسير مجاهد، ابو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام ابو النيل، الناشر: دار الفكر الاسلامي الحديثة، مصر، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ٢٦٥/١.
 - (٨٥) يس: ١
 - (٨٦) تقريب القرآن: ٤/٤٣١
 - (٨٧) بحار الانوار: ١٦/٩٦
 - (٨٨) سورة الكهف: ٩٨
 - (٨٩) صحيح البخاري ١٢٢١/٣ الحديث رقم ٣١٦٨، صحيح مسلم ٢٢٠٨/٤ الحديث رقم ٢٨٨٠
 - (٩٠) المائدة: ٣
 - (٩١) بحار الانوار: ٦٢/١٠٧
 - (٩٢) تقريب القرآن: ١/١٠٦
 - (٩٣) يوسف: ٥
 - (٩٤) تقريب القرآن: ٢/٦٦٢
 - (٩٥) بحار الانوار: ١٦/٤٠٢
 - (٩٦) المطففين: ١٤
 - (٩٧) تقريب القرآن: ٥/٦٣٦
 - (٩٨) مجمع البيان: ١٠/٢٩٣
 - (٩٩) حسن البيان: ١/٣٠٩
 - (١٠٠) مريم: ٥٤
 - (١٠١) تقريب القرآن: ٣/٤٤٨
 - (١٠٢) الكافي: ٢/١٠٥
 - (١٠٣) ينظر: تقريب القرآن: ١/٥٦، مقدمة فاضل الصفار.
 - (١٠٤) بحار الأنوار: ٨/٢٨ رقم الحديث (٣١).
- المصادر والمراجع**
- بعد القرآن الكريم
١. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
 ٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للشيخ محمد باقر

**سياسة خلفاء بيت العباس تجاه الإمام موسى
الكاظم (عليه السلام) (ت ١٨٣هـ-٧٩٩م)**

م.م. سمر قاسم محمد

كلية الامام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الاسلامية الجامعة

able, with his knowledge, religion, and intellect, to reach the highest levels of human perfection that the world was forced to look at.

This research falls under the title: The Policy of the Caliphs of the House of Abbas towards Imam Musa al-Kadhim (peace be upon him). It consists of the introduction, and three chapters. The first chapter explains his lineage, birth and upbringing, while the second chapter explains his scientific and political life, and the third chapter sheds light on the life of the Imam. Musa Al-Kadhim (peace be upon him) during the era of the Abbasid caliphs Al-Mahdi and Al-Hadi, his arrest, imprisonment and death, and the research ends with a conclusion and a set of specific and summarized results.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي صلى الله عليه واله وسلم، في البداية أود أن أوضح أن الشروع في البحث لا يتوقف على رغبة الباحث في دراسة الموضوع الذي يختاره فحسب بل يجب اتباع الشروط العلمية عند اختيار هذا الموضوع وأن يستفيد منه القراء، وقد تناولت في هذا البحث المتواضع حياة الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) ويتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة مصادر ومراجع، وقد تناول المبحث الأول نسبه الشريف، وولادته، ونشأته.

أما المبحث الثاني فقد تحدثت فيه عن حياته العلمية، وحياته السياسية، وفي المبحث الثالث والأخير ألقى الضوء على اعتقاله وسجنه، ووفاته، وبعض وصاياه، ثم ذكرت بعض الأقوال التي ذكرت عن الإمام الكاظم (عليه السلام) ولا أريد الإسهاب والإطالة في الموضوع آملاً أن تتحقق السلاسة وأن يستوعب القراء الأعزاء،

المستخلص

إذا تأملنا في كل حقبة من حقبة التاريخ أو في كل عصر من عصوره، سنجد أن عدد العظماء قليل وأن الذين يتحملون عبء فهم الرسائل السماوية وشرحها هم أقل وأقل وأن الذين تُخلَّد ذكراهم بسبب ما أحرزوه من إنجازات عبر التاريخ هم صفوة الصفوة، ويعد الإمام موسى بن جعفر (ت ١٨٣هـ-٧٩٩م) (عليه السلام) من بين هؤلاء العباقرة العظام، فقد استطاع الإمام موسى بن جعفر (ت ١٨٣هـ-٧٩٩م) بعلمه ودينه وعقله أن يصل إلى أرقى درجات الكمال الإنساني والذي أجبرت الدنيا على الاطلاع إليه.

ويقع هذا البحث تحت عنوان: سياسة خلفاء بيت العباس تجاه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وهو يتكون من المقدمة، وثلاثة فصول، ويوضح الفصل الأول نسبه، وولادته ونشأته، بينما يوضح الفصل الثاني حياته العلمية والسياسية، أما الفصل الثالث فيلقي الضوء على حياة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في عهد الخليفين العباسيين المهدي والهادي، واعتقاله وسجنه ووفاته، وينتهي البحث بخاتمة ومجموعة من النتائج المحددة والملخصة.

الكلمات المفتاحية: الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، الخليفة العباسي المهدي، الخليفة العباسي الهادي.

Abstract

If we look at each era of history or in each of its eras, we will find that the number of the greats is few and those who bear the burden of understanding and explaining the heavenly messages are fewer and fewer, and those who are immortalized because of the achievements they have achieved throughout history are the elite of the elite, and Imam Musa bin Jafar (died 183 AH-799AD) (peace be upon him) is among these great geniuses. Imam Musa bin Jaafar (died 183 AH-799AD) was

ثانياً: ولادته ونشأته

وُلد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في قرية يطلق عليها (الأبواء) (٧) في السابع من صفر سنة ١٢٨ هـ، في فترة حكم الخليفة مروان بن محمد، وبعد ولادته بفترة قصيرة انتقل أبوه الإمام الصادق (ت ١٤٨ هـ - ٧٠٢ م) (عليه السلام) إلى المدينة المنورة حيث أطعم عامة الناس لمدة ثلاثة أيام فرحةً واستبشاراً بولادة موسى الكاظم (عليه السلام) وقد ذُكر في بعض المصادر أن الإمام الصادق (عليه السلام) كان شديد الاهتمام والعناية به وكان يحبه حباً جماً لدرجة أنه عندما سئل عن مدى حبه لولده الكاظم (عليه السلام) كانت إجابته: (وددت أن ليس لي ولد غيره لئلا يشركه في حبي أحد) (٨)، وقد ذكرت روايات عدة أن الإمام جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ - ٧٠٢ م) (عليه السلام) كان يشير إلى شيعته دائماً أن موسى الكاظم هو من سيخلفه في الإمامة (٩)، وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) في ذلك الوقت لا يزال صغيراً وعمره لم يتجاوز الخمس سنوات، وقد ورد في كتاب الكافي عن صفوان الجمال (١٠) (عن أبي عبد الله قال: قال له منصور بن حازم: بأي أنت وأمي إن الأنفس يفد عليها ويراح، فإذا كان ذلك قمت؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام): إذا كان ذلك فهو صاحبكم وضرب بيده على منكب أبي الحسن (عليه السلام) الأيمن - في ما أعلم - وهو يومئذ خماسي وعبد الله بن جعفر جالس معنا) (١١).

وقد نشأ الإمام الكاظم (ت ١٨٣ هـ - ٧٩٩ م) (عليه السلام) في كنف أبيه وأسرته، وأكد بعض الباحثين أنه قد تأثر بدرجة كبيرة بالبيئة الدينية التي تربى فيها الأمر الذي انعكس على تكوين ملامح شخصيته وصفاته، يقول القرشي (١٢): (نشأ الإمام الكاظم (عليه السلام) في بيئة دينية تعمها المثل العليا وتشيع فيها القيم الإنسانية، وكان البيت الذي تربى فيه معهداً من معاهد الفضيلة، ومدرسة من مدارس الإيمان والتقوى، تسوده المودة، وعدم الكلفة، واجتناب هجر الكلام ومره، بذلك فقد توفرت للإمام) (١٣).

المبحث الثاني

أولاً: حياته العلمية

عاش الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) خمس وخمسين سنة، أمضى منها عشرين سنة في حياة أبيه جعفر الصادق وخمس وثلاثين سنة بعد وفاته، وقد تعود في الفترة التي عاشها في كنف أبيه قد عاش تلك الفترة على ارتياد مدرسته

فقد كان الإمام الكاظم (عليه السلام) من الشخصيات الكبيرة والمرموقة والشهيرة، ومهما تكلمنا عنه (عليه السلام) فلن نستطيع أن نوفيه حقه، وهناك العديد من المصادر التي تناولت هذه الشخصية العظيمة على نحو مفصل، وقد لخصت حياته الشريفة في صفحات ليست بالكثيرة، ومع ذلك أقر بأن عملي هذا لا يخلو من نقص لأن الكمال هو لله تعالى، وهو غاية لا تدرك، ولا أرجو من عملي هذا سوى وجه الله الكريم وأرجو من الله أن يتقبله، واتبع هذا البحث المنهج التاريخي لفهم ما حصل في تلك الفترة، وتأتي أهمية البحث من أهمية الموضوع كون الإمام الكاظم (عليه السلام) عاصر أربعة من طواغيت بني العباس هم: أبو جعفر المنصور، ومحمد المهدي، وموسى الهادي، وأخيراً هارون الرشيد الذي سقاه السم فمضى شهيداً محتسباً.

المبحث الأول

وُلد الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) في السابع من صفر سنة ١٢٨ هـ - ٧٤٥ م وتوفي في الخامس والعشرين من رجب سنة ١٨٣ هـ - ٧٩٩ م، والإمام موسى بن جعفر هو الابن السابع من أبناء فاطمة (عليها السلام) ووالده هو الإمام جعفر بن محمد الصادق (ت ١٤٨ هـ) (عليه السلام) أحد الفقهاء في تاريخ الإسلام، وقد أمضى الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) حقبة من حياته في السجن، وشهد فترة من الفترات الخطيرة في تاريخ المسلمين (١).

كنيته

أبو إبراهيم وأبو الحسن (٢).

ألقابه

العبد الصالح، الكاظم، سيد بغداد، باب الحوائج، الصالح، الصابر (٣).

وسوف نتناول في هذا المبحث نسبه، وولادته، ونشأته.

أولاً: نسبه

هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر جد قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (٤).

أمه: هي (أم ولد) (٥) اسمها حميدة، أصلها من الأندلس، ويقال أنها بربرية، ويقال رومية، وتكنى لؤلؤة (٦).

العلمية الكبرى التي أقامها في الكوفة، والتي تخرج منها الآلاف من الفقهاء والعلماء والفلاسفة والمحدثين، حتى قال الحسن الوشاء (١٤) عند مروره بمسجد الكوفة: (أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كلهم يقول: «حدثني جعفر بن محمد»)، وفيما يتعلق بمكانة ومنزلة والده الصادق فقد كان أيضاً مدرسة علمية كبرى يرتادها كبار الفقهاء والعلماء، وذكر محمد صادق نشأت (١٥): (كان بيت جعفر الصادق مزداً كالجامعة يرتاده كبار العلماء في الحديث والتفسير والكلام والحكمة، وفي أغلب الأوقات كان عدد يحضر مجلس درسه يقترب من الألفين، وبلغ العدد في بعض الأحيان أربعة آلاف من العلماء المشهورين، وقد قام تلاميذه بتأليف مجموعة من الكتب تضم كافة الأحاديث والدروس التي كانوا يتلقونها في مجلسه، وتعد هذه الكتب بمثابة دائرة معارف علمية للمذهب الجعفري (١٦).

وقد نشأ الإمام الكاظم (عليه السلام) في هذا الجو العلمي الزاخر بالنقاشات والمناظرات، كما تميزت الفترة التي عاشها الإمام (عليه السلام) في أواخر حياة والده الصادق (ت ١٤٨هـ - ٧٠٢م) (عليه السلام) وبعد وفاته بأنها فترة علمية بالغة الخطورة في التاريخ الإسلامي، فقد سيطرت الفلسفة اليونانية فيها على الحياة الفكرية العامة، وتعددت الاتجاهات الفكرية وتباينت، واتسع نطاق ذلك ليشمل جوهر العقيدة والدين، حيث ظهرت بعض الحركات التي تدعو إلى الإلحاد (١٧)، كما ظهرت حركات فلسفية أخرى تشكك في بعض العقائد الدينية، وتعيّن على الإمام الكاظم (ت ١٢٨هـ - ٧٩٩م) (عليه السلام) أن يتحمل المسؤولية العلمية حيال ذلك، فقام بالسير على خطى والده الصادق (ت ١٤٨هـ - ٧٠٢م) (عليه السلام) وواصل نهجه في تدبير أمور المدرسة التي أنشأها الإمام الصادق مع والده الإمام الباقر (ت ١١٤هـ - ٧٣٣م) (عليهما السلام) وكانت مدرسته في المسجد وفي بيته في المدينة مثلما كان أباه، حيث كانت الحلقات الدراسية تنعقد للأفراد فيقومون بتبادل المعلومات وعقد المناظرات في شتى المعارف والعلوم، وقد وفد إلى مدرسته العديد من كبار العلماء المسلمين، كما تخرج من هذه المدرسة صفوة من الفقهاء ورواة الحديث، يقدر عددهم بثلاثمائة وتسعة عشر فقيهاً وعاملاً (١٨).

وكان من بين من أخذ عن الإمام الكاظم (ت ١٢٨هـ - ٧٩٩م) (عليه السلام) وروي عنه: أبو المظفر السمعاني في الرسالة

القوامية، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ - ١٠٧١م) في تاريخ بغداد، وأبو صالح المؤذن (ت ٤٧٠هـ - ١٠٧٧م) في الأربعين، وأبو إسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧هـ - ١٠٣٥م) في الكشف والبيان، وأبو عبدالله ابن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ - ٩٩٧م) في الإبانة، وكان أحمد بن حنبل (١٩) إذا روي عنه قال: (حدثني موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب، قال: رسول الله، ثم قال أحمد: وهذا إسناد لو قرئ على المجنون لأفاق) (٢٠).

ويعد ما سبق دليلاً على أن صفوة العلماء والفقهاء والمؤرخين والعلماء قد تتلمذوا وتعلموا على يديه (عليه السلام) وساعدوا في الحفاظ على أقوال الإمام الكاظم (ت ١٢٨هـ - ٧٩٩م) (عليه السلام) وأفعاله ومسيرة حياته والتي ذكرها لنا في كتبهم التي يستند إليها تاريخنا في الوقت الحاضر في مختلف المعارف والعلوم والمجالات الأخرى.

وعلى كون من أن الإمام الكاظم (عليه السلام) قد زج به في السجن في عهد هارون الرشيد (١٧٠هـ - ١٩٣هـ)، إلا أنه لم يفتر عن العمل العلمي ولم ينقطع، بل كانت تأتيه الأسئلة وهو في محبسه ويكتب الإجابة عليها، لا سيما تلك المسائل الفقهية التي كانت تدور حول الحلال والحرام، ولذلك اعتبر بعض الدارسين أن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) هو أول من كتب الفقه والأموال والمسائل الدينية، ويقول محمد يوسف موسى: (يمكننا القول أن أول من كتب في الفقه هو الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) الذي مات في السجن سنة ١٨٣هـ، وكان ما يكتبه إجابة عن مسائل طرحت عليه تحت اسم (الحلال والحرام)) (٢١).

ثانياً: حياته السياسية

لم تكن العلاقة التي تربط العلويين بالخلافة طيبة بل كانت متأزمة طوال الوقت، وقد عاصر الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) فترة تاريخية دامية، ونال من معاملة السلطة مثلما نال آباءه وأجداده، لأنهم كانوا أئمة للشيعا التي تمثل أشرس وأعنف الفئات التي كانت تعارض الحكم الأموي والعباسي وقد نالوا جراء ذلك الكثير من الاضطهاد والتنكيل الذي وصل في أحيان كثيرة إلى الوفاة، وقد أعتقل الإمام الكاظم (عليه السلام) أثناء حكم الخليفة المهدي (ت ١٦٩هـ - ٧٨٥م) الذي أمر عامله على المدينة باعتقال موسى الكاظم



(عليه السلام) ونقله إلى بغداد، لكن الكاظم (عليه السلام) لم يمكث في السجن طويلاً وأعيد إلى المدينة، وقد ذكرت الروايات أن المهدي رأى حلمًا أخافه ورؤعه فقام بإطلاق سراح الكاظم (عليه السلام) (٢٢) على الفور. زاد الصراع مع العلويين عندما تولى الخليفة موسى الهادي (ت ١٧٠هـ-٧٨٦م) الحكم لينتهي ذلك بنشوب موقعة فخ (٢٣) سنة (١٦٩هـ) التي راح ضحيتها عدد كبير من أعيان العلويين، وأدى ذلك إلى زيادة الخناق والتضييق على الإمام الكاظم (عليه السلام) لأن الخليفة كان يعتبره المسؤول الأول والمحرض للحسين بن علي بن الحسين المثلث وأصحابه المقتولين في موقعة فخ، وكان مما قاله الخليفة الهادي: (والله ماخرج الحسين إلا عن أمره ، ولا أتبع إلا محبته، لأنه كان صاحب الوصية في أهل هذا البيت، قتلني الله إن أبقيت عليه) (٢٤).

ولكن الخليفة الهادي وافته المنية قبل أن ينفذ تهديده، فقد مات بعد فترة قليلة من وقعة فخ.

ثالثاً: العباسيون يستغلون الظرف

شهد العالم الإسلامي حالة من الاضطرابات العامة، وغضب شامل ضد الأمويين، وكان المسلمون يتجهون بقلوبهم وعقولهم إلى العلويين (أبناء علي) دون غيرهم لعدة أمور، ومنها:

١- إنهم أهل البيت الذين اصطفاهم الله لرسالته ووحيه، ومن ثم من الأولى أن يختارهم الناس لقيادتهم وتدير شؤون حياتهم، لاسيما وأن الثورة التي اشتعلت ضد الأمويين كان أساسها ديني نتيجة الخوف على شريعة سيد المرسلين، وأبناءؤه هم من يحافظون على سنته ويؤتمنون على شريعته، فإذا تمكنوا من الحكم فإنهم سيققدون به ويقيمون العدل ويحقون الحق ويبطلون الباطل.

٢- إنهم أول من أعلن الثورة ضد ظلم الأمويين واستبدادهم، وأول من طالب بحقوق المظلومين، وأول من استشهد من أجل الدفاع عنهم، ومن دفع الغرم فله الغنم.

٣- يمثل شيعة علي وأبناءؤه القوي المعارض الذي كان يعمل سراً وفي الخفاء ضد الحكم الأموي، وبذلوا في سبيل ذلك كل غالٍ ونفيس، وقد تحمل رجال الشيعة الكثير من التقتيل والتعذيب والتنكيل، ويؤكد هذه الأسباب ما ذكره ابن الأثير أن الناس كانوا يقولون للأمويين بعد أن زال ملكهم: الحمد لله الذي أتانا بأهل من بيت نبينا، وكان بنو العباس يُذْكَرون بثار الحسين وزيد وولده يحيى، واستغلوا سخط الرعية

وغضبهم على الأمويين، فضلاً عن معارضة الشيعة لحكم بني أمية وارتباط الناس بالعلويين، وأعلنوا أن هدفهم الأسمى هو التخلص من حكم الأمويين، وإسقاطهم، وتخليص الناس من استبدادهم وظلمهم، وبعد ذلك سوف يختارون من يتوافقون عليه من آل بيت الرسول (عليهم السلام) وهكذا لم يقدم العباسيون في البداية أفراداً منهم ولا من غيرهم، بل قدموا المبدأ الذي يدافعون عنه، وهذا بالضبط ما فعلته انكلترا وفرنسا حينما حاربوا الأتراك، وزعمتا أن هدفهما هو تحرير البلاد العربية من الظلم، وبعد ذلك سوف تتركان البلاد لأهلها لكي يقرروا مصيرهم بأنفسهم، وعندما سقطت دولة الأتراك قامت فرنسا باستعمار لبنان وسوريا، واستعمرت انكلترا العراق والأردن، ومُنحت فلسطين لإسرائيل (٢٥)، وقد ذكر فلهوزن في كتاب (تاريخ الدول العربية) (٢٦): (كان العباسيون يبذلون ما في وسعهم لكي يخفوا عن الناس أنهم إنما يريدون تحية بني فاطمة، وكانوا يظهرون أنهم يعملون لصالح بني فاطمة، وأعلنوا في خراسان وغيرها من الأقاليم أنهم يرغبون في الثأر لشهداء أبناء فاطمة... وكان لابد لهم أن يتخذوا من الشيعة عماداً لهم إزاء بني فاطمة، فإما أن يعتقد الشيعة ما يشاءون، أو أن تكون سيرتهم في الحياة كما يحبون، وكان العباسيون يعتبرون أنه يمكن حل هذه المسألة فيما بعد، وهكذا ارتقى العباسيون باسم العلويين، وعلى أكتاف شيعتهم، وعندما تمكنوا انقلبوا عليهم، وتكروا لهم، وكانوا أشد عنفاً وقسوة عليهم (٢٧).

المبحث الثالث

أولاً: الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في عهد الخليفة المهدي العباسي

روى السيد هاشم معروف الحسني في كتابه سيرة الأئمة (٢٨): قام المهدي العباسي (ت ١٦٩هـ-٧٨٥م) باستدعاء الإمام الكاظم (عليه السلام) وعرض عليه أن يرد فدكاً إليه، ولكن الإمام (عليه السلام) رفض قبولها، وعندما أصر المهدي (عليه السلام): لا أقبلها إلا بحدودها، وعندما سأله المهدي عن حدودها، قال (عليه السلام): الحد الأول: عدن، فتغير وجه المهدي، وواصل الإمام كلامه قائلاً: والحد الثاني: سمرقند.. فأكفهر وجهه، ولم يعبأ به الإمام وخاطبه بلهجة واثقة دون أن يعيره أي انتباه: والحد الثالث أفريقية.. ولم ينتظر المهدي وسأله وقد اضطربت ملامحه بشكل واضح: والحد الرابع؟ فقال (عليه السلام) وهو لا يزال محتفظاً برباطة

جأشه ولهجته الهادئة: سيف البحر ما يلي الخزر وأرمينية.

وحينئذ لم يتمالك المهدي نفسه وهو يسمع الحد الرابع، فقام والغضب يكسو وجهه وقد تبين ما يقصده الإمام من هذه الحدود وقال له: لم يبق شيء فتحول إلى مجلسي.. فأجابه الإمام بلهجة المنتصر: لقد أخبرتك بأني إن حددتها لن تردّها.

وقد أدى المنهج الذي اتبعه الإمام (عليه السلام) وسيرته إلى إثارة غضب العباسيين فوضعوه تحت الرقابة الشديدة طوال فترة حكم المهدي (ت ١٦٩ هـ - ٧٨٥ م)، وقد قام المهدي باستدعائه إلى بغداد وسجنه أكثر من مرة، وقرر المهدي قتله فكان الإمام ينجو بدعاء يدعوه، وروى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد في إحدى المرات التي سُجن فيها الإمام الكاظم (عليه السلام) في سجن المهدي: (إن المهدي رأى في بعض الليالي علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نومه فقال له: يا محمد (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) فنهض من نومه مرعوباً وقام بإطلاق سراح الإمام الكاظم) ورغم ذلك لم يتوقف عن فساده في الأرض وقطع أرحامه حيث شدد الرقابة على الإمام حتى هلك (٢٩).

ثانياً: الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في عهد الخليفة الهادي العباسي (ت ١٧٠ هـ - ٧٨٦ م)

لقد تولى الهادي مقاليد الحكم (١٦٩ هـ - ٧٨٥ م) في وقت كانت الخلافة فيه في ريعان شبابها، وفي كامل قوتها، وثرواتها الوفيرة، وكان الهادي شاباً فتياً في ريعان الشباب وغضارة العمر عندما تمت مبايعته، وقد دفعته حمية الشباب إلى التماذي في الطيش والغرور، ومن ملامح ذلك أنه كان عندما يسير تسير الشرطة بين يديه شاهرين السيوف، والأعمدة والقسي (٣٠) الموتورة ليظهر بذلك أبهة وعظمة السلطان، وقد انتصف الخليفة الهادي بالنزعة إلى الشر والبطش، وقد انعكس ذلك في تصرفاته وأعماله.

وكان من بين هواياته المفضلة اللهو والغناء، وكان يطربه صوت إبراهيم الموصل (٣١) وغناؤه، فأجزل له العطاء، ومنحه ثلاثين ألف دينار، فكان إبراهيم الموصل يقول: لو عاش لنا الهادي لبنينا حيطان دورنا بالذهب.

وقد أسرف هذا المغرور في طغيانه وعدائه للعلويين والتنكيل بهم، فقطع ما أجراه لهم المهدي من الأعطيات والأرزاق، وكتب إلى جميع عماله في الأقاليم يأمرهم بحمل وإرسال العلويين إلى بغداد (٣٢).

ومن أقطع الكوارث التي حدثت وألّمت بعترة النبي (صلى الله عليه وآله) وذريته كارثة (فخ) التي تحدث عنها الإمام الجواد بقوله: (لم يكن لنا بعد الطّف مصرع أعظم من فخ).

وفي هذه الجريمة الشنعاء ارتكب العباسيون أضعاف ما ارتكبه الأمويون في مأساة كربلاء، فقد رُفعت رؤوس العلويين على الرماح ومعها الأسرى وطافوا بها في البلاد، كما تركوا الجثث الطاهرة مرمية وملقاة على الأرض مبالغة منهم في الانتقام والتشفي من أهل البيت (عليهم السلام).

وأرسلت رؤوس الطاهرين الأبرار إلى الطاغية الغاشم الهادي ومعها الأسرى وقد قيدت أيديه وأرجلهم بالسلاسل الحديدية، فأصدر الطاغية أمراً بقتل الأسرى، فجرى قتلهم وصلبهم على باب الحبس، وبعد أن أنهى الهادي نكبته بالعلويين أخذ يهدد ويتوعد الأحياء منهم بالقتل والدمار وفي مقدمتهم سيدهم وقائدهم الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وقال: (والله ما خرج حسين إلا عن أمره، ولا اتبع إلا محبته لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني الله إن أبقيت عليه) وأضاف يقول في تهديده: (ولولا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور ما كان به جعفر الصادق (عليه السلام) من الفضل المبرز على أهله في دينه، وعمله وفضله، وما بلغني من السفاح فيه من تعريضه وتفضيله، لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقاً).

وتوجه الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) نحو القبلة، وأخذ يدعو الله ويتضرع إليه ليخلصه وينجيه من شر هذا الطاغية الغاشم، ودعا بهذا الدعاء الجليل:

(«إلهي، كم من عدوّ انتضى عليّ سيف عداوته، وشحذ لي ظبة مديته، وأرهب لي شبا حدّه، وداف لي قواطل سمومه، وسدد نحوي صوائب سهامه، ولم تنم عني عين حراسته، وأضمر أن يسومني المكروه، ويجرّني زعاف مرارته، فنظرت إلى ضعفي عن احتمال الفواحش، وعجزني عن الانتصار ممن قصدي بمحاربتهم، ووحدني في كثير من ناواني، وإرصادهم لي فيما لم أعمل فيه فكري في الإرصاء لهم بمثله...» (٣٣)).

وبعدما فرغ الإمام (عليه السلام) من دعائه الشريف توجه إلى أصحابه وأخذ يهدئ من خوفهم وروعهم، ويغمرهم بفيض من علمه المقتبس من علم جده

بن الربيع (٣٨)، وقد يرجع السبب في ذلك إلى الخوف من تأثير الكاظم (عليه السلام) على الناس، إلا أن الخليفة هارون الرشيد أمر بعد مدة بإطلاق سراح الإمام الكاظم (عليه السلام)، وقد ذكرت المصادر أن السبب في إطلاق سراح الإمام (عليه السلام) يرجع إلى رؤيا رآها هارون الرشيد في منامه، ولم يغادر الإمام (عليه السلام) بغداد، وأشار المؤرخون إلى الإمام (عليه السلام) كان موضوعاً تحت الإقامة الجبرية في بغداد، وأنه كان يلتقي باستمرار مع هارون الرشيد طوال هذه الفترة ويتباحثون في المناقشات الدينية، وقام هارون الرشيد باعتقال الكاظم (عليه السلام) مرة ثانية وحبسه عند الفضل بن الربيع، ولكن في هذه المرة عمد الفضل إلى العفو عن الإمام الكاظم (عليه السلام) وعدم إيذائه، وكذلك طلب هارون الرشيد من الفضل أن يغتال الكاظم (عليه السلام) ولكن الفضل امتنع من ذلك، وأثناء وجوده في الرقة (٣٩) علم هارون الرشيد بخبر العفو الذي فيه الكاظم (عليه السلام) فأمر بمعاينة الفضل بن الربيع، وأرسل الكاظم (عليه السلام) إلى السندي بن شاهك (٤٠)، وبالفعل اعتقل الفضل وجرد من ملابسه وجلد مائة سوط أمام الناس (٤١).

رابعاً: من وصايا الإمام الكاظم (عليه السلام)

١- إلى بعض ولده :

(يابني إياك أن يراك الله في معصية نهاك عنها، وإياك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها، وعليك بالجد، ولا تخرجن نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته، فإن الله لا يعبد حق عبادته، وإياك والضجر والكسل، فإنهما يمنعان حظك من الدنيا والآخرة) (٤٢).

٢- إلى بعض شيعته :

(أي فلان اتق الله وقل الحق وإن كان فيه هلاكك فإن فيه نجاتك، أي فلان اتق الله ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك، فإن فيه هلاكك) (٤٣).

٣- ومن وصاياه (عليه السلام)

(اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا بإعطائها ماتشتهي من الحلال، وما لا يثلم المرؤة وما لا سرف فيه، واستعينوا بذلك على أمور الدين، فإنه روي: ليس منا ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لديناه، تفقهوا في الدين، فإن الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى منازل الرفيعة، والرتب الجليلة في الدين والدنيا، وفضل الفقيه على العباد، كفضل الشمس

الرسول (صلى الله عليه وآله) قائلاً: (حرمة هذا القبر وأشار إلى قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد مات الهادي من يومه هذا، والله إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون...).

ثالثاً: الاعتقال والسجن

وبعد وفاة الهادي تقلد الحكم واحداً من أقوى الخلفاء العباسيين وهو هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ-٨٠٩م) الذي حرص مثل آبائه على إحكام الخناق والتضييق على الشيعة وخصوصاً على الإمام الكاظم (عليه السلام) وقد لعب الوشاة دوراً كبيراً في إثارة الوضع وتأجيجه، فقد أتى علي بن إسماعيل إلى هارون الرشيد وقال: (ماظنت أن في الأرض خليفتين حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة) بل وزاد على ذلك فأخبر الخليفة بأن هناك أموال تأتيه محمولة من المشرق والمغرب وبأن له بيوتاً من المال (٣٤)، وبالطبع لن يتهاون هارون الرشيد مع ما يمكن أن يهدد ملكه ويزعزع حكم آل عباس، فأمر باعتقال موسى الكاظم (عليه السلام) وتم اعتقاله وهو يصلي في المسجد النبوي وكان ذلك في العشرين من شوال سنة ١٧٩هـ، وحرصت السلطات على عدم حدوث اضطرابات فقامت بإرسال موكبين وهميين أحدهما للكوفة والآخر للبصرة لخداع الناس لكي لا يعلموا وجهة اعتقال الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وأمر هارون الرشيد بتسيير موسى الكاظم (عليه السلام) ليلاً وبشكل سري إلى البصرة (٣٥).

وحُبس الإمام الكاظم (عليه السلام) في سجن البصرة، وأمر رئيس السجن عيسى بن أبي جعفر (٣٦) بالإشراف عليه، وعلى ما يبدو أن شخصية الإمام الكاظم (عليه السلام) قد أثرت على عيسى ومن معه بالسجن، وتجلى هذا الأثر في قدرة وصول العلماء إليه بشكل سري ورواية الحديث عنه، وقد خشيت السلطات في بغداد من أنباء تأثير الكاظم (عليه السلام) مما دفع الخليفة إلى أن يطلب من عيسى بن أبي جعفر أن يقتل الكاظم (عليه السلام) ولكن عيسى رد عليه برسالة يخبره فيها بأنه اختبر الكاظم (عليه السلام) ولم يجد منه سوءاً ويطلب منه أن يعفيه من تنفيذ هذا الأمر، وعندئذ أمر هارون الرشيد بنقل الكاظم (عليه السلام) إلى بغداد بعد أن أمضى عاماً بسجن البصرة (٣٧).

ولم يُحبس الإمام الكاظم (عليه السلام) في السجن مع عامة الناس حينما وصل إلى بغداد، ولكنه حبس في بيت الفضل

على الكواكب، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً (٤٤).

خامساً: وفاته

حُبس الإمام الكاظم (عليه السلام) في سجن السندي بن شاهك بناءً على الأمر الذي أصدره الرشيد، وقد بذل السندي جل جهده في التضييق على الكاظم (عليه السلام) والتنكيل به وإرهاقه بكل الطرق لإرضاء الخليفة، وذكر المؤرخون أن الكاظم (عليه السلام) قد سجن في بيت السندي، وأنه على الرغم من التضييق في السجن فقد استطاع الكاظم (عليه السلام) استمالة خادم السندي وغيره من الذين ساعدوا الكاظم (عليه السلام) على الاتصال بالعلماء والرّد على أسئلتهم الدينية، ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلاً، فقد توفي الكاظم (عليه السلام) في سجنه وكان ذلك عام ١٨٣هـ، وقد ورد عن الرواة أن الكاظم (عليه السلام) مات مسموماً، حيث عمد هارون الرشيد إلى وضع السم في الرطب وأمر السندي بإرغام الكاظم (عليه السلام) على أكله (٤٥).

وقد قامت السلطات بتبرئة نفسها من مسؤولية ما حدث، وقام السندي بجمع ٨٠ سجيناً قبل وفاة الكاظم (عليه السلام) وطلب منهم أن يطلعوا على حال الكاظم (عليه السلام) وسألوه عما إذا كان أحد قد أذاه، وعندئذ التفت الكاظم (عليه السلام) للشهود وقال: (أشهدوا على أي مقتول بالسم منذ ثلاثة أيام، واشهدوا أي صحيح الظاهر، لكني مسموم وسأحمر في هذا اليوم حمرة شديدة، وأبيض بعد غد، وأمضي إلى رحمة ورضوانه) فأصيب السندي بالصدمة (٤٦).

وأعقب ذلك أن قامت السلطات بإجراء تحقيق في وفاة الكاظم (عليه السلام) فأحضرت خمس وعشرين شخصاً ممن يعرفون الكاظم (عليه السلام) معرفة شخصية فسألهم السندي (أترون فيه ماتنكرونة؟) فأجابوا: بلى، ثم أحضر السندي غيرهم الذين شهدوا أنه لا يوجد أي أثر لجرح في جسم الكاظم، ثم جمع هارون الرشيد شيوخ العلويين والطالبيين وموسى الكاظم (عليه السلام) مغطى فقال لهم الرشيد: هذا موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه (أي مات على فراشه بصورة طبيعية من غير قتل أو حرق أو غرق أو ما شابه ذلك) ولم يكن ببني وبينه ما أستغفر الله منه فانظروا إليه، فنظروا إليه فلم يجدوا فيه أثراً لجروح أو خنق (٤٧).

وبعد ذلك وضع على جسر الرصافة في بغداد لينظر إليه المارة، وكان غرض الخليفة من ذلك هو التشهير بالإمام

وإذلاله والانتقاص من قدره، وقد أثار ذلك الشعراء فقال الشيخ محمد الملا:

(من مبلغ الإسلام أن زعيمه قد مات في سجن الرشيد سميماً فالغي بات بموته طرب الحشا وغدا لمأته الرشاد مقيماً ملقى على جسر الرصافة نعشه فيه الملائك أصدقوا تعظيماً) (٤٨).

وحمل الجنود نعشه وهم يرددون: (هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت، فانظروا له ميتاً) ثم دفن في المقبرة المشهورة بمقبرة قريش (٤٩).

سادساً: قيل في الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)

١- قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ-١٢٠١م): (موسى بن جعفر كان يدعى العبد الصالح، وكان حليماً وكريماً، إذا بلغه عن رجل ما يؤذيه بعث إليه بهال) (٥٠).

٢- وقال أبو حاتم (ت ٣٢٢هـ-٨٩٠م): (موسى بن جعفر ثقة، صدق، إمام من أئمة المسلمين) (٥١).

٣- قال الذهبي (ت ٧٤٨هـ-١٣٤٨م): (كان موسى من أجود الحكماء، من العباد الأتقياء، وله مشهد معروف ببغداد) (٥٢).

٤- وقال الزركلي (ت ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م): (موسى بن جعفر الصادق ابن الباقر، أبو الحسن، سابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد) (٥٣).

٤- قال الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ-١٩٠٢م): (قد أشتهر بين الناس أن أبا الحسن موسى كان أجل ولد الصادق شأنًا، وأعلامهم في الدين مكانًا، وأفصحهم لسانًا وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأفقههم) (٥٤).

٥- وقال الشبلنجي الشافعي (ت ١٢٩١هـ-١٨٧٤م): (قال بعض أهل العلم: الكاظم هو الإمام الكبير القدر، الأوحد، الحجة، الحبر، الساهر ليله قائمه، القاطع نهاره صائمًا، المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظمًا، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله، وذلك لقضاء حوائج المتوسلين به) (٥٥).

الخاتمة

بعد البحث والدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج نذكرها:

١- أظهرت دراسة حياة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) أنه قد ذاق الكثير من الظلم وأنه واجه الطغاة المستبدين بكل إيمان وبسالة، وعلى الرغم من الآلام والمآسي التي تعرض لها فقد ظل متمسكاً بعبادة الله ومبادئ الدين وقواعده وقيمه

سراً وعلانية .

الهومش:

(١) الطبرسي ، حسين النوري (ت: ٥٤٨هـ - ١١٥٣م)، (تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم)، (قم، ١٤٠٦)، ص ٤٥؛ الزركلي، خير الدين (ت: ١٤١٠)، الأعلام، ط ٥، (لبنان، ١٩٨٠م)، ج ٦، ص ٣٤؛ المحمودي ، الشيخ، (نهج السعادة) ، ط ١، (النجف الأشرف، ١٩٦٥م)، ج ٧، ص ٣٤٦.

(٢) الأبطحي ، محمد علي ، (تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي) ، دار المرتضى ، بيروت ، ج ٣، ص ١٢٥ ؛ البدوي ، عبد الرحمن ، (الخوارج والشيعة) ، ط ٥، (مصر، ١٩٩٨م)، ص ٨.

(٣) الأربلي ، ابن أبي الفتح (ت: ٦٩٣هـ)، (كشف الغمة) ، (لبنان ، د.ت) ، ج ٣، ص ٢؛ الزرندي ، محمد بن يوسف (ت: ٧٥٠هـ)، (معارج الوصول الى معرفة فضل آل رسول (صلى الله عليه واله) ، تحقيق : ماجد بن أحمد العطية ، (د.م.د.ت) ، ص ١٤٣.

(٤) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ) ، (الهداية في الأصول والفروع) ، ط ١، (قم ، ١٤١٨هـ)، ص ٧٣؛ المفيد ، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣هـ)، (المقنعة)، ط ٢، (قم، ١٤١٠هـ)، ص ٤٧٩.

(٥) أم ولد: هو مصطلح شهير في كتابات المؤرخين المسلمين القدامى، وهو يشير إلى الأمة التي ولدت من سيدها في ملكه. تُعتَق بمجرّد موت سيدها ولا يجوز له بيعها.

(٦) الشبستري ، عبد الحسين ، (الفائق في رواية وأصحاب الإمام الصادق (عليه السلام)) ، ط ١، (مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤١٨هـ)، ج ٣، ص ٣١٧ ؛ القزويني ، لطيف ، (رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ) ، (د.م.د.ت)، ص ٢٠٠.

(٧) الأيواء : سم قرية كبيرة بالقرب من ودان بين مكة والمدينة، تقع في جنوب غرب المدينة وتبعد عنها ١٧٠ كيلومتراً، وشمال غرب مكة وتبعد عنها ٢٠٠ كيلومتراً. ينظر : (ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج ١، ص ٧٩). وكانت هذه القرية ممراً للقوافل قبل الإسلام واستمرت إلى ما بعده وبها قبر آمنه بنت وهب أم النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم).

. وتنقع الأيواء حالياً في منطقة رابغ شمال مكة المكرمة.

(٨) الأمين ، محسن ، (أعيان الشيعة) ، (د.م.د.ت) ، ج ٢، ص ٦٥؛ الشراوي ، عبدالله ، (الأتحاف بحب الأشراف) ، (د.م.د.ت)، ص ٥٢ ؛ القرشي ، باقر شريف ، (حياة الإمام موسى بن جعفر دراسة وتحليل) ، (د.م.د.ت)، ص ٥١.

(٩) الامامة: عبارة عن منصب إلهي بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد يطلق عليها أيضاً مفردة «الخلافة» و «الوصاية».

(١٠) صفوان الجمال: صفوان بن مهران الأسدي من رواة الحديث في القرن الثاني الهجري، ومن أصحاب الإمامين الصادق والكاظم (عليهما السلام).

(١١) الكليني ، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ)، (الأوّل من الكافي) ، ط ٥، (طهران ، ١٣٦٣ش) ، ج ١، ص ٣٠٩.

(١٢) القرشي: باقر شريف القرشي رجل دين شيعي وباحث ومؤرخ وكاتب عراقي، ولد في النجف الأشرف، وبدأ دراسته عند علمائها، وأبرز أساتذته هو السيد أبو القاسم الخوئي حيث حضر عنده البحث الخارج ما يقارب من عشرين سنة.

(١٣) القرشي، باقر شريف (حياة الإمام موسى بن جعفر ... دراسة وتحليل) ، دار البلاغة ، بيروت ، ١٤١٣هـ ، ص ٦٥.

(١٤) الحسن بن علي الوشاء البجلي الكوفي: أحد أعلام قبيلة بجلة في علم الفقه ومن أعلام القرن الثاني للهجرة وكان له دوراً مهماً في الفقه، وعد الحسن بن علي بن زياد الوشاء من أصحاب النوادر الكوفية، بحيث أصبحت لديه مؤلفات كثيرة منها ثواب الحج - كتاب النوادر، مسائل الرضا (عليه السلام) وأجوبتها . لم اثر على هذه الكتب وربما تكون

٢- كان الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) مفخرة للعرب المسلمين، وهو أحد الحلقات في سلسلة النبوة، وقد نبغ (عليه السلام) في شتى مجالات العلوم والمعارف، وكان الناس يأمنون بمجالسته ومصاحبته في أي مكان يوجد به، وكان شديد التأثير على من حوله، وهذه كرامة قد من الله بها عليه، وقد ورث الإمام الكاظم (عليه السلام) ذلك من آبائه، كما أن الله تعالى وهبه حب الناس، وكان لا يثور ويكظم غيظه حتى لو اعتدى عليه إنسان أو ظلمه، ولا يعامله بالمثل، وقد أثارت مناقبه وكرامته وصفاته العديدة حفيظة المشركين وحقدهم وحسددهم لا سيما حكامهم فصاروا يترقبون فرصة للقضاء عليه.

٣- على الرغم من صعوبة الحياة التي عاشها الإمام الكاظم (عليه السلام) إلا أنه كان يحافظ على الإسلام والمسلمين، ويمد الناس بالمعارف والعلوم، وعلى الرغم من حبسه فقد ظل يتواصل مع الناس ويحجب عن أسئلتهم التي يرسلونها إليه، ويحثهم (عليه السلام) على طلب العلم والتزود بالمعارف والعلوم في شتى مجالات الحياة لأنه (عليه السلام) كان يرى أن العلم هو مفتاح البصيرة والذي يستنير به في حياته، وأنه يتعين أخذ العبر من التاريخ والاستفادة منها في عدم تكرار الأخطاء في المستقبل .

٤- قدم الامام الكاظم (عليه السلام) وصايا كثيرة، ومنها: يجب الالتزام بالقيم والمبادئ الدينية في حياتنا في كل وقت وفي أي زمان لأن الله سبحانه وتعالى مطلع علينا أينما نكون سواء في البيت أو في العمل، ويهدف من ذلك إلى استقامة الفرد وإصلاحه من الاعوجاج ليكون سليماً وصحيحاً لأن الله ينظر إلى قلوبنا، ومن الوصايا الأخرى التي قدمها الإمام الكاظم (عليه السلام) إلى شيعته وركز عليه السلام عليها قول كلمة الحق حتى لو كان أمام سلطان غاشم، وكذلك ركز (عليه السلام) على مسائل الحلال والحرام والالتزام بها وكان غرض الإمام الكاظم (عليه السلام) من وراء ذلك هو إصلاح الفرد والمجتمع لأن صلاح الفرد فيه صلاح المجتمع ويبدأ هذا الإصلاح من الأسرة لأن الأسرة هي عماد المجتمع.

٥- وأخيراً لا يخلو أي عصر من القادة الطغاة، ويتعين على المجتمع التصدي لهم ومواجهتهم، وتعد الوحدة هي القوة والأساس لهذا الإصلاح، والله هو الموفق، وأرجو من الله أن يتقبل منا صالح الأعمال وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

مفقودة ومعرضة إلى التلف. ولكن المصادر ذكرتها.

(١٥) السيد محمد صادق نشأت ابن السيد محمد مهدي الحسيني ولد في كربلاء سنة ١٣١٣ وتوفي في طهران سنة ١٣٨٧ اسمه في الأصل محمد صادق الحسيني، ثم بعد اقامته بمصر اختار اسم صادق نشأت، ثم أضاف إليه بعد استقراره في طهران لقب (مير داماد) لأنه يتصل به في النسب.

(١٦) الشاكري، حسين، (موسوعة المصطفى والعتره) (عليهم السلام)) ط ١ (إيران، ١٤١٧هـ) ج ٩، ص ٣٨٦؛ حيدر، اسد (الامام الصادق والمذاهب الاربعه)، (د.م.د.ت)، ج ١، ص ٦٢.

(١٧) الاحداد: الإلحاد بمعناه الواسع هو عدم الاعتقاد أو الإيمان بوجود الآلهة. وبالمعنى الضيق، يعتبر الإلحاد على وجه التحديد موقف أنه لا توجد آلهة.

(١٨) الشاكري، محسن (موسوعة المصطفى والعتره) (عليهم السلام)، ج ٩، ص ٣٨٧.

(١٩) أحمد بن حنبل: من فقهاء أهل السنة ومن قادة فكر أصحاب الحديث الكبار في القرنين ٢ و ٣ هـ والمدافع والداعي إلى طريقتهم في الفقه في مقابل أصحاب الرأي. نال شهرته في حياته بسبب مخالفته لنظرية خلق القرآن في حادثة المحنة، وقد سعى من خلال التعاليم التي قدمها إلى تنظيم أسس أصحاب الحديث الفكرية، حيث استندوا من بعده في تأييد أفكارهم إلى أقواله ومؤلفاته أكثر من أي شخص آخر.

(٢٠) ابن شهر آشوب، شير الدين أبي عبدالله محمد بن علي ابن أبي نصر (ت: ٥٨٨هـ)، (مناقب آل أبي طالب)، (النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ)، ج ٣، ص ٤٣١-٤٣٢؛ المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١)، (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار)، ط ٣، (لبنان، ١٤٠٣هـ)، ج ٤٨، ص ١٠٧؛ الأمين، محسن (ت: ١٣٧١هـ)، (أعيان الشيعة)، (لبنان، د.ت)، ج ١، ص ١٠٠.

(٢١) (الفقه الإسلامي-مدخل لدراسة نظام

المعاملات فيه)، (د.م.د.ت)، ص ١٦٠.

(٢٢) القريشي، حياة الإمام موسى بن جعفر دراسة وتحليل، ص ٤٧٤.

(٢٣) موقعة فخ : هي إحدى ثورات العلويين ضد الحكم العباسي والتي وقعت سنة ١٦٩هـ في المدينة بقيادة الحسين بن علي من أحفاد الإمام الحسن (عليه السلام)، فقتل الحسين (عليه السلام) والكثير من أصحابه وسميت بذلك لأنها حدثت بالقرب من مكة بمكان يسمى فخ.

(٢٤) الأمين، محسن (ت: ١٣٧١هـ)،

(أعيان الشيعة)، (لبنان، د.ت)، ج ٦، ص ٤٤٠؛ القريشي، حياة الإمام

موسى بن جعفر (دراسة وتحليل)، ص ٤٩٤.

(٢٥) ابن الأثير، محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، بيروت - لبنان، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، ج ٤، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م، ص ٣٣٠-٣٣٢.

(٢٦) فلهوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨ م، ص ٤٨٩.

(٢٧) مغبية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، ط ٥، د.

م ١٩٨١م، ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦.

(٢٨) هاشم معروف (ت: ١٤٠٤هـ)، (سيرة الأئمة)، (دار التعارف للمطبوعات، ١٤١١هـ)، ج ٢، ص ٣٢٨.

(٢٩) اليعقوبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٦.

(٣٠) القوس: جمعها القسي سلاح مصمم لإطلاق السهام، يسمى الشخص الذي يستعمل القوس بالرامي وقد كانت هذه الكلمة تطلق في الماضي على المحارب الذي كان سلاحه الرئيسي هو القوس والرمية هي فن إطلاق السهام باستعمال القوس وقد كان لرمية السهام دور حاسم في معارك عدة عبر التاريخ مثل الحروب الإسلامية الأولى و حرب المئة عام، تستخدم الاقواس اليوم أساسا في الرياضة والقنص.

(٣١) إبراهيم الموصلبي: هو إبراهيم بن ميسون وأمه من بنات الدهاقين. واحد من أشهر المغنين في العصر العباسي. فارسي الأصل ولد بالكوفة سنة ١٢٥ هـ ٧٤٢ م. توفي أبوه وعمره ثلاث سنين، ولقب الموصلبي لإقامته في الموصل تربي عند بني تميم والتحق بالكتاب فلم يتعلم شيئا بسبب شغفه وحبه للغناء ولهذا السبب لقي محاربة من أسرته.

(٣٢) مهران، محمد بيومي (ت: ١٤٢٩هـ)، (الإمامة وأهل البيت)، (مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٥هـ)، ط ٢، ج ٣، ص ٧٧.

(٣٣) رضي الدين، علي بن موسى بن طاووس (ت: ٦٦٤هـ)، (مُهَج الدعوات و منهج العبادات)، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٤هـ)، ص ٢٢٠.

(٣٤) الكليني، الكافي، ج ٦، ص ٤٨٦؛ القريشي، حياة الإمام موسى بن جعفر - دراسة وتحليل، ص ٤٥٥.

(٣٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٣٢١؛ القريشي، المصدر السابق، ص ٤٦٥.

(٣٦) عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور: كان من وجوه بني هاشم وسرااتهم وولي إمارة البصرة، وخرج من بغداد يقصد هارون الرشيد، وهو إذ ذاك بخراسان، فأدركه أجله بالدمكة من طريق حلوان.

(٣٧) المفيد، محمد بن النعمان ابن المعلم (ت: ٤١٣٠هـ)، (الإرشاد)، (د.م.د.ت)، ج ٢، ص ٢٣٩؛ ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد المالكي (ت: ٨٥٥هـ)، (الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة)، ط ١، (دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ)، ج ١، ص ٢٣٦.

(٣٨) الفضل بن الربيع: هو من أهم وأشهر وزراء بني العباس، وهو من كانت له يدٌ كبيرةٌ في نكبة البرامكة، وأصبح وزيراً للرشيد والأمين، واستخفى من المأمون حتى عفا عنه.

(٣٩) الرقة: مدينة في شمال سوريا، عاصمة محافظة الرقة، تقع على الضفة الشرقية لنهر الفرات، على بعد حوالي ١٦٠ كم شرق مدينة حلب. منذ أواسط السبعينيات يعتمد اقتصاد الرقة على سد الفرات وعلى الزراعة وعلى الحقول النفطية المجاورة.

(٤٠) السندي بن شاهك: مدير شرطة الخليفة العباسي هارون الرشيد، اشتهر بالقسوة وعدم الرحمة لكل مخالف لأوامر الخليفة هارون الرشيد حتى من أقارب الخليفة وأولاده ووزرائه.

(٤١) الحلي، جعفر السبحاني (ت: ٧٢٦هـ)، (تحرير

الأحكام)، ط ١، (قم، ١٤٢٠هـ)، ج ٢، ص ١٢٤؛ القريشي، حياة الإمام موسى بن جعفر - دراسة وتحليل، ص ٤٦٩ و ٤٨١.

(٤٢) الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين

بن بابويه (ت: ٣٨١هـ)، (من لايحضره الفقيه)، ط ٢، (قم

المقدسة، ١٤٠٤هـ)، ج ٤، ص ٤٠٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٣٩٥.

(٤٣) ابن شعبة الحراني، أبو محمد بن الحسن بن الحسين بن شعبه (ت: ٤٠٤هـ)، (تحف العقول عن آل الرسول (عليهم السلام) ط ٢، (قم، ١٤٠٤هـ)، ص ٤٠٩؛ المجلسي، المصدر نفسه، ج ٧٥، ص ٣٢١.

(٤٤) ابن بابويه، علي (ت: ٣٢٩هـ)، (فقه الرضا)، ط ٦١ (مشهد المقدسة، ١٤٠٦هـ)، ص ٣٣٧؛ المجلسي، المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٤٧.

(٤٥) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت: ٣٨١هـ)، (عيون أخبار الرضا)، (د.م.د.ت)، ج ٢، ص ٩٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٢٢؛

القريشي، المرجع السابق، ص ٤٩١.

(٤٦) عبد الوهاب، الشيخ حسين (ت: ٥٠هـ)، (عيون المعجزات)، (النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ)، ص ٩٥؛ المجلسي، بحار الأنوار

ج ٤٨، ص ٢٤٨.

(٤٧) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر وهب (ت: ٢٨٤هـ)، (تاريخ اليعقوبي)، (لبنان، د.ت)، ج ٢، ص ٤١٤؛ المفيد، الإرشاد، ج ٣، ص ٢٤٣.

(٤٨) القريشي، باقر شريف، (حياة الإمام الرضا (عليه السلام))، (قم، ١٣٧٢ش)، ج ١، ص ٩٠.

- (٤٩) القرشي، حياة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، ص ٥٢٨.
- (٥٠) الشرواني، حيدر علي بن محمد (ت: ١٢ هـ)، (ما روته العامة من مناقب أهل البيت (عليهم السلام))، تحقيق: الشيخ محمد الحسنون، (مطبعة المنشورات الإسلامية، ١٤١٤ هـ)، ص ٢٧٦.
- (٥١) العسقلاني، شهاب الدين بن حجر (ت: ٨٥٢ هـ)، (تهذيب التهذيب)، (لبنان، د.ت)، ج ١٠، ص ٣٠٢.
- (٥٢) الذهبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨ هـ)، (ميزان الاعتدال في نقد الرجال)، (لبنان، د.ت)، ج ٤، ص ٢٠٢.
- (٥٣) الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ٣٢١.
- (٥٤) الطبرسي، حسين النوري (ت: ٥٤٨ هـ)، (أعلام الوري في أعلام الهدى)، (د.م.د.ت)، ج ٢، ص ٢٥.
- (٥٥) الشبلنجي، مؤمن بن حسن مؤمن (ت: ١٢١٩ هـ)، (نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار)، (د.م.د.ت)، ص ١٣٥.
- قائمة المصادر
- ١- الاربلي، ابن ابي الفتح (ت: ٦٣٩ هـ-١٢٩٣ م)، (كشف الغمة في معرفة الائمة)، (لبنان، د.ت).
- ٢- ابن بابويه، علي (ت: ٣٢٩ هـ-٩٣٩ م)، (فقه الرضا)، ط ١، (مشهد المقدسة، ١٤٠٦ هـ).
- ٣- الحميري، ابو العباس عبدالله بن جعفر (ت: ٣٠٠ هـ)، (قرب الاسناد)، ط ١، (قم، ١٤١٣ هـ).
- ٤- الحلي، جعفر السبحاني (ت: ٧٢٦ هـ-١٣٢٥ م)، (تحرير الاحكام)، ط ١، (قم، ١٤٢٠ هـ).
- ٥- الذهبي، ابي عبدالله محمد بن احمد (ت: ٧٤٨ هـ-١٣٤٨ م)، (ميزان الاعتدال في نقد الرجال)، (لبنان، د.ت).
- ٦- الزرندي، محمد بن يوسف (ت: ٧٥٠ هـ-١٣٤٩ م)، (معارج الوصول الى معرفة فضل ال الرسول (عليهم السلام))، تحقيق: ماجد بن احمد العطية، (د.م.د.ت).
- ٧- الزركلي، خير الدين (ت: ١٤١٠ هـ-١٩٧٦ م)، (١) لاعلام، (لبنان، ١٩٨٠ م).
- ٨- ابن شعبة الحراني، ابو محمد ابن الحسن بن الحسين بن شعبة (ت: ٤ هـ)، (تحف العقول عن بيت ال الرسول (عليهم السلام))، ط ٢، (قم، ١٤٠٤ هـ).
- ٩- ابن شهر آشوب، شير الدين ابي عبدالله محمد بن علي بن ابي نصر (ت: ٥٨٨ هـ-١١٩٢ م)، (مناقب ال ابي طالب)، (النجف الاشرف، ١٣٧٦ هـ).
- ١٠- الشرواني، حيدر علي بن محمد (ت: ١٢ هـ)، (ماروته العامة من مناقب اهل البيت (عليه السلام))، تحقيق: الشيخ محمد الحسنون، (مطبعة المنشورات الاسلامية، ١٤١٤ هـ).
- ١١- الشبلنجي، مؤمن بن حسن (ت: ١٢٩١ هـ-١٨٧٤ م)، (نور الابصار في مناقب ال بيت النبي المختار)، (د.م.د.ت).
- ١٢- الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ-٩٩٢ م):
- (الهداية في الاصول والفروع)، ط ١، (قم، ١٤١٨ هـ).
 - (الامالي)، ط ١، (قم، ١٤١٧ هـ).
 - (ثواب الاعمال وعقاب الاعمال)، ط ٢، (قم، ١٣٦٨ هـ).
 - (عيون اخبار الرضا)، (د.م.د.ت).
 - (من لايحضره الفقيه)، ط ٢، (قم، ١٤٠٤ هـ).
- ١٣- ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد المالكي (ت: ٨٥٥ هـ-١٤٥١ م)، (الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة)، ط ١، (دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٢ هـ).
- ١٤- الطبرسي، حسين النوري (ت: ٥٤٨ هـ-١١٥٣ م):
- (تاج المواليد في مواليد الائمة ووفياتهم)، (قم، ١٤٠٦ هـ).
 - (اعلام الوري في اعلام الهدى)، (د.م.د.ت).
- ١٥- عبد الوهاب، الشيخ حسين (ت: ٥ هـ)، (عيون المعجزات)، (النجف الاشرف، ١٣٦٩ هـ).
- ١٦- العسقلاني، شهاب الدين بن حجر (ت: ٨٥٢ هـ-١٤٤٩ م)، (تهذيب التهذيب)، (لبنان، د.ت).
- ١٧- الكليني، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩ هـ-٩٤١ م)، (الاصول من الكافي)، ط ٥، (طهران، ١٣٦٣ ش).
- ١٨- الحسني، هاشم معروف (ت: ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤ م)، (سيرة الائمة)، (دار التعارف للمطبوعات، ١٤١١ هـ).
- ١٩- مهران، محمد بيومي (ت: ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م)، (الإمامة وأهل البيت)، (مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٥ هـ).
- ٢٠- رضي الدين، علي بن موسى بن طاووس (ت: ٦٦٤ هـ-١٢٦٦ م)، (مُهْج الدعوات و منهج العبادات)، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤١٤ هـ).
- ٢١- المفيد، ابي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣ هـ-١٠٢٢ م):
- (المقنعة)، ط ٢، (قم، ١٤١٠ هـ).
 - (الارشاد)، (د.م.د.ت).
- ٢٢- المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١ هـ-١٦٩٩ م)، (بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار)، ط ٣، (لبنان، ١٤٠٣ هـ).
- ٢٣- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت: ٢٨٤ هـ-٨٩٧ م)، (تاريخ اليعقوبي)، (لبنان، د.ت).
- قائمة المراجع
- ١- الابطحي، محمد علي، (تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي)، (د.م.د.ت).
- ٢- الأمين، محسن، (اعيان الشيعة)، (د.م.د.ت).
- ٣- البدوي، عبد الرحمن، (الخوارج والشيعة)، ط ٥، (مصر، ١٩٩٨ م).
- ٤- حيدر، اسد، (الامام الصادق والمذاهب الاربعة)، (د.م.د.ت).
- ٥- الشستاني، عبدالحسين، (الفائق في رواة واصحاب الامام الصادق (ع))، ط ١، (مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٨ هـ).
- ٦- الشراوي، عبدالله، (الاتحاف بحب الاشرف)، (د.م.د.ت).
- ٧- الشاكري، حسين، (موسوعة المصطفى والعترة (ع))، ط ١، (ايران، ١٤١٧ هـ).
- ٨- القزويني، لطيف، (رجال التركوا بصمات على قسماات التاريخ)، (د.م.د.ت).
- ٩- القرشي، باقر شريف:
- (حياة الامام موسى بن جعفر (ع)) دراسة وتحليل، (د.م.د.ت).
 - (حياة الامام الرضا (ع))، (قم، ١٣٧٢ ش).
- ١٠- المحمودي، الشيخ، (نهج السعادة)، ط ١، (النجف الاشرف، ١٣٦٥ م).
- ١١- موسى، محمد يوسف، (الفقه الاسلامي - مدخل لدراسة نظام المعاملات فيه)، (د.م.د.ت).
- ١٢- مغنية، محمد جواد، (الشيعة والحاكمون)، ط ٥، (م.د.م.١٩٨١ م).



المقولات التي توصل اليها الصلابي حول آباء النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)

ونشأته الى البعثة الشريفة والنقد الموجه اليه

م.م.: مهدي محمد موسى م.د. حسين سامي البديري

جامعة المصطفى العالمية / كلية العلوم والمعارف

Bahira the monk incident.

Al-Sallabi presented these events from a narrow, biased and one-way point of view, based on constants that are also based on Taymiyyahn reading, which is characterized by strictness in debating those who disagree with him in opinion.

His reading of the Prophet's biography was a recurrence of what preceded the Salafist radical script, especially the contemporary one, with the Umayyad tendency in both of its theoretical and practical aspects. Therefore, this reading was presented, critiqued, discussed, and deficiencies were identified from an objective and scientific point of view.

تهيد :

(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) (١).

في هذه الآية الكريمة دلالة على إيمان آباء النبي إذ كيف يبشر عيسى × بنبي آباؤه غير مؤمنين وهم من أكفلوه ورعوه وكانت عبادتهم على ديانة إبراهيم (عليه السلام)، ومن قبلهم من الأنبياء والمرسلين. وهذه بعض المقولات التي توصل إليها الصلابي في نقائص كتابه أحاول توضيحها والاشارة إليها ببعض المصادر الموسعة غير المحاصرة بفكر ومذهب معين.

المحور الأول: حول آباء الرسول وعمه أبي طالب..

أوضاع مكة قبل البعثة

الديانة الحنيفية في مكة قبل الإسلام

يذكر الصلابي أن الديانة الحنيفية في مكة كان لها وجود إلا أنه اختصرها في شخصين وهما زيد بن عمر بن نفيل، وقس بن ساعدة الأيادي ، فالصلابي كعادته يحاول حجب وتغطية بعض الحقائق التاريخية التي تتعلق بآباء النبي ' لذا تجنّب ذكر الشخصيات التي كانت على دين إبراهيم الخليل عليه

المستخلص

يتناول هذا البحث مقولات الدكتور علي محمد الصلابي حول آباء النبي (ص) قبل البعثة وبعد البعثة من الناحية الاعتقادية ومدى تواصلهم والتزامهم بالديانة الحنيفية وكذلك الوقوف على بعض بشارات الولادة النبوية والرؤيا التي روتها أمانة والد النبي (ص) ، وأيضا قصة المراضعات ومارافقها من أشكالات تمس البيت الهاشمي ، كما تم مناقشة حادثة شق الصدر وأقتلاع العلقة ، و الوقوف على ما قصه التاريخ في حادثة بحيرا الراهب . وقد عرض الصلابي هذه الاحداث من وجهة نظر ضيقة ومتحيزة وذات إتجاه واحد ، متعكز على ثوابت مبتنية على قراءة تيمية تمتاز بالشدة في مواجهة المخالفين له في الرأي ، فكانت قراءته للسيرة النبوية هي ترديد لما سبقه من الخط السلفي وخاصة المعاصر ذو النزعة الاموية في جانبيه النظري والعملي ، لذلك تم عرض هذه القراءة و نقدها ومناقشتها والوقوف على مواضع الخلل من الناحية الموضوعية والعلمية.

Extract :

This dissertation addresses and deals with the quotes and sayings of (Dr. Ali Muhammad al-Sallabi) regarding the fathers of the Prophet (peace be upon him) before and after the prophetic mission, in terms of beliefs and the extent of their communication and commitment to the Hanif religion. As well as standing on some of the prophetic birth prophecies, and the vision narrated by Aminah the mother of the Prophet (peace be upon him), as well as the story of foster mothers and its accompanying forms of problems affecting The Hashemite House.

The incident of crevice of the chest along with the incident of uprooting of the leech was also discussed, and also a refer for what history told about the

والسلام قبل البعثة، وتغافل عن قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين الى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية) ، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: «والله ما عبد أبي ولا جدِّي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنما قط»، فقليل له: وما كانوا يعبدون؟ قال: «كانوا يصلون الى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به» .

وأياها مما يدل على إيمانه، قوله في الحادثة بعد انكسار جيش أبرهة:

لم يزل لله فينا حجة يدفع الله بها عنا النقم نحن أهل الله في بلدته لم يزل ذاك على عهد ابرهم ينقل الصلابي عن ابن اسحاق: ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ' كان إذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة، وخرج معه على ابن ابي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ثم أن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان، فقال لرسول الله ' ما هذا الدين الذي أراك تدين به، قال: « أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين ابينا ابراهيم، أو كما قال ' : «بعثني رسولا الى العباد وأنت - أي عم - أحق من بذلت اه النصيحة، ودعوته الى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعاني عليه » أو كما قال. قال ابو طالب: أي ابن أخي، (إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه) .

وذكروا أن أبا طالب قال لعلي: أي بني، ماهذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يابأت أمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، (فزعموا) أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا الى خير فألزمه.

وهذا القول ذهب اليه جمع من علماء غير الامامية وذهب جمع من الاعلام الى القول بأيمانهم، كالمسعودي، واليعقوبي، وظاهر كلام الماوردي، والرازي في كتابه أسرار التنزيل، والتلمساني محشي الشفاء والسنوسي، والسيوطي وقد أُلِف هذا الاخير عدة روايات في ذلك.. مثل

مسالك الحنفاء، الدرج الحنيفة في الإباء الشريفة، التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة وغيرها.

وفيد الصدوق هنا: أن أم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمنة بنت وهب كانت مسلمة أيضا.

ولاجل ذلك أقام الشيعة الامامية الادلة من خلال الروايات الكثيرة الدالة على ايمان آبائه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالاضافة الى اجماع الطائفة المحقة.

وقد استلوا على ذلك ايضا بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لم يزل ينقلني الله من اصلاب الطاهرين الى أرحام المطهرات، حتى أخرجني في عالمكم، ولم يدنسني بدنس الجاهلية)

ثم أنه لو كان في ابائه (صلى الله عليه وآله وسلم) كافر، لم يفهمهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كلهم بالطهارة، مع قوله تعالى: (إنما المشركون نجس) ، وكذلك استدلوا بقوله تعالى (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين)، لما روي

وأيضا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (فاستودعهم - أي الأنبياء - في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب، الى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى الى محمد صلى الله عليه وآله، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا، وأعز الأرومات مغرسا، من الشجرة التي صدع منها أنبياءؤه، وانتجب منها أمانؤه، عترته خير العتر، واسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر...) . وجاء في تاريخ اليعقوبي ما يدل على أن قريش كانت ترى في قصي بن كلاب في حياته وبعد مماته أن أمره كالدين المتبّع ، وأما هاشم فقد ورد أنه أول من سنّ الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف التي أكد عليها القرآن الكريم في سورة الإيلاف والتي ترتب عليها الدعوة الى عبادة الله سبحانه لما فيها من الأمن من الخوف والجوع، إلا أن الصلابي قد نسب كل ذلك الى قريش، وجعلها رحلة تجارية لا أثر فيها ولا ارتباط بالله سبحانه.

وكان هاشم إذا حضر الحج قام في قريش، فقال: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته، وأنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته، فهم ضيف الله، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصكم الله بذلك...

وأما ما يخص موقف عبد المطلب، من أصحاب الفيل، فقد ذكر الصلابي أن عبد المطلب، قال في أبرهة: ما عندنا له قتال، سنخلي بينه وبين البيت . وكلامه هذا ينافي الحق والواقع، وما ورد في المصادر التاريخية، ومنها ما جاء عن اليعقوبي، أن عبد المطلب قال: والله لا أخرج من حرم الله وابتغي العز في غيره، وجلس بفناء البيت، وهو يقول:

لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك

أخطر من قتل النبي وإيذائه حينما يكون على قيد الحياة، ذلك لأن قتل النبي بعد اكماله التبليغ لا يؤدي الى بطلان حجته بخلاف رواية الاخبار الكاذبة عن سيرته فإنها تؤدي الى بطلانها» إذ ان تحريف سيرة الرسول الكريم يؤدي النظر الى أعداء الرسالة وكأنهم الناصحون فيخضع لهم بسطاء الناس وكأنهم ممثلون عن النبي، أما في ظل الرواية الصحيحة لحياة النبي يجد نفسه أمام مثال رسالي في النبل والكرامة والعدل وكل ما يمثل الاسلام من فكر وارتباط بالخالق وتطبيق وصاياه وتعاليمه.

وقفه مع رواية الرؤيا

ينتقل الصلابي بتحليل ومخاطلة مع القارئ الى قدسية الدولة الاموية وربانية نشأتها من خلال مقدمة مرتبة تبدأ من بشارات ساقها التاريخ الاموي كرويا أمانة أم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اراد الصلابي وبلغة الاحتيايل التاريخي أن يتخفى ويسوقها ضمن بشارات نبوية ذات قيمة عليا ، بدءها بزواج عبد الله بن عبد المطلب من أمانة بنت وهب وما حمل من بشارات للبشرية جمعاء بولادة الرحمة الالهية الى قول النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنا دعوة ابراهيم (ع) في قوله : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ) إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) . وكذلك عندما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) انا بشرى عيسى (عليه السلام) في قوله حاكيا عن المسيح (عليه السلام) : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سَحَرٌ مُّبِينٌ) وبعد ذلك يعقب الصلابي وقوله : (ورأت امي أمانة خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام)، ويعلق ابن كثير: « ونخصيص الشام بظهور نوره ، إشارة الى استقرار دينه ، وثبوته ببلاد الشام لهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلا للأسلام ...» ثم يأتي ببشرى ميلاد الحبيب، بهذه الاسلوب الملتوي والذي فيه أن الرواية قد أتت بعدة معاني تارة بعنوان رؤيا منامية ، (ورأت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامها أنه خرج من بين رجلها سراج أضاءت له قصور الشام) وثانيا بعنوان مشاهدة عينية ،(قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك قال : دعوة ابراهيم وبشرى عيسى وأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام) وثالثة أنها هل

عن ابن عباس، وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يزل ينقل من صلب نبي الى نبي. وايضا يستدل على ايمان ابائه (صلى الله عليه وآله وسلم) والى ابراهيم (عليه السلام) من خلال قول الله سبحانه وتعالى (وجعلها كلمة باقية) أي في عقب ابراهيم

ان نسب الرسول الكريم يعود الى اسماعيل ابن ابراهيم (عليه السلام) وما بعدهم وصولا الى آدم (عليه السلام)، ولكن الصلابي يختار ضمن من يختار من المؤرخين ليحد به نسب الرسول الكريم وايصاله الى عدنان ومن ضمن اختياراته وأمثله...

قيل للنبي «ما كان أول بدء امرك، فقال رسول الله» دعوة ابي ابراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام» وحتى ولادته تختلف فيه المذاهب وقبلهم منقحي التاريخ وسحبه الى ما يخصهم ولا يقدررون الاضرار النفسية لجمهور المواطنين»

والذكر أن آباء النبي مثل عبد المطلب وعبد مناف لم يعهد منهم عبادة للانصام، وعقيدتنا في آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنهم مسلمون موحدون طاهري الاصلاب من الشرك والكفر.

يذكر الصدوق في (الاعتقادات): « أعتقنا في آباء النبي أنهم مسلمون من آدم الى أبيه عبد الله، وأن ابا طالب كان مسلما، وأمه أمانة بنت وهب كانت مسلمة. وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن ادم، وينقل الطبرسي في (مجمع البيان): قال أصحابنا: أن أزر كان جد ابراهيم عليه السلام لأمه أن آباء النبي صلى الله عليه واله وسلم الى آدم كلهم كانوا موحدين.

وقال العلامة المجلسي: اتفقت الامامية رضوان الله عليهم على أن والدي الرسول وكل اجداده الى ادم كانوا مسلمين، بل كانوا من الصديقين: إما أنبياء مرسلين، او أوصياء معصومين، ولعل بعضهم لم يظهر الاسلام لتقية أم لمصلحة دينية.

وفي الحديث الوارد عن الامام علي (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «خرجت من نكاح ولم ارج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء.

»إن تحريف سيرة النبي بقسميها التاريخي والسلوكي

في أوائل النسوة على أتان لي، قمراء ومعني زوجي الحارث بن عبد العزى، أحد بني سعد بن بكر، ثم أحد بني نازرة، قد ادمت أتاننا ومعني بالركب شارف والله ما تبضُّ بقطرة لبن، في سنة شهباء، قد جاع الناس حتى خلص إليهم الجهد، ومعني ابن لي، والله ما ينام ليلنا، وما أجد في يدي شيءً اعلمه به، إلا إنا نرجو الغيث وكانت لنا غنم، فنحن نرجوها. فلما قدمنا مكة فما بقي منا أحد إلا عرض عليها رسول الله فكرهته، فقلنا: انه يتيم، وانما يكون الظئر، ويحسن اليها الوالد، فقلنا: ما عساها تصنع بنا أمه أو عمه أو جده، فكل صواحيبي أخذت رضيعاً، فلما لم أجد غيره، فقلت لصاحبي: والله لأخذن هذا اليتيم من بني عبد المطلب، فعسى الله أن ينفعنا به، ولا أرجع من بين صواحيبي، ولا آخذ شيئاً، فقال: قد أصبت.

أرى ان في هذه الرواية من الوهن والضعف التاريخي والفسولوجي الاجتماعي لشخصيتين مثل الصلابي المؤرخ الضعيف الواهن الحضور في نقل أخبار عن شخصية الرسول الكريم التي جعل الله لها في كل قلب محبة وروضة، ودلالة ضعف روايته أنه حتى لم يشر إلى مصدر الخبر غير عن رواية ابن عباس ولكن بلا مسند أو كتاب، وهي من دلالات ضعف المؤرخ، أو بقصدية تلاعبه بأحداث التاريخ أو تسويق أو تمريض أحداثه المهمة!

وينقل العلامة السيد مرتضى العاملي، قولاً للعلامة المحقق السيد مهدي الروحاني: أن قولهم: أنها رفضته في أول الامر ليطمه، إنما يصح بالنسبة ليطم ضائع لا أهمية له، اما بالنسبة لمحمد فإن كافله عبد المطلب سيد هذا الوادي. وأمه أمنة بنت وهب، من أشرف مكة، بل ثمة من يقول: إنه لم يكن حينئذ يتيماً، أن أباه قد توفي بعد ولادته بعدة أشهر، قيل ثمانية وعشرين شهراً، وقيل: سبعة أشهر..

وارسال الاطفال الى البادية للرضاع هو عادة أشرف مكة حيث يرون: أن بذلك ينشأ أطفالهم، أصحاء الابدان، فصحاء اللسان. أصفياء الفكر والقريحة و فعمق شخصية الرسول يكفيه انه جَدُّه عبد المطلب وعمه ابو طالب والذان يعتبران من رأسمالي مكة ووجهاءها، وقد أحبوا محمداً كما أحبوا أباه عبد

رأت عند الولادة ام أثناء الحمل؟،(والله أن لأبني هذا لشانا ألا أخبركما عنه غني حملت به فلم أر حملاً قط كان أخف منه ولا أعظم بركة منه م رأيت نورا كأنه شهاب من حين وضعته أضاءت لي أعناق الابل ببصرئ ثم وضعته فما وقع كما تقع الصبيان وقع واضعا يده بالرض رافعا رأسه الى السماء دعاه والحقا بشأنكما) وهناك اشكال آخر فهي في الرواية تقرر بانها لم تر حملاً أخف منه وهي لم يعرف أنها تزوجت من قبل بغير عبدالله بن عبد المطلب ، «وأن محمد ' هو اول اولادها أ لم يسبق لها قبل ذلك حمل أو ولادة ، فكيف تسنى لها معرفة ألأم معاناة الحمل وألام الولادة ، وخفتها وكأنها صاحبة تجربة في الحمل سابقا وهي بكر ، والذي يؤيد أن محمد' بكرها هو قول الرسول' «..إني كنت بكر إمي) .

ويذكر الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه (السيرة النبوية الصحيحة) فيقول:

«لقد رويت قصص وأخبار حول صفة حمل أمنة به، وأنها لم تر أخف ولا أيسر منه، وأنها كانت تلبس التعاويذ من حديد فينقطع ولم يثبت شيء من هذه الحكايات» ثم ينتقل بعد ذلك ويقول:

« كما وردت أخبار ضعيفة تفيد أنه، وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود معتمداً على يديه ... والقول العباس عمه إنه رآه في المهد يناغي القمر.»

ثم يقول مستدركا: « ولكن ثمة أخباراً تقوى ببعضها إلى الحسن إحتفت بمولده منها ما يفيد أن أمنة رأت حين وضعته نورا خرج منها أضاءت.....» وفي الحاشية يقول: « ولا حاج للاحتراز في إرسال خالد بن معدان عن بعض الصحابة وهم معاذ وأبو عبيدة وأبو ذر وعائشة..» ويروى عن الامام الصادق x: « أن الرسول لما ولد فتح لأمنة بياض فارس وقصور الشام»، وهناك فرق كبير أن تشاهد هي في ولادته او أنها ترى في منامها أو هو 'يربها بعد ولادته.

المحور الثاني: مرضعات النبي

وأرى ان هناك إشكالية في سيرة التحقق لمرضعاته في الصفحة (٤٨-٤٩) إذ يذكر الصلابي في السيرة النبوية عدم قبول المرضعات للنبي!... «ان مرضعته حليلة السعدية في بني سعد،

قدمت حليلة بنت الحارث، في نسوة من بني سعد ابن بكر يلتمسون الرضعا في مكة، قالت حليلة: فخرجت

والله، وكان من طبيعة العوائل الثرية أن تودع ابنائها الى مرضعات ولا إلى أسباب أخرى كما ذكر الصلاحي، والرسول لا يستحق الشفاق عليه بقدر ما يكون مدعاة مباهاة لأنه من ولد هاشم وعبد المطلب المشهورين بالعزة والثراء. ترى هل هناك فوائد من تحريف احداث وتواريخ لشخص التاريخ أو لي بعض وقائعه وتنفع مَنْ؟

المحور الثالث: شق صدر النبي؟

«فبينما يلعب هو وأخوه خلف البيوت في بهم لنا، إذ أتى اخوه يشتد.. فقال لي ولأبيه، إن أخي القرشي أتاه رجلان عليهما ثياب بيض فأخذهما وأضجعهما، فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه يشتد، فوجدناه قائماً، قد انتقع لونه، فلما رأنا أجهش اليها وبكى، قالت: فالتزمت أنا وأبوه، فضممنا اليها، ما لك بأبي وأمي؟ فقال: أتاني رجلان وأضجعاني، فشقا بطني، ووضعوا فيه شيئاً، ثم رذاه كما هو)، فقال أبوه: والله ما أرى ابني إلا وقد أصيب، الحقي بأهله، فإني أريدك قبل أن يظهر له ما نتخوف منه قالت: فاحتملناه وقدمنا به الى اهله، فلما رأنا انكرت شأننا.

وقالت: ما أرجعكما به قبل أن أسلمكما إياه وقد كنتما حريصين على حبسه؟ فقلنا لا شيء إلا أن قضا الله الرضاة وصرنا ما نرى. وقلنا نؤويه كما تحبون أحببنا؟ قال: قالت ان لكم شأنًا فاخبراني ما هو. فلم تدعنا حتى اخبرناها، قالت: كلا والله، لا يصنع الله ذلك به، إن لأبني لشأنًا، أفلا أخبركما خبره، إني حملت به، فو الله ما حملت حملاً أخف منه، ولا أيسر منه، ثم أريت حين حملته خرج مني نور أضاء منه أعناق الأبل ببصرى - أو..

قالت: قصور بصري - ثم وضعته حين وضعته، فو الله ما وقع كما يقع الصبيان، لقد وقع معتمداً بيديه على الأرض رافعاً رأسه الى السماء، فدعاه عنكما، فقبضته، وانطلقنا»

وكتب الصلاحي تحت عنوان (ما يستفاد من حادثة شق الصدر) بعد هذا السرد للرواية التاريخية ما نصه « ولا شك: أن التطهير من حظ الشيطان هو إرصاص مبكر للنبوة. وأعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه الا التوحيد الخالص وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك »

وينقل الصلاحي بعد ذلك رأي البوطي في الحكمة من الحادثة، فيقول: « يبدو: أن الحكمة في ذلك إعلان أمر الرسول وتهيئة العصمة.. » وقد ذكروا أنه قد شق صدره (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر من مرة توزعت على مختلف سني عمره (ص) المبارك. فعلى رغم ان هؤلاء السلفية يعتبرون الرواية من ارهاصات النبوة على حد تعبيرهم، يرى السيد مرتضى العاملي أنها عند غير المسلمين، مبعث للتهكم والسخرية. وعلى رغم من قول بعضهم موضوعة، يعتبره التفسير الحرفي لقوله تعالى (الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك) وهو هي الطامة الكبرى لمن لا يرى امكانية التأويل.

واعتبرها صاحب مجمع البيان (مما لا يصح ظاهره، ولا يمكن تأويله الا على التعسف البعيد، لأنه كان طاهراً مطهراً من كل سوء وعيب، وكيف يطهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالماء !!)

والحقيقة هي ان هذه الرواية مأخوذة عن اهل الجاهلية، فقد جاء في الاغاني أسطورة مفادها ان أمية بن ابي الصلت كان نائمًا؟ فجاء طائران فوقع أحدهما على باب البيت، ودخل الآخر فشق عن قلب أمية ثم رده الطائر، فقال له الطائر الآخر: اوعى: قال: نعم. قال: زكا؟: أبي.

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، لقد اتم خلقه ولا يحتاج الى مساعد أو معين. على الرغم من ظاهر المدح وابداء الرؤيا النبوية إلا ان جانب المبالغة والاسفاف في تهجئة الحدث بائنة بقوة لا يحتاج اعتمادها الرسول الكريم لبروز نبوته، وايضاً أرى إنها لا تدل على استبيان امكانيات الرسول الكريم ولا يحتاج اليها في حياته، وما اراه إلا جانب من الهرطقة التي لا مبرر لها. ثم بعد ذلك أفلا ينافي هذا الفهم ماورد في الايات القرآنية ، مما يدل على أن الشيطان لاسبيل له على عباد الله المخلصين { قَالَ رَبِّ مَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ }، وقوله تعالى :{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} وقولع تعالى : (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }

ومن المعلوم والواضح أن الانبياء هم خير عباد الله المخلصين، فكيف تسلطن الشيطان على من إصطفاه الله رسولا للعباد؟



المحور الرابع: ان بحيرى الراهب هو من نَبّه ابو طالب والرسول بنبوته.

يتبنى الصلاحي هذه الاسطورة في تنبئات بحيرا التي تجعله دليلا ومعجز في أنباء النبوة والانبياء، فيسرد الخبر قائلا: «خرج ابو طالب الى الشام، وخرج معه النبي ' في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب، هبطوا فحلوا رحالهم... فبينما هم يحلون رحالهم، جعل الراهب يتخللهم، حتى جاء فأخذ بيد رسول الل، فقال هذا رسول رب العالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين اشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا ... الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبي، واني (أعرفه) بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة.

مناقشة الرواية:

من ناحية السند أن الراوي هو ابو موسى الاشعري وهو لم يكن قد ولد آنذاك أصلا، لأنه ولد قبل البعثة بثمان او عشر سنين على ما يقولون.

أن الرواية تقول: أن بحيرى خاف عليه واراد رده وتقول: «لم يزل يناشده حتى رده، وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت».

ويتسأل السيد مرتض العاملي كيف يصح ذلك؟، وعمر النبي أنذاك قيل عشرة ووقيل تسعة، وابو بكر أصغر من النبي ' بأكثر من سنتين، وعمر بلال أصغر من عمر ابي بكر ما بين خمس الى عشر سنين فكيف يكون ذلك؟ وكيف لشخص لم يولد بعد او ولد بعمر ولم يستطيع المشي أن يرسل حماية لشخصية مهمة؟

ما هو الرابط بين ابي بكر وبلال حتى يامر بهذا الامر، فبلال مملوك لأمية بن خلف، الا أن نقول حيلة هذه القصة لذكر ابي بكر واعلام القارى أن شاهد حاضر بكل منازل حياة النبي والوحي والنبوة؟

ان بشارات النبوة التي كان يمتلكها الرسول الكريم تعرفها قريش وقد حفظها الكثير من ابناء الجزيرة العربية وينتظرون ظهور الرسول. «لقاء الراهب بحيرى بالرسول وهو غلام ..يقول: «خرج ابو طالب الى الشام، وخرج معه النبي في اشياخ من قريش، فلما اشرفوا على الراهب ، وكانوا قبل ذلك يسيرون، فلا يخرج اليهم، ولا يلتفت» في هذه الرواية التي يعتمدها الصلاحي

أيضاً بلا سند ولا ركيعة وإما الراهب هو من يتنبأ بقدوم الرسول الكريم فأعطاه صفة العلم والمعرفة للرسول وحتى نسبت معرفته وعلمه ونبوته من بعض مرضى النفوس {وإن يُريدوا أن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} الى راهب يعلمه مبادئ الاسلام والدين الحنيف.

المحور الخامس: ان النبي قبل البعثة غير معصوم

ينقل الصلاحي بعض المأثور التاريخي عن ما يسميها هو نزعات الشبوية يقول: (وقد حفظه الله تعالى في شبابه من نزعات الشباب ودواعيه البريئة، التي تنزع اليها الشبوية بطبعها، ولكنها لا تلائم وقار الهداة، وجلال المرشدين)، ويروي: (عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله يقول: «ما هممت بقبح مما كان أهل الجاهلية يهمون به، الا مرتين من الدهر، كليهما يعصمني الله منهما، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام لأهله يرعاها: أبصر الي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة، كما يسهر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء، وضرب دفوف، ومزامير، فقلت: ما هذا، فقالوا: فلان تزوج فلانة... فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني ألا حر الشمس...» ، وهكذا تكررت من النبي (ص) هذه التصرفات الليالي عدة)، ثم ينقل أن الرسول (ص) قال: (فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يحمل أهل الجاهلية، حتى أكرمني الله بنبوته) .

ثم يستنتج الصلاحي من الحديث حقيقتين على جانب كبير من الاهمية كما يزعم:

١- ان النبي 'كان متمتعا بخصائص البشرية كلها... فكان يحس بمعنى السمر واللهو، وتحديثه نفسه: لو تمتع بشيء من ذلك كما يتمتع الآخرون.

٢- ان الله عز وجل قد عصمه مع ذلك من جميع مظاهر الانحراف، ومن كل ما لا يتفق مع مقتضيات (الدعوة) التي هيأه الله لها.

قد ذكر الصلاحي حادثة شق صدر الرسول الكريم وهو صبي، لو اخذنا الرواية التي مأخذها ألا نرى إنها بلا

شك تسند «بأن التطهير من حظ الشيطان وهو ارهاص مبكر للنبوة ، واعدادٌ للعصمة من الشر، وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك، فلم يرتكب اثماً ولم يسجد لصنم ، على الرغم من انتشار ذلك في قريش» فكيف لا يكون معصوم وطاهر من كل أنقص الحياة وقد اسندت اليه أعمق واعظم رسالات السماء والله حفظه كما حفظ قرآنه، وبشر به الأنبياء من آدم وحتى ظهوره (ص) (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ؕ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ،

(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ؕ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)

«وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ؕ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ؕ قَالُوا أَقْرَرْنَا ؕ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ»

من هذه الآيات الكريمات التي نستنتج من بين ثنائيات إثبات لعصمة الرسول الكريم قبل البعثة وبعدها، فبعد قول الله تعالى لا رجوع لأبي بشر، في وقائع سيرته العطرة (ص). فيذكر الصلابي في ارهاصات نبوته بالصفحة (٧٠-٧١) بعض من الملاحظات التي تؤيد عصمته ونقاوته وطهارته (ص) من مثل تسليم الحجر الاسود في عليه كلما مرّ قريباً منه، فقوله: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن) ومن ثمّ الرؤيا الصادقة وهو أول ما بدئ به من الوحي، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح وحبب اليه العزلة والتحنث (التعبد)، فكان يخلو في غار حراء - في جبل يقع في الجانب الشمالي الغربي

من مكة - ويتعبد فيه الليالي ذوات العدد - فتارة عشرة ايام وتارة تصل الى شهر، ثم يعود الى بيته فلا يكاد يمكث فيه إلا قليلاً حتى يتزود من جديد لخلوة اخرى، ويعود الكرة الى غار حراء، وهكذا الى أن جاءه الوحي وهو في احدى خلواته تلك.

المحور السادس: ان ورقة بن نوفل هو من أخبر النبي بأن ما نزل عليه هو الوحي

حينما نزل الوحي بالآيات الكريمات من سورة العلق « بسم الله الرحمن الرحيم اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، افْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» فدخل على خديجة وفؤاده يرتجف ، فقال: (زملوني، زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروح، فأخبر خديجة بنزول الوحي وقراءته الآيات حتى قال لقد خشي على نفسي ، فقالت خديجة كلاً والله ما يخزيك الله ابداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة ، وكان إمراً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة يا ابن اخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله: خبر ما رأي: فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً يوم يخرجك قومك، فقال: رسول الله (أو مخرجي هم؟) قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي» .

«يظهر الصلابي في نقل روايته عن تلقي الوحي وكأنه شخص متردد وضعيف لايدري بما حدث له وحوله وقد أولى أمره الى امرأة في تهدئة روعه وتثبيت ايمانه، أو حتى تطمئنه من خلال أخباره أنها تأخذه الى ورقة ابن نوفل ليزيد من قناعته» وفعلاً أرى إن في ذلك خلاً، ليس في صالح الرسالة ولا في صالح أي مذهب الانتقاص من رسول الله أو تحجيم دوره أو امكانياته وتحت أي عذر أو حجة.

وايضاً ولنافلة القول لا اعرف لماذا الربط بفتور الوحي



عن الرسول الكريم بوفاة ابن الأرقم، هذا الربط شبه المقصود كأنما يُلجأ الرسالة الإسلامية إلى الأرقم، وهذا ما شكك البعض من أن الأرقم ثاقب العلم والمعرفة وهو من الهم الرسول ذلك، كما كان الراهب من قبل، وهذا قمة الفحش، مع جُل احترامنا لعلم الأرقم وجهاده في تقوية الرسول ومناصرته له: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مِمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ} وهنا يذكر السيد سامي البدر في كتابه السيرة النبوية: «أن الرسول الكريم سمع صوتاً من السماء يقول له: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرائيل». «ثم رجع إلى خديجة وأخبرها بالذي رأى، فقالت له: ابشر يا بن العم واثبت، ثم طلبت منه أن يخبرها حين يأتيه الملك ففعل. فأمرته أن يجلس إلى شقها الأيمن ففعل. فلم يذهب الملك، فأجلسه في حجرها فلم يذهب، فتحسرت، فشالت خمارها ورسول الله في حجرها فذهب الملك، فقالت: ما هذا بشيطان إن هذا إلا الملك يا ابن العم فابشر واثبت. ولكن ومن الرواة الأكثر الثقات هو الإمام علي الذي لازمه منذ طفولته يقول: كنت مع النبي عند نزول الوحي، وكان يجاور في كل سنة بحراء. فأراه ولا يراه غيري. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا إنك لست بنبي ولكنك وزير. وأنت على خير» أرى إن الإمام علي في ملازمته الرسول الكريم، فهو الأصدق في نقل أخبار النبي وأقواله لا غبار عليها ولا نقاش فيها، ومن ثم هي من طبيعة الرسول لا تتفعل عليه.

وهذا التمثيل بطريقة الإزاحات وتقديم صفوف على صفوف من مثل إزاحات الصلبي «بأن أول المؤمنين بالرسول أبو بكر ويسميه الصديق لشدة تصديقه له ويؤمن بواسطة أبي بكر الصحابة المعروفون ويقيم النبي يدعوا ثلاث سنوات سرّاً، ويجتمع مع أصحابه في دار الأرقم حتى يسلم عمر بن الخطاب فينصر الإسلام به، وهكذا تتراءى الحوادث للقارئ ويبرز أبو بكر وعمر وعثمان بصفتهم الوجوه البارزة في حركة النبوة ومن هنا يكون من الطبيعي أن يأخذ هؤلاء موقعهم في خلافة النبي ونشر دينه من بعده»

هذا التزاحم الذي يصنعه الصلبي ومن ثم دحرجته لما يحب ليس في صالحه لأنه سينكشف وتسقط مصداقيته، ولا في صالح الإسلام الذي يؤمن به، فتلك الشراك لا تخدم أيّ مذهب أو معتنق حسبما أرى. المحور السابع: القول بزواج النبي بعائشة وهي بنت ست سنين، وحديث الإفك كان في حقها. «عقد رسول الله على عائشة في مكة قبل الهجرة وهي ابنة ست سنين بعد وفاة خديجة وبنى بها في المدينة وهي ابنة تسع سنين وذلك في شهر شوال من السنة الأولى للهجرة. وكان رسول الله قد بنى بعائشة وهو في الرابعة والخمسين من العمر، والفارق بينه وبين عائشة لم يكن ذلك الفارق الكبير من وجهة النظر العملية، فها هو يسابق السيدة عائشة فتسبقه مرة، ويسبقها أخرى، فيقول لها هذه بتلك والأمثلة من تلك كانت في حياته كثيرة»

فقد تم هذا الزواج الميمون، في مطلع الحياة في المدينة، وفي بداية المرحلة التشريعية من حياته ومما لا شك فيه إن الإنسان يقضي وقتاً كبيراً من حياته في بيته ومع أسرته. .

حادثة الإفك حادثة افتعلها المنافقون في عهد النبي محمد، ولكنها دُحضت بآيات من سورة النور، حيث اتهم المنافقون كلا من السيدة عائشة بنت أبي بكر والصحابي صفوان بن المعطل بن الأثاث بارتكاب الفاحشة، ولكن نزلت آيات من القرآن الكريم تُخبر ببراءتهما، وتم تطبيق حد القذف بمن أشاعوا ذلك الافتراء. ومن حديث عائشة (رض) زوج النبي حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا. إذ تقول السيدة عائشة إني وبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلى فأسبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأيته، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخرمت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته، فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد

الله بن أبي بن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكت في قدمتي شهرًا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله (ص) اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل علي رسول الله فيسلم، ثم يقول: كيف تيك؟ ثم ينصرف، فذاك الذي يريني مولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نكته.

والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون» فأنزل الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ، فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق (رض) وكان ينفق على مسطح بن أثاث لقرابته منه وفقره: والله، لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، قالت عائشة: وكان رسول الله يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟

فقلت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ما علمت إلا خيراً.

قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمزة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

كان الرسول ' على الرغم من سيرته العطرة مع قريش بالنصيحة والدعوة لمبغضهم قبل محبتهم، البعض من الذين مرض في قلوبهم يكيدون له! ويؤذونه، أسأل سؤالاً؟ ماذا يسوى العرب من غير دينهم؟

ويرد على هذا السرد السلفي أن القرآن بصريح آياته يصرح أن ارتباط أي امرأة بنبي لا يعطيها حصانة أو قدسية لذاتها نعم هي تحترم وتقدر بحسبها و لغيرها

لذلك القرآن يتحدث بقوله تعالى (صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٌ نُوحٍ وَامْرَأَتٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ) (التحریم: ١٠) ، وكذلك هناك أخبار تاريخية تبين أن التي اتهمت بحادثة الافك كانت زوج النبي (ص) وأم ولده ابراهيم مارية القبطية ، وأن الذين لفقوا ونشروا هذه الاتهامات هم من الصحابة الذين حصنتهم الايادي الاموية وتبعهم بذلك التيار السلفي الاموي.

أما ما يتعلق بسن زواج السيدة عائشة ودعوى أن عمرها لا يتجاوز التسع سنين، الراي الذي أرسل رسالة خطيرة ففي قضية استباحة الطفولة من قبل رسول السماء (ص)، والواقع المغيب عن الثقافة الاسلامية والتاريخ الاسلامي خلاف ذلك حيث ينقل لنا ابن اسحاق ان السيدة عائشة اسلمت في جملة من أسلم اول البعثة، قال: وهي يومئذ صغيرة، وأنها أسلمت بعد ثمان عشرة انسانا، لذا لو فرض أن عمرها حين اسلامها سبع سنين لا صبح سن زواجها ١٧ سنة وهو ما تساعد عليه الوقائع والاحداث.

الهوامش:

(١)الصف:٦.

(٢) انظر: الصلاي، السيرة النبوية، ج١، ص٢٥.

(٣) سامي البدری، السيرة النبوية، ص٤٨. نقلا عن: الطبرسي، مجمع البيان، ج٤، ص٩٠.

(٤) سامي البدری، السيرة النبوية، ص٤٨. نقلا عن: قطب الدين الراوندي، الجرائع والخرائج، ج٣، ص١٠٧٤. كمال الدين وقام النعمة، ص١٧٤.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ٩٣.

(٦) انظر: يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج١، ص٢٣٩.

(٧) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٧٤.

(٨) الصلاي، السيرة النبوية، ج١، ص٤٤.

(٩) أنظر، أسمى المطالب في سيرة علي ابن أبي طالب ص٤٥، الصلاي

(١٠) انظر أسمى المطالب في سيرة علي ابن أبي طالب، ص٤٥ الصلاي،

عن سيرة ابن هشام ٢٤٦/١

(١١) الصحيح من سيرة النبي الاعظم، ج١، ص١٤٩

(١٢)المصدر السابق

(١٣) انظر الصحيح من سيرة النبي الاعظم ج١، ص١٤٩ مرتضى العاملي،

عن بحار الانوار ج١٥ ص١١٧

(١٤)مجمع البيان ج٤ ص٣٢٢،

(١٥)السيرة النبوية، على الصلاي، ص٤٥. وينظر ايضاً: رواه أحمد،

ج٥، ص٢٦٢، ورقمه ٢٢٢٦١، وقال محققوا طبع الرسالة: صحيح لغيره،

الحاكم، ج٢، ص٦٠٠، وقال الحاكم: صحيح الاسناد ولم يخرجاه، ووافقه

- (٤٨)الأعراف: ١٥٧.
- (٤٩)الصف: ٦.
- (٥٠)آل عمران: ٨١.
- (٥١)السيرة النبوية، على الصلاحي، ص ٧٠-٧١. انظر أيضاً: مسلم في الصحيح، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (رقم ٢٣٧٧).
- (٥٢)بدء الوحي، البخاري، (رقم ٣).
- (٥٣)انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص ٦٠.
- (٥٤)العلق: ١-٤.
- (٥٥)السيرة النبوية، على الصلاحي، ص ٧٢-٧٣. وينظر أيضاً: البخاري، كتاب بدء الوحي (رقم ٣).
- المصدر السابق.
- السيرة النبوية، سامي البدر، ص ٤٧.
- البقرة: ١٠.
- السيرة النبوية، سامي البدر، ص ٤٨.
- السيرة النبوية، سامي البدر، ص ٤٨. وينظر أيضاً: ابن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٠٢. المصدر المذكور.
- السيرة النبوية، سامي البدر، ص ٤٨. وينظر أيضاً: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣ / ١٩٧. (ومن المحتمل جداً أن قوله (وترى ما أرى - محرف) والصحيح (لا ترى ما أرى) وذلك ملل ثبت ان الائمة محدثون ولكنهم لا يرون الملك.
- السيرة النبوية، سامي البدر، ص ٤٧.
- السيرة النبوية، على الصلاحي، ص ٣٨٩ - ٣٩٠. وينظر أيضاً: من معين السيرة، ص ١٧٢.
- السيرة النبوية، على الصلاحي، ص ٣٨٩ - ٣٩٠. وينظر أيضاً: المصدر المذكور، ص ١٧٣.
- المصدر السابق.
- يوسف: ١٨.
- الافك: ١١.
- الأفك: ٢٢.
- صحيح البخاري - حديث ٤٤٧٣.
- المصادر
- القرآن الكريم
١. ابن سعد، الطبقات الكبرى، طبعة الخانجي.
٢. أسمي المطالب في سيرة علي ابن أبي طالب، الدكتور علي محمد الصلاحي، مكتبة الصحابة، الامارات الشارقة.
٣. الاوسط، الطبراني، طباعة دار الحرمين، السعودية.
٤. بحار الانوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، ايران.
٥. بدء الوحي، البخاري، محمد ابن اسماعيل البخاري، دار ابن كثير -لبنان- بيروت.
٦. البداية والنهاية، اسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين ابو الفداء، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
٧. تاريخ الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة دار المعارف، مصر.
٨. تاريخ يعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب يعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٩. الثقات لأبن حبان، محمد بن حبان بن احمد بن حبان ابو حاتم التميمي البستي السجستاني، دار المعرفة،

- الذهبي، مجمع الزوائد، ج ٨، ص ٢٢٢، وقال اسناد: أحمد حسن، وله شواهد تقوية.
- (١٦)مجمع البيان ج ٤ ص ٧٨ الطبرسي
- (١٧)بحار الانوار ج ١٥ ص ١١٧ العلامة المجلسي
- (١٨)الاوسط، الطبراني، صحح الحديث الاباني في صحيح الجامع ٣٢٢٥
- (١٩)السيرة النبوية، سامي البدر، ص ٤٣.
- (٢٠)البقرة ١٢٩
- (٢١)الصف ٦
- (٢٢)مسند أحمد ٢٦٢/٥، المعجم الكبير ٧٧٢٩، مجمع الزوائد ٢٢١/٨
- (٢٣)حسنه الاباني في صحيح الجامع (٢٢٤)
- (٢٤)مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٢٥ الهيتمي أسنده حسن
- (٢٥)مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٢٣ الهيتمي
- (٢٦)السيرة النبوية في مرويات الامام الصادق ص ١٧٢ جمعه ثجيل الحمدي
- (٢٧)أنظر السيرة النبوية الصحيحة ص ٩٩ أكرم ضياء العمري
- (٢٨)المصدر السابق
- (٢٩)المصدر السابق ص ١٠١
- (٣٠)المصدر السابق الحاشية رقم ٤
- (٣١)السيرة النبوية في مرويات الامام الصادق ص ١٧٢ جمعه ثجيل الحمدي
- (٣٢)السيرة النبوية، على الصلاحي، ص ٤٩ - ٥٠.
- (٣٣)الصحيح من سيرة النبي الاعظم (ص) ص ٨٥، السيد جعفر مرتضى العاملي
- (٣٤)السيرة النبوية، على الصلاحي، ص ٥٠-٥١. ينظر: مسند أبي يعلى ١٣ / ٩٣ ورقمه ٧١٦٣، الطبراني في الكب ير ٢٤ / ٢١٢ ورقمه ٥٤٥، وذكره الهيتمي في ال مجمع ٨ / ٢٣١، وقال: رواه أبي يعلى والطبراني بنحوه ورجاله ثقات، وأورده الذهبي ص ٢١، في السيرة النبوية له، وقال هذا حديث جيد الاسناد، وانظر السيرة النبوية بشرح الخشن: ١ / ٢١٤، من طريق ابن اسحاق وقد صرح ابن اسحاق بالسماع في رواية السيرة.
- (٣٥)السيرة النبوية وقائع واحداث ج ١ ص ٥٨ الصلاحي
- (٣٦)أنظر السيرة النبوية ج ١، ص ٥٩ الصلاحي، نقلا عن، فقه السيرة ص ٤٧ البوطي
- (٣٧)الميزان ج ١٣ ص ٣٤، عن مجمع البيان
- (٣٨)الصحيح من سيرة النبي الاعظم ج ١ ص ٨٥، مرتضى العاملي
- [٣٩ - ٤٠
- (٣٩)الحجر ٤٠
- (٤٠) النحل ٩٩
- (٤٠)انظر، السيرة النبوية وقائع واحداث ١ ص ٦٥ الصلاحي
- (٤١)انظر، السيرة النبوية وقائع واحداث ١ ص ٦٥ الصلاحي، عن الثقات لأبن حبان ج ١ ص ٤٤ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٥
- (٤٢)السيرة النبوية، على الصلاحي، ص ٥٧ (الفقرة ثامناً).
- الأنفال: ٦٢-٦٣، م
- (٤٣)السيرة النبوية وقائع واحداث ج ١ ص ٦٤ الصلاحي
- (٤٤)انظر، السيرة النبوية وقائع واحداث ج ١ ص ٦٤ الصلاحي، عن أبي نعيم في الدلائل ص ١٢٨ والبيهقي في السنن الكبرى ج ٢ ص ٣٣
- (٤٥)المصدر السابق
- (٤٦)السيرة النبوية الصحيحة للعمري، ج ١، ص ١٠٤.
- (٤٧)البقرة: ١٢٩.

١٠. الجرائح و الخرائج ,قطب الدين الراوندي, مؤسسة الامام المهدي. قم ايران
١١. حسنه الالباني في صحيح الجامع (٢٢٤)
١٢. دلائل النبوة ,لابي نعيم احمد بن عبدالله الاصبهاني, دار النفائس, بيروت ,لبنان.
١٣. السنن الكبرى , أبو بكر البيهقي , دار النوادر, بيروت لبنان.
١٤. سيرة ابن هشام , عبد الرحمن بن عبدالله المعروف بأبن هشام ,دار الصحابة للتراث بطنطا
١٥. السيرة النبوية , سامي البدري , الناشر , دار الفقه , الطبعة الثالثة مطبعة ياسين , قم ايران.
١٦. السيرة النبوية , محمد ابن أحمد الذهبي , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان .
١٧. السيرة النبوية الصحيحة ,أكرم ضياء العمري , الطبعة ٦, مكتبة العلوم والحكم.
١٨. السيرة النبوية في مرويات الامام الصادق , جمعه ثجيل الحمداني, إطروح دكتوراه, جامعة البصرة .
١٩. شرح نهج البلاغة ,ابن ابي الحديد, دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان.
٢٠. صحيح الجامع ٣٢٢٥ , ابو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الالباني, الناشر المكتب الاسلامي , رقم الطبعة ٣ , سنة النشر ١٩٨٨ م.
٢١. صحيح مسلم , الامام ابي الحسين النيسابوري , دار النوادر , بيروت , لبنان .
٢٢. الصحيح من سيرة النبي الاعظم (ص) , السيد جعفر مرتضى العاملي, المركز الاسلامي للدراسات, بيروت , لبنان.
٢٣. الطبراني في المعجم الكبير , الحافظ ابي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني, دار الراية , الرياض , السعودية .
٢٤. فقه السيرة ,محمد سعيد رمضان البوطي ,دار الفكر , دمشق - سوريا.
٢٥. كمال الدين وتمام النعمة, ابي جعفر محمد بن بابويه القمي, مؤسسة الاعلمي للمطبوعات , بيروت لبنان.
٢٦. مجمع البيان, الفضل بن الحسن الطبرسي , مطبعة العرفان , لبنان.
٢٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد , نور الدين الهيثمي ,دار المنهاج , جدة , السعودية
٢٨. مسند ابي يعلى , الحافظ أحمد بن علي التميمي , دار الثقافة العربية , بيروت , لبنان
٢٩. الميزان في تفسير القرآن ,محمد حسين الطبطبائي , دار الاعلمي , بيروت , لبنان .





الذِّكْوَانُ الْبَيْضُ



مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ فِكْرِيَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمةٌ تَصْدُرُ عَنْ
دَائِرَةِ الْبُحُوثِ وَالدرَّاسَاتِ فِي دِيْوَانِ الْوَقْفِ الشَّيْعِيِّ

الرقم المعياري الدولي

issn1763 - 2789

السنة الثانية / العدد (٢)

شعبان ١٤٤٣ هـ آذار ٢٠٢٢ م



Prof. fayiz hatu alsharae

Editor in chief

Hussain Ali Mohammed Al-Hasani

Editor Manager

Edition Commission:

Prof. eabd alrida bahiat dawud

Prof. hasan mindil aleakili

Prof. nidal hanash alsaaeidaa

Ass.Prof. Aqeel Abbas Al-Rekan

Ass.Prof. safa eabdallah burhan

ma.da.mufaq subraa alsaaeidaa

ma.da. fadil muhamad rida alsharae

ma.da. Tariq Audda Marri

ma.da. Nozad Safar Bakhsh

Prof. nur aldiyn abu lihyat / aljazayir

Prof. jamal shublaa / alardin

Prof. muhamad khaqanaa / diran

Prof. Mohammed Khaqani / Iran

Prof.maha khayr bik nasir / lubnan

Linguistic Correction

Ass.Prof. Ali Abdel Wahab Abbas

Translated into English By

Lamia jabbar Salman